لجنة التأليف والتعريب والنشر

تُصدر كُتباً علمية محكمة - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

طرق البحث الكمية والكيفية في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية

د. يعقوب يوسف الكندري

أستاذ مشارك بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الكويت

مجلس النشر العلمي



ردمك : 1-121-1-99906

رقم الإيداع : 2005/00303

2006 سلسلة الكتب الجامعية 1

إهـــــــداء ٢٠٠٦

مركز البحوث و الدراسات الكويتية

دولة الكويت



طرق البحث الكمية والكيفية
في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية

د. يعقوب يوسف الكندري

أستاذ مشارك بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الكويت

2006

(ح) جامعة الكويت
فهرسة مكتبة الكويت الوطنية

الكندري: د. يعقوب يوسف الكندري
طرق البحث الكمية والكيفية
في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية

ط 1– الكويت : جامعة الكويت 2005 م
ص 538 ؛ 24 × 17 سم
ردمك : ISBN: 99906 -1- 121 - 1
رقم الإيداع : Depository Number: 2005 / 00303

ص . ب 28301 الصفاة ـ الرمز البريدي 13144 دولة الكويت
تلفون : 4811375 (00965) ـ تلفون و فاكس : 4843185 (00965)

P.O. BOX; 28301 Safat, Code No. 13144, State of Kuwait
Tel. (00965) 4811375 - Tel. & Fax : (00965) 4843185
E - Mail: atapc @kuc01. kuniv. edu. kw
http: www.pubcouncil . kuniv.edu. kw/atapc


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بعد أن أمضيت عدة أعوام في تدريس مقرر طرق بحث في جامعة الكويت، وبعد عملية الجمع الخاص بالمادة العلمية التي تراكمت عاماً بعد عام من مراجع متعددة لطلابي لهذا المقرر، رأيت أنه من المناسب أن أقوم بعملية تجميع هذا الجهد وهذه الأدبيات التي تتعلق بطرق ومناهج البحث التي قمت بإقرارها على الطلبة في عمل متكامل ومنظم وميسر وبسيط. ولا شك أن قضية الشمول هي قضية مستبعدة في هذا الجهد، خاصة في مجال مناهج وطرق البحث، ولكن حاولت قدر الإمكان أن أجمع في هذا المُؤلف أبرز العناصر الأساسية في طرق البحث بشقيه الكمي والكيفي في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، بشكل عام. فمناهج وطرق البحث متشابهة في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، ولكن كل علم من هذه العلوم له أداة محددة أو مجموعة من الأدوات المميزة التي يعتمد عليها بصورة أكثر من الأخرى، مع إمكانية الاعتماد المتبادل لهذه الأدوات وفقاً للحاجة البحثية، ووفقاً للتداخل بين العلوم المتعددة بشكل عام، والعلوم التي تقع في نطاق العلوم الاجتماعية والسلوكية بشكل خاص.

ولعل سبب تسميه هذا الكتاب بطرق البحث الكمية والكيفية في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية جاء انطلاقاً من التشابه في العلوم المتعددة في هذا المجال وفي مناهجها وطرقها البحثية. فهو–أي الكتاب– يصلح استخدامه لجميع هذه العلوم على حد سواء من خلال تشكيله أرضية مناسبة خاصة بالمجال العام لهذه العلوم. فلا يمكن الفصل بين

الأساليب وتحديدها بعلم دون الآخر في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية. وحتى بعض الفروع من التي اتسمت بأنها مستقلة، ولها منهجها وأسلوبها الخاص في بدايتها مثل علم الإنسان، الأنثروبولوجيا، فإن مستوى التداخل أصبح كبيراً في الوقت الراهن. فلم تعد الأنثروبولوجيا، على سبيل المثال، هي ذلك العلم الذي يهتم فقط بدراسة المجتمعات البدائية، ويستخدم أسلوب الملاحظة بالمشاركة والاعتماد على الإخباريين، إنما بدأ الأنثروبولوجي بدخول المدينة، وبدأ بمناقشة وتحليل الأوضاع الاجتماعية الحديثة في المجتمع المعقد. وبدأ الأنثروبولوجي بالاعتماد على وسائل وأساليب بحثية لم يكن معتاداً أن يقوم بها، فبدأ بالاعتماد مثلاً على الاستبانة، والاختبارات والمقاييس الاجتماعية، والتي هي بالأساس كانت خاصة ومرتبطة بشكل أكبر بعلوم أخرى. فبدأ الاندماج والاعتماد على عدة أساليب بحثية متعددة انطلاقا من تداخل العلوم كافة. وأصبحت العلوم الاجتماعية (بشكل أكثر تحديداً) تستخدم أساليبها وطرقها البحثية المتشابكة.

ولذلك احتوى هذا الكتاب على مجموعة من الأدوات والطرق والأساليب البحثية التي تخدم مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية بشكل عام، والتي تعتمد على شقين رئيسيين: أولهما الذي يتعلق بالجانب الكمي، والآخر الخاص بالجانب الكيفي. ولعل ذلك ما يُبرز أهمية هذا العمل. فعلى الرغم من أن المكتبة المحلية والعربية تحتوي على العديد من المؤلفات الخاصة بمناهج وطرق البحث، وبالتحديد في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، فإن غالبيتها يصب في جانب واحد، وهي تلك التي تتعلق بالطرق الكمية، ابتداءً من اختيار العينة، ومروراً باستخدام الأداة إلى عملية التحليل. إضافة إلى مجموعة قليلة هي تلك

التي تركز على الجوانب الكيفية عدا تلك الكتب التي تهتم بالجوانب التاريخية. فقد انطلقت أهمية هذا الكتاب من احتوائه وتركيزه على الجانبين الرئيسيين في مجال البحوث الاجتماعية والسلوكية، والتي يندر وجود هذا المزج في المكتبة العربية.

إضافة إلى ذلك، فقد حاول المؤلف أن يجعل من محتوى الكتاب بسيطاً بقدر الإمكان، مع العلم بأن هناك جوانب عديدة في مجال البحث وأدواته لم يتم التطرق لها أو تداولها أو حتى الإسهاب فيها. ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الهدف الرئيس من وراء هذا الكتاب، الذي تم تحديده في أن يكون مرجعاً خاصا للطلبة، ويعينهم على تحصيل مادة سهلة وبسيطة وميسرة. إضافة إلى أنها ستكون لبنة أساسية للراغبين في استكمال الدراسة العليا، وإعداد وكتابة البحث العلمي بأصوله العلمية المعتمدة. فهي تعين طالب العلم في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا، بحكم كونها لبنة رئيسة لمناهج البحث مع حاجتهم الأساسية إلى بعض التفصيل في جوانب مختلفة بعد عملية التركيز لكل علم خاص. وهناك العديد من الأدوات البحثية على سبيل المثال، يحتاج فيها طالب الدراسات العليا إلى تفصيل وإسهاب أكثر، لكن بكل تأكيد يحتاج إلى خلفية عامة في مناهج البحث في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، والذي قد اتسم به هذا الكتاب. فالكتاب موجه بالدرجة الأولى لطلبة البكالوريوس في هذا المجال، وعرضت مادته لتتناسب مع هذه المرحلة.

ولقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء رئيسة حددت بالأبواب، شملت سبعة عشر فصلاً، ناقشت مواضيع بحثية متعددة. انطلق الجزء الأول التمهيدي بالبحث العلمي ومفاهيمه وأنواعه ببداية الإعداد له،

وشمل الجزء الثاني الأدوات البحثية المتعددة الكمية والكيفية، ثم جاء الجزء الثالث الخاص بتحليل البيانات وطرق كتابة البحث العلمي. وقد احتوى الباب الأول على سبعة فصول رئيسة، عرض الفصل الأول وحدة المنهج العلمي وأهدافه، وعرض لبعض المفاهيم العامة في مجال البحث العلمي بشقيه الكمي والكيفي من حيث التعريف بالمنهج، والبحث العلمي، والنظرية. وجاء هذا الفصل في صورة مدخل وأرضية خاصة في مجال البحث العلمي، وكتمهيد أساسي لبقية الفصول من خلال عرض التعاريف المتعددة. وجاء الفصلان: الثاني والثالث للتركيز على أنواع البحوث الكمية والكيفية. فالفصل الثاني ركز فيه على البحوث الكمية وتصنيفها والمتمثلة بالبحوث التجريبية، والبحوث السببية المقارنة، إضافة إلى البحوث الارتباطية وبعض الاتجاهات الحديثة في مجال البحوث الكمية. أما الفصل الثالث فقد جاء مركزاً على البحوث الكيفية وتعريفها، وأهم مظاهرها، وتم عرض البحوث التاريخية، ومن ثم ما يسمى بالبحوث الإثنوجرافية.

وجاء الفصل الرابع ليركز على مشكلة البحث في البحوث الكمية والكمية، ابتداءً من مفهوم المشكلة، ومصادر الحصول عليها، واختيار المشكلة ومعاييرها، ومن ثم تحديد المشكلة، مروراً بتقويم مشكلة البحث وانتهاءً بأهمية الدراسات والأبحاث السابقة. أما الفصل الخامس فقد احتوى على التعريف بفروض البحث وتساؤلاته بوصفها مشكلات جزئية والتعريف بها، ومن ثم التركيز على الفروض وعلاقتها بالحقائق والنظريات والقوانين، وبناء الفروض، ومصادر بناء أو تحديد الفروض إضافة إلى خصائص الفروض الجيدة وأهميتها، وأخيراً أنواعها. وجاء الفصل السادس ليركز على إعداد خطة البحث، من خلال عرض لأهمية

إعداد الخطة، وأبرز المحتويات الخاصة بهذه الخطة، وتحري أبرز النقاط الأساسية الواجب اتباعها عند كتابة خطة البحث، وأخيراً التركيز على كتابة خطة البحث المكتبي. أما الفصل الأخير من هذا الباب فقد اشتمل على التعريف بعينة البحث وطرق اختيارها وأسباب اختيار العينة، والخطأ في العينة، إضافة إلى أنواعها. وقد تم التركيز على العينة في مجال البحث الكمي والكيفي.

أما الباب الثاني، فقد تناول أدوات جمع البيانات المتعددة. فقد اهتم كل فصل بأداة محددة. وركز على الاستبانة كأحد أبرز الأدوات البحثية المستخدمة، ابتداءً من تعريفه، وخطوات تصميمه، وأشكاله، وتجريبه قبل تطبيقه، ومن ثم الاستبانة بصورتها النهائية. ومن ثم جاء الحديث عن القواعد التي يجب مراعاتها في صياغة الاستبانة، مرورا بطرق توزيعه، وانتهاءً بإبراز مزاياه وعيوبه. ويحتوي الفصل الثامن على أسلوب المقابلة، شاملاً على أبرز أشكال المقابلة، وأهميتها، وأبرز إجراءاتها، ومن ثم أهم المزايا والعيوب لهذه الطريقة، ونظرة تقويمية بين الاستبانة والمقابلة. وفي الفصل العاشر، تم التطرق إلى الاختبارات والمقاييس كأحد الأدوات البحثية المهمة، مركزين على مجالات الاختبارات، وأغراضها، وصفات الاختبار الجيد، وخطوات الاختبار، ومن ثم تحديد أنواع الاختبارات والمقاييس.

أما الفصل الحادي عشر فيبرز الأساليب البحثية في مجال العمل الأثنوجرافي، والمتمثل في طريقة استخدام الملاحظة بالمشاركة، بعد أن تم التفريق بين ما يسمى بالملاحظة البسيطة والملاحظة بالمشاركة، وتحديد أنواع الملاحظات ودور الباحث فيها. وقد تم التركيز على الملاحظ المشارك والحقل الميداني، وأدوار العمل الميداني، ومدة الملاحظة

بالمشاركة وشرعية استخدامها، ومهارات خاصة بالعمل الحقلي، وأخلاقيات القائم بالملاحظة، وأخيراً مزاياها وعيوبها. والفصل الثاني عشر تم التركيز فيه على الإخباريين كوسيلة مهمة في جمع المعلومات الأثنوجرافية، وتم الحديث عما يسمى بالإخباري الرئيسي، ومصداقية الإخباري، وطرق اختياره، وما يسمى بنموذج الإجماع الثقافي لكفاءة الإخباري، إضافة إلى الحديث عن الإخباري والأجر المدفوع، وأخلاقيات جمع البيانات، وبين المقابلة والإخباري. وجاء الفصل الثالث عشر ليتناول وسائل وأدوات أخرى لجمع البيانات، وتم الحديث عنها بشكل مختصر. وتم التطرق إلى تاريخ الحياة، ودراسة الحالة، والطريقة الجينيالوجية، وأخيراً تحليل المضمون. أما الفصل الرابع عشر في هذا الباب فقد جاء ليركز على الصدق والثبات في أدوات جمع البيانات، وليشرح مفهومي الصدق والثبات، وطريقة حسابهما وأنواعهما، بالإضافة إلى الحديث عن صدق وثبات البحث الكيفي، ومعامل الاتفاق.

وأخيراً، تناول الباب الثالث الذي احتوى على ثلاثة فصول صبت في المراحل النهائية من البحث العلمي، مبتدئاً بالفصل الخامس عشر الذي يعرف طرق تحليل البيانات الكيفية والكمية، ووسائل التحليل ومن ثم التركيز على الإحصاء والعمليات الإحصائية موضحاً أبرز العمليات الإحصائية التي يستخدمها الباحث في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية. ومن ثم جاء الفصل السادس عشر، والذي عنى بطريقة كتابة تقرير البحث والأسلوب المعتمد، وأبرز المحتويات الرئيسة لتقرير البحث، مركزاً على تقرير البحث في الدراسات الأثنوجرافية. وأما الفصل الأخير من هذا الكتاب فقد عمد المؤلف فيه إلى إبراز كيفية كتابة المراجع الخاصة بالتقرير العلمي معتمداً على أسلوب علمي محدد

والخاص برابطة علم النفس الأمريكية، مشيراً إلى أهمية كتابة المراجع، وأبرز القواعد العامة الواجب اتباعها في كتابة المراجع بجميع أشكالها، إضافة إلى الإشارة إلى كتابة مراجع البحث داخل متن التقرير وطريق الهوامش، وأخيراً وضع الجداول.

وقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على عدد من المصادر المتعددة في مجال البحث الاجتماعي، كما سبقت الإشارة، مستعيناً بخبرته المتواضعة التي استمدها من بعض أبحاثه كأمثلة جاءت ضمن أجزاء الكتاب. وأخيراً، أسأل المولى عز وجل أن يكون هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة للمكتبة العربية في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية.

الباب الأول

البحـــث العلمـي

الفصل الأول

وحدة المنهج العلمي وأهدافه

الفصل الأول

وحدة المنهج العلمي وأهدافه

قبل الدخول في مفهوم البحث العلمي وإجراءاته وتطبيقاته والدخول في تفصيلات خاصة بمجالاته وأساليبه وطرقه، يفترض التقديم لعرض عام لوحدة المنهج العلمي وبعض المفاهيم الخاصة المرتبطة به. فالفهم الكامل لهذا المفهوم يجعل من السهولة استدراك الجوانب الأخرى المرتبطة بالبحث العلمي وإجراءاته المتعددة. بالإضافة إلى فهم العديد من المفاهيم البحثية، والتي سوف يتم تسليط الضوء عليها في هذا الفصل وخلال السطور القادمة.

المنهج:

المنهج لفظاً يعني الطريق إلى مكان ما، ويقال منهاج المسلم، أي: طريقه. والمنهج العلمي يشير إلى مجموعة من القواعد العامة التي تحدد الإجراءات العملية والعمليات العقلية التي تتبع من أجل الوصول إلى الحقيقة فيما يتعلق بظواهر الكون الطبيعية والفيزيقية والإنسانية (سليمان خلف،1995).

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (1986) المنهج بأن «قوامه الاستقراء، ويتمثل في عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب، ثم وضع الفروض التي تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يبحث عنها، وتنتهي بمحاولة التحقق من صدق الفروض أو بطلانها توصلاً إلى وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر وتوجد العلاقات بينها» (ص: 267).

ويشير مصطلح منهج أيضاً كما يذكره يوسف العنيزي وزملاؤه (1999) إلى أنه «مجموعة من الأساليب والإجراءات أو المداخل التي تستخدم في البحث لجمع البيانات والوصول من خلالها إلى نتائج أو تفسيرات أو شروح أو تنبؤات تتعلق بموضوع البحث، وهذا يعني أن مصطلح المنهج يمتد ليشمل

الخطوات المحددة في البحث العلمي، مثل صياغة الفروض، والمسلمات، وبناء النماذج والنظريات، وإجراءات اختيار العينة ... إلخ» (ص: 74).

وباختلاف التعريفات المتعددة، فإنها تصب في قالب واحد تتمثل في أن منهج البحث هدفه الوصول إلى الحقيقة أو الطريق لهذه الحقيقة . المنهج البحثي ضروري في أي مجال علمي، وتختلف قواعده باختلاف هذه المجالات، ولذلك فإن كل علم من العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية له مجموعة معينة من النظريات العلمية، ومنهجه العلمي، وأساليبه وأدواته .

دعوة العلماء والمفكرين إلى استخدام المنهج العلمي في البحث:

لا تعد الدعوة أو البدء في دراسة الظواهر الاجتماعية والعلمية قضية حديثة. فقد ظهرت دراسة الظواهر المتعددة مع بدء الحضارات الإنسانية. فالمفكر اليوناني هيرودتس، على سبيل المثال، قام بإجراء دراسته عن الظواهر الاجتماعية. فقد قام بعمل أول مسح ثقافي لمصر الفرعونية، حيث شمل هذا المسح على تسجيل نمط حياة المجتمع من عادات وتقاليد وطرق حياة. وكذلك الحال بالنسبة للعلامة ابن خلدون في مقدمته المشهورة التي تحدث فيها عما يسمى بتمحيص الأخبار. (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت). إضافة إلى ذلك، فهناك العديد من العلماء اليونانيين الذين استخدموا المنهج العلمي أمثال أرسطو الذي وضع المنهج القياسي أو منهج الاستدلال، وفيثاغورس الذي استخدم أساليب البحث العلمي في الجغرافيا الطبيعية والفلسفة، والرياضيات، وديمقريطيس الذي توصل إلى النواة الذرية لشرح تركيب المادة، إضافة إلى هيبوقراط (أبو الطب) الذي طور الممارسة والمعرفة الطبية ودراسة الجسم ووظائفه. وكذلك الحال بالنسبة لسترابو الذي طور الجغرافيا، وبطليموس الذي استخدم الرياضيات اليونانية والمصرية ليضع أول نظرية ملائمة عن حركة الكواكب، ورفض أن يعزو حركات الأجسام

الثقيلة بأنها تتصل بالقوى الخارقة للطبيعة (أحمد بدر، 1989).

فقد بدأت دراسة الظواهر الاجتماعية والعلمية مع وجود الحضارات الإنسانية. فقد تولد للإنسان شغف المعرفة والعلم واستخدام المنهج للوصول إلى الحقائق وإلى النظريات والقوانين المتعددة. فتعددت كما سبقت الإشارة إلى المناهج العلمية والاجتماعية التي حاولت التوصل إلى الحقيقة. فاعتمد العلماء والمفكرون على استخدام المناهج في المجالات المتعددة. وقد كان الإسهام العربي واضحاً في هذا الجانب، وظهر العديد من العلماء والمفكرين الذين استخدموا قواعد المنهج العلمي.

فابتكر العرب أساليب حديثة في البحث، فعارضوا المنهج القياسي على سبيل المثال، وخرجوا عن حدوده. فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العلمي والاستعانة بأدوات القياس للوصول إلى النتائج العلمية، ونبغ من هؤلاء كثيرون مثل الحسن بن الهيثم، وجابر بن حيان، ومحمد بن موسى الخوارزمي، والبيروني، وأبو بكر الرازي، وابن سينا وغيرهم (أمين ساعاتي، 1991). ولعل العالم العربي ابن خلدون يعد أول من دعا بشكل صريح وواضح إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع. فقد انطلق ابن خلدون إلى النصح باستخدام المنهج الاستقرائي والاعتماد على الملاحظة والمقارنة في الدراسة، وهي أساليب علمية بحته. فقد حث على ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة، وتعقب الظواهر في تاريخ الشعوب كما سبقت الإشارة بما اسماها تمحيص الأخبار، إضافة إلى عقد المقارنات بين الظواهر المتعددة في المجتمع نفسه وضرورة الاهتمام بالجوانب الديناميكية للظواهر الاجتماعية بالإضافة إلى الاهتمام بدراسة الجوانب التشريحية، ومن ثم منطق التعليل للوصول إلى الحقائق والقوانين. (عبدالباسط محمد حسن، 1977)

ولقد ركز ابن خلدون كثيراً على أهمية دراسة التاريخ والاعتماد على منهج تاريخي محدد، فأشار في مقدمته إلى فضل علم التاريخ وتحقيق

ـذاهبه، ويذكر العديد من المخالفات الخاصة بالمؤرخين عند سرد الوقائع لتاريخية لإهمالهم الأصول العلمية. فيقول على سبيل المثال: «..وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب، ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد..» (عبدالرحمن بن خلدون، د.ت: 10). فاتهم ابن خلدون بعض المؤرخين بالاعتماد على النقل دون التفحص للأخبار، وعقد المقارنات التي في النهاية تدل على الحقيقة. فالأصل للخبر ومن أين تم استخلاص النتائج هي قضية مهمة، وهي تشكل منهجاً علمياً أساسياً في استسقاء المعلومات وطلبها. فقد رسخ ابن خلدون قواعد منهجية واضحة ومحددة اعتمد عليها العلماء والمفكرون اللاحقون.

هذا وبالإضافة إلى ذلك، قام العديد من الباحثين والمفكرين الذين عززوا ما استخلصه ابن خلدون وحذوا حذوه. وقاموا بدعوات مشابهة لما استعرضه ابن خلدون من قواعد علمية لاستخدام المنهج العلمي. فاهتم مثلاً فيكو في إيطاليا بفلسفة التاريخ، فدعا إلى استنباط النظريات من التاريخ فدرس الوثائق التاريخية، والمعتقدات الدينية والتقاليد وطرق الحياة المختلفة، ودعا إلى استخدام منهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الإنسانية. وقد دعا كونت أيضاً إلى استخدام المنهج الوضعي، ودراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تحليلية، ودعا إلى ترابط الظواهر الاجتماعية والبحث عن القوانين الخاصة بالتضامن الاجتماعي، ودعا أيضاً إلى استخدام الملاحظة والمنهج التاريخي، والذي وجه ذلك كله الدراسات الإمبيريقية في نهاية

المطاف. وطبق لاحقاً أميل دوركهايم ما يسمى بالمنهج الاستقرائي، ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية، ونصح باستخدام المنهج المقارن. هذا بالإضافة إلى أن اتجاه العديد من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية في دراسة الظاهر والمشكلات الاجتماعية من منطلق أو اتجاه إمبيريقي. فقد أعطت الدراسات الميدانية دفعة كبيرة للأمام في هذا الاتجاه. إضافة إلى تطويرهم وكشفهم عن مناهج جديدة في ميدان البحث الاجتماعي، والارتقاء بطرق البحث القديمة، مبتعدين عن الفلسفة والفكر الفلسفي السائد، ومطورين العديد من المؤلفات الخاصة في مجال مناهج البحث العلمي (عبدالباسط محمد حسن، 1977).

إن جميع هذه القواعد المنهجية الأساسية دعا إليها العلماء والمفكرون وعززت من أهمية البحث العلمي واستخدام مناهجه بصورة محكمة في دراسة الظواهر المتعددة. فلا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة أي ظاهرة من الظاهر الطبيعية أو الاجتماعية والإنسانية بدون استخدام الباحثين للمنهج العلمي الدقيق والمناسب، فاختلاف الظاهرة وطبيعتها هي التي تحدد المنهج الواجب استخدامه في البحث العلمي. ولقد قاد المفكرون والباحثون هذا الاتجاه وفي تحديد ملامح عامة ورئيسة في دراسة المنهج العلمي. ولقد تعزز أيضاً استخدام الأدوات البحثية المناسبة في هذا الصدد. فانطلق الباحثون في استخدام أدوات بحثية محددة متوافقة مع المنهج، وقاموا بتطويرها وفقا لمتطلبات البحث العلمي والدراسة التي يقومون بها.

منهج البحث في العلوم الطبيعية:

تعرف العلوم الطبيعية على أنها تلك العلوم التي تدرس المظاهر غير الإنسانية الموجودة في الأرض والمحيطة بنا (Wikipedia, Online). فيدرس هذا العلم الظواهر الطبيعية المحيطة بالإنسان والتي تخدمه، وهي تلك العلوم

مثل علم الفلك، والكيمياء، والجيولوجيا، والفيزياء والرياضيات. وتصنف هذه العلوم على أنها تشمل جميع العلوم عدا تلك التي ترتبط بالحياة (Hestenes,1987). وإن كانت هناك تصنيفات أخرى تعتمد على إدراج بعض العلوم التي تهتم بالكائنات الحية داخل هذا الفرع من المعرفة. وعلى الرغم من ذلك، فإن منهج البحث ارتبط بهذه العلوم بطبيعة خاصة ومحددة. فقد استخدمت الأدوات البحثية المتلائمة مع طبيعة هذه العلوم التي تتميز بعدة خصائص أهمها اعتمادها على التجربة المعملية.

ومن الممكن تحديد أبرز الخطوات الرئيسة للمنهج العلمي بالعلوم الطبيعية–على الرغم من تشابهها في كثير من الجوانب بالعلوم الأخرى– بالآتي (Badger, 1999).

1 – ملاحظة المشكلة وتحديدها ووضعها في إطار الحل.

2– محاولة ما هو معروض أساساً وخاصاً بهذه المشكلة، والذي من الممكن أن يتم من خلال استعراض الأدبيات المرتبطة بالموضوع.

3– استخدام البيانات والمعلومات المتاحة ووضع الفروض التي قد تعطي تفسير للملاحظة.

4– ضبط المتغيرات وعمل التجربة والتي من خلالها نستطيع اختبار الفروض.

5– النتائج المستخلصة من التجربة من الممكن أن تثير الباحث، والتي من خلالها من الممكن أن يلجأ إلى الآتي:

أ – الاستمرار في اختبار الفرضية كما هي.

ب – أو يحور من الفرضية، ويستمر باختبارها.

ت – أو يترك الفرضية، ويقوم بصياغة فرضية أخرى، ويبدأ باختبارها.

ولعل المنهج هنا يعتمد على التجربة المعملية بشكل واضح. وهو الأمر الذي يعطي الخصوصية للعلوم الطبيعية على الرغم من أن هناك تشابهاً واضحاً بالخطوات البحثية. فجميع العلوم تختبر الفروض، وتضعها، أو

تجيب على الأسئلة البحثية، وتعتمد على الملاحظة الحسية.

لقد اقترن مفهوم العلم بالأساس بالعلوم الطبيعية. فالاتساق والنظام اللذان يسودان الطبيعة يشكلان افتراضاً معقولاً في عالم الموضوعات الطبيعية وخصائصها. ولا شك بأن إن التعريفات في العلوم الطبيعية فعالة، وتندرج تحت مصلحات إجرائية محددة. فالزمن على سبيل المثال هو دالة الحركة الأرضية بالنسبة للشمس، ويقاس بدوران عقرب على سطح ميزان أو مقياس دائري في وحدات دقيقة. والوزن عبارة عن بناء يشتمل على قوانين الجاذبية، ويقاس ببعض المقاييس العلمية المحددة (جون و. وست، 1988). فهو مصطلح إجرائي لا يقبل الاختلاف؛ ولذلك يشير العديد من الباحثين إلى أن خطوات البحث العلمي في العلوم الطبيعية واضحة ومحددة، ولا يمكن أن تخضع للأهواء الإنسانية في عملية التفسير والتحليل. فهي قواعد علمية ثابتة ومحددة ومرسومة وفقا لأطر واضحة وصريحة بعكس العلوم الاجتماعية والسلوكية كما سنرى.

منهج البحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية:

إن محاولة تطبيق الضوابط الدقيقة للملاحظة المنتظمة، والتحليلات المستخدمة في العلوم الفيزيائية والبيولوجية على مجالات السلوك الإنساني ساعدت في تنمية مجالات العلوم الاجتماعية والسلوكية، وبالتالي أصبحت تتضمن معرفة إنسانية متقدمة. فأصبحت ميادين الأنثروبولوجيا، والاقتصاد، والتربية، والعلوم السياسية، وعلم النفس وغيرها تعرف على أنها علوم (جون و. بست، 1988).

إلا أنه على الرغم من ذلك، فإن هناك العديد من الصعوبات التي تعترض البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والسلوكية. ومن الممكن تحديد أبرز حدود البحث العلمي في الدراسات الاجتماعية والسلوكي فيما يأتي (عمار

بوحوش و ومحمد محمود الذنيبات، 1989 : 27–28):

ا– تعقيدات الظواهر الاجتماعية:

إن الإنسان يتغير باستمرار سواء في تفكيره أو معاملاته للأفراد، وذلك بسبب تغير الأوضاع الاجتماعية. ولهذا فمن الصعب على الباحث أن يعالج بدقة قضايا هذا الإنسان المتغير باستمرار. ثم إن تشابك القضايا واختلاف وجهات النظر وتضارب المعلومات، تحول دون إصدار أحكام منصفة ودقيقة.

2– فقدان التجانس في الظواهر الاجتماعية:

فمن المتعذر وجود ظواهر يتشابه فيها الأفراد، حيث إن معظم الظواهر لها طابعها المنفرد، وشخصيتها المتميزة وغير المتكررة. ولهذا من الصعب التعميم واستخراج قواعد عامة ومشتركة يمكن تطبيقها على كل الناس.

3– صعوبة استخدام الطرق المخبرية:

لا يمكن وضع المشكلات الاجتماعية تحت المجهر والتعرف على حقيقة الأشياء التي يدرسها الناس. صحيح أن هناك بعض القضايا الاجتماعية التي يمكن استخدام الطرق المخبرية من خلالها، ولكن يبقى هذا الاستعمال في نطاق ضيق. إن سلوك الإنسان لا يمكن ضبطه ووضعه في مقاييس دقيقه لاختباره. ولهذا تبقى البحوث في العلوم الاجتماعية خاضعة للاجتهاد الشخصي والتجربة في إصدار الأحكام النهائية، وإبراز النتائج التي يتوصل إليها الإنسان في أبحاثه.

4– التحيزات والميول الشخصية:

إن نوعية الثقافة والبيئة التي يعيش بها الناس والتنظيم الاجتماعي تؤثر في سلوكهم، وتجعلهم يحبذون أفكاراً معينة، ويميلون إلى تيارات سياسية مقبولة ومعتبرة في أنفسهم. كل هذه العوامل تؤثر في النتائج النهائية، وتدفع

بالناس إلى تصنيف الباحث، واعتباره منتمياً إلى تيار معين.

لا بد من الإشارة إلى أنه مهما كانت هناك موضوعية في البحوث الاجتماعية والسلوكية، فإن هذه الموضوعية لا تعد مطلقة. فالباحثون الذين يطبقون الإجراءات البحثية يقومون بعمل ذلك وفقاً لقناعاتهم الشخصية، فيقعون بالأخطاء. وعلى الرغم من أن استخدام الطريقة العلمية من الممكن أن تقلل من هذه الأخطاء، لكنه من الصعب جداً بل من المستحيل التخلص منها نهائيا (Moore, 1983) ففي البحوث الاجتماعية والسلوكية يتم التعامل بشكل مباشر مع الإنسان، وأهوائه، وفكره، ورأيه المتغير، وطريقة حياته التي تختلف عن الآخرين، والتي يجب التعامل معها وفقاً لهذا الأساس باستخدام الأساليب العلمية والمنهجية المناسبة. فمنهج البحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية يتعامل مع الإنسان بسلوكه المتغير، وتعذر التشابه بالظواهر، وصعوبة تطبيق المختبر المعملي عليه لخلق ضبط ومقياس للاختبار، إضافة إلى الاختلافات في النزعة والميول الشخصية المتعددة.

الفرق بين المنهجين:

إن الأبحاث الرئيسة لكافة العلوم تعتمد بشكل مباشر على الملاحظة. ففي العلوم الطبيعية تستخدم الملاحظات بطريقة محددة. فعند ملاحظة خلية معينة صغيرة جداً بالعين المجردة، فالبيولوجي على سبيل المثال يحتاج إلى أداة معينة والمتمثلة بالميكروسكوب لمشاهدة هذه الخلية. ولملاحظة القوة غير المرئية للجاذبية، فإن الفيزيائي يحتاج إلى عمل اختبارات بالبندول مثلا ليؤكد على وجودها. وعندما يريد الباحث الاجتماعي ملاحظة انحراف سلوك الأحداث أين يحدث وكيف، فإنه هنا يحاول أن يطور ويستخدم طريقة ومنهج ليكتشف هذا السلوك، وقد يكون استبانة تضم مجموعة من الأسئلة التي تحدد السلوك المنحرف (Baker, 1994). فالجميع يشترك في استخدام المنهج

للتوصل إلى الحقيقة، ولكن العالم في العلوم الطبيعية يتعامل مع معطيات مختلفة للمادة الملاحظة، والتجربة، والضبط والقياس.

ومن الممكن تحديد أبرز الفروق بين الاتجاهين من العلوم بالآتي (رجاء محمود أبو علام، 1999، 34-35):

1- الملاحظة ودقتها:

إن الملاحظة في العلوم الاجتماعية أصعب منها في العلوم الطبيعية؛ إذ إنها تتأثر بذاتية الملاحظ الذي كثيراً ما يقوم بتفسير ما يلاحظه، ذلك أن موضوع الملاحظة عادة هو عبارة عن استجابات فرد لسلوك الآخرين. فالدوافع والقيم والاتجاهات أمور غير خاضعة للملاحظة المباشرة، ويجب على الملاحظين أن يضعوا تفسيراً معيناً لأي دافع، أو قيمة، أو اتجاه. والمشكلة هي أن دوافع الملاحظ وقيمه واتجاهاته كثيراً ما تؤثر في اختيار الملاحظ لما يلاحظه، وكذلك عند تقويم النتائج التي يبنون عليها ما يصلون إليه من خلاصات.

2- تكرارية البحوث:

من السهل على الكيميائي في المعمل أن يلاحظ رد الفعل بين مادتين كيميائيتين في أنبوبة الاختبار. وعند نشر نتائجه، يستطيع أي كيميائي آخر أن يكرر التجربة نفسها. إلا أن تكرار البحوث في العلوم الاجتماعية والسلوكية أصعب كثيراً منه في العلوم الطبيعية؛ إذ لا يستطيع باحث مصري على سبيل المثال أن يكرر تجربة لطريقة تدريس معينة قام بها باحث أمريكي تحت نفس الظروف، بنفس الطريقة التي يكرر بها كيميائي مصري تجربة قام بها كيميائي أمريكي. وحتى ضمن مبنى مدرسة واحدة لا يمكن إعادة موقف معين بنفس الدقة. فالظاهرة الاجتماعية أو السلوكية ظاهرة فريدة، ويصعب جداً تكرارها بنفس الصورة لأغراض الدراسة والملاحظة.

3- عملية الضبط:

إمكانية تحقيق الضبط في التجارب التي تجري على الإنسان محدودة مقارنة بالضبط في العلوم الطبيعية. فالتعقيدات المرتبطة بالبحوث التي تجري على الناس تعتبر مشكلة في الضبط ليس لها نظير في العلوم الطبيعية، حيث يستطيع الباحث أن يحدد بدقة عناصر الضبط في المعمل. ومثل هذا الضبط غير ممكن على الإنسان؛ إذ يكون على الباحث في العلوم الاجتماعية أن يتعامل مع عدد من المتغيرات في الوقت نفسه، وعليه أن يعمل تحت ظروف أقل دقة بكثير مما يتاح للعالم في العلوم الطبيعية. ويحاول العلماء الاجتماعيون التعرف على كثير من المتغيرات وضبطها على قدر الإمكان، إلا أن مثل هذا العمل كثيراً ما يكون صعباً للغاية.

4- مشكلات القياس:

تتضمن التجارب عادة قياس بعض المتغيرات. والأدوات التي نستخدمها في العلوم الاجتماعية أقل دقة من تلك المستخدمة في العلوم الطبيعية. فليس لدى العالم الاجتماعي ما يعادل المسطرة، أو الترمومتر، أو غير ذلك من الأدوات التي تزخر بها المعامل الطبيعية. ويعقد هذه المشكلة أكثر ذلك العدد الكبير من المتغيرات التي تعمل مستقلة أو في تفاعل مع غيرها من المتغيرات. ويحاول الإحصاء متعدد المتغيرات أن يعالج عدداً من المتغيرات المتفاعلة، إلا أن هذا العدد محدود نسبياً في العلوم الاجتماعية. كما أن الأساليب المستخدمة في الإحصاء متعدد المتغيرات لا تسمح بدراسة أثر المتغيرات إلا في الوقت الذي أجريت فيه المقاييس، ولا يمكن بأي حال التحدث عن أثر هذه المتغيرات على النمو في الماضي. فالمتغيرات التي حدثت في السابق لا يمكن قياسها في الوقت الحاضر، على الرغم مما قد يكون لها من تأثير على تتابع النمو.

وقد حصر روبنسون Robinson (Online) مجموعة من الفروق بين

مناهج وطرق البحث بين العلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة والعلوم الطبيعية من جهة أخرى. ومن الممكن أبراز أهمها بالآتي:

1- الفروع الخاصة بالعلوم الاجتماعية من الصعب تعريفها وتحديدها بوضوح، والمعلومات الموجودة بالموضوع قد تكون متناثرة ومبعثرة في أكثر من فرع.

2- المواضيع في العلوم الاجتماعية أقل استقراراً وأكثر تعقيداً.

3- الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية يستخدمون العديد من وسائل وطرق البحث ومصادر المعلومات المتعددة بالمقارنة مع الباحثين في مجال العلوم الطبيعية.

4- قد يكون الأسلوب الإحصائية الكمي هو من الأساليب المستخدمة في بعض الدراسات الاجتماعية، ولكن الأسلوب الأكثر انتشاراً عند الباحثين في العلوم الطبيعية هو الاعتماد على المختبرات والتحليلات المعملية.

5- عملية التطابق في النتائج في البحوث الخاصة بالعلوم الاجتماعية تعد صعبة بل مستحيلة في كثير من الأحيان.

6- تعتبر فروع العلوم الاجتماعية أقل وضوحاً في تعريف المصطلحات والمفاهيم. فالتعريفات والمفاهيم قد تكون أقل دقة وأكثر عدم استقرار.

7- الأدبيات الخاصة بالعلوم الاجتماعية تظهر بأنها تنمو بشكل أسرع من العلوم الطبيعية.

8- المعلومات والبيانات التي تؤخذ من الأدبيات العلمية عن طريق غير المجلات العلمية كالكتب والوثائق والمصادر تعتبر مهمة بشكل كبير في العلوم الاجتماعية، بعكس العلوم الطبيعية التي تعتمد بشكل كبير على المجلات والتقارير العلمية.

9- في الأدبيات الخاصة بالعلوم الاجتماعية هناك كثير مما يسمى بالمناطق الرمادية، والتي لا تحتمل الصحة والخطأ.

10- يجد الباحثون في العلوم الاجتماعية عادة وقتاً أطول في النشر من

الباحثين في مجال العلوم الطبيعية، وذلك لارتباطها بطبيعة أبحاثهم التي تستغرق وقتاً أطول.

11 – كثير من الباحثين الاجتماعين يستخدمون المراجع القديمة والتي تشكل لهم ثورة وقيمة علمية مهمة، ويستخدمونها بشكل أكثر من المتخصصين في العلوم الطبيعية.

12 – إن رفض المجلات العلمية للأبحاث في مجال العلوم الاجتماعية يعد أعلى في معدلاته من الرفض في المجلات الخاصة بالعلوم الطبيعية، فتصل النسبة في الأولى بمقدار 70–80٪ بينما تصل في الثانية بين 25–30٪. وقد يعود ذلك إلى أمرين: أولهما كثرة الإنتاج العلمي للعلوم الاجتماعية، والآخر المرتبط بمساحة الصواب والخطأ التي تخلو منها الدراسات الاجتماعية.

13 – الباحثون في العلوم الاجتماعية أقل نشراً في مجلات خارجية. وقد يعود السبب في ذلك، إلى أن المجلات في العلوم الطبيعية طبيعتها عالمية والمعرفة عالمية أيضاً فيها بينما في العلوم الاجتماعية هناك الكثير من الموضوعات التخصصية التي تصلح لأقاليم محددة، ولا تصلح أن تنشر في أماكن أخرى.

هذه بعض النقاط التي ذكرها روبنسون للتفريق بين العلوم الاجتماعية والطبيعية. ولا يمكن القول أن هذه الفروق تصب في صالح علم دون الآخر، ولسنا هنا في موقع تبيان وتوضيح الردود الجدلية المتعلقة بهذا الأمر، ولكن إن مما لا شك فيه أن العلوم الاجتماعية والسلوكية وبالمقابل العلوم الطبيعية قد أظهرت تقدما ملحوظا في سبيل الحصول على الحقيقة، وذلك من خلال استخدام مناهجها البحثية، والتي حرصت على تطويرها بشكل دائم.

ولنعُدْ إلى المثال السابق الذي تم ذكره والذي يتعلق بالبيولوجي والفيزيائي واستخدامهما للميكروسكوب والبندول كأدوات قياس في مقابل استخدام الاستبانة للكشف عن السلوك المنحرف للأطفال عند الباحث في

مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، فإننا نجد أن الملاحظة سهلة عند استخدام الميكروسكوب والبندول بينما تتعقد عند استخدام أداة مثل الاستبانة والتي قد تمس دقتها، ولكنها في النهاية لا تعطينا الصدق التام والمطلق مثل استخدام الميكروسكوب والبندول. هذا بالإضافة إلى أنه من الصعوبة تكرار الدراسة والحصول على نفس النتائج بدقة بالغة في المثال الثاني، بينما عند الفيزيائي والبيولوجي فالتكرار يعد سهلاً، وبإمكان أي فيزيائي أو بيولوجي آخر إجراء نفس التجربة، وتعطي نفس النتائج، وهو ليس كذلك عند الاجتماعيين في دراسة السلوك المنحرف.

والقياس والضبط أيضاً لا يختلفان من حيث دقتها في العلوم الطبيعية، فضبط أي تأثيرات خارجية بالنسبة للفيزيائي والبيولوجي هي مسألة سهلة بينما نجدها صعبة في العلوم الاجتماعية والسلوكية. فكيف نستطيع مثلا تحديد علاقة بين متغير وآخر في ظل وجود العديد من المتغيرات التي من الممكن أن تلعب دوراً رئيساً في إحداث أو التأثير على هذه العلاقة. فإذا قلنا مثلاً: إن هناك علاقة بين ارتفاع معدلات الذكاء والدعم الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد من الأقرباء والأصدقاء. فإذا وجدنا مثل هذه العلاقة الفعلية، فكيف نستطيع أن نضبط متغيرات أخرى من الممكن أن يكون لها تأثير في معدلات الذكاء مثلا العمر، الجنس، البيئة الاجتماعية التي يعيش بها الفرد، وغيرها من المتغيرات التي من الممكن أن تؤثر على معدلات الذكاء. حتى إن بعض الأساليب الإحصائية التي ساعدت على ضبط المتغيرات، إلا أن تعدد المتغيرات وتنوعها من الممكن أن يؤثر في المتغير، ولا يستطيع الباحث حصرها كاملة مهما كانت الظروف. وعلى الرغم من حرص العديد من الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية في هذا الجانب، إلا أنه من الصعب جدا أن يخضع قياس السلوك الإنساني لعوامل ثابتة.

لكن يبقى السؤال المهم، وهو أهمية دراسة السلوك والمحاولة قدر الإمكان

من استخدام الأدوات البحثية التي تدلنا على الحقيقة. وقد لا نصل على نتائج دقيقة مطلقة، ولكنها بلا شك تعطينا مؤشراً يمكن الاعتماد عليها في إطلاق التعميمات، وترسيخ وتعزيز النظريات. فالجدل القائم على صعوبة قياس السلوك الإنساني قد يكون فيه جانب من الصحة، ولكن- بكل تأكيد- فإن عملية قياس السلوك الإنساني ممكنة إذا استخدمت فيها أدوات بحثية مناسبة ودقيقة وتم التأكد من صدق وثبات الأدوات المستخدمة.

القانون العلمي البحت وطبيعته:

يعرف القانون العلمي على أنه وصف لظاهرة طبيعية، أو قاعدة ثابتة غير متغيرة تحمل في طياتها الحقيقة الخاضعة لظروف محددة، والتي تحدث تحت ظروف مؤكدة. فمن خلال القانون العلمي، يستطيع الباحثون معرفة كيف تعمل الطبيعة. ويحاول الباحثون من خلالها معرفة لماذا عملت بهذه الطريقة. فالقانون العلمي هو تعميم لسلوك أو تصرف أو حركة معينة لظاهرة محددة في الطبيعة (Hestenes, 1987). فالقانون العلمي هو عبارة عن الصيغة التي تعبر عن الضرورة التي تحكم الظواهر الطبيعية، وهو العلاقة العميقة الجوهرية المستقرة المتكررة بين ظاهرة وأخرى، أو بين الجوانب المختلفة للظاهرة. وهذه العلاقة تتمثل في ربط السبب بالنتيجة (أحمد زكي بدوي، 1986 : 241).

يشير عبدالباسط محمد حسن (1977) إلى أن من أبرز خصائص القوانين العلمية الآتي:

1- أنها تعبر عن سلوك ظواهر مقيدة تحت ظروف معينة.

2- أنها تقريبية، بمعنى أنها تعبر عن مقدار المعرفة الخاصة بالباحثين عن الظواهر المدروسة.

ومن الأمثلة على القانون العلمية هو ذلك القانون الرائد الذي اكتشفه

مندل Mendel، والخاص بالوراثة البشرية. والذي أكد من خلال قانونه المرتبط بالخصائص التي تتحكم بالصفات البشرية، والتي يتم انتقالها عبر عملية التزاوج واتحاد الكروموزومات بين الذكر والأنثى، بالإضافة إلى انتقال الجينات الوراثية وتطورها. هذا بالإضافة إلى قانون نيكولاس ستينو الشهير الخاص بالجيولوجيا، والذي أشار إلى أن عوامل الجاذبية الأرضية هي الأساس في جعل المواد المترسبة التي تنغمر بالمياه تظهر بأشكال طبقية أفقية (Cutler, 2003).

يشير عبدالباسط محمد حسن (1977) إلى أن أهمية القوانين تتمثل بالآتي (ص. ص: 44–45):

1- لما كانت القوانين تيسر لنا ضم عدد كبير من الحقائق في صيغة واحدة، فإنها تحقق لنا نوعاً من الاقتصاد الفكري الثمين، وتسهل لنا معرفة كثير من الحقائق التي تشمل عليها.

2- تهيئ القوانين العلمية للإنسان فهم كثير من الحقائق التي عجز العقل الإنساني عن تفسيرها فترة طويلة من الزمان. كما تسمح له بالكشف عن علاقات جديدة. مثال ذلك قانون باستير القائل بأن الجراثيم هي سبب التعفن كان سبباً في فهم كثير من الظواهر، كظاهرة تعفن السوائل والأجسام العضوية وانتشار الأوبئة، كما أنه استخدم في الكشف عن كثير من الحقائق المتعلقة بالبكتريا والطفيليات وأصل الأمراض.

ونظراً لما للقوانين من أهمية نظرية كبرى فإن جميع العلوم على اختلاف موضوعاتها تسعى إلى تحديد القوانين التي تخضع لها الظواهر التي تقوم بدراستها. فعلم الكيمياء مثلاً حينما يدرس ظاهره المادة إنما يقوم بذلك لكي يستخلص منها القوانين التي تخضع لها تلك الظواهر؛ وعلم الاجتماع لا يدرس الظواهر الاجتماعية كحقائق متفرقة، إنما يدرسها ليصل إلى القوانين العامة التي تسير بمقتضاها المجتمعات الإنسانية المختلفة، وهكذا

الحال في جميع العلوم.

3- للقوانين قيمة علمية كبرى، نظراً لأنها تسمح لنا أن نتنبأ بما سوف يطرأ على الظواهر من تغيرات في المستقبل، وقد هيأت هذه المعرفة للإنسان سبيل السيطرة على الطبيعة، وتسخيرها لخدمة البشرية، والتنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها، ورسم أحسن الحلول لمواجهتها والتغلب عليها.

ومن الممكن تحديد أبرز خصائص القانون العلمي بالآتي (Davies, 1992):

1 - أساسي وأصيل: بحيث إنه لا يكون مكرراً ولا يتعارض مع الملاحظات.

2- عالمي شامل: من الممكن أن يطبق في كل مكان.

3- بسيط: من الممكن التعبير عنه بواسطة بعض المعادلات الرياضية.

4- مطلق: لا يوجد أي شيء في العالم يستطيع التأثير به.

5- أبدي: بمعنى أنه غير قابل للتغير منذ بدأ اكتشافه.

6- كلي: وهو يعني أن كل شيء في العالم يجب أن يستجيب له بوضوح.

فأهمية القوانين التي تم ذكرها هنا علمية أساسية ومهمة في البحث العلمي بجميع جوانبه وفروعه. فالعلوم على اختلافها تسعى إلى تحديد القوانين المتعلقة بها حتى يفهم بشكل واضح وجلي الظواهر المتعددة سواء أكانت علمية أو اجتماعية إنسانية.

القانون الاجتماعي وطبيعته:

يعتبر مفهوم القانون الاجتماعي مصطلحاً اجتماعياً ارتبط والتصق بمفهوم المجتمع. ولعل أكثر ما نجد الارتباط لمصطلح القانون الاجتماعي عند دراسة ما يسمى بالبنائية الوظيفية. فالقوانين هنا تم بناؤها بشكل اجتماعي، ويتم تشكيلها بواسطة المجتمع. فهي بذلك تحدث تأثيراً على كل فرد من أفراد المجتمع، وهم - أي الأفراد- الذين يقومون بصناعة هذه القوانين (Wikipedia, On line). ويشير عبدالباسط محمد حسن (1977) إلى

أن قوانين العلوم الاجتماعية بالتحديد تعتبر نسبية، وفي الغالب تكون محدودة بحدود الزمان والمكان. وهناك من يربط القانون الاجتماعي بالقانون العلمي، حيث يشير أحمد زكي بدوي (1986) إلى أن القوانين العلمية للظواهر الاجتماعية هي «..عبارة عن اتجاهات أو ميول نحو علاقات معينة بين هذه الظواهر؛ لأنها تنم عن سلوك موحد» (ص: 242). فالسلوك الموحد هنا هو الذي جعل هذا التداخل بين القانون الاجتماعي وتحديد صفة العلمية عليه. وعلى الرغم من ذلك فإن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية يسعون إلى التوصل إلى تحديد القوانين واستخدامها.

يشير في هذا الجانب عبدالباسط محمد حسن (1977) إلى أن هناك العديد من الادعاءات الخاصة بصعوبة أو استحالة دراسة الظواهر الاجتماعية بإتباع مناهج البحث العلمي. وقد تركزت إدعاءاتهم بالعديد من الجوانب، ومن أهمها كما يشير إلى تعذر الوصول إلى قوانين اجتماعية. ويرجع عدم دقة القوانين الاجتماعية بمقارنتها بالقوانين في العلوم الطبيعية لعدة أسباب أهمها (ص. ص: 95-96):

1- تخضع المجتمعات المختلفة للتغير الاجتماعي المستمر؛ لذا فإن الظروف المتماثلة لا تظل على حالها قط خلال الفترات التاريخية المختلفة، ومن ثم لا يوجد في المجتمع اطراد طويل الأمد يصلح أن يكون أساساً للتعميمات البعيدة المدى.

2- لا تخضع الظواهر الاجتماعية لمبدأ «الحتمية» الذي تخضع له الظواهر الطبيعية، وذلك بسبب الحرية التي يتمتع بها الإنسان. فالناس هم الذين يصنعون أقدارهم، وفي استطاعتهم أن يغيروا سلوكهم طبقاً لحالاتهم النفسية، وتبعاً للظروف التي تحيط بهم. لذا من المستحيل التنبؤ بسلوكهم الاجتماعي، ووضع مبادئ عامة لهذا السلوك. ولا يمكن أيضاً باصطناع هذه المبادئ اكتشاف أنماط سلوكهم الماضية أو المستقبلية. فإذا لاحظت

مثلا أن العمال العاطلين لا يقرأون كثيراً في أثناء تعطلهم، فإنك لا تستطيع أن تعمم هذه الملاحظة وتجعلها قاعدة عامة، لأن البطالة الطويلة قد تدفع العمال العاطلين إلى القراءة دفعاً للملل، وبذلك لا يصدق التعميم لتغير السلوك الإنساني.

3- مما يزيد من صعوبة وضع القوانين التي تساعد على التنبؤ الصحيح في العلوم الاجتماعية، ذلك التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها. فإذا قلنا مثلاً إن أحد السلع الموجودة في الأسواق سوف تختفي بعد شهر، فإن الأفراد سيتسابقون على شراء هذه السلعة وتخزينها في منازلهم، فتختفي من الأسواق بعد يوم واحد فقط أو يومين. وإذا تنبأنا مثلاً بأن سعر الأسهم سوف يأخذ في الارتفاع مدى ثلاثة أيام، ثم يهبط بعدها، فمن الواضح أن كل من له صلة بالسوق سوف يبيع في اليوم الثالث، وذلك بسبب هبوط الأسعار ويكذب التنبؤ.

فالتغير المستمر وعدم خضوع الظواهر الاجتماعية لمبدأ الحتمية، والتأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها هي أكثر الإدعاءات التي توجه إلى الدراسات الاجتماعية، وتجعلها بعيده عن العلوم الطبيعية من حيث الدقة. ولكن وعلى الرغم من ذلك، وكما يشير عبدالباسط محمد حسن (1977)، إن سرعة التغير الاجتماعي لا تتعارض مع كون الظاهرة الاجتماعية تسير وفقاً لقواعد ثابتة من الممكن اكتشافها والوصول إليها، وأن مبدأ الحتمية، فإن الأفراد في المجتمع لا يتصرفون بطريقة عشوائية، إنما يخضعون لمؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية، فيسلكون سلوكاً محدداً. هذا بالإضافة إلى أن عملية التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها وإمكان تغيرها، فإنه من المعروف أن شرط القانون العلمي لا يكون مطلقا، وإنما إذا تغيرت الظروف، فإننا نكون بصدد حالة جديدة غير التي نص عليها القانون (ص. ص:96-97).

البحث العلمي:

يعرف البحث العلمي بأنه أي جهد يتم تحقيقه باتجاه المتطلبات الخاصة بفروع المعرفة ودعمها (Sagor,1992)، والبحث العلمي هو مجموعة من الجهود المنظمة التي يقوم بها الإنسان مستخدماً الأسلوب العلمي وقواعد الطريقة العلمية في سعيه لزيادة سيطرته على بيئته، واكتشاف ظواهرها، وتحديد العلاقات بين هذه الظواهر (ذوقان عبيدات وزملاؤه،1999 : 36).

مميزات البحث العلمي :

للبحث العلمي مميزات تتمثل في أنه يعتبر :-

1 – محاولة منظمة للعمل، أي أنه يتبع أسلوباً ومنهجاً معيناً ولا يعتمد على الطرق غير العلمية (الخبرة، السلطة).

2 – زيادة الحقائق وتوسيع دائرة معارف الإنسان، ومن هنا تزيد من قدرة الإنسان على التكيف مع بيئته.

3 – يختبر العلاقات ويفحصها ويثبتها ويتأكد منها تجريبياً.

4 – يشمل جميع ميادين الحياة وجميع مشاكلها.

الطريقة العلمية للبحث :

ويلخص ذوقان عبيدات وزملاؤه (1999) الخطوات العلمية للبحث العلمي بطريقة مميزة، ويعطي مثالاً مبسطاً لها. فالأسلوب العلمي أو الطريقة العلمية للبحث تعتمد على خطوات محددة ومعينة، وهذه الخطوات يختلف الباحثون في تصنيفها. فمنهم من يصنفها كالتالي:

1 – الشعور بالمشكلة.

2 – تحديد المشكلة.

3 – وضع الفروض أو حلول مؤقتة للمشكلة.

4 – استنباط نتائج الحلول المقترحة.

5 – اختبار الفروض.

وهناك من يصنفها كالتالي:

1 – تحديد المشكلة.

2 – جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمشكلة.

3 – وضع الفروض.

4 – اختبار صحة الفروض.

5 – الوصول إلى نتائج وحلول المشكلة.

وليس من الضروري الالتزام بهذه الخطوات، فمن الممكن الانتقال من خطوة لأخرى والعودة إلى الخطوة السابقة. ومن الممكن أن نشير إلى المثال الذي ذكره عبيدات بالنقاط التسلسلية الآتية:-

مثال:

1 – اكتشف رجل بعد عودته من إجازته أن حديقة منزله تعرضت للتلف (شعور بالمشكلة).

2 – أخذ يفكر فوجد باب الحديقة مكسوراً والأزهار مقطوعة (تحديد المشكلة).

3 – قال إنه يعتقد أن أطفال الحي قد دخلوا وخربوا الحديقة (وضع الفروض) وقال أيضاً: إنه لم يشاهد الأطفال، ومع ذلك فالاحتمال وارد. ثم تساءل هل من الممكن أن تكون الحديقة قد تعرضت للعاصفة (وضع فرض 2).؟

4 – فأخذ يسأل عن الأطفال فوجد أنهم يعملون بناد صيفي خارج المدينة منذ أسبوع (استنباط النتائج واختبار الفروض) فألغي الفرض الأول، ثم نظر فوجد أن حدائق جيرانه قد خُرّبت أيضاً، وعرف من خلال الجريدة أن عاصفة قد هبت منذ يومين، وسأل جيرانه وأكدوا له ذلك. ومن هنا تأكد من صحة الفرض الثاني، فوصل إلى النتيجة وهي أن عاصفة قد دمرت الحديقة.

ومن هنا يمكن أن نضع الاستنتاجات الخاصة بهذا «البحث الحياتي» كأن يقول الباحث: إن باب الحديقة مثلاً كان ضعيفاً أو قديماً، ومن الممكن أن يكون قد تأثر بقوة الرياح، أو يقول: إن هذا الاسم أو الفصل من السنة فيه عواصف ورياح، فيجب الانتباه إلى الحديقة وحمايتها في هذه الفترة بالتحديد. فيستنتج «الباحث اليومي» ويضع التوصيات بعد أن وصل إلى النتائج.

فبهذه الطريقة المبسطة في فهم المشكلة وتحديدها ووضع الأسئلة أو الفروض والمحاولة للوصول إلى الحلول ووضع الاستنتاجات بشأنها، تتم عملية البحث العلمي. وبهذه الطريقة وفي هذا الإطار يستطيع الباحث وضع مشكلة بحثه. إن هذه الطريقة هي التي من خلالها يستطيع الباحث الإجابة عن الأسئلة العالقة بذهنه بأسلوب علمي، ومنهج واضح كما سبقت الإشارة إليه من مدلولات خاصة بهذا المعنى. وهي بذلك تنسحب على طرق البحث بشقيه الكمي والكيفي.

إن أهم خطوة هنا هي تحديد المشكلة البحثية؛ لأن مشكلة البحث إذا كانت محددة فإنها سوف توجه الباحث بدقة نحو الحل، أما إذا كانت غامضة فإن الباحث سوف يستغرق وقتاً طويلاً في جمع المعلومات والحقائق التي سيشعر بعد جمعها أنها ليست ضرورية له. فهي الأساس للأبحاث العلمية كما سوف نراه فيما بعد.

ويشكل عام فإن البحث العلمي بمجمله لا يخرج عن واحد من الأمور الآتية (طلال المجذوب، 1993: 31):-

1 - اختراع معدوم، أي: تكوين موضوع جديد.
2 - إحياء قديم، أي: تحقيق موضوع قديم بطريقة علمية جديدة.
3 - توضيح مبهم، أي: شرح وتفسير موضوع وبيان الخطأ فيه.
4 - تفصيل موضوع مجمل، أو تهذيب موضوع مطول.
5 - جمع متفرق وترتيبه.

فالباحث هنا يحاول البحث عن معرفة بطريقة منظمة وبعيدة عن الاجتهادات العشوائية الشخصية، وهو بذلك يرتبط بمفهوم العلم الذي يعّرف على أنه «يضم كل بحث عن الحقيقة، يجري منزهاً عن الأهواء والأغراض، يعرض الحقيقة صادقة، بمنهج يرتكز على دعائم أساسية (رجاء وحيد دويدري،2000: 23). فالعلم لا يقوم إلا على أساس منهج واضح ومحدد يرسمه الباحث. ومن هنا يصبح من المهم أيضاً توضيح أبرز مواصفات الباحث التي تتمثل في الجوانب الآتية (انظر علي عسكر وزملاؤه،1986: 43-44):-

1 - التفتح العقلي، وهو تحرر التفكير من التحيز والجمود وتقبل آراء الآخرين حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية.

2 - حب الاستطلاع، ويشير إلى الرغبة الذاتية في البحث عن إجابات وتفسيرات مقبولة لتساؤلاته.

3 - الرغبة المستمرة في التعلم سواء من خبراته الشخصية أو من خبرات الآخرين.

4 - البحث وراء المسببات الحقيقية للأحداث والظواهر وما يتطلبه ذلك من الابتعاد عن التفسيرات الغامضة، وعدم المبالغة في دور المصادفة في حدوث الظواهر.

5 - الدقة وكتابة الأدلة للوصول إلى القرارات والأحكام، ويتطلب ذلك عدم التسرع وعدم القفز إلى نتائج أو أحكام تفتقد الأدلة الكافية والمرتبطة بالمشكلة موضع الدراسة.

6 - الاعتقاد في أهمية الدور الاجتماعي للعلم والبحث العلمي، ويتطلب ذلك الإيمان من جانبه بعدم تعارض العلم مع الأخلاق أو المعتقدات الدينية طالما يتم البحث في إطار المنفعة العامة للبشرية.

فهدف الباحث الوصول إلى الحقيقة عن طريق منهج علمي، والذي يعتبر -أي المنهج- الأداة الرئيسة لمفهوم العلم. فالعلم لا يقوم إلا على منهج علمي

محدد وواضح، وباحث مميز يقوم ويطبق أساسيات هذا المنهج.

النظريــة :

النظرية ببساطة هي مجموعة من المنطلقات الفرضية والمفاهيم المترابطة والتعريفات والقضايا التي تقدم وجهة نظر متكاملة عن الظواهر بتحديد العلاقات بين المتغيرات، وذلك بهدف التفسير والتنبؤ بها. (سليمان خلف وزملاؤه،1995 :49). وتعرفها المجموعة الاقتصادية على أنها كل مجرد من المفاهيم يتحد في سياق منطقي تقوم عليه معرفة علمية للظواهر. (رجاء وحيد دويدري،2000). ويمكن أن نحدد هنا النظرية بأنها مفاهيم، وهذه المفاهيم يشترط فيها الترابط حول موضوع معين ومحدد بهدف تقديم معرفة منطقية للظواهر التي تحيط بالإنسان. فهي بهذه الحالة تشمل مجموعة من الفرضيات المتعددة التي تحاول أن تختبرها الأبحاث اعتماداً على إيجاد العلاقات المختلفة بين المتغيرات.

ومن الممكن الإشارة إلى أن النظرية تشمل جانبين: الأول استنباطي عقلي يتعلق ببناء النظرية ومدى الاتساق المنطقي بين عناصرها في تفسير الظاهرة، والثاني جانب أمبيريقي يتعلق بمدى التحقق الموضوعي من فروض النظرية. وتتوقف كفاءة النظرية على سلامة بنائها المنطقي الاستنباطي، وما ينتجه من تساؤلات تفتح آفاقاً جديدة للبحث بالإضافة إلى مدى التحقق الموضوعي من الفروض التي تشملها. (عبد الفتاح القرشي،2001 :32).

وتوجد علاقة تبادلية بين النظرية من ناحية والبحث العلمي من ناحية أخرى. فالبحث يستمد فروضه من النظرية، ويعتمد عليها في تفسير نتائجه، كما أن النظرية تستفيد من نتائج البحث في تدعيم بعض جوانبها أو تعديلها. وهذه العلاقة المتبادلة تعطي ديناميكية للنظرية بحيث تجعلها في حالة نمو مستمرة، وقد تزيد الثقة في نظرية معينة، وتقل في أخرى، وقد تبقى ثالثة

على حالها. وتختلف النظرية عن الفرض في أمرين: أولهما أنها أكثر شمولاً من الفرض؛ لأنها تمثل نسقاً متكاملاً يشمل بالإضافة إلى الفروض مفاهيم وافتراضات وتعميمات، بينما الفرض أكثر تحديداً؛ لأنه يتناول علاقة معينة واحدة، والثاني أن النظرية يحتمل أن تكون بعض جوانبها قد تم التحقق منه في حين أن الفرض يعبر عن علاقة مازالت بحاجة للتحقق. (عبد الفتاح القرشي،2001). وتضيف رجاء وحيد دويدري (2000) في التمييز بين النظرية والفرض، فتذكر بأنه من العسير أن يتم رسم خط فاصل بين الفرض والنظرية، وذلك لأن الفرق بينهما هو في الدرجة لا في النوع، فالنظرية في مراحلها الأولى تسمى (الفرض) وعند اختبار الفرض بمزيد من الحقائق- بحيث يتلاءم الفرض معها- فإن الفرض يصبح نظرية.

وكذلك تختلف النظرية عن القانون في أنها أكثر شمولاً حيث تتضمن القوانين والمفاهيم والفروض، غير أن القانون يعتبر في مستوى أعلى من النظرية من حيث التحقق الموضوعي؛ لأن هناك جوانب في النظرية لم يتم التحقق منها (عبد الفتاح القرشي،2001 :32).

إن الباحث الذي يلاحظ والذي يجمع الحقائق ينتهي إلى (نظرية) تنظيم الحقائق، وتربط بين الوقائع، وتعطي تعليلاً أولياً يسميه العلماء (فرضيه) يجربونها، فإن ثبتت صحتها قبلت وأصبحت (قانوناً) أو (حقيقة عامة) على الأقل، وإلا رفضت وعُمد إلى (نظرية) أو (فرضية) أخرى حيث يعيد الباحث الكرّه من التجريب والتمحيص والبحث. (عبد الفتاح القرشي،2001 :118).

فالنظرية هنا قد تكون استنتاجاً عاماً من عدة فروض، وهي تعتبر مفهوماً عاماً أكثر شمولاً من هذه الفروض ومن القوانين، وهي تهدف في النهاية إلى تقديم وجهة نظر متكاملة عن الظواهر التي تتعلق بالإنسان.

الفصل الثاني
البحوث الكمية وتصنيفها

الفصل الثاني

البحوث الكمية وتصنيفها

تصنيف البحوث الكمية:-

يجد الباحثون صعوبة بالغة في الاتفاق حول تحديد خطوط رئيسة وواضحة ومحددة لتصنيف البحوث. فيتداخل عدد من المصطلحات في الجانب الذي يرتبط بالتصنيف. فتتداخل مصطلحات مثل منهج البحث، أو أسلوب البحث، أو نوع البحث أو طريقة البحث وغيرها عند الحديث عن قضية التصنيف لهذه البحوث. بل يتعدى ذلك الخلاف إلى أن هناك من يستخدم مفردات مغايرة عند الإشارة إلى هذا التصنيف. فتتم التسمية وإطلاق المصطلح إلى مفهوم قد يكون مختلفاً، كأن يتم القول مثلاً بأن منهج البحث هو خطة البحث.

وفي المقابل، فهناك أيضاً تصنيفات متعددة للبحوث، والتي من خلالها لا نستطيع أن نطلق تصنيفاً واحداً عاماً شاملاً. ومن الممكن إبراز بعض من هذه التصنيفات كما يتم تبنيه في بعض الدراسات والأبحاث والإشارة إليه. فمن أبرز هذه التصنيفات المختلفة لأنواع البحوث تتمثل بالآتي (طاهر مرسى عطيه ، 1994 : 41):-

أولاً- حسب تصميم البحث، والتي تنقسم إلى قسمين:

1 - بحوث تجريبية:

أ - تجريبية.

ب - شبه تجريبية.

جـ - بحوث الموضوع الواحد.

2 - بحوث غير تجريبية:

أ - تحليلية.

ب - وصفية.

جـ - بحوث لاحقة.

ثانياً - حسب طريقة جمع البيانات والمعلومات:

1 - بحوث الملاحظة.

2 - الاستقصاء.

3 - الاختبار.

4 - المقابلة.

5 - الوثائق.

6 - التحليل غير الكمي.

ثالثاً - حسب طريقة البحث:

1 - بحوث الآراء.

2 - البحوث التطبيقية.

3 - البحوث المكتبية.

4 - البحوث التحليلية.

رابعاً - بحوث حسب منهج التفكير:

1 - استقرائية.

2 - استنباطية.

خامساً - بحوث دراسية:

1 - قصيرة.

2 - ماجستير.

3 – دكتوراه.

سادساً – بحوث حسب المجال:

1 – طبيعية.

2 – اجتماعية.

3 – فنية.

فهناك تداخل بين البحوث المختلفة طبقاً للتصنيفات المختلفة. ولا يوجد فصل حاد واضح، حيث يمكن للبحث الواحد أن تكون فيه مساحة مشتركة بين أكثر من تصنيف. ويجد الباحث نفسه في حالات كثيرة مضطراً أن يستخدم أكثر من أسلوب أو من طريقة واحدة من طرق البحث. فقد يعتمد في بداية كتابته للبحث على المواد العلمية المكتبية – دراسة مكتبية – ثم يقوم بعد ذلك بالدراسة التطبيقية أو الميدانية. وقد يلجأ في الوقت نفسه للاعتماد في جمعه للبيانات على طرق عدة، كما قد ينتهي به الأمر إلى إجراء بعض التجارب لاختبار صحة فرض معين (طاهر مرسي عطيه، 1994 : 42).

فالبحوث العلمية لا تدخل في كثير من الأحيان بقالب تصنيفي واحد ومحدد، فالتداخل مسألة واضحة في كثير بل في جميع الأبحاث الاجتماعية والطبيعية. ولذلك، فإن هناك صعوبة في توضيح وتحديد تصنيف واحد متفق عليه. إلا أن ذلك لا يمنع من أن البحوث تدخل ضمن تصنيف آخر محدد والمتمثل في تحديد البحوث حسب ما يسمى بالبحوث الكيفية، والبحوث الكمية. فتنقسم وفقاً لذلك البحوث إلى ما يصنف على أنه بحث كمي، وبحث كيفي، إضافة إلى أن هناك من يجمع بين التصنيفين في بحث واحد. فلا يوجد ما يمنع من ذلك، والتي سيتم مناقشتها لاحقاً.

ولعلنا هنا سوف نقوم بتصنيف البحوث وفقاً للمنهج المستخدم، فهو تصنيف تم تبنيه في العديد من كتب ومراجع مناهج البحث في العلوم

الاجتماعية، مع إضفاء بعض من التفصيل على الطريقة الكمية والكيفية في إعداد البحوث الاجتماعية.

فوفقاً لتصنيف البحوث حسب مناهجها، وعلى الرغم من أنه لا يوجد أيضاً اتفاق واضح لهذا التقسيم، فإن البحوث من الممكن تقسيمها إلى:

1 – البحوث التجريبية.

2 – البحوث السببية المقارنة.

3 – البحوث الارتباطية.

أولاً– البحوث التجريبية:

يذكر رجاء محمد علام (1999) أن البعض يعتبر البحوث التجريبية هي قمة البحوث العلمية، بينما ينظر البعض الآخر إلى البحوث التجريبية على أنها بحر من الظلمات التي يجب أن يخوضها العلماء إذا كان من المهم أن يضيفوا للعلم معرفة ذات معنى. أما بالنسبة لمعظم الناس فإن البحث التجريبي هو التسمية التي تطلق على تصميم البحث الذي يهدف إلى اختبار علاقات العلة والمعلول حتى يصل إلى أسباب الظواهر. والبحث التجريبي إذا صمم بعناية يمكن أن يكون أداة قوية جداً في يد الباحث تساعده على اختبار فروضه بطريقة مميزة عن أي طريقة أخرى. وقد يبدو البحث التجريبي بالنسبة لبعض الباحثين أكثر تصميمات البحوث تعقيداً، ولكن إذا فهم الباحث قواعده وأسسه، فإنه يجده الطريقة الوحيدة التي يحصل منها على إجابات تتعلق بأسباب حدوث المتغيرات؛ وذلك لأن البحوث التجريبية هي الطريقة الوحيدة لاختبار الفروض حول العلاقات السببية بشكل مباشر (ص،189).

ويلخص ذوقان عبيدات وزملاؤه (1998 : 279–297) البحث التجريبي بالعناصر المتعددة المشكلة له والمتمثلة في تعريفه، ومصطلحاته، وأنواعه وغيره من الأمور، والتي نحاول أن نلخصها بالآتي:–

أولاً، تعريفه:

يتفق الباحثون على طبيعة وأسس البحث التجريبي، والتي تتمثل بالآتي :-

1 - استخدام التجربة، وهي إحداث تغير ما في المتغير التجريبي وملاحظة نتائج وآثار هذا التغير في «المتغير التابع».
2 - ضبط إجراءات التجربة للتأكد من عدم وجود عوامل أخرى غير المتغير التجريبي أثرت على هذا الواقع؛ لأن عدم ضبط الإجراءات سيقلل من قدرة الباحث على حصر أثر المتغير التجريبي.

وبذلك يعرف البحث التجريبي بأنه: متغير متعمد ومضبوط للشروط المحددة للواقع أو للظاهرة - التي تكون موضوعاً للدراسة - وملاحظة ما ينتج عن هذا التغير من آثار في هذا الواقع والظاهرة.

وهي ملاحظة تتم تحت ظروف يتم فيها ضبط المتغيرات لإثبات الفروض ومعرفة العلاقات السببية، ويقصد بالظروف التي يتم فيها ضبط المتغيرات بإدخال المتغير التجريبي إلى الواقع وضبط تأثير المتغيرات الأخرى، بحيث لا تسمح بالتأثير على العلاقة. فهي محاولة لضبط كل المتغيرات التي تؤثر على ظاهرة أو واقع ما عدا - المتغير التجريبي - وذلك لقياس أثره على الظاهرة أو الواقع.

ويمكن أن يعرف البحث التجريبي بأسلوب أكثر بساطة وسهولة، من حيث إنه - أي: البحث التجريبي- يستخدم التجربة ويضبط المتغيرات المؤثرة. فهو يستخدم ببساطة التجربة في إثبات الفروض، أو يحاول إثبات الفروض عن طريق التجريب. والباحث في البحث التجريبي يحاول أن يختبر تأثير متغير (مستقل) على متغير آخر (تابع) من خلال التجريب الذي يضبط من خلاله جميع المتغيرات التي من الممكن أن تربط وتؤثر في العلاقة.

والمثال الآتي يوضح المقصود بالتجريب، فإذا زرعنا شجرتين صغيرتين متشابهتين تماماً، وقدمنا لهما نفس الرعاية من حيث كمية الماء وتنظيم الموقع، ولكننا قدمنا سماداً لواحدة منها دون الأخرى، فإن الفروق التي ستحدث تكون ناتجة عن تقديم السماد. فهنا خضعت الشجرتان إلى التجربة.

ثانياً، مصطلحاته:

وتقسم المصطلحات إلى قسمين :-

١ - المصطلحات المتعلقة بالعوامل المؤثرة:

تتأثر كل ظاهرة بمجموعة من العوامل المؤثرة، فحوادث السيارات مثلاً تتأثر بعوامل مثل السرعة، ومهارة السائق، ونوعية الطريق، وصلاحية السيارة، والأحوال الجوية. ولكل عامل من هذه العوامل تأثير على الحوادث. فإذا أردنا أن نحدد أثر عامل من هذه العوامل مثل مهارة السائق مثلاً، فإن ذلك يتطلب أن نبعد أثر العوامل الأخرى كالسرعة والطريق والأحوال الجوية وصلاحية السيارة، وبذلك، نستطيع أن نحدد المصطلحات بالآتي :-

أ- العوامل المؤثرة:

هي جميع العوامل التي تؤثر على الموقف، وهي هنا في المثال السرعة، المهارة، نوع الطريق، وصلاحية السيارة، والأحوال الجوية.

ب- العامل المستقل:

وهو العامل الذي نريد أن نقيس مدى تأثيره على الموقف، وهو هنا مهارة السائق، ويسمى العامل التجريبي أو المتغير التجريبي.

جـ- العامل التابع:

وهو العامل الذي ينتج عن تأثير العامل المستقل، وهو هنا حوادث

السيارات، ويسمى أيضاً بالعامل الناتج.

د- ضبط العوامل:

وهو إبعاد أثر جميع العوامل الأخرى، فإذا كان علينا أن نعرف أثر مهارة السائق على حوادث السيارات، فإن علينا أن نضبط العوامل الأخرى المؤثرة مثل السرعة، نوع الطريق، صلاحية السيارة، الظروف الجوية.

2- المصطلحات المتعلقة بمجموعات الدراسة:

تستخدم التجربة مجموعة للدراسة أو أكثر من مجموعة، كأن نستخدم مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة.

أ- المجموعة التجريبية: وهي المجموعة التي تتعرض للمتغير التجريبي أو المتغير المستقل لمعرفة تأثير هذا المتغير عليها.

ب- المجموعة الضابطة: وهي المجموعة التي لا تتعرض للمتغير التجريبي، وتبقى تحت ظروف عادية.

ثالثاً- أنواع التجريب:

أبرز أنواع التجريب تتمثل بالآتي:-

1- التجارب المعملية وغير المعملية:

والتجربة المعملية هي التي تتم داخل المختبر أو المعمل، وغالباً ما يتصف المعمل بأنه معزول عن المؤثرات الخارجية، ولذلك يسهل ضبط وتثبيت وعزل العوامل الخارجية. أما التجارب غير المعملية فهي تلك التي تتم في ظروف طبيعية خارج المختبر والمعمل، وغالباً تتم على الإنسان حيث يصعب إدخال الناس إلى مختبر.

2- تعدد المجموعات:

هناك تجارب تجري على مجموعة واحدة، وهناك تجارب تجري على عدة مجموعات. فقد تجري التجربة على مجموعة واحدة من الأفراد لمعرفة أثر عامل مستقل معين عليها، فلو أردنا مثلاً دراسة تأثير شرب القهوة على سهر الطلاب أيام الامتحانات، فإننا نعرض مجموعة من الطلاب لشرب القهوة ليلاً، ونحسب الفرق بين عدد ساعات نومهم قبل وبعد تعرضهم لشرب القهوة. وممكن استخدام أكثر من مجموعة تجريبية وضابطة، بحيث تخضع الأولى للعامل التجريبي، ونترك الثانية لظروفها الطبيعية، وقد تستخدم أكثر من مجموعة تجريبية، وأكثر من مجموعة ضابطة زيادة في الدقة.

3- تجارب قصيرة وتجارب طويلة:

فقد تحتاج التجارب إلى وقت طويل مثل أثر خضوع الوالدين لبرامج التوجيه التربوي على تعديل سلوك الأبناء، وقد تكون هناك تجارب قصيرة والتي من الممكن أن تكون نتائجها أكثر دقة وذلك لسهولة السيطرة على العوامل المؤثرة الأخرى غير العامل التجريبي. ففي دراسة تأثير برنامج تأهيلي معين على مدى سنة على الوالدين، فإن الباحث لا يستطيع أن يضبط بعض المتغيرات على سلوك الوالدين لمدة عام. فالتأثير الزمني والمتمثل هنا في المثال بعام كامل قد يلعب دوراً كبيراً في وجود العديد من المتغيرات التي تؤثر على النتائج. فالظروف الاجتماعية التي يمر بها الوالدان مثلاً، والتي من الممكن أن تؤثر على البرنامج التدريبي المعد، أو عدد ساعات الحضور لهذا البرنامج، ومدى تغيب الآباء، أو طريقة التدريب سواء أكانت متقطعة أو متواصلة، أو مدة الإجازات وطبيعتها وغيرها من العوامل قد تلعب جميعها دوراً رئيساً في صعوبة ضبط تلك المتغيرات الناتجة عن سلوك الوالدين. فقد يتعذر ضبط العديد من المتغيرات بسبب المدة الزمنية الطويلة بعكس إن كان التجريب لمدة زمنية قصيرة، والتي في الغالب تكون تحت السيطرة.

رابعاً - مميزات وعيوب البحث التجريبي:

تبرز أهم مميزات البحث التجريبي بالآتي:-

1 - استطاعة الباحث تكرار التجربة أو الدراسة أكثر من مرة، وبذلك يمتلك الفرصة للتأكد من صحة نتائجه ومن ثبات هذه النتائج.

2 - استطاعة الباحث التحكم وضبط العوامل المؤثرة، والذي يجعل الباحث في النهاية أكثر قدرة على ربط النتائج بأسبابها، أو كشف العلاقات السببية بين المتغيرات.

أما عن أبرز الانتقادات الخاصة بأسلوب البحث التجريبي، فهي تتمثل بالآتي:-

1 - تصميم التجربة يتطلب في بعض الأوقات إجراءات إدارية معقدة.

2 - يجري التجريب في العادة على عينة محددة من الأفراد، وبذلك يصعب تعميم نتائج الدراسة إلا إذا كانت العينة ممثلة للمجتمع.

3 - صعوبة وجود مجموعتين متكافئتين تماماً في كل العوامل، وبذلك تتأثر النتائج بالفروق بين المجموعات.

4 - التجريب في العادة يحاول أن يثبت الفروض، ولا يؤدي إلى الاكتشاف. فالتجربة قد لا تزود الباحث بمعلومات جديدة.

5 - من الممكن الوقوع في خطأ القياس. فدقة النتائج ترتبط على الأدوات التي يستخدمها الباحث من اختبارات ومقاييس.

6 - من الممكن الوقوع في إشكالية عدم ضبط الباحث للعوامل المؤثرة، فدقة ضبط الباحث لهذه العوامل خاصة في مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية تعتبر مسألة معقدة ومتفاعلة ومترابطة.

7 - هناك بعض الصعوبات الأخلاقية التي من الممكن أن تواجه الباحث. فالأخلاق العلمية تمنع في بعض الأوقات إخضاع الإنسان لبعض أنواع من التجارب التي قد تؤثر عليه.

8- قد لا يستطيع الباحث في بعض الأوقات أن ينظم عملية إخضاع مجموعة من الأفراد للتجربة؛ لأن بعضهم قد يتغيب بسبب المرض أو انتقاله من مكان لآخر لأي سبب من الأسباب.

9- هناك إشكالية تفاعل المتغيرات والعوامل المؤثرة في الظاهرة، فمن الصعب في بعض الأوقات تحديد عامل بعينه. فالباحث الذي يريد أن يدرس حوادث السيارات فإنه من الصعب أن يحدد أثر السرعة على انفراد. فالحوادث لا تنتج عن السرعة، بل عن تفاعل السرعة مع عوامل أخرى مثل إهمال السائق، أو سوء الطريق وغيرها.

10- تتم التجارب في معظمها في ظروف صناعية بعيدة عن الظروف الطبيعية، ولا شك أن الأفراد الذين يشعرون بأنهم يخضعون للتجربة قد يميلون إلى تعديل بعض استجاباتهم لهذه التجربة.

ثانياً- البحوث السببية المقارنة:

يصنف البعض البحوث السببية المقارنة مع البحوث الوصفية (انظر مثلاً يوسف العنيزي وزملاؤه، 1999، رجاء وحيد دويدري، 2000؛ علي عسكر وزملاؤه، 1992) وذلك بحكم كونها تصف الحالة الراهنة لبعض المتغيرات. ويصنفها البعض الآخر على كونها تقع تحت هذه التسمية؛ وذلك لأن هذا النوع من الدراسات يهدف إلى تحديد الأسباب للظاهرة المراد دراستها.

فالبحوث السببية المقارنة هي ذلك النوع من البحوث التي يحاول فيه الباحث تحديد أسباب الفروق القائمة في حالة أو سلوك مجموعة من الأفراد. وبمعنى آخر فإن الباحث يلاحظ أن هناك فروقاً بين بعض المجموعات في متغير ما، ويحاول التعرف على العامل الرئيسي الذي أدى إلى هذا الاختلاف. ويطلق على هذا النوع من الدراسات ما بعد الواقع، حيث إن العلة والمعلول يكونان قد حدثا، ويحاول الباحث دراستهما دراسة تراجعية. مثال ذلك باحث

يحاول دراسة التفسير المحتمل للفروق الظاهرة في توافق أطفال الصف الأول الابتدائي، بافتراض أن السبب الرئيسي لهذه الفروق يرجع إلى الالتحاق بالتعليم الذي يسبق المرحلة الابتدائية أي: مرحلة رياض الأطفال. ويقوم الباحث لذلك باختيار مجموعة من الأطفال في الصف الأول الابتدائي الذي سبق لهم الالتحاق برياض الأطفال. ومجموعة أخرى لم يسبق لها الالتحاق بتلك المرحلة، ثم يقارن التوافق الاجتماعي والشخصي للمجموعتين. وإذا أظهرت المجموعة التي التحقت برياض الأطفال توافقاً أعلى، فإن الباحث يقبل الفرض الذي وضعه. ولذلك تكون نقطة البدء الأساسية في المنهج التجريبي المقارن هو التعرف على المعلول، ثم السعي إلى تحديد الأسباب المحتملة به (العلة) (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 231–232).

الفروق بين البحوث السببية والبحوث التجريبية والبحوث الارتباطية:

وقد يخلط الكثير بين البحث السببي المقارن، وكل من البحوث الارتباطية، والبحوث التجريبية. ويكمن الاختلاف في الآتي كما يشير إليه رجاء محمود أبو علام (1999 : 232–233):–

– الفرق بين البحوث السببية والبحوث الارتباطية:

1 – البحوث السببية تحاول تحديد علاقات العلة والمعلول، أما البحوث الارتباطية فإنها لا تحاول ذلك.
2 – يوجد في البحوث السببية المقارنة مجموعتان أو أكثر، ومتغيراً مستقلاً واحداً، أما البحوث الارتباطية، فإنها تدرس العلاقة بين متغيرين أو أكثر.
3 – تتضمن البحوث السببية مقارنة بين مجموعات أو متغيرات، في حين أن البحوث الارتباطية تدرس الارتباط بين المتغيرات.

– الفرق بين البحوث السببية والبحوث التجريبية:

كلا النوعين يهدف إلى دراسة علاقة العلة والمعلول، وكلاهما يتضمن

لمقارنة بين المجموعات. أما الاختلاف فيكمن في أن الباحث في البحوث التجريبية يصمم الظروف التي تشمل على السبب، فهو يتعمد تصميم المجموعات بحيث تكون المجموعات مختلفة بالنسبة للمتغير المستقل، ثم يلاحظ هذا الاختلاف على متغير تابع. في حين أن الباحث في البحوث السببية المقارنة يلاحظ الأثر أولاً، ثم يحاول تحديد السبب، أي: أن الباحث يحاول أن يحدد السبب فيما لاحظ من فروق بين المجموعات، وأثر هذه الفروق على المتغير التابع. فالفرق الرئيسي هو المعالجة التي يتعرض لها المتغير المستقل، وهو السبب المفترض في البحوث التجريبية، وهذا أمر لا يحدث في البحوث السببية المقارنة؛ إذ إننا نلاحظ حدوث المتغير المستقل فقط ولا نعالجه. ويقوم الباحث في البحوث التجريبية بتعين مجموعات عشوائية يتعرض كل منها لمستوى من مستويات المتغير المستقل، فالباحث يحدد «من» يحصل على «ماذا»، والمقصود بماذا هنا المتغير المستقل. أما في البحوث السببية المقارنة فإن المجموعات مكونة بشكل طبيعي، وتختلف في المتغير المستقل. فالأساس في البحوث السببية المقارنة هو أن أحد المجموعات مر بخبرة لم تمر بها المجموعة الأخرى. أو أن إحدى المجموعات قد تمتلك خاصية ليست لدى المجموعة الأخرى. وعلى أي الأحوال فإن الفروق بين المجموعات (المتغير المستقل ليست من صنع الباحث).

والمتغيرات المستقلة في البحوث السببية المقارنة متغيرات لا يمكن معالجتها (مثل اختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي)، أو لا يجب معالجتها (مثل دراسة عدد السجائر التي يتم تدخينها يومياً)، أو لا تجري معالجتها على الرغم من إمكانية ذلك (مثل طريقة تعليم القراءة). وهناك كثير من المشكلات التربوية والنفسية التي لا يمكن فيها معالجة المتغير المستقل، أو لا تجب معالجته، فكثيراً ما تمنع الاعتبارات الأخلاقية معالجة متغير ما على الرغم من إمكانية معالجته، مثال ذلك عدد السجائر التي تدخن يومياً. فإذا كان

من طبيعة المتغير المستقل إحداث أذى جسمي أو عقلي لأفراد العينة، يجب عدم معالجته. مثال ذلك إذا كان الباحث يرغب في دراسة أثر رعاية الأم قبل الولادة على حالة الطفل بعد سنة من عمره، فمن غير الأخلاقي حرمان مجموعة من الأمهات من الرعاية قبل الولادة من أجل البحث العلمي في الوقت الذي نعلم فيه جميعاً أهمية هذه الرعاية للأم وطفلها؛ ولذلك فإن البحوث السببية المقارنة تسمح باستقصاء عدد من المتغيرات التي لا يمكن دراستها تجريبياً. (ص ص: 233–234).

ونأخذ مثالاً على نموذج للدراسات السببية المقارنة أورده يوسف العنيزي وزملاؤه (1999). فقد أجريت دراسة هدفها الرئيسي الوقوف على السمات السيكولوجية والاجتماعية والتربوية للتلاميذ الموقوفين عن الدراسة. وقد كان أحد الأهداف الفرعية للبحث هو الحصول على معلومات عن الأسباب المؤدية إلى وقف التلاميذ عن الدراسة. ولتحقيق أهداف البحث، أجريت مقابلات شخصية مع الآباء والمعلمين والتلاميذ، كما جمعت المعلومات المناسبة من الهيئات الخارجية مثل الأخصائيين الاجتماعيين ومراكز الشرطة. وقد كان القائمون بالبحث حريصين على توضيح أن الأدلة التي أمامهم لم تكن لتبرر اتخاذ قرار عن السبب والنتيجة. ومع ذلك، فقد بينت النتائج أن التلاميذ المهددين بوقفهم عن الدراسة كانت لديهم مشكلات تعليمية، وربما كانت لديهم أيضا مشكلات قانونية بعيدة عن سلوكهم في المدرسة. وأكد الباحثون أن هؤلاء التلاميذ يمكن أن يسببوا قلقاً في أية مدرسة إلا أن المتغيرات الموجودة في مدارسهم كانت مؤثرة لدرجة تثير التساؤلات عما إذا كان سلوكهم ناتجاً عن وقفهم عن الدراسة. ويلاحظ من هذا المثال أن الباحثين حاولوا تجميع بيانات عن الظاهرة (موضوع البحث)، وتحليلها، ومقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين التلاميذ، من حيث المتغيرات المختلفة (السمات السيكولوجية والاجتماعية والتربوية) للوصول إلى أسباب حدوث هذه

الظاهرة. (ص ص: 87–88).

طرق دراسة العلاقات السببية المقارنة:

حدد جون ستيورات مل الطرق الآتية لدراسة الروابط السببية المقارنة (نقلاً عن: يوسف مصطفى القاضي، 1984: 148–151):–

أ– طريقة الاتفاق (التوافق):

وتفترض أنه في حالة اشتراك الظروف المؤدية إلى واقعة ما في عامل من العوامل، وفي كل مرة عند حدوثها، فيحتمل أن يكون هذا العامل هو سبب الواقعة، وبمعنى آخر لا يمكن أن يكون عاملاً مسبباً في حدوث ظاهرة معينة، وأن تحدث هذه الظاهرة دون وجوده.

ومثال ذلك: الطالب حمدي درس بجد ومثابرة، وكان مستوى نجاحه متقدماً.

الطالب عادل درس بجد ومثابرة، وكان مستوى نجاحه متقدماً.

الطالب شريف درس بجد ومثابرة، وكان مستوى نجاحه متقدماً.

الطالب سامي درس بجد ومثابرة، وكان مستوى نجاحه متقدماً.

إن الظروف المشتركة التي أدت إلى مستوى النجاح المتقدم في جميع الحالات السابقة تمثلت في الدراسة الجادة والمثابرة، وبذلك نستطيع القول إن النجاح المتقدم يمكن أن يكون نتيجة للدراسة الجادة والمثابرة.

ب– طريقة التباين:

في حالة تشابه مجموعتين أو أكثر من الظروف من جميع الأوجه إلا في عامل واحد، وأن نتيجة معينة تحدث فقط عند وجود هذا العامل، فمن المحتمل أن يكون هذا العامل هو السبب في النتيجة.

ومثال ذلك: لدينا مجموعتان من الطلاب في مدرسة واحدة، تتفوق المجموعة (أ) على (ب) في مستوى التحصيل، والمجموعتان متساويتان في متوسط العمر، والذكاء، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، ويتساويان في عدد ساعات الدراسة اليومية، والاهتمام بالدراسة، ولكن تدرس المجموعة الأولى مع معلم مؤهل، بينما تدرس المجموعة الثانية مع معلم غير مؤهل، فإننا نستطيع أن نقول إن الفرق بين مستوى تحصيل المجموعتين (أ) ، و(ب) ناتج عن وجود المعلم المؤهل.

جـ- الطريقة المشتركة:

لتفادي الصعوبات التي تعاني منها كل من الطريقة الأولى والطريقة الثانية رأى «مل» أنه يمكن إدراج الطريقتين في طريقة واحدة سماها الطريقة المشتركة (Joint Method)، ويرى «مل» أن استخدام كل من طريقة التوافق والتباين معاً في البحوث يعين على معرفة سبب الظاهرة بقدر كبير من التأكد، واستخدام الطريقة المشتركة تبدأ أولاً بطريقة التوافق لاختبار الفرض المعين، بمعنى أن نبدأ بإيجاد العامل المشترك في جميع ظروف حدوث الظاهرة موضع الدراسة، ثم يلي ذلك استخدام طريقة التباين، أي: تقرير ما إذا كانت الظاهرة لا تحدث في حالة غياب هذا العامل بوجه خاص، وبهذا يمكن للباحث التأكد من معرفة العامل المسبب للظاهرة، ومثال ذلك:

إذا كان العامل (أ) هو المسؤول عن إحداث نتيجة (ب)، فإن هذا يعني أنه كلما وجدت (أ) وجدت (ب)، وكلما غابت (أ) غابت (ب)، أي: أنه إذا وجدت العلة وجد المعلول، وإذا غابت العلة غاب المعلول، أي: الجمع بين الطريقين التوافق والتباين، ومن هنا يكون الباحث أكثر ثقة في الحكم على أن (أ) هو سبب (ب).

د- طريقة الاختلاف (المتخلفات):

وقد تستخدم في حالة فشل الطرق الثلاث السابقة، وتستخدم في حالة

أن بعض المشكلات لا يمكن دراستها بإحدى الطرق الثلاث السابقة. ومن ثم يستطيع الباحث إجراء عملية حذف، فإذا عرفت العوامل المحددة والمسببة لجانب أو بعض جوانب ظاهرة معينة فإن باقي جوانب الظاهرة يمكن إرجاعها إلى العوامل الأخرى المتبقية أو المتخلفة.

وتستند هذه الطريقة إلى الأساس التالي: إذا كان هناك علتان (أ،ب) لمعلولين مختلفين (جـ،د)، وتمكنا من إيجاد علاقة علّية بين أ، د فإننا نستطيع القول بأن هناك علاقة علّية بين (ب،جـ).

هـ- طريقة التلازم في التغير (المتغيرات المتلازمة):

وتستخدم في الحالات التي لا تصلح فيها الطرق السابقة، وتتلخص طريقة التغيرات المتلازمة، في أنه عند تغيير شيئين بصفة متوافقة ومتلازمة فإما أن تكون التغيرات الحادثة في أحدهما سببها التغيرات الحادثة في الأخرى، وإما أن يكون التغير في كليهما قد حدث نتيجة عامل مشترك بينهما. وخير مثال على ذلك تأثير جاذبية القمر على ظاهرتي المد والجزر وبما أنه لا يمكن إزالة تأثير القمر على الظاهرة، فإن طريقة التوافق أو طريقة التباين لا تصلحان في هذا المجال، وأن الطريقة المثلى لدراسة هذه الظاهرة طريقة التغيرات المتلازمة، وذلك بمقارنة التغيرات في عملية المد والجزر بالتغيرات في موقع القمر بالنسبة للأرض. ويلاحظ أن كل تغير في مواقع القمر بالنسبة للأرض نتيجة تغير في وقت ومكان المد العالي والمنخفض في جهات الأرض المختلفة مع حدوث المد العالي دائماً في ذلك المكان من الأرض القريب من القمر، والذي يقع في الجانب المواجه مباشرة. ومن هذه الملاحظات يمكن استنتاج ثلاثة أمور: إما أن يكون المد يؤثر في حركة القمر، أو أن حركة القمر أو تغير الموقع الذي يمارس فيه جاذبيته يرفع المد، والاستنتاج الثالث هو أن التغيرات الحادثة في موقع القمر وفي المد تتأثر جميعا بعامل آخر مشترك بين الاثنين.

وتستند هذه الطريقة إلى المعلول يتغير مع العلة زيادة أو نقصاً، فكلما زادت العلة زاد المعلول، وكلما نقصت العلة نقص المعلول، ومثال ذلك إذا لاحظ الباحث أن الزيادة في عدد ساعات الدراسة يؤدي إلى زيادة في تحصيل الطالب، وأن النقص في عدد الساعات يؤدي إلى نقص تحصيل الطالب فإن الباحث يكون قادراً على إثبات العلاقة بين عدد ساعات الدراسة وبين التحصيل الدراسي كعلاقة علة بمعلول. ويستخلص من هذا العرض لمبادئ «مل» الخمسة أنها جميعاً تعالج مسألة «السبب والنتيجة».

الصعوبات التي تواجه الدراسات السببية المقارنة:

تنحصر الصعوبات التي تواجه الدراسات السببية المقارنة كما أوردها جودت عزت عطوي (2000: 185–186) بالآتي:-

1 – لا تكون النتائج في العلوم الإنسانية والاجتماعية مرتبطة بعامل واحد يمكن عزله، ولكنها مرتبطة بشبكة متفاعلة من العوامل، فنجاح الطالب في مدرسته لا يعتمد على المدرس أو ذكاء الطالب أو مستواه الاجتماعي والاقتصادي، وإنما يرجع إلى شبكة التفاعلات بين هذه العوامل، ويصعب معرفة أثر كل عامل على حدة.

2 – أن الظاهرة قد تحدث نتيجة لسبب واحد في حالة معينة والسبب آخر في حالة أخرى، فالطالب (أ) رسب نتيجة لإهماله، والطالب (ب) رسب نتيجة لنفوره من المدرسة .

3 – من الصعب أحياناً أن نحدد السبب والنتيجة حيث إن كثيراً مما نعتقد أنها أسباب لنتائج معينة يكون تلازمها عرضياً وليس سبباً، فمثلاً في دراسة علاقة المستوى الاقتصادي للفرد بتحصيله الدراسي لا نستطيع أن نجزم أيهما السبب وأيهما النتيجة.

ثالثاً – البحوث الارتباطية:

البحوث الارتباطية هي البحوث التي تدرس العلاقة بين المتغيرات، أو التنبؤ بحدوث متغيرات من متغيرات أخرى مستخدمة في ذلك أساليب إحصائية متطورة. ولعل أبسط الدراسات الارتباطية هي تلك التي تصف العلاقة بين عدد من المتغيرات عن طريق مقارنة كل اثنين منها على حدة. وفي مثل هذه الدراسات لا يمكن التمييز بين متغيرات مستقلة وأخرى تابعة. بل إن التركيز يكون دائماً على العلاقات بين المتغيرات دون محاولة التمييز بين هذه المتغيرات على أساس نوعها. ولعل الفرق بين البحوث الوصفية والبحوث الارتباطية (والتي كثيراً ما يتم تصنيفها على أن البحوث الارتباطية تعتبر ضمن البحوث الوصفية) في أن البحوث الارتباطية تصف درجة العلاقة بين المتغيرات وصفاً كمياً. فالحالة هنا مختلفة عن الحالة التي يجري وصفها في تقارير الذات أو دراسة الملاحظة. (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 234).

فالعلاقة هنا تقاس كمياً في الدراسات الارتباطية، وتعطي وفقاً لذلك رمزاً محدداً يوضح طبيعة وقوة العلاقة بين متغيرين. وفي التحليلات الإحصائية يعبر عن معامل الارتباط بالرمز الراء «ر» «r» فالتقسيم الخاص للارتباط يتمثل في:-

درجة أو قوة الارتباط:

إن عدم وجود العلاقة نهائياً يعني أن قيمة «ر» تساوي صفراً، وفي تمام درجة العلاقة التامة، فإن رمز «ر» يساوي واحد صحيح (1). فهذه تعبر عن طبيعة أو درجة العلاقة التي تمتد من صفر إلى (1) صحيح.

وتصنف درجة العلاقة حسب التقديرات الرقمية التالية:-

علاقة قوية جداً	70 وأكثر
علاقةمتينة	69-50
علاقةمقبولة	49-30
علاقة ضعيفة	29-10
علاقة ضعيفة جداً	09-01

اتجاه العلاقة:

وهي إما أن تكون علاقة سالبة ويرمز لها بالرمز السالب (-)، أو أن تكون علاقة موجبة، ويرمز لها بالرمز (+). وسوف يتم التحدث عنها بشكل أكثر في الفصل الخاص بوسائل التحليل الإحصائي.

الدراسات الارتباطية والعلة والمعلول:

عند قيام الباحث بدراسة العلاقة بين متغيرين، فإنه يجب أن يكون حريصاً دائماً من الخلط بين العلاقة بين متغيرين وعلاقة العلة والمعلول. فعلاقات العلة والمعلول لا يمكن تحديدها إلا عن طريق البحوث التجريبية.

فالبحث التجريبي هو النوع الوحيد من البحوث الذي يستطيع تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات. أما البحوث الارتباطية فوظيفتها الأساسية هي أن تصل إلى معلومات عن قوة العلاقة بين متغيرين، أو عن طريق التنبؤ بالعلاقات بين المتغيرات. وكلا النوعين من الدراسات الارتباطية يمكن أن يعطينا مؤشرات حول العلاقات السببية بين المتغيرات، إلا أن ذلك يجب اختباره ودراسته بشكل أفضل باستخدام البحوث التجريبية. (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 235).

ونستشهد من خلال ذلك بمثال خاص بدراسة قام بها يعقوب الكندري (2001)، والتي تحاول الكشف عن مدى تأثير العوامل والمحيط الثقافي والاجتماعي الذي يعيش فيه أو في ظله فئة كبار السن والمسنين وارتباطه بصحتهم الجسدية، كمحاولة لدراسة تأثير العلاقات الاجتماعية المحيطة بالفرد على الصحة الجسمية بشكل عام. فتقف الدراسة عند المحاولة للكشف عن دور الدعم الاجتماعي والعزلة الاجتماعية ودور العلاقات الاجتماعية المحيطة بالفرد، وتأثير ذلك كله على صحة الجسم على هذه الفئة العمرية. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة بين الصحة الجسمية الخاصة بفئة المسنين من جهة وبين علاقاتهم الاجتماعية، والمتمثلة بمقدار الدعم الاجتماعي الذي يتلقونه، وشعورهم بالعزلة الاجتماعية من عدمه من جهة أخرى. كما ظهر أن التواصل والاتصال بين أفراد العينة مع الدائرة القرابية المحيطة قد ارتبط أيضاً بالصحة الجسمية للمسن. فهنا وفي هذا الجانب لابد من الانتباه إلى نقطة أساسية، والتي تتمثل في الحذر من أن موضوع الارتباط بين أي: من المتغيرات والعوامل المذكورة تعني أن أحدهما سبب، والآخر نتيجة. فالارتباط لا يعني بأي حال من الأحوال السببية Causality. فيفترض علينا أن نقوم بتفسير الارتباط على ضوء التغير المصاحب. ولذلك، فإن النتائج المذكورة تعكس ارتباط متغيرات متعددة مع متغير الصحة الجسمية للمسن دون إغفال لعوامل أخرى من الممكن أن تلعب دوراً أساسياً وبارزاً في صحة الجسم لهذه المرحلة العمرية. ولعل أحد أبرز العوامل التي من الممكن أن تلعب دوراً مهماً في صحة الجسم هو متغير التقدم في العمر ومدى انعكاسه على صحة الجسم. فهنا يستخدم الباحث معامل الارتباط في تحديد طبيعة واتجاه العلاقة بين المتغيرات المدروسة.

الفوائد التطبيقية لمعامل الارتباط:

يمكن تصنيف الفوائد التطبيقية لمعامل الارتباط في ثلاثة تطبيقات

مهمة (Art et al., 1996) (نقلاً عن رجاء محمود أبو علام، 1999 : 235–237). وهذه التطبيقات هي :-

1- وصف العلاقة بين المتغيرات:

تساعدنا الدراسات الارتباطية في توضيح العلاقات بين المتغيرات، مثال ذلك أن الدراسات السببية المقارنة قد تستخدم إجراءات البحوث الارتباطية لدراسة العلاقات بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة.

وكثيراً ما تكون الدراسات الارتباطية دراسة استكشافية، فقد يكون هدف الباحث من الدراسة هو التعرف على نمط العلاقة بين متغيرين أو أكثر. والمعلومات المستقاة من مثل هذه الدراسات الارتباطية مفيدة على وجه الخصوص عندما يحاول الباحث فهم تكوين فرضي مركب أو يحاول بناء نظرية عن بعض الظاهرات السلوكية. ويجب أن يتذكر الباحث أن المتغيرات التي يختارها لدراسات من هذا النوع يجب أن يكون اختيارها بناءً على نظرية معينة، أو على بحوث سابقة أو على ملاحظات الباحث نفسه. والبحوث التي يلقي فيها الباحث بعدد من المتغيرات لمجرد أن يرى ما الذي يمكن أن يحصل عليه إجراء غير مقبول. وفي بعض البحوث الارتباطية قد يستطيع الباحث وضع فروض حول العلاقات المتوقعة بين المتغيرات. مثال ذلك فمن النظرية الفينومنولوجية قد يضع باحث فرضاً أن هناك علاقة موجبة بين الإدراك لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي وقدرتهم على القراءة. وفي هذه الحالة يجب أن توفر النظرية التي يرجع إليها الباحث الأساس الذي يبني عليه فرضه.

2- تقديم التناسق:

يستخدم معامل الارتباط في دراسة درجة التناسق بين الاختبارات، مثلاً إذا قام باحث بدراسة اختبارين متكافئين فهو يريد دراسة درجة التناسق بين الاختبارين. كذلك إذا كان لدينا مجموعة من المحكمين لتقدير أداء بعض الأفراد

في ممارسات معينة مثل الألعاب الرياضية، أو العزف على آلات موسيقية، فإننا قد نستخدم الدراسات الارتباطية لتقدير مدى التناسق في تقديرات المحكمين.

3- التنبؤ:

يمكن من خلال استخدام معامل الارتباط أن نبين قدرة متغير معين على التنبؤ بدرجات متغير آخر بعد فترة زمنية معينة. هذا المتغير الآخر يطلق عليه المحك (التابع). ويمكن دراسة التنبؤ باستخدام متغيرات أخرى غير درجات الاختبارات، فيمكن مثلاً محاولة دراسة قدرة بعض المتغيرات الأسرية مثل المستوى الاقتصادي والاجتماعي على التنبؤ ببعض المتغيرات مثل المستوى التحصيلي، أو درجة النجاح في المهنة، أو مستوى الأداء في العمل. ويمكن مثلا التنبؤ من درجات الطلبة في الثانوية العامة بأدائهم في الجامعة. ويطلق عادةً على المتغير الذي نحاول التنبؤ منه بالمتغير «المنبئ» (بالمستقل)، أما المتغير الذي نتنبأ به فيطلق عليه «المحك» (التابع).

والدراسات التنبؤية مهمة على وجه الخصوص عند استخدام التنبؤات في اتخاذ قرارات مهمة تتعلق بالأفراد، ثم توزيعهم على المجموعات العلاجية، أو على المستويات الدراسية، أو الالتحاق ببعض الدراسات، مثل استخدام اختبارات القدرات التي يؤديها طالب الثانوية العامة لاتخاذ قرار بدرجة صلاحيته للالتحاق ببعض الكليات.

مميزات البحوث الارتباطية:

يمكن تحديد مميزات البحوث الارتباطية في النقاط الآتية (إخلاص محمد عبد الحفيظ ومصطفى حسين باهي، 2000، 98):-

ا - دراسة المشكلات الاجتماعية والسلوكية، حيث تتيح قياس عدد من المتغيرات المهمة التي ترتبط بها وتكشف عن العلاقات بينها.

2 – دراسة العلاقات بين المتغيرات في الظروف الطبيعية للمجال.

3 – توضح درجة العلاقة بين المتغيرات وتساعد الباحث على فهم طريقة التفاعل بين هذه المتغيرات.

4 – تعتبر دراسة استكشافية موثوق بنتائجها.

5 – تساعد على التنبؤ بصورة دقيقة.

6 – لا تتطلب استخدام عينات كبيرة.

فكما سبقت الإشارة في بداية هذا الفصل، فإن هذا تصنيف محدد يستخدم في بعض مراجع المناهج وطرق البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. ولا يوجد اتفاق واضح ومحدد لتصنيف البحوث فتارة توضع على سبيل المثال البحوث الارتباطية ضمن البحوث الوصفية، وتارة توضع في تصنيف مستقل، وتارة توضح البحوث السببية المقارنة في تصنيف مستقل، وتارة تحت مسمى البحوث الارتباطية وهكذا. إلا أن جميع هذه البحوث تندرج تحت تصنيفين أساسيين كما سبقت الإشارة، بأنها إما أن تكون بحوثاً كمية، أو بحوثاً كيفية. ولعل ما تم عرضه سابقاً تندرج تحته أغلب الدراسات الكمية أي: تلك التي تعتمد على الأرقام والتحليلات الخاصة بها. ولعل من المفيد هنا أن نفرد جزءاً أو فصلاً خاصاً بالدراسات الكيفية وطبيعتها وأنواعها، والذي سوف يتم تناوله في الجزء القادم.

اتجاهات حديثة في الدراسات الكمية:

هناك بعض الاتجاهات البحثية الحديثة في الدراسات الاجتماعية والسلوكية من الممكن تحديد بعض منها فيما يأتي:

الدراسات الطولية Longitudinal Study :-

من الاتجاهات البحثية الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية هي تلك التي تسمى بالدراسة الطولية Longitudinal Study. فقد يلجأ العديد من

الباحثين إلى هذا النوع من الدراسة، وذلك لارتباطه بهدف البحث. فيتم تصميم الدراسات الطولية، وذلك حتى تسمح للباحث أن يلاحظ الظاهرة خلال فترات زمنية مختلفة. فعلى سبيل المثال، عندما يحاول الباحث أن يفحص أو يختبر الأنشطة السياسية أو الاجتماعية لأحد المجموعات أو الأحزاب السياسية الثورية منذ بداية إنشاء هذه المجموعة أو الحزب إلى الوقت الذي توقفت فيه أو انتهت، فإنه يستخدم هذا الأسلوب (Babbie, 1995). فهي دراسة تقام لوقتين وزمنين مختلفين بهدف اكتشاف الفرق بين هذين الزمنين. وهذا يعني أن الباحث قد حدد هدفه بالدراسة من خلال المقارنة بين هاتين الفترتين الزمنيتين. فالباحث هنا يعني بفترتين زمنيتين تشكل إحداهما الجزء الأول من دراسته، وتشكل جانباً من هذه الدراسة، أما الجزء الآخر من الدراسة فيكون في فترة لاحقة وفي فترة زمنية أخرى محددة يتم رسمها من خلال هدف البحث.

وقد تتباعد أو تتقارب الفترات الزمنية البحثية لهذه الدراسة، فقد تكون خلال سنة أو اثنتين، أو قد تكون خلال عقود من الزمن. فهي في النهاية ترتبط بشكل مباشر ورئيسي بهدف البحث وتساؤلاته. وعادة ما يأخذ هذا النوع من الدراسات جهداً مختلفاً من الباحث في نمط صياغة مشكلة البحث، بحيث يحاول أن يحافظ على مقومات الدراسة نفسها للعينتين وللفترتين الزمنيتين.

وتصنف الدراسات الطولية إلى ثلاثة فروع يمكن عرضها فيما يأتي (Baker, 1999).

١ – دراسة الاتجاه Trend Study :–

وتهدف إلى مقارنة بين البيانات والمعلومات خلال فترتين زمنيتين منفصلتين لعينات بحثية مختلفة. فعلى سبيل المثال، يحاول الباحث أن يقوم بدراسة البيانات الخاصة بالمسح للمخدرات الذي تم الانتهاء منه هذا العام،

ويقوم بمقارنتها بالبيانات التي تم استخلاصها منذ ما يقارب خمس أو عشر سنوات أو أكثر. فالمقارنة هنا تمتد خلال فترات زمنية. فهذا هو الأساس للدراسات الاتجاهية التي تجمع بيانات متشابهة تم جمعها بفترات زمنية مختلفة وبأشخاص مختلفين أيضاً. فالمسح الذي تم إجراؤه أول مرة لهذه الدراسة سوف لن يكون نفسه الذي قد تم جمعه خلال الخمس سنوات الأخرى أو العشر.

هذا الموضوع يعطينا اتجاه التغير الذي حصل في عملية استخدام المخدرات. ولكن لابد من الحذر في أن التغير الذي حدث خلال 5 أو 10 سنوات بالزيادة مثلاً في استخدام المخدرات في المجتمع المحلي كما في المثال، قد لا يكون مرده إلى أن المجتمع المحلي قد ازداد في عملية التعاطي، إنما قد تتدخل عوامل أخرى في هذه القضية. فقد تلعب عوامل مثل الهجرة دوراً في زيادة حجم التعاطي، كسماح الدولة أو الإقليم للمزيد من الهجرات. فقد تكون الأعداد بعد خمس أو عشر سنوات مرتبطة بالمهاجرين، وليسوا من أبناء المجتمع المحلي. فالعينتان مختلفتان في هذا النوع من الدراسة. فهنا يجب الحذر في عملية التحليل الناتجة عن التغير بما أن العينتين مختلفتان.

2- الدراسة الثنائية Cohort Study :-

وهي الدراسة التي تقوم بعملية مقارنة البيانات الخاصة بأفراد العينة خلال فترة زمنية محددة مع الأخذ بالاعتبار الاختلاف المتوازي في العمر. فأفراد العينة الذين يقعون في الفترة العمرية من 15-19 سنة في عام 1960 تتم مقارنتهم مع الأعمار من 25-29 في سنة 1970 . فهم مجموعة من الأشخاص الذين صنفوا على أساس أعمارهم بهدف المقارنة. في بعض الأوقات يطلق على هذه العينة بالجيل. فقد يكونون عاشوا مع بعضهم البعض في ظروف بيئية متشابهة. فقد تكون أحداث تاريخية محددة مروا بها مثل أولئك الذين عاصروا إحدى الحروب، وتتم مقارنتهم مع مجموعة من الأفراد ذوي أعمار

مختلفة لم يعيشوا هذه الفترة. فالدراسة الثنائية تؤكد على نوعيات من المجموعات العمرية المختلفة لقياس أي من المتغيرات.

3- الدراسة التتبعية Panet Study :-

وهي الدراسة التي تحاول عقد المقارنة للتغيرات التي حدثت للأشخاص أنفسهم عبر الوقت، فهي تعد من أفضل الطرق التي تقيس التغير للأفراد أنفسهم عبر الوقت.

فهنا يقوم الباحث بتحديد أفراد العينة في نقطة زمنية محددة، ومن ثم يتم السؤال عن الأسئلة نفسها في وقت لاحق ومن خلال فترة زمنية لاحقة. ومن خلال الفروق في الإجابات يستطيع الباحث أن يحدد التغيرات التي حدثت في الأفكار أو الاتجاهات أو الرأي بين أفراد العينة أنفسهم عبر الوقت. فهي عملية متابعة لنفس الأفراد عبر الوقت، وما حصل من تغير.

ما بعد التحليل Meta Analysis :-

يعرف مصطلح ما بعد التحليل بأنه عملية إحصائية لمجموعة كبيرة من النتائج التحليلية المتعددة لدراسات مستقلة، وذلك بهدف الوقوف على دمج هذه النتائج بنتيجة واحدة تستخلص الجميع (Glass, 1976)، فهي نمط بحثي إحصائي منظم للدراسات المتعددة، إضافة إلى كونها تجميعاً لنتائج دراستين أو أكثر من الدراسات الأولية التي تناقش فرضيات بحثية متشابهة بنفس الطريقة (Greenhaigh,1997).

فيستطيع الباحث بمهارته أن يحدد الوسائل التحليلية المناسبة لدراسته، وهي بلا شك ترتبط بالهدف الرئيسي من الدراسة، فإذا كان الهدف من الدراسة هو الوقوف على مراجعة بعض الدراسات ذات العلاقة، فإن الباحث يلجأ إلى هذا النوع من التحليل الإحصائي، وذلك للوقوف على أبرز النتائج لهذه المجموعة من الدراسات.

فيحاول الباحث بهذه الطريقة أن يجمع بين العديد من الأبحاث في مراجعة إحصائية. ولعل من المهم هنا التوضيح بأحد الأمثلة التي قام بها آرمسترونغ ولاسك Armstrong and Lusk (1987) عندما قاما باستخدام هذه الطريقة في دراستهم عن عودة أو مدى الاستجابة للبريد في البحث المسحي. فقد بحثا في الأدبيات الخاصة في هذا المجال، ووجدا 34 دراسة كانت تحاول أن تختبر تأثيرات وضع الطوابع البريدية المتعددة مثل الدرجة الأولى مقابل الطوابع التجارية، والطوابع التذكارية مقابل التذاكر العادية. فقد حاولا فحص نوع الطابع البريدي وأثره في المبحوثين واستجابتهم لأسئلة الاستبانة المرفقة.

ففي كل دراسة من هذه الدراسات الأربع والثلاثين قاما بتحديد عدد الاستبانات التي تم إرسالها، ونسبة الاستجابة، وأنواع الطوابع المستخدمة. ولقد وجد الباحثان أنه عندما يتم استخدام الطوابع من الدرجة الأولى فإن الاستجابة تزيد بما يقارب من 9٪ أكثر من الطوابع التجارية. فقد قاموا باستخراج هذه النسبة على سبيل المثال من خلال عرضهما ومراجعتهما لهذه الدراسات الأربع والثلاثين التي بحثا فيها، وجعلوها هدفاً لدراستهم. فالهدف من الدراسة هنا هو الذي حدد للباحثين من استخدام هذه الطريقة.

المسح القومي National Survey :-

لابد من الإشارة إلى أن ليست جميع الأبحاث يقوم بها الباحثون لأهداف خاصة بهم. إنما تتبنى العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية أبحاثاً تطبيقية في الغالب، وذلك للوقوف على بعض الظواهر الاجتماعية والسلوكية والإنسانية والطبيعية وغيرها من الظواهر والمشكلات. ومن أبرز هذه الأبحاث التي تتبناها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية هي التي تسمى بالمسوح القومية. فيهدف المسح القومي بالوقوف على الظاهرة المراد دراستها ومدى انتشارها وشيوعها بين أفراد المجتمع المحلي.

فهو أسلوب من أساليب القياس التي تسعى من خلالها المؤسسة للوقوف على الظاهرة أو المشكلة وأبعادها المختلفة والمتعددة. ولا تعد المسوح القومية لدراسة الأوضاع والمشكلات الاجتماعية والسلوكية فحسب، إنما تتعداها إلى جميع الظواهر والمشكلات المتعددة كما سبقت الإشارة. فعلى سبيل المثال، تم القيام بمسح خاص يقيس انتشار معدلات السمنة في المجتمع المحلي عام 1985، وتم تحديد ما يقارب من 31٪ من الذكور الذين يقعون في الفترة العمرية من 20–59 يعانون من السمنة بينما بلغت 62٪ بالنسبة للإناث. وهذا يعطي مؤشراً خاصاً بدرجة انتشار السمنة في المجتمع الكويتي من خلال المسح القومي الذي تم إجراؤه (انظر Al-Isa, 1995).

وكثيراً ما تلجأ المؤسسات إلى القيام بإجراء مسوح قومية، وذلك لقياس بعض المتغيرات المتعددة وفقاً لاختلافاتها الثقافية. فهناك اختلافات ثقافية داخل أي مجتمع من المجتمعات كالتي ترتبط بالمذهب، والأصول، والجذور، والعرق، واللغة وغيرها من المتغيرات المتعددة والتي تحاول هذه المسوح الوقوف على أبرز الاختلافات والفروق الثقافية بين الجماعات السكانية المتعدده والتي تسمى بالأبحاث القومية المسحية البينية Cross-National Survey Research. وهي بطبيعة الحال تتطلب من الباحث أو المؤسسة المعرفة والدراية عن هذا المجتمع وما فيه من فروق ثقافية (Neuman,1997). ولعل من أكثر المسوح الاجتماعية التي تحتوي على فروق ثقافية متعددة تلك التي تجرى في الولايات المتحدة وذلك نتيجة طبيعية لوجود ثقافات فرعية متعددة. فالمسح القومي هو وسيلة من الوسائل التي تعتمد عليها الدول في سياستها ووضع خططها واستراتيجياتها وفقاً لضوابط علمية محكمة.

ولعل من المهم هنا أن نعرض إلى أحد البحوث المسحية القومية التي قام بها المركز الوطني للإحصاء الصحي في الولايات المتحدة، حين قام المركز بإجراء مسح خاص عن كل ما يتعلق بالأسرة ونموها، والذي أطلق عليه المسح

الوطني لنمو الأسرة National Survey of Family Growth. ففي هذا المسح الذي شمل النساء من عمر 15–44 سنة تم تحديد العديد من المتغيرات الاجتماعية والصحية فيه مثل الحمل، وموانع الحمل، والزواج والطلاق، ورعاية الأبناء، والخصوبة، والرعاية الصحية، والتفعيل الخاص بعدد الأبناء، والإجهاض، والوظيفة، والديانة، والتعليم والعديد من هذه المتغيرات. ولعل المسح هنا قام لسنوات متعددة وليس لسنة واحدة. فقد قام في سنة 1973، 1976، و1982، 1988، 1990، و1995، و2001 (Mosher,2001). فهو مسح متكرر ودائم لقياس هذه المتغيرات.

الفصل الثالث

البحوث الكيفية وتصنيفها

الفصل الثالث

البحوث الكيفية وتصنيفها

البحوث الكيفية هي أحد أنواع البحوث التي يلجأ إليها الباحثون الاجتماعيون خاصة في سبيل حصولهم على المعلومات المناسبة والملائمة، والتي تخدم إجابتهم عن أسئلة البحث. يُحدد ستين باك وستين باك Stainback and Stainback (1988) درجة الاختلاف بين البحث الكمي والكيفي في عدة محاور تتعلق بالدراسة تتمثل في الهدف، والواقع البحثي، والرأي الذي يتم التعبير عنه، والقيمة، والتوجيه، والاهتمام والتركيز، ونوع البيانات، والأداة، والشروط، والنتائج.

ويرى البعض أن هذه النوعية من البحوث قد تميز بها فرع محدد من المعرفة وانطلقت منها، وهو الأنثروبولوجيا، فيربطه البعض بالأنثروبولوجيا. حيث يطلق عليها البعض كما يذكر طاهر مرسي عطيه (1994) بأنها بحوث الأنثروبولوجيا الأثنوجرافية Ethnographic Research، والتي تعني بملاحظة الباحث وتسجيله لحالة أو حالات معينة عبر فترة زمنية طويلة. (ص:37) ولعل ذلك لا يعدو صحيحاً بشكل مطلق. حيث لا تنحصر البحوث الكيفية على مجال من المعرفة دون الآخر، ولا فرع دون غيره. فمن المعروف أن البحوث التاريخية على سبيل المثال في غالبها هي في الأصل بحوث كيفية لا تعتمد كثيراً على الأرقام. والتاريخ من حيث كونه علماً مستقلاً بحد ذاته يعتبر أقدم من حيث الظهور من مجال الأنثروبولوجيا، والتي تعد من فروع المعرفة حديثة الظهور؛ ولذلك لا تنحصر الدراسات الكيفية على علم دون الآخر، فهي مجال متسع يستفاد منه في جميع العلوم حتى تلك العلوم ذات الطابع الطبيعي والطبي.

ومن الممكن تحديد مفهوم البحث الكيفي بأنه ذلك النوع من البحوث الذي

يتخذ شكل معلومات تصف ملاحظات أو مشاهدات أو مادة مدونة. وهي التي لا يعتمد فيها على النتائج الإحصائية والرقمية، وهي عكس البحوث الكمية التي تعتمد بشكل مباشر على الأرقام. فأساس البحوث الكمية، والتي تمت مناقشتها في الفصل السابق تعتمد على الأرقام سواء عند عملية جمع البيانات أو عند تحليلها. أما مادة البحوث الكيفية هنا فهي تعتمد على وصف الملاحظات وليس الأرقام. وهناك أيضاً ما يسمى بالبحوث التحليلية، وهي تلك البحوث التي قد تستخدم الأرقام، وقد تستخدم الألفاظ في الوقت نفسه. والأساس في هذه النوعية من البحوث هو أنها بحوث وصفية مكتبية لا تحتاج إلى جمع بيانات أمبيريقية من الميدان. ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن مصطلح البحوث الكيفية يعتبر مصطلحاً شاملاً يحتوى على أنواع مختلفة من البحوث التربوية، والأثنوجرافية، ودراسة الحالة، والبحوث الميدانية، والبحوث الطبيعية، وبحوث الملاحظة بالمشاركة. وتختلف هذه البحوث عن بعضها البعض في أسسها الفلسفية والتحليلية، إلا أن بينها جميعاً مجموعة من المظاهر المشتركة تضعها في تصنيف واحد مقارنة بالبحوث الكمية. (رجاء محمود أبو علام، 1999 :296-297).

الفرق بين البحوث الكيفية والبحوث الكمية:

وقبل الدخول في عرض لأنواع البحوث الكيفية، لابد وضع بعض الخطوط المحددة التي تميز وتفرق بين البحوث الكيفية والبحوث الكمية. فنقاط الالتقاء بين هذين النوعين كثيرة، حيث إن هدفهما واحد، وهو الحصول على المعلومات بهدف تحليلها، والوصول إلى نتائج واستنتاجات محددة. ولكن الخلاف يقع في طبيعة هذه النتائج، والطريقة التي تستخدم في الحصول على هذه النتائج. وأيضاً في طريقة الوصول إلى النتائج، وأيضاً في طريقة الوصول إلى النتائج.

ولعلنا هنا نحاول أن نقدم ما قد أشار إليه رجاء محمد أبو علا. (1999: 297-301). من تلخيص حاول من خلاله أن يوضح الفرق بين البحوث الكيفية والبحوث الكمية في الدراسات الاجتماعية والإنسانية والطبيعية بشكل عام. فيشير إلى أن الاستقصاء الكيفي يختلف عن الطريقة الكمية في دراسة الظاهرات الاجتماعية والسلوكية في أنها ترفض اعتبار أن أغراض وطرق العلوم الاجتماعية هي نفسها أغراض وطرق العلوم الطبيعية أو الفيزيائية فكلا النوعين يهدف إلى التفسير العلمي الذي يتضمن الكشف عن القوانين التي تحكم السلوك في العالم الطبيعي أو الفيزيائي من ناحية، والقوانين التي تحكم السلوك الإنساني من ناحية أخرى.

وتبدأ البحوث الكيفية من منطلق منهجي مختلف، وهو أن مادة العلوم الاجتماعية أو الإنسانية مختلفة في أساسها عن مادة العلوم الطبيعية؛ ولذلك تتطلب هدفاً مختلفاً في الاستقصاء ومجموعة مختلفة من طرق البحث؛ إذ تؤمن البحوث الكيفية بأن السلوك الإنساني مرتبط دائماً بالسياق الذي حدث فيه، وأن الواقع الاجتماعي (مثل الثقافات والموضوعات الثقافية، والمؤسسات، وغيرها) لا يمكن إخضاعه إلى مجموعة من المتغيرات بالأسلوب نفسه الذي يحدث في الواقع الطبيعي. وأن أهم شيء في العلوم الاجتماعية هو فهم وتصوير المعنى الذي يبنيه المشاركون الذين يعيشون الأحداث أو الأوضاع الاجتماعية. فالاستقصاء الكيفي يحاول فهم السلوك الاجتماعي والإنساني من منظور داخلي – أي: كما يعيشه المشاركون في موقع اجتماعي معين (مثال ذلك ثقافة معينة، أو مدرسة، أو جماعة، أو مؤسسة). وهذا النوع من البحث شخصي جداً، يترتب عليه جلب الإدراك الذاتي وتحيز المشاركين والباحثين إلى الموقف. (ص:298؛ نقلاً عن: Ary et al.,1996)، ويقول المدافعون عن إدخال المنهج الكيفي: إن الاستقصاء الكمي، بعكس الاستقصاء الكيفي، يهتم بالدرجة الأولى بالكشف عن الحقائق الاجتماعية، بغض النظر عن

مقاصد الباحث ومدركاته الذاتية، وبشكل منفصل عن السياق الاجتماعي والتاريخي.

وتعتمد الطرق الكمية في العلوم الإنسانية على نموذج التفسير الاستقرائي الاستدلالي. يبدأ الاستقصاء بنظرية عن الظاهرة موضوع البحث، ومن هذه النظرية نستنتج مجموعة من الفروض التي تخضع بدورها للاختبار باستخدام إجراءات محددة، مثل إجراءات التصميم التجريبي، أو السببي المقارن، أو الارتباطي. والهدف النهائي من استخدام النموذج الاستقرائي الاستدلالي هو مراجعة ما يتصل بالظاهرات الاجتماعية والسلوكية من نظريات أو عبارات شبيهة بالقوانين. ويتم تنقية النظريات وتطويرها (وأحيانا تركها) حتى يمكن استيعاب نتائج الاختبارات ومضامينها والاستدلالات التي نحصل عليها منها. (ص:298؛ نقلاً عن: Bailey,1996).

أما الاستقصاء الكيفي فإنه يعتمد على نموذج مختلف في التفسير، ويدعو إلى هدف مختلف للاستقصاء. وبشكل عام، فإن الاستقصاء الكيفي يتمسك بأن التعميمات تكون غير سليمة (العبارات الشبيهة بالقوانين، أو النظريات الثابتة عبر الزمان والمكان). فالسلوك الإنساني مرتبط دائماً بمضمون خاص تاريخي واجتماعي وزماني وثقافي؛ ولذلك فإن التفسير الذي يعتمد على القانون والذي تسعى إليه الطريقة الاستقرائية الاستدلالية مرفوض لصالح التفسير الذي يعتمد على دراسة الحالة. فالباحثون في مجال الاستقصاء الكيفي يسعون إلى تفسير الأعمال والأحداث والعادات، وغير ذلك من الاهتمامات الإنسانية، ويضعون صورة لما يجب دراسته. والهدف النهائي لهذا النوع من البحوث هو تصوير النمط المعقد لما يدرس بعمق وتفصيل كافيين، بحيث يفهمها أولئك الذين لم تمر بخبراتهم مثل هذه الأمور. وعندما يفسر الباحثون في البحوث الكيفية أو يشرحون معنى الأحداث أو الأعمال وما

شابهها فإنهم عادة يستخدمون أحد الأنواع الآتية من التفسيرات. (ص:299؛ نقلاً عن: Ary et al.,1996):-

1 – بناء النماذج من خلال تحليل وتركيب الأجزاء المكونة لها.

2- تفسير المعنى الاجتماعي للأحداث.

3- تحليل العلاقات بين الأحداث والعوامل الخارجية.

وتختلف الطرق الكيفية والكمية كذلك من حيث آراء كل منهما في دور القيم في البحث والاستقصاء. فالباحثون الكميون يصرحون بأن قيم الباحث قد تلعب دوراً في تحديد الموضوع أو المشكلة التي يبحثها، ولكن البحث الفعلي يجب أن يكون خالياً من تأثير القيم، أي: أن الباحث يجب أن يتبع إجراءات صممت خصيصا لعزل واستبعاد كل العناصر الذاتية، مثل القيم من موقف البحث، بحيث لا يتبقى إلا لله الحقائق الموضوعيةلله. مثال ذلك لنتصور أن بحثاً تجريبياً يشمل فصلين مختلفين من تلاميذ الصف الثالث، وأحد الفصلين يمثل المجموعة التجريبية، والثاني يمثل المجموعة الضابطة. لنتصور كذلك أن بعض الملاحظين وضعوا في الفصلين لتسجيل التفاعل بين المدرسين والتلاميذ. في مثل هذه الحالة يفضّل ألا يعلم الملاحظون ما إذا كانوا يقومون بالملاحظة في المجموعة التجريبية أو المجموعة الضابطة، وألا يعرفوا خصائص أفراد العينة (طبقتهم الاجتماعية، ونسب ذكائهم، وتاريخهم الدراسي، وغير ذلك من الخصائص)، وأنهم يستخدمون استمارات ملاحظة محددة لا تتطلب أية تفسيرات من جانب الملاحظ حول طبيعة التفاعل بين المدرسين والتلاميذ. وتحدث هذه الإجراءات لضمان أن قيم الملاحظين ومعتقداتهم لا تؤثر على ملاحظاتهم. وباتباع مثل هذه الإجراءات عند القيام بالملاحظات يستطيع الباحثون التأكيد بأن البحث لم يتأثر بقيم ومعتقدات الملاحظين.

وعلى العكس من ذلك فإن الباحث في الدراسة الكيفية يعتقد أن الاستقصاء مقيد دائماً بقيم الباحث ومعتقداته، ولا يمكن التخلص من ذلك،

ويجب أن يكون الباحثون صريحين حول الدور الذي تلعبه القيم والمعتقدات في البحث في جميع البحوث. ويعتقد الباحثون في الدراسات الكيفية أن عملية الاستقصاء مقيدة بالقيم والتقاليد في المراحل المختلفة للبحث، فهو مقيد بها عند اختيار المشكلة، وفي اتخاذ قرار بنوع البحث الذي يجريه، وهل يجري بحثاً كيفياً أم بحثاً كمياً، وفي اختيار منهج البحث الذي يتبعه في استقصاء المشكلة، وفي طريقة تحليل البيانات، وبمقتضى القيم والتقاليد القائمة في المكان الذي يجرى فيه البحث. ويعتقد الباحثون الذين يستخدمون الدراسات الكيفية أنه من المستحيل بناء خبرات إنسانية ذات معنى دون أن نأخذ في الاعتبار التفاعل بين معتقدات الباحثين ومعتقدات أفراد العينة. كما أن الباحثين في البحوث الكيفية يرون أن البحث الإنساني يتطلب تفاعلاً مستمراً ذا معنى بين الباحثين والمستجيبين (أفراد العينة)، وأن البحث يجب أن يصل بهذا التفاعل إلى أقصاه، ولا يحاول الإقلال منه. ونظراً لأن البحث الكيفي يعترف بشكل صريح بدور القيم في البحث، ويطالب بالتفاعل بين الباحثين والمستجيبين، يقول الباحثون الكميون: إن النتائج ما هي إلا مسألة رأي (ص:300؛ نقلاً عن: Ary et al.,1996). ويرد الباحثون الكيفيون على ذلك باستخدامهم أساليب مختلفة حتى يثبتوا أن نتائجهم موثوق بها.

ويلخص جينسك Janesick (1994) (نقلاً عن رجاء أبو علام ص:310) خصائص تصميم البحث الكيفي كما يلي:

1- التصميم الكيفي يتميز بأنه يأخذ صفة الكلية. فهو ينظر إلى الصورة الأكبر، أي الصورة بكاملها، ويبدأ ببحث عن فهم الكل.
2- ينظر تصميم البحوث الكيفية إلى العلاقات داخل النظام الاجتماعي، أو داخل ثقافة المجتمع.
3- يركز التصميم الكيفي إلى الأمور الشخصية والأمور المباشرة في المجتمع.
4- يركز التصميم الكيفي على فهم الوضع الاجتماعي، ولا يطالب بالضرورة

التنبؤ عن الوضـع.

5- يتطلب التصميم الكيفي أن يقيم الباحث طوال فترة بحثه في موقع البحث.

6- يتطلب التصميم الكيفي قضـاء وقت في تحليل البيانات مساو لوقت جمع البيانات.

7- يتطلب التصـميم الكيفي أن يكون البـاحث هو أداة البـحث. وهذا يعنى أن البـاحث يجب أن تكون لديه القـدرة على مـلاحظة السلوك بشكل فـعـال، إضـافـة إلى أنه يجب أن يقـوي من مهـارات البـحث الضـرورية الخـاصـة والمتعلقة في الملاحظة والمقابلات الشخصية.

8- يهتم التصميم الكيفي بشكل كبير بالأمور الأخلاقية.

9- يفسح البحث الكيفي المجال للحديث عن دور الباحث في الدراسة والدور الذي قام به مع وصف لبعض التحيزات التي من الممكن أن يكون انزلق بها.

10- يتطلب التصميم الكيفي تحليلاً مستمراً للبيانات في أثناء فترة الدراسة.

ولعـل هـذا العـرض السـابق يوضح درجة الاختلاف في الاستقصاء بين البحـوث الكميـة والبحوث الكيفية. ويوضح ذوقان عبيدات وزملاؤه (1998: 229-230) عن كيفية التعبير عن النتائج الكمية والكيفية عند إبراز النتائج التي يحصل عليها الباحث، وكيفية عرضها عرضاً كمياً وكيفياً. فيشير إلى أنه من الممكن الخلط بين الوصف الكمي والوصف الكيفي؛ إذ إن ذلك يتوقف على طبيعة مشكلة البحث. ويضرب مثالاً بأن الباحث إذا استهدف دراسة المهندس أو الطبيب فإنه يعرض نتائجه بشكل كيفي، أو بعبارات لفظية تصف المهام والأعمال التي يقوم بها المهندس أو الطبيب كأن يقول:

يقوم المهندس بالمهام الآتية:

أ- تخطيط الموقع.

ب- حساب الكميات.

ج- الرسم ... إلخ.

أو حين يقوم الباحث بدراسة مشكلات طلاب المرحلة الثانوية فإنه يعرض نتائجه على النحو الآتي:

يواجه طلاب المرحلة الثانوية المشكلات التالية حسب درجة شدتها:

أ- مشكلات أسرية.

ب- مشكلات مدرسية.

ج- مشكلات نفسية ... إلخ.

إن مثل هذه النتائج تزودنا بأوصاف لفظية مفيدة، لكنها لا تعطينا وضعاً دقيقاً يمكننا من خلاله فهم هذا الترتيب، وما الفرق بين درجة المشكلات الأسرية ودرجة المشكلات المدرسية، كما لا يتفق الذين يطلعون على نتائج هذا البحث على معان محددة للنتائج الكيفية، فإذا قال الباحث إن المشكلات الأسرية حادة جداً، فإننا قد نفهم بأنها خطيرة، وقد يفهم شخص آخر بأنها غير قابلة للعلاج، بينما يفهم آخرون بأن بعض التوجيه يمكن أن يخفف من حدتها أو يزيلها، ومع ذلك يبقى عرض النتائج بهذا الأسلوب الكيفي مفيداً؛ لأنها تعطينا منطلقات جديدة لإجراء دراسات وأبحاث أخرى متصلة بموضوع البحث ونتائجه.

وتوجد أنواع أخرى من الدراسات والموضوعات يتطلب عرض نتائجها استخدام الأسلوب الرقمي أو الكمي، والتعبير عن النتائج بأرقام أو رسوم بيانية، فحين يدرس الباحث مشكلة ما مثل حجم الأسرة أو إعداد القوى البشرية المختصة التي يحتاج إليها المجتمع أو تصنيف المعلمين حسب مؤهلاتهم وخبراتهم، فإنه يحتاج إلى عرض النتائج بأسلوب رقمي يعبر عن كمية هذه الظواهر؛ لأن أسلوب البحث يتطلب إجراء عملية العد وحساب التكرارات والنسب المئوية وغير ذلك من المفاهيم الإحصائية. فالأرقام تعطي وصفاً دقيقاً للظاهرة خاصة، وأنها تستند إلى قاعدة محددة من القياس والإحصاء.

ولا شك أن استخدام الأسلوب الرقمي في عرض النتائج يتطلب توفر كفاءة معينة عند الباحث، كما يتطلب توفر أدوات قياس مناسبة يستطيع بواسطتها قياس الجوانب المختلفة لمشكلة البحث وعلاقاتها مع الظواهر الأخرى المرتبطة به، ومع ذلك فإن طبيعة المشكلة أو الموضوع هو الذي يحدد الأسلوب المناسب لعرض النتائج، وبشكل عام يمكن القول بأن الظواهر الطبيعية تخضع للقياس والتعبيرات الكمية الرقمية بشكل يفوق خضوع الظواهر الاجتماعية للقياس والعد، ولا شك أن تقدم أدوات البحث وأدوات القياس سوف يسهم في التقدم العلمي في مجال دراسة مختلف الظواهر الاجتماعية وإخضاعها للقياس، والتعبير عنها رقمياً. (ص ص:299–230).

هذا هو الفرق الأساسي بين البحث الكيفي والكمي كما تم تلخيصه بواسطة ذوقان عبيدات وزملائه (1998). فتحديد الموضوع وطبيعته هي التي تجعل الباحث يلجأ إلى أي من البحوث يختار، ونوعية الأداة التي سوف يستخدمها. فالبحث الكيفي والكمي يرتبطان باستخدام أدوات محددة متعلقة بأسلوب وطريقة البحث المستخدم، كما سوف نراها في الفصول القادمة. فطريقة جمع المعلومات ورغبة الباحث واستخدامه لأي من الأدوات التي ترتبط مباشرة بموضوع البحث هي التي تحدد ملامح البحث سواءً أكانت كمية أو كيفية. ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك من البحوث ما يعتمد على استخدام الطريقتين: الكمية والكيفية في آن واحد، بحيث يستخدم الباحث الاتجاه الكمي والاتجاه الكيفي، فقد يلجأ الباحث على سبيل المثال عند دراسته للأسرة بأن يقوم بوصف أثنوجرافي (سيتم تناوله فيما بعد)، ويقدم تحليلاً خاصاً بما تمارسه الأسرة وما يتصف به أبناؤها عن لعب أدوار معينة ومحددة داخل نطاقها وطبيعة العلاقات داخل مجالها، حيث قد تعبر عنه الدراسات الوصفية الأثنوجرافية خير تعبير. وفي المقابل يحاول الباحث أن يستخدم بعض المقاييس في قياس درجة استقرار الأسرة على سبيل المثال.

ففي الوصف الأثنوجرافي يعطي الباحث تقديرات ونتائج لفظية، بينما قد يلجأ في الجزء الآخر إلى قياس درجة الاستقرار الأسري باستخدام الأرقام لتحديد درجة وقوة الاستقرار الأسري، فهي، كما سبقت الإشارة، ترتبط بشكل مباشر بموضوع البحث، والتساؤلات التي سيحاول الباحث الإجابة عنها.

أهم خصائص البحث الكيفي:

هناك بعض المظاهر التي يتميز بها البحث الكيفي. فالقائمون في البحوث الكيفية يعملون بطرق مختلفة، ولكن هناك بعض الاهتمامات المشتركة لمجموعة من الإجراءات البحثية، والتي من الممكن إبراز أهمها (رجاء أبو علام؛ 1999 : 301–307):-

الاهتمام بالبيئة:

يسلِّم البحث الكيفي بأن السلوك الإنساني مقيد بالبيئة التي يجري فيها البحث، وأن الخبرات الإنسانية تكتسب معناها من المؤثرات الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، وتعتبر هذه المؤثرات جزءاً من الخبرات الإنسانية؛ ولذلك فالبحث مرتبط دائماً ببيئة أو سياق أو موقف معين. ويدعي مؤيدو البحث الكيفي أن الطريقة الكمية في دراسة الخبرات الإنسانية تسعى إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يوجد فيه، أي: أنها تجرده من محيطه. (ص:302) ولذلك، فإن السلوك الإنساني يفهم بجميع أبعاده ومعانيه ومعطياته من خلال المحيط البيئي الذي يعيش فيه الإنسان، ومشاهدة وملاحظة هذا المحيط تعكس الاتجاه الكمي الذي لا يعطي للمحيط البيئي أي اهتمام يذكر.

الدراسة في موقف طبيعي:

يجب أن تكون البيئة التي تدرس فيها الخبرة الإنسانية بيئة طبيعية (مثل

فصل، أو مدرسة كاملة، أو مؤسسة) وليست بيئة مصطنعة أو غير طبيعيا (مثل التجارب المعملية). ولذلك فإن البحث الكيفي يجرى في الميدان، أي: في الموقف كما وجد بشكل طبيعي. كما أن البحث الكيفي لا يفرض قيوداً على مـ يدرس، فهو لا يتعرف أو يعرف أو يبحث أو يختبر العلاقات بين مجموعة مز المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة، بل إنه يدرس الخبرة الإنسانية بشكل كلي، آخذاً في الاعتبار جميع العوامل والمؤثرات في موقف معين.

الأداة الإنسانية:

الباحث في البحوث الكيفية هو أداة جمع البيانات، ففي الملاحظة والملاحظة بالمشاركة مثلاً، هو يتحدث مع الناس في موقف ما، ويلاحظ أنشطتهم، ويقرأ وثائقهم وسجلاتهم المكتوبة، ويسجل هذه البيانات في مذكرات ميدانية، وفي دوريات علمية. ويعتمد الاستقصاء الكيفي على الطرق الميدانية مثل المقابلات الشخصية، والملاحظة غير المحددة، وتحليل الوثائق، كأدوات رئيسية في جمع البيانات كما سنرى فيما بعد، ويتجنب استخدام اختبارات القلم والورقة، والأجهزة الميكانيكية، والملاحظة المحددة التي تستخدم أدوات موضوعية. ويتعامل الباحث الكيفي مع البيانات في هيئة كلمات، بدلاً من الأرقام والإحصاء، وقد يجمع من حين لآخر بعض البيانات الرقمية. والتعامل مع الكمية الكبيرة من البيانات التي تنتج من المقابلات الشخصية، والملاحظات، وجمع الوثائق، أمر مهم للغاية في الدراسات الكيفية.

التصميم المنبثق (التصميم المتغير للدراسة):

يقوم الباحث في الدراسات الكمية بتصميم كل جوانب البحث بدقة قبل القيام بالدراسة، وقبل جمع أية بيانات، فهو يحدد المتغيرات، ومقاييسها والإحصاء الذي يستخدمه لتحليل البيانات، وهكذا. وهذا ممكن؛ لأن الباحث في الدراسات الكمية يعلم مقدماً ما يبحث عنه، لأن لديه فروضاً أو أسئلة،

ويستطيع أن يتصور ما سوف يكون عليه اختبار الفرض، أو الإجابة عن الأسئلة. وبغض النظر عن المشكلات أو الظواهر التي يدرسها الباحثون في الدراسات الكمية، فإنهم يصرون على أن هذا التحديد لعناصر تصميم الدراسة مهم للغاية. وعلى العكس من ذلك نجد أن الباحثين في الدراسات الكيفية نادراً ما يضعون تصميماً تفصيلياً لكل جوانب البحث قبل بدء الدراسة. ولكن التصميم يتغير كلما ظهرت الدراسة للعيان. ويعدل الباحثون من إجراءاتهم وطرقهم طبقاً للمادة التي يجمعونها، ولذلك نجد أن التصميم يتغير ويعدل مع تقدم البحث وتطور جمع البيانات. وهذا مهم؛ لأن الباحث في الدراسات الكيفية لا يتأكد أبداً من الأشياء التي سوف يعلمها في موقف معين، (فهو لم يحدد مسبقاً شكل البيانات التي يتوقعها)، وأن ما يصل إليه في موقف معين يتوقف على طبيعة وأنواع التفاعلات بين الباحث والناس والموقف، ولا يمكن التنبؤ بهذه التفاعلات بشكل كامل، ولأن المظاهر المهمة التي تحتاج إلى استقصاء لا يمكن دائماً معرفتها حتى يشاهدها الباحث.

وبذلك لا يمكن تحديد خطة البحث بشكل دقيق في البحوث الكيفية. فيتم التصميم بشكل عام للغاية، وتخضع لتغير حسب ما يمكن أن تسير عليه الدراسة. فتبدأ خطة البحث بعرض عام لمشكلة، أو سؤال، أو موضوع، مثال ذلك: كيف يتواءم المدرسون مع ضغوط وظيفتهم؟ ما دور الإدارة المدرسية في النهوض بالتعليم في المدرسة؟ ما أثر المدارس في المناطق الريفية في تطوير مجتمعاتها؟ وما طبيعة الوضع الأسري عند أبناء القبائل؟ وما طبيعة العلاقات الاجتماعية ببيئتهم؟ وهكذا، ويسعى الباحث بعد ذلك إلى الحصول على موقع معين أو الوصول إلى مجموعة من الأفراد، ويقوم بدراسة موضوعه في هذا الموقع أو مع تلك المجموعة، ويبدأ البحث بأن يحدد الباحث لنفسه دوراً كملاحظ مشارك كامل، أو مجرد ملاحظ، وقد يكون دوره مزيجاً من الدورين. والبدء في البحث، وتحديد دور فيه، وتكوين الثقة مع المشاركين

والاحتفاظ بها، أمور معقدة للغاية في البحث الكيفي. ويبدأ الباحث عمله بقضاء فترة من الوقت في التعرف على الموقع، بحيث يألف هذا المكان، ويدرس أفراده، إلى غير ذلك من الأمور الأولية في البحث، ثم يركز البحث في مظاهر أو قضايا بارزة، وذلك بوضع فروض أو أسئلة مؤقتة. ويعد ذلك تعدل (تهذب) هذه الفروض أو الأسئلة لتضييقها وتحديدها كلما تبلورت مشكلة البحث. ويقوم الباحث في هذه المرحلة بمراجعة البحوث السابقة في الموضوع الذي يدرسه ليعمق فهمه بالظواهر التي يدرسها. وتختبر الفروض، ويتم تحقيقها خلال مجموعة من الإجراءات، إلى أن يحين وقت مغادرة المكان.

المعاينة:

المعاينة مهمة في البحث الكيفي كما هي مهمة في البحث الكمي، والباحثون في الدراسات الكيفية لا يمكنهم ملاحظة كل شيء له علاقة بمشكلة البحث، ولذلك يحاولون الحصول على عينة من الملاحظات يعتقدون أنها ممثلة لكل شيء يمكن ملاحظته. وبمعنى آخر يقوم الباحثون باختيار عينات مقصودة كافية لتوفير أقصى فهم ممكن لما يدرسونه.

تأسيس المصداقية:

يستخدم الباحثون في الدراسات الكيفية إجراءات عديدة لمراجعة مصداقية البيانات التي جمعت، وللتأكد من تحقق الفروض التي وضعوها. ومن هذه الإجراءات الارتباط الممتد في الموقع، والملاحظة المستمرة فيه، للحصول على ملاحظات كافية ذات عمق كبير. وتعتبر الإجراءات المثلثة ويقصد بها:

- استخدام مصادر متعددة للبيانات.
- وملاحظون متعددون.
- وطرق متعددة.

من الأساليب المستخدمة في البحث الكيفي لزيادة احتمال مصداقية الفروض والتفسيرات في البحوث الكمية. ويقوم الباحث عند استخدام الطريقة المثلثة من التأكيد أن ما جمعه من بيانات باستخدام أداة معينة يتفق مع البيانات التي يجمعها باستخدام أداة أخرى، فالباحث يريد أن يحصل على ما يدعم ما توصل إليه من بيانات أو ما حصل عليه من ملاحظات بأكثر من طريقة واحدة. ومن الإجراءات الأخرى المهمة أن يقوم الباحث بتسليم ما توصل إليه من خلاصات إلى أفراد الموقع والمشاركين فيه حتى يحصل منهم على ما يؤكد صدق هذه البيانات.

ولزيادة الثقة في البيانات (وهو ما يمكن اعتباره مساوياً للثبات) يقوم الباحث في الدراسات الكيفية بتوثيق دقيق لطريقة إجراء الدراسة، ويتضمن هذا التوثيق ما تم عمله، ومتى، ولماذا. ويتضمن التوثيق كذلك المادة الخام التي جمعت في المقابلات وفي أثناء الملاحظات، وسجلات الباحثين التي اتخذوها عمن تتم مقابلتهم، وما تجرى ملاحظته، والملفات التي توثق، وكيف تم بناء الفروض من البيانات الخام، وكيف تمت مراجعتها وبلورتها، والنتائج النهائية للدراسة، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالبحث. ويقوم طرف آخر بفحص نتائج الدراسة باستخدام البيانات السابقة حتى يختبر مدى الثقة في البيانات، أي: لكي يقرر ما إذا كان من الممكن الوصول إلى النتائج بشكل منطقي من البيانات التي حصل عليها الباحث.

التحليل الاستقرائي:

في معظم الدراسات الكيفية يتم جمع البيانات وتحليلها في نفس الوقت، وبمعنى آخر، لا ينتظر الباحث حتى يتم جمع البيانات كاملة ثم يبدأ في تحليلها؛ إذ يأخذ الباحث من المقابلة أو الملاحظة الأولى في التفكير في معنى ما سمعه أو رآه، ويضع بناءً على ذلك بعض التخمينات التي تتطور فيما بعد إلى فروض يقوم بتأكيدها أو نفيها في مقابلات أو ملاحظات لاحقة. وهذه العملية

في تحليل البيانات عملية استقرائية؛ إذ تبدأ من البيانات إلى الفروض إلى النظرية. وفي أثناء قيام الباحث بخفض أو إعادة بناء البيانات من خلال عملية تشفير وتصنيف البيانات، يسعى الباحث إلى الوصول إلى نظرية أساسية حول الظاهرات التي يدرسها، بحيث ترتبط النظرية بشكل جذري بهذه الظواهر، وتكون نابعة من البيانات المرتبطة بالظواهر (Strauss, 1987، نقلاً عن رجاء أبو علام، 1999).

إعداد التقرير النهائي:

تختلف تقارير الدراسات الكيفية، ويتوقف هذا الاختلاف على طبيعة الدورية أو أسلوب النشر الذي يظهر به التقرير (فقد ينشر التقرير مثلا في مجلة علمية محكمة، أو حولية تصدرها إحدى الجامعات، أو كتاباً مطولاً يشتمل على تقرير البحث). ولكن جميع تقارير البحوث الكيفية تتصف بأنها تستخدم الأسلوب القصصي بكثافة ، وتستخدم أوصافاً مطولة للموقف أو البيئة الاجتماعية أو الطبيعية التي تم فيها البحث.

ويعرض الباحث في البحوث الكيفية لغة المشاركين الطبيعية كما صدرت منهم، وكما تم الحصول عليها في المقابلة أو من الوثائق، بدلاً من تقديم جداول إحصائية ورسوم بيانية بها بيانات رقمية (Bogdan & Bimlen, 1982، نقلاً عن رجاء أبو علام، 1999). فقد يقوم الباحث مثلاً بوصف الحجرة التي قابل فيها ناظر المدرسة، وما تحتوي عليه من أثاث، أو ديكورات، وحجم الغرفة، ومدى اتساعها، وفخامة تأثيثها، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تجعل القارئ يشعر كما لو كان هو نفسه في هذه المقابلة. وقد تتطرق الأوصاف إلى شخصية الأفراد الذين يقابلهم الباحث، وانطباعاته عنهم، ووظائفهم وأعمالهم. (302–307)

فهذه تعتبر بلا شك أبرز مظاهر البحث الكيفي كما تم إبرازها وتلخيصها.

فهي مظاهر عامة يشترك فيها الجميع. ولا شك بأن الصورة سوف يتم توضيحها بشكل مفصل عند الحديث عن أدوات البحث الكيفي بالتحديد فيما بعد. فهي بكل تأكيد تختلف عن مظاهر البحث الكمي الذي يعتمد على الأرقام في التحليل وفي طلب المعلومات.

وبعد هذا العرض الخاص بأهم الفروق بين البحوث الكيفية والكمية، وتحديد أبرز ملامح ومظاهر البحث الكيفي، فمن المهم هنا تحديد أبرز أنواع البحوث الكيفية، والمتمثلة في:

(1) البحوث التاريخية.

(2) البحوث الاثنوجرافية.

أولاً- البحوث التاريخية:

وتصنف البحوث التاريخية أيضاً على أنها بحوث كيفية تحليلية. (رجاء محمود أبو علام، 1999). ونستطيع القول بأن البحوث التاريخية، أو المنهج التاريخي هو ذلك البحث الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ويدرسها، ويفسرها، ويحللها على أسس علمية منهجية ودقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعدنا في فهم الحاضر في ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل. وهو يعالج الأحداث التي جرت في الماضي باعتبار التاريخ علم يبحث عن الحقيقة بموضوعية وصدق من خلال جمع الحقائق وتحقيقها ونقدها وترتيبها، والانتقاء منها حسب ما يتلاءم مع هدف الدراسة، وتفسيرها، وتقديمها في صورة علمية صحيحة تثبت أمام الفحص الناقد. والبحث التاريخي ينصب على ما كان ويتقصى الحقائق والعلاقات في ظاهرة ما أو مشكلة بعينها وقعت في الماضي، فالتاريخ هو سجل ما حققه الإنسان له دلالته ومغزاه، وليس مجرد تسجيل للأحداث الزمنية، والأحداث التاريخية حدثت مرة واحدة؛ لأنها تقوم على الزمان الذي يسير في اتجاه واحد دون

تكرار. (علي عسكر وزملاؤه،1992 : 105).

ويعرّف التاريخ بأنه السجل المكتوب للماضي أو للأحداث الماضية. وفي تعريف آخر بأنه وصف للحوادث أو الحقائق الماضية وكتابتها بروح البحث الناقد عن الحقيقة الكاملة. وهنا تظهر الطبيعة الوصفية للبحث التاريخي التي تؤكد الروح العلمية في البحث والنقد سعياً للوصول إلى الحقائق. وفي تعريف ثالث أن التاريخ يضم الميدان الكلي الشامل لتاريخ الإنسان أو الماضي البشري، مما يجعله ميداناً واسعاً كاتساع الحياة نفسها، كما أنها تؤكد على أن الحقائق والوقائع والأحداث التاريخية لا يصح لنا أن نفصلها عن الحياة المحيطة بها، وإنما لابد أن ننظر إليها على أنها أجزاء لا تتجزأ تتكامل مع عمليات النمو الاجتماعي والحياة الاجتماعية الشاملة المرتبطة بها، ومثال ذلك أنه لا يمكن دراسة شخصية تاريخية معينة دون أن نهتم بدراسة الحياة والظروف المختلفة التي يتصف بها عصره، ومدى إسهاماته في مجال الفكر الديني والتربوي والسياسي والاجتماعي. (ص ص: 105–107).

فالتاريخ وفقاً لذلك جزء من الحياة الاجتماعية للإنسان في عهد ماضٍ للوضع الاجتماعي للإنسان. والتاريخ يقدم وصفاً تحليلياً من هذه الحياة الاجتماعية. وبذلك، وضع هذا التاريخ كعلم مستخدماً منهجاً محدداً من أجل الحصول على المعلومات بهدف الوصول إلى الحقيقة.

البحث التاريخي والأسلوب العلمي:

لقد ثارت عدة من التساؤلات الخاصة عن مقدرة الأسلوب التاريخي على استخدام المنهج العلمي في تحديد المشكلة، وفرض الفروض واختبارها أو مدى قدرة الباحث التاريخي على ضبط الظواهر. فكما لخصها ذوقان عبيدات وزملاؤه (1998). تتمثل هذه التساؤلات في أن البحث التاريخي لا يعتمد على التجربة بمفهومها العلمي، وأن الباحث التاريخي مصدره في المعرفة لا يعتمد

على الملاحظة المباشرة، ويعتمد على مصادر معلومات غير مباشرة، وإن الباحث التاريخي لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق المتصلة بمشكلة بحثه. وعلى الرغم من أن هذه الملاحظات معظمها صحيحة فإنها لا تقلل من أهمية البحث التاريخي. فالباحث التاريخي يستند على أسس علمية تتمثل في (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):

1- اعتماد البحث التاريخي المنهج العلمي في البحث. فالباحث يبدأ بالشعور بالمشكلة، وتحديدها ووضع الفروض المناسبة، وجمع المعلومات والبيانات لاختبار الفروق والوصول إلى النتائج والتعميمات.

2- رجوع الباحث إلى الأدلة غير المباشرة من خلال السجلات والآثار والأشخاص الذين عايشوا الأحداث أو كتبوا عنها لا يعتبر نقطة ضعف في البحث التاريخي، إذ أخضع الباحث معلوماته وبياناته للنقد والتحليل والتمحيص.

وعلى الرغم من ذلك، فهناك بعض الملاحظات والاعتبارات التي يجب أن يتم مراعاتها في تطبيق المنهج التاريخي تتمثل بالآتي (انظرعلي عسكر وزملاؤه، 1992: 108-109، حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله، 1992: 26-27):-

1- أن جمع الحقائق والأحداث والبيانات خطوة مهمة في البحث، ولكنها ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي أساس تقوم عليه عمليات أخرى مثل التحقق والإثبات والتفسير والوصول إلى نتائج معينة، والربط والتعميم والتنبؤ، ولا يمكن النظر لهذه المعلومات والبيانات التاريخية منعزلة عن عصرها والحياة الشاملة في كل أبعادها ومكوناتها التي أثرت فيها وتأثرت بها، وأن فهم العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين الأحداث والأشخاص والزمان والمكان والحياة الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها اعتبار له أهمية بارزة في البحوث التاريخية، وبذلك يمكن أن يتحقق للباحث نظرة

عريضة واسعة تمكنه من الإدراك الصحيح للأحداث والوقائع والحقائق التاريخية، وتناولها بالوحدة والتحليل والتحقق على نحو أكثر دقة وصحة وشمولاً.

2- أن الحصول على المادة التاريخية أصعب نسبياً وأكثر تعقيداً من المادة العلمية في البحوث الطبيعية، وذلك بحكم بعدها الزماني وصعوبة تسجيلها بصورة كاملة، وعلى نحو صحيح، بل وبحكم وجود بعض سجلاتها ووثائقها ومصادرها الأولية في أماكن يصعب على الباحث الوصول إليها لاعتبارات المكان والتكلفة، كما أن هذه المادة لا يمكن تكرار حدوثها أو التأكد من صحتها، وإنما هي مادة مرتبطة بمشكلات وأحداث حدثت في الماضي لا تفيد فيها التجربة والملاحظة المباشرة. ولذلك فالمادة التاريخية تحتاج إلى معايير دقيقة للنقد الداخلي والخارجي والتحقق من صحتها، وصدق مضمونها كما سوف ترى فيما بعد.

3- أن التفسير التاريخي للظواهر والأحداث ليس مجرد وصف أو تجميع لمجموعة معينة من الأسباب، وإنما هو عمل يحتاج إلى خبرات وقدرات خاصة في الباحث. فمن المعروف أن هناك تطورات تحدث في المجتمع، وأن هناك أسباباً كثيرة ومتنوعة لتفسير الأحداث والتطورات التاريخية، وعلى الباحث أن يعمل ليس فقط إلى معرفة أهم الأسباب، أو الظروف المسببة لحدث أو واقعة معينة، وإنما عليه أيضاً معرفة الأسباب المرتبطة بهذا الحدث وهذه الواقعة.

4- يجب البعد عن التحيز أو التعصب، فالباحث قد يكون متحيزاً لأحداث معينة، فتراه يهمل ذكر وجهات النظر المعارضة لرأيه، وهذا التحيز أمر غير مرغوب فيه؛ لأنه يجعل الباحث أسير هواه الشخصي. وينصح الباحث الذي يجد أدلة تعارض وجهة نظره أن يذكر تلك الأدلة في بحثه، ثم يرد عليها، فهذا يزيد من قيمة بحثه شريطة أن يكون الرد مقنعاً.

5- أن الباحث الذي يعالج قضية حدثت في الماضي، قد لا يستطيع الإلمام

بجميع الحقائق نظراً لبعده عنها، ولعدم توفر جميع المراجع. ولهذا يجدر بالباحث أن يحاول الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المصادر التي تعالج موضوعه، فكلما قلت مصادر بحثه كانت المعلومات التي توصل أقل دقة وأكثر بعداً عن المعرفة الكلية. فالبحث من أكبر عدد ممكن من المصادر يعتبر مهماً عند كل من يقوم باستخدام الدراسة التاريخية.

6- أن التأكيد على حجم المصادر في النقطة السابقة لا يعني أن يلجأ الباحث إلى أي كتاب يقع بين يديه دونما تمحيص؛ إذ لابد للباحث من أن يُقوِّم مصادره. فالمصادر المتعددة التي تعالج موضوعاً معيناً لا تتساوى من حيث الأهمية أو الدقة؛ إذ إن هناك فرقاً في خبرة المؤلفين وتاريخ المصدر أو الوثيقة واتجاهات المؤلفين الفكرية وأصالة المصدر، وخاصة المصادر الأولية، والثانوية، وينصح في الكتابات الاعتماد بشكل رئيسي على المصادر الأولية، مثل: السجلات الحكومية والمذكرات الشخصية، وكتب التاريخ التي كتبت في الفترة الزمنية التي يعالجها البحث.

خطوات البحث التاريخي:-

أولاً- اختيار وتحديد موضوع البحث:

يعتمد الباحث التاريخي على خطوات البحث العلمي في دراسته للمشكلة، فهو يبدأ بالشعور بالمشكلة، أو اختيار موضوع معين من الموضوعات، أو المشكلات التاريخية التي تحتاج إلي دراسة وبحث. ويتحدد اختيار موضوع معين للبحث التاريخي في ضوء الإجابة عن الأسئلة التالية:-

- أين وقعت الأحداث التي سيدرسها الباحث؟
- من أهم الأشخاص الذين دارت حولهم أو اتصلت بهم الأحداث والوقائع؟
- متى وقعت هذه الأحداث؟ ولماذا؟
- ما أنواع النشاط الإنساني التي يدور حولها البحث؟

ويمكن استخدام معايير أخرى لتحديد موضوع البحث، منها أن يعدد الباحث الموضوع في ضوء فكرة مهمة أو عدد من الأفكار أو المعتقدات أو الاتجاهات أو التقاليد الاجتماعية المهمة. وكذلك في ضوء اعتبارات الخبرة الكافية التي تجعله قادراً على معرفة الموروث التاريخي والأحداث، إضافة إلى توافر مصادر الحصول على المادة التاريخية والوقت والتكلفة وغير ذلك. فالمشكلة يجب أن تكون محددة تحديداً كافياً على نحو يمكن للباحث التاريخي من تحليلها تحليلاً كافياً مما يسمح بدراستها على صورة جيدة. وفي كثير من الأحيان يجد الباحث المبتدئ صعوبة في تحديد المشكلة، ويختار مشكلة عريضة جداً وغير محددة (جودت عزت عطوي، 2000: 163-164).

ولا شك بأن اختيار مشكلة البحث وتحديدها تعتبر من أصعب المراحل البحثية التي تواجه الباحث؛ فتتساوى بذلك البحوث التاريخية مع البحوث ذات الاتجاه الكمي.

ثانياً - مصادر المعلومات:

يقسم المؤرخون مصادر المعلومات التاريخية إلى نوعين يسمى مصادر أولية، ومصادر ثانوية، ومن أبرز هذه المصادر الأولية والثانوية نتمثل بالآتي (علي عسكر وزملاؤه، 1992؛ ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998؛ جودت عزت عطوي، 2000):

1- الآثــار Remains :

تعتبر الآثار مصدراً مهماً للبحث التاريخي، حيث توجد أنواع متعددة ومتنوعة من الآثار والمخلفات التاريخية التي تتصل بشخص معين أو جماعة معينة أو عصر من العصور التاريخية، وهي تعبر عن بقايا حضارات أو أحداث معينة قامت أو حدثت في الماضي، ومن أمثلة هذه الآثار بقايا المباني والأدوات والملابس والأواني والنقود والأسلحة والرسوم، والآثار والمعابد والتماثيل،

وغير ذلك من الأشياء المادية التي كانت تستعمل في الماضي. وتكشف هذه الآثار الكثير من مظاهر الحياة في تلك الفترة.

وتظل هذه الآثار غير كافية لتكون صورة واضحة ودقيقة ومتكاملة عن موضوع البحث، وهذا أمر يتطلب أن يستخدم الباحث مصادر أخرى متعددة. ومع أنه من السهل تجزئة هذه المصادر عن بعضها، فأنها تتكامل في توضيح الأحداث الماضية. فقد يكون عنصر ما سجلاً وأثراً في الوقت نفسه، ويتوقف ذلك الغرض من استخدامه.

2- الوثائق والسجلات Documents and Records :

ويقصد بها الوثائق التاريخية التي حفظت عن قصد بهدف نقل المعلومات والبيانات وحفظ الأفكار والأحوال والأحداث الماضية، ويحاول الباحث التاريخي الحصول على الشواهد اللازمة له من أقرب المصادر إلى الأحداث، فلا يرضيه مثلاً الاكتفاء بمقال في صحيفة يصف ما حدث في اجتماع ما، إن كان بإمكانه الحصول على نسخة من المحضر الرسمي للاجتماع، والذي يعد مصدراً أولياً، كما أنه لا يكتفي بترجمة وثيقة مادام يستطيع الحصول على الوثيقة الأصلية وقراءتها والاستفادة منها. وتأخذ الوثائق والسجلات أشكالاً متعددة تتمثل في الآتي:-

- السجلات الرسمية:

ويقصد بها الوثائق التشريعية والقضائية والتنفيذية، التي تصدر عن الحكومات ومجالس الأمة، مثل الدساتير، والقوانين، والاتفاقيات، والمواثيق والمعاهدات ومحاضر المحاكم، وقوائم الضرائب، والإحصاءات والبيانات والتقارير السنوية، وبرامج الدراسة، والسجلات الصحية، والحوادث وغير ذلك.

- السجلات الشخصية:

ويقصد بها السير الذاتية، واليوميات والمذكرات والخطابات والرسائل والوصايا، والعقود، والمقالات والخطب والكتب وغيرها. فيقوم بعض الأشخاص بكتابة مذكراتهم عن الأحداث المهمة التي جرت في أيامهم، كما يقوم بعض الكتاب بتسجيل السيرة الذاتية لعدد من الأشخاص المهمين. ولا شك بأن دراسة الباحث لهذه المذكرات والسير يمكن أن تكشف لها عن بعض الجوانب المهمة من الظاهرة أو المشكلة التي يدرسها.

- التراث الشعبي:

ويشمل الأساطير والحكايات الشعبية والقصص والخرافات الشائعة والرقصات والألعاب والاحتفالات، وقصص العائلات وغيرها.

- السجلات المصورة:

وتشمل الرسوم والمصورات والصور الفوتوغرافية، والصور الجوية، والأفلام والمصغرات الفيلمية والنحت والزخرفة وطوابع البريد والنقود وغيرها.

- المواد المنشورة:

وتشمل المطبوعات، والكتب، والصحف، والمقالات الدورية، والأعمال الأدبية والفلسفية التي تتضمن معلومات. وتعتبر الصحف على سبيل المثال عن مدى اهتمام المجتمع بأحداث معينة، وتزداد أهمية الصحف والمجلات إذا كانت لا تخضع لرقابة الدولة أو لاتجاه معين، إضافة إلى المواد المنشورة على الشبكات العنكبوتية.

- التسجيلات الصوتية والمرئية:

وتشمل التسجيلات الصوتية للمقابلات والاجتماعات على الاسطوانات والأشرطة، وكذلك التسجيلات على الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو.

ومن الممكن أيضاً للباحث التاريخي أن يعتمد على ما يسمى بالمصادر الثانوية. وهل تلك التي تنقل أو تروى من شخص معين نقلاً عن شخص آخر. فقد يكون هذا الشخص المنقول عنه شخص شاهد حدثاً معيناً أو شارك فيه. ومن الممكن أن تكون هذه المصادر بعض ما تم كتابته من أشخاص لم يلاحظوا الحدث بأنفسهم. وقد تكون عملية النقل متواترة عن عدة أشخاص. وكلما كانت المعلومات تنقل من مصادر ثانوية عن طريق سلسلة أشخاص متعددين، كلما كان احتمال الخطأ وارداً في المعلومات المنقولة. ولذلك تتولد هناك حاجة في معرفة وإلمام المصادر المأخوذة منها. فصدق هذه المعلومات يعتبر ضرورة وأساساً منهجياً مهماً يجب أن يلجأ إليه الباحث. فقدرة الباحث على عملية التحقيق تعطي البحث مصداقية للبحث، ولذلك فيجب على الباحث أن يبرهن على صدق ما تم اقتباسه من معلومات. والمصادر الثانوية هي أيضاً التي تنقل من المصادر الأولية كما هو الحال عندما نجد بيانات وزارة التخطيط أو الإحصاء منقولة في المجلات العلمية أو في كتب، أو دراسات المؤلفين الذين استفادوا من هذه البيانات أو عرضوها بشكل مختلف.

ثالثاً- نقد المعلومات:

لقد دار جدل كبير بين العديد من الباحثين حول المعلومات التاريخية. فقد دارت شكوك متعددة حول مدى صدق هذه المعلومات ودقتها انطلاقاً من أن التاريخ يدخل عليه كثير من التعديل والتدوير. إضافةً إلى أن معظمها كما سبقت الإشارة قد يكون من مصادر ثانوية، والتي قد تدور شكوكاً حولها، إضافةً إلى أن شهادات الأشخاص قد يكون فيها نوعٌ من المبالغة أو الكذب أو قد

مر الزمن عليها فيتعرض عدم الصدق والدقة في عملية النقل.

ويمكن أن يتم تقسيم النقد التاريخي إلى نوعين رئيسين (جودت عزت عطوي، 2000: 166-168):-

أولاً- النقد الخارجي:

يهدف هذا النقد إلى التحقق من صحة الوثائق من حيث انتسابها إلى أصحابها، وإلى العصر الذي تنسب إليه. للوثائق ثلاث حالات هي:-

1- أن تكون الوثيقة بخط المؤلف نفسه، ويمكن في هذه الحالة دراسة الوثيقة الأصلية مباشرة أو الحصول على نسخة مصورة منها ودراستها.

2- أن تكون مكتوبة بخط شخص آخر، وفي الوقت نفسه لا يوجد منها سوى نسخة واحدة، وقد تكون بهذه النسخة أخطاء في الكتابة أو في الحكم لجهل الناسخ لها، أو وجود أخطاء عرضية، كنسيان بعض الألفاظ أو الأخطاء الإملائية.

3- قد يوجد أكثر من وثيقة أو مخطوطة، وفي مثل هذه الحالة ينبغي أن يبدأ الباحث بدراسة هذه المخطوطات لكي يتبين ما يرجع منها إلى أصل واحد.

وبالنسبة إلى مصدر الوثيقة لا يكفي في النقد أن تكون لدينا وثائق صحيحة كما كتبها أصحابها، وإنما يجب أن نعرف أيضاً مصدر الوثيقة ومؤلفها وزمانها. فقد تكون هناك وثيقة عظيمة القيمة ولكنها تنسب إلى شخصية أخرى غير واضعها لتمجيد هذه الشخصية. وقد يكتب شخص كتاباً للدفاع عن مذهب معين وينسبه إلى شخصية عظيمة ليعزز بذلك أفكاره وحججه دفاعاً عن هذا المذهب. وقد لا يكتب على الوثيقة اسم صاحبها، أو أن توقيعه عليها ليس واضحاً. ولذلك فإن الباحث يفترض مقدماً أن كل الوثائق مزيفة ومحرفة حتى يثبت صحتها.

ويمكن الاسترشاد بالمضامين التالية للتأكد من صحة الوثيقة:-

١- هل تطابق لغة الوثيقة، وأسلوبها، وطريقة هجاء ألفاظها، وخطها أو طباعتها، أعمال المؤلف الأخرى، والفترة التي كتبت بها الوثيقة؟
2- هل يظهر المؤلف جهلاً بأشياء كان ينبغي أن يعرفها رجل تلقى مثل تعليمه، وعاش في مثل عصره؟
3- هل يكتب عن أحداث أو أشياء أو أماكن لم يكن ليستطيع أن يعرفها شخص عاش في ذلك العصر؟
4- هل غير أي شخص من المخطوط عن عمد أو عن غير عمد، وذلك بنسخه بغير دقة أو الإضافة إليه، أو حذف فقرات منه؟
5 - هل هذه المسودة أصلية للكتاب أو نسخة منقولة عنها؟ وإذا كانت نسخة منقولة فهل تطابق الأصل حرفياً؟
6 - إذا كان المخطوط غير مؤرخ، أو المؤلف مجهولاً، فهل توجد في الوثيقة دلائل داخلية قد تكشف عن أصولها؟
7 - ما شخصية المؤلف، وأخلاقه، وسماته الشخصية ومكانته ومدى اهتمامه بالأحداث التي يكتب عنها، ومدى كفايته التي تمكنه من ملاحظة وفهم الوقائع والأحداث وتسجيلها؟

ثانياً - النقد الداخلي:

يتصل هذا النقد بمحتوى الوثيقة ودقة ما تحويه من معلومات، ومدى الثقة التي يمكن أن نثقها بمعلومات هذه الوثيقة. ولكي يصل المؤرخ إلى هذا نجده يبحث عن إجابات عن الأسئلة الآتية:
١- ما الذي يعنيه المؤلف من كل كلمة وكل عبارة؟
2- هل العبارات التي كتبها المؤلف يمكن الوثوق بها؟
3- هل يشهد للمؤلف بالكفاءة، ويوثق ما يرويه أو يكتبه؟
4- هل كتب عن الوقائع والأحداث بناءً على ملاحظة مباشرة أم على رواية مسموعة عن الآخرين؟

5- هل أدى به التوتر الانفعالي أو السن أو الظروف الصحية إلى ارتكاب أخطاء في ملاحظته أو تقريره؟

6- هل كتب الوثيقة وقت الملاحظة أو بعدها بأسابيع أو سنين؟

7- هل يوجد ما يؤثر في موضوعية كتابته، مثل التعصب ضد جماعة أو ديانة أو جنس أو شخص أو حزب سياسي أو فئة اجتماعية أو اقتصادية أو جماعة مهنية أو عصر تاريخي أو فلسفة معينة؟

8- هل كان غرضه كسب عطف الأجيال التالية، أو إرضاء جماعة معينة أو إغضابها؟

رابعاً- الفروض في البحث التاريخي:

بما أن التاريخ يقوم على أسس ومعايير علمية، فإن صياغة فروضه البحثية لا تختلف في مضمونها عن العلوم الأخرى من حيث إن هدفها- أي هذه الفروض - هو الكشف عن الحقيقة. ولكن ما هو مختلف هنا هو طبيعة هذه الفروض التي يحاول من خلالها تحديد المعلومات المطلوبة وجمعها. ولا شك أن الفروض التاريخية تتطلب مهارة وخبرة فائقتين في استخدامها، خاصةً إذا قام الباحث الاجتماعي بالمحاولة باستخدام هذا المنهج في دراسته أو بحثه. فالمهارة ضرورية قبل البدء في الدراسة.

يحاول الباحث أن يقوم بوضع فروض مبدئية تحاول أن تفسر وقوع الأحداث؛ وذلك ليصبح للبحث قيمة. وبعد صياغة الفروض يبدأ الباحث التاريخي في البحث عن الأدلة التي تؤيدها أو تنفيها، والتي تختبر صدق الفرض من عدمه. فالبحث التاريخي يتطلب أن يضع الباحث فرضاً، ويقوم بعدها بعملية جمع البيانات والمعلومات، ثم يقوم بتعديل الفرض في ضوء ما يجمعه من معلومات. فإثبات الفرض وتحقيقه يتم من خلال جمع المعلومات من مصادرها الأولية والثانوية ونقدها تمهيداً لقبولها أو رفضها. ومن مميزات استخدام الفروض أنها تمدنا بالإطار الذي تصاغ نتائج الدراسة وفقاً

له، حيث إنها تساعد الباحث الاجتماعي في تحديد المادة العلمية اللازمة لدراسته، حيث إنه في إطار الفروض تتم صياغة المادة العلمية، ويتم تحديد الموضوعات التي تحتاج إلى تأكيد أو توسع، ويُبعد الباحث المعلومات التي لا جدوى منها، وذلك بتحديد المادة المفيدة للبحث. وعلى الباحث أن يتقن فن صياغة الأدلة التاريخية الثابتة التي تتميز بالبساطة والصدق والحيوية (علي عسكر وزملاؤه، 1992 : 125-126).

ولعل واحداً من الأمثلة للفروض التاريخية تلك التي صاغها هندرسون بعد أن درس أنواعاً مختلفة من ألعاب الكرة، بعد أن بحث في أصوله والذي يقول (جودت عطوي، 2000):

إن كل الألعاب الحديثة التي يستخدم فيها المضرب والكرة ترجع إلى أصل واحد عام يتصل بالطقوس التي كان يقوم بها الملوك والكهنة في مصر القديمة. ولاختبار مثل هذا الفرض فحص هندرسون الاحتفالات الدينية والعادات التي شاعت في العصور القديمة، وتتبع تطور الألعاب التي استخدمت الكرة، وذكر أنه وجد دلائل في الطقوس والعادات والمقابر التي تؤيد فكرته.

خامساً- اعتبارات في كتابة تقرير البحث التاريخي:

هناك مجموعة من الاعتبارات التي يقع فيها بعض الباحثين، والتي تتمثل في الآتي (جودت عطوي، 2000: 169-170) :-

1- صياغة مشكلة البحث أو موضوعه صياغة عامة غير محددة.
2- استخدام المصادر الثانوية التي يسهل الحصول عليها بدلاً من المصادر الأولية التي يصعب التوصل إليها، وهذه المصادر الأولية لها قيمتها في الدراسات التاريخية، وتتطلب من الباحث أن يبذل كل جهد ممكن للحصول عليها.

3- نقد البيانات والمادة العلمية التاريخية غير كاف، ويرجع هذا إلى قصور الباحث في إثبات مدى ثباتها والثقة بها.

4 - التحليل المنطقي غير السليم لمحتوى البحث ونتائجه، وينتج ذلك عادةً من:

أ- المبالغة في التبسيط والإخفاق في ملاحظة أن أسباب الوقائع كثيراً ما تكون متعددة ومعقدة ويصعب تفسيرها على أساس سبب واحد.

ب- المبالغة في التعميم من مادة وأدلة غير كافية.

ج- الإخفاق في تفسير الكلمات والتعبيرات في ضوء معناها المقبول في فترة مبكرة.

د- الإخفاق في التمييز بين الوقائع المهمة ذات الدلالة في موقف معين والوقائع غير المهمة أو التي لا تتصل كليةً بالموقف.

هـ- التعبير عن التحيز الشخصي كما تكشف عنه عبارات مأخوذة من البحث.

و - ضعف القدرة على الاستخدام السليم للغة، والكتابة بأسلوب رديء غير مقنع، أو بأسلوب إنشائي فيه مبالغة في الإقناع.

فهي عبارات ينبغي أن ينتبه لها الباحث عند استخدامه للمنهج التاريخي. فإخفاق الباحث في استخدام هذا المنهج بشكله الصحيح يؤدي إلى تشويه الحقيقة التاريخية ويضربها.

سادساً- تقويم الأسلوب التاريخي:

ممكن تلخيص أبرز الملاحظات التي تؤخذ على المنهج التاريخي في الجوانب الآتية (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999 :216-218):-

ا- المعرفة التاريخية معرفة جزئية بحكم طبيعتها، حيث لا يمكن الحصول على معرفة كاملة للماضي، وذلك بسبب طبيعة مصادر المعرفة التاريخية وتعرضها للتلف والتزوير، ويصف فان دالين ما ذكره جوتشاك عن المعرفة التاريخية بأنها:

«أن من شهدوا الماضي لا يتذكرون سوى جزء منه، ولم يسجلوا سوى جزء مما تذكروا، وضاع جزء مما سجلوا، واكتشف الباحثون صحة جزء مما سجل، وفهموا جزءاً من التسجيل الصحيح، ونقلوا جزءاً مما فهموا..، وبذلك تبقى المعرفة التاريخية معرفة جزئية».

2- يواجه الباحثون الذين يستخدمون الأسلوب التاريخي صعوبة واضحة في تطبيق المنهج العلمي في البحث، وذلك بسبب طبيعة الظاهرة التاريخية وطبيعة مصادرها، وصعوبة إخضاعها للتجريب، وصعوبة وضع الفروض، وصعوبة التنبؤ بالمستقبل.

3- المادة التاريخية أكثر تعقيداً من المعلومات والمعارف في مجالات الحياة الأخرى، وبذلك يصعب على الباحث وضع فروض معينة واختبار هذه الفروض؛ لأن علاقة السبب بالنتيجة في تحديد الحوادث التاريخية ليست علاقة بسيطة، فالأسباب متشابكة ويصعب رد النتيجة إلى أحدها.

4- لا تخضع المادة التاريخية للتجريب، وبذلك يصعب إثبات الفروض وتحقيقها تجريبياً، فالمصادر التاريخية عرضة للخطأ، ولابد من اعتماد ملاحظات الآخرين وأقوالهم؛ لأن الباحث لا يتمكن من الاتصال المباشر بالمادة التاريخية.

5- يصعب الوصول إلى نتائج تصلح للتعميم في الأبحاث التاريخية، وذلك لارتباط الظاهرة التاريخية بظروف زمانية ومكانية محددة يصعب تكرارها بنفس الدرجة، وكل ما يستطيع الباحث التاريخي عمله هو أن يتنبأ بما يمكن أو يحتمل أن يحدث لا بما سيحدث فعلاً.

فالملاحظات السابقة لا تقلل من الثقة بالأسلوب التاريخي. فهو يعتبر الأسلوب الوحيد الذي يدرس ظواهر التطور الإنساني والطبيعي في مختلف مجالات الحياة. وهو يعدُ أسلوباً علمياً محدداً له منهجية علمية واضحة، ويعتمد على الخطوات العلمية في البحث.

ثانياً- البحوث الإثنوجرافية(*)

الإثنوجرافياEthnography لفظاً كلمة مشتقة من كلمتين Ethno، وهي تعنى العرق، و graphy والتي تعنى الرسم أو التصوير (Merriam-Webster Dictionary, on line). والكلمة المركبة إذا ما حاولنا ترجمتها إلى اللغة العربية سنجد صعوبة بالغة في تحديد ما المقصود بها. ولكن بشكل عام هي الوصف المنظم للثقافة الإنسانية والمشتقة من الملاحظة الأولية (Haviland, 1994: 13). وممكن القول اختصاراً إنه هو الاتجاه أو النوع الذي يهتم بالوصف للثقافات الإنسانية.

ولابد من التمييز هنا بين ما يسمى بالمنهج أو البحث الوصفي وبين البحث الإثنوجرافي. فالمنهج أو الأسلوب الوصفي كما هو شائع كأحد مناهج البحث الاجتماعي يعتمد على دراسة الظواهر الاجتماعية كما هي بالواقع، ويقوم بتقديم وصفاً دقيقاً معبراً عنها تعبيراً كمياً أوكيفياً. أما البحث الإثنوغرافي فإنه ارتبط في واقعه بأداة بحثية ابتكرها وأبدع بها الإنثروبولوجيون بشكل خاص بدايةً عند دراستهم للمجتمعات الإنسانية البدائية تمثلت في أداة الملاحظة بالمشاركة. فهذه الأداة ارتبط بهذا النوع من البحوث. فقد ارتبطت هذه الأداة أيضاً بالباحثين الإنثروبولوجيين. ولكن لم يعد هذا الارتباط مختصاً للإنثروبولوجيين الآن، إنما اعتمد عليه علومٌ أخرى متعددة، واستخدمت في مجالات بحثية متنوعة، وخاصة تلك التي تتعلق بمجالات علم التربية.

ولعلنا لا نرغب في الخوض كثيراً عن هذه الأداة البحثية، وذلك لإفراد جزء خاص من هذا الكتاب للملاحظة بالمشاركة (تلك الأداة التي ارتبطت بهذا النوع من البحوث)، إنما نحاول خلال السطور القادمة أن نوضح ما لخصه رجاء محمود أبو علام عن هذا المنهج وأهم محدداته (ص ص: 317-322).

(*) استمدت هذه المادة من هذا الجزء من كتاب: رجاء محمود أبو علام (1999). ص ص: 317-322.

فقد تمت الإشارة إلى أن السبب الرئيسي في الاهتمام المتزايد بالبحوث الإثنوجرافية هو غالباً عدم الارتياح للطرق التقليدية في بحث بعض المشكلات التربوية بالتحديد. وعلى الرغم من أن تطبيق المنهج الإثنوجرافي يعتبر توجهاً حديثاً في مجال العلوم التربوية وبقية العلوم الأخرى في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أنه لا يعتبر استراتيجية بحثية جديدة. فقد استخدمه الأنثروبولوجيون (مثل مارجريت ميد) استخداماً واسعاً منذ سنوات طويلة كطريقة لدراسة ووصف الثقافات الإنسانية، وكانوا يطلقون عليه المنهج الأنثروبولوجي. إذ كان الأنثروبولوجيون يغمرون أنفسهم في حياة الناس باستخدام الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المتعمقة للحصول على صورة عن الجماعة التي يدرسونها. ويستخدم مصطلح الإنثوجرافية Ethnography ليشير إلى العمل المتعلق بدراسة الثقافة، وكذلك نتيجة البحث النهائية. ولقد انتقلت الإنثوجرافية من الأنثروبولوجي إلى فروع المعرفة الأخرى، بما في ذلك التربية، حيث أضافت منظوراً بحثياً جديداً يؤكد الطريقة الكلية في جمع ومراجعة البيانات، وطريقة استقرائية في تحليل البيانات. كما أمدت الباحثين بمعلومات أساسية عن انتقال الثقافات والعملية التربوية الأساسية، مما ترتب عليه فهم أعمق لهذه العملية، وتعميمات مفيدة للممارسين التربويين.

تعريف البحث الإثنوجرافي:

البحث الإثنوجرافي نموذج من نماذج البحوث الكيفية التي سبق الحديث عنها. ويتضمن المنهج الإثنوجرافي جمعاً مكثفاً للبيانات، أي: جمع البيانات عن العديد من المتغيرات على فترة ممتدة من الزمن، وفي وضع طبيعي. ويقصد بمصطلح «وضع طبيعي» أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموضع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وفي أثناء حدوثها. وليس في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط، ونظراً لخصائص البحث

الإثنوجرافي من حيث حدوثه في موقف طبيعي، يطلق عليه أحياناً «البحث الطبيعي» أو «الاستقصاء الطبيعي» أو«البحث الميداني». إلا أن بعض الباحثين يفضلون استخدام مصطلح «البحث الكيفي» وذلك بسبب الأداة المستخدمة والذي يعتمد على الملاحظين المشاركين، كما هو الحال في البحوث الكيفية الأخرى. كما أن بعض الباحثين الآخرين يستخدمون مصطلح «البحث الإثنوجرافي» ليعني «البحث الكيفي»، أي: أنهما يستخدمان هذين المصطلحين كمصطلحين بديلين، إلا أن باحثين آخرين يعتبرون البحوث الإثنوجرافية نوعاً من البحوث الكيفية. ويعتبر الموقف الذي اتخذه جوبا (1995) أكثر المواقف اعتدالاً؛ إذ يميز بين نوعين من البحوث هما البحث الطبيعي (الإثنوجرافي)، والبحث المنطقي (المضبوط). وقد سبق أن قارنا بشيء من التفصيل بين المنهج الكيفي والمنهج الكمي.

منهج البحث الإثنوجرافي:

قد يستخدم المنهج الإثنوجرافي طريقة الملاحظ غير المشارك، أو الملاحظ المشارك، أو كلاهما. ويتصف البحث الإثنوجرافي، من الناحية النمطية، باستخدام نوع من الملاحظة بالمشاركة بشكل علني، كما يتميز بأنه بحث متعدد الأدوات، يستخدم فيه الباحث الإثنوجرافي ألواناً مختلفة من استراتيجيات جمع البيانات المرتبطة بالملاحظة. فهناك الملاحظة المشاركة الأولية التي توفر بيانات للباحث تساعده على اختيار طرق أخرى مناسبة يمكن له استخدامها في بحثه، مثل استخدام الأساليب اللفظية والأساليب غير اللفظية. وتتضمن الأساليب اللفظية التفاعل بين الباحث والأشخاص في بيئة البحث، ويمكن فيها استخدام بعض الأدوات مثل الاستبانات، والمقابلات، ومقاييس الاتجاهات، وبعض المقاييس النفسية الأخرى. أما الأساليب غير اللفظية فهي أقل تغلغلاً، فمن المحتمل أنها أقل تأثيراً في السلوك الذي يدرس، وتتضمن استراتيجيات أخرى مثل أدوات التسجيل

وفحص السجلات المكتوبة.

وليس معنى اتصاف البحث الإثنوجرافي باستخدام الملاحظة بالمشاركة، أو استخدام طرق أخرى استقرائية أنه بحث غير منظم لا ضابط له. فالباحثون الإثنوجرافيون يهتمون بتحديد خطة دقيقة للبحث كما هو الحال في الأنواع الأخرى من البحوث. ويتخذ الباحث بعد مراجعة المشكلة وتدقيقها، قرار بنوع المجتمع، أو المكان الأنسب ليجري بحثه، وأكثر مستويات المشاركة فاعلية. ويرتبط بهذين القرارين قرارات أخرى مثل أي الأشخاص يتفاعل معهم، وطبيعة التفاعل، وغير ذلك من القرارات التي تحتاجها الدراسة. ويساعد وضع بعض الفروض الأولية على اتخاذ هذه القرارات، كما تساعد هذه الفروض المؤقتة كذلك على توجيه الجمع الأولي للبيانات، وتقترح استراتيجيات أخرى مناسبة، وهكذا. وبعد استكمال الدراسة التي قد تمتد شهوراً، يقوم الباحث بتحليل البيانات الوفيرة التي جمعها، ويحاول منها وضع فروض محددة قابلة للاختبار يمكن استخدامها في تفسير البيانات. ويمكن اختبار هذه الفروض في دراسات تالية.

والفرق الأساسي بين المنهج الإثنوجرافي، وغيره من المناهج التقليدية، هو أن مراجعة البحوث السابقة، لا يترتب عليها صياغة فروض قابلة للاختبار، ويتم قبولها أو رفضها بعد الحصول على النتائج؛ إذ يترتب على مراجعة البحوث السابقة، وضع فروض واستراتيجيات توجه عمل الباحث. فالباحث الإثنوجرافي لا يريد أن يتأثر تأثراً كبيراً بنتائج حصل عليها من بحوث أخرى، أجريت غالباً في بيئات أخرى غير البيئة التي يجرى فيها بحثه، والتي ينوي الباحث أن يعمم عليها نتائجه.

وعندما طبق المنهج الإثنوجرافي لأول مرة في التربية، كان ذلك على يد باحثين حصلوا على تدريبهم الأول في المجال الأنثروبولوجي. وبعد زيادة استخدام المنهج الإثنوجرافي أخذ يستخدمه باحثون مدربون أساساً في

مناهج البحث التي تعتمد على جمع البيانات لاختبار الفروض. وكان نتيجة ذلك ظهور مناهج أنثروبولوجية معدلة تتصف بأنها مناهج إثنوجرافية أكثر تحديداً. وإن كان بعض الباحثين يعتبرون أن هذا التعديل قد أدى إلى ظهور منهج غير واضح المعالم، إلا أن معظم الباحثين يعتبرونه تحسيناً للمنهج الأصلي.

ويمكن تلخيص الخطوات التي تشكل منهج البحث الإثنوجرافي على النحو التالي:-

1- اختيار مشروع إثنوجرافي: ويختلف مجال هذه المشروعات اختلافاً كبيراً عن دراسة مجتمع كامل معقد، مثل جماعات صيد الأسكيمو في ألاسكا، إلى موقف اجتماعي محدود أو مؤسسة صغيرة، مثل أحد النواحي الرياضية، أو ملعب المدرسة. ومن الأفضل للباحث المبتدئ في هذا النوع من البحوث أن يقتصر مجال مشروعه على موقف اجتماعي محدود حتى يمكن إنهاؤه في وقت معقول. وللموقف الاجتماعي دائماً ثلاثة مكونات: المكان، والممثلون، والأنشطة.

2- طرح أسئلة إثنوجرافية: يحتاج الباحث إلى أن يكون لديه مجموعة من الأسئلة لترشده فيما يسمع أو يرى في جمع البيانات.

3- جمع البيانات الإثنوجرافية: يقوم الباحث بدراسة ميدانية لمعرفة الأنشطة التي يقوم بها الناس، والخصائص الفيزيائية للمكان، وكيف يكون شعور المرء عندما يكون جزءاً من الموقف. وتبدأ هذه الخطوة عادة بنظرة عامة تتضمن ملاحظات وصفية عامة. وبعد النظر في هذه البيانات، ينتقل الباحث إلى ملاحظات أكثر تبلوراً. وهنا يستخدم الباحث الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المتعمقة، وغير ذلك من أساليب جمع البيانات.

4- إعداد سجل إثنوجرافي: وتتضمن هذه الخطوة أخذ مذكرات وصور ميدانية، وعمل الخرائط، واستخدام أية وسائل أخرى لتسجيل الملاحظات.

5- تحليل البيانات الإثنوجرافية: يتبع الدراسة الميدانية دائماً تحليل البيانات، مما يؤدي بالتالي إلى أسئلة جديدة وفروض جديدة، ويتبع ذلك مزيد من جمع البيانات، وتحليل أكثر للبيانات وتستمر هذه الدورة حتى يكتمل المشروع.

6- كتابة التقرير الإثنوجرافي: يجب كتابة التقرير الإثنوجرافي بحيث يوضح ويشرح الثقافة موضوع المشروع إلى الحياة أمام القارئ ليشعره بأنه يفهم الناس وطريقتهم في الحياة. ويتراوح طول التقرير الإثنوجرافي من عدد من الصفحات إلى مجلد أو مجلدين. ويمكن للباحث تبسيط هذا العمل بأن يبدأ الكتابة في وقت مبكر في أثناء جمع البيانات بدلاً من الانتظار إلى النهاية. ومما يسهل مهمة الكتابة أيضاً أن يقرأ الباحث التقارير الإثنوجرافية الأخرى الجيدة قبل أن يبدأ في كتابة تقريره.

ونواحي القصور في المنهج الإثنوجرافي واضحة وإن لم تكن قاصرة على هذا المنهج. ومن الممكن إبراز أهم جوانب القصور بالآتي:

1- التطبيق العملي السليم للبحوث الإثنوجرافية يتطلب تدوين بيانات هائلة دقيقة، خلال فترة زمنية طويلة، بواسطة أشخاص مدربين تدريباً عالياً على أساليب الملاحظة.

2- إن النتائج التي يتم التوصل إليها من الصعب تحليلها، وبالنظر إلى كمية البيانات فإنه من الصعب تكرار النتائج.

3- من الناحية العملية تميل البحوث الإثنوجرافية إلى أن تكون أكثر تكلفة من مناهج البحث الأخرى.

4- إن حجم العينة يعتبر من المثالب الخطيرة في هذا النوع من البحوث. فحجم العينة كثيراً ما يكون فرداً واحداً، أو فصلاً أو مدرسة واحدة. ولذلك فإن النتائج كثيراً ما تكون خاصة بالعينة فقط.

5- ويتصف هذا النوع من البحوث بأنه مختصر؛ إذ إن الوقت الذي يقضيه

الباحث في موقع البحث قصير جداً.

ومن المشكلات التي تواجه البحوث الأثنوجرافية في الوقت الحالي، ليست عيباً في هذا المنهج، ولكن في الطريقة التي يستخدم بها. فبزيادة عدد الباحثين الذين تحولوا إلى البحوث الإثنوجرافية، ومنهج من لم يتدرب على إجرائها، زاد عدد البحوث الضعيفة التي يعتبرها أصحابها خطأ بحوثاً إثنوجرافية.

إلا أن البحوث الإثنوجرافية إذا أحسن إجراؤها يمكن أن تكون بحوثاً قوية توفر للباحث فهماً للثقافات غير متاح في الأنواع الأخرى من البحوث. والفروض التي تصاغ في البحوث الإثنوجرافية كثيراً ما تكون أكثر صدقاً من الفروض القائمة على النظرية وحدها. ومن غير الواقعي الاعتقاد بأن المنهج الذي يستخدم بنجاح في مجال ما (الإنثروبولوجي في هذه الحالة) يمكن استخدامه بنفس النجاح في التربية.

لاشك ومن خلال عرض ما سبق، نستطيع أن نصل إلى خلاصة عامة مفادها بأن البحوث الكيفية، هي تلك البحوث التي يعتمد فيها الباحث على المعلومات والملاحظات والمشاهدات والمواد المدونة، والبحوث الكمية هي التي تعتمد على الأرقام والتحليل الإحصائي في جميع البيانات وتحليلها. ولقد تم إبراز المنهج التاريخي والمنهج الاثنوجرافي بوصفهما مناهج بحثية تعتمد على العبارات في التحليل وليس الأرقام. ولابد من الإشارة إلى قضية مهمة جداً هنا، وهي تلك التي سبقت الإشارة إليها، والتي تتعلق بالتداخل ومستوى هذا التداخل ما بين ما يسمى بالمنهج البحثي والأدوات البحثية. فقد سبق الإشارة إلى أنه لا يوجد تقسيم واضح ومحدد للبحوث بشكل عام التي تتناول مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية. فهناك تداخل بين التصنيفات المتعددة. وهناك تداخل أيضاً بين ما يسمى بالمنهج والأداة في بعض الأدبيات، والذي يصب في النهاية على أن يكون البحث إما كيفياً أو كمياً، أو قد يجمع بين

الاثنين معاً. فقد يكون هناك تصنيف للبحوث حسب نوع الأداة المستخدمة. ويدخل هذا التقسيم إما ضمن البحوث الكمية أو البحوث الكيفية. فدراسة موضوع بحثي معين مثلاً يعتمد على تحليل المضمون Content analysis قد يعتبر وسيلة من وسائل جمع البيانات، أو كأداة في تحليل محتوى مادة معينة تندرج تحت ما يسمى بالمنهج الوصفي، أو أيضاً ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنهج التاريخي. وممكن إدراجها من هذا المنطلق في ما يسمى بالبحث الكيفي عندما لا يكون هناك تحليلات تعتمد على الأرقام. فينطلق هذا النوع من البحوث بالدراسة الكيفية والتحقيق اللفظي من المحتوى المأخوذ من السجلات والقوانين والصحف والدوريات والمجلات والكتب وغيرها من هذه الوسائل.

البحث المقارن والمنهج الأثنوجرافي:

لقد دار الحديث في الفصل الثاني حول البحوث السببية المقارنة، وقد كان ذلك الجزء ينصب في الأساس حول البحوث الكمية. فانطلق ذلك الجزء في التركيز على هذا النمط من البحوث ليتناسب مع أنماط البحوث الكمية، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن البحث المقارن لا يرتبط فقط بالدراسات التي تعتمد على الطرق الكمية فحسب، إنما يمتد ليأخذ جانباً مهماً وحيزاً كبيراً في الدراسات الكيفية أيضاً. فاستخدم الباحثون هذا المنهج بشقيه: الكيفي والكمي في دراساتهم وأبحاثهم.

ولا شك أن الدراسات المقارنة لا ترتبط فقط في جانب واحد من الدراسة، بل تتعداه لتشمل العديد من المجالات المعرفية. فتستخدم العديد من العلوم المختلفة المنهج المقارن بطريقة تتوافق مع طبيعتها. فالمنهج المقارن يصنف في العديد من الأدبيات الخاصة بمناهج البحث على أنه منهج قائم بحد ذاته، وذلك لاستخدام واعتماد العديد من العلوم عليه في الدراسات المتعددة.

فاللغويات على سبيل المثال تستخدم هذا المنهج بهدف تتبع العلاقة

التاريخية التي تجمع اللغات، وتحاول الإجابة عن الفرضيات الخاصة بإعادة بناء اللغات إلى أصول مشتركة، والتسلسل التاريخي لانسلاخ اللغات عن اللغة الأم والأساسية. فهي تستخدم المنهج المقارن بهدف الوصول إلى أصل اللغات. فيقارن المختصون في هذا المجال اللغات المتعددة بحثا عن الأصول المشتركة وتاريخ الانفصال (Pedersen, 1962). وتعتمد العلوم السياسية كمثال آخر على هذا المنهج بشكل كبير في البحوث المتعددة المرتبطة بالسلطة، والحكومات، والأحزاب، والمنظمات، والعلاقات السياسية. حتى إن المنهج المقارن يعرف من قبل علماء السياسة على أنه مجموعة من التقنيات التي تستخدم في المقارنة البحثية السياسية (Hague et al., 1998). وحتى في مجال علوم الأحياء والعلوم المرتبطة والقريبة منها، تستخدم المنهج المقارن بكثافة وبأهمية خاصة. فالمنهج المقارن يستخدم كمنهج رئيس وأساسي في الدراسات التطورية، وذلك لمقارنة الكائنات الحية باختلاف أشكالها وأنواعها. وحتى الدراسات الخاصة بدراسة الإنسان ومجالي التنوع البشري والتطور البشري فإنها تعتمد بشكل مباشر ورئيس على الدراسات المقارنة. ولعل ما انطلق به داروين على سبيل المثال في نظريته الخاصة عن أصل الأنواع، فإنه اعتمد على المنهج المقارن، ومن ثم بدأت العلوم المتعددة التي ارتبطت بهذا الإطار تتبع هذا المنهج كمنهج رئيس في الدراسات التطورية والدراسات الخاصة بالتنوعات في الكائنات الحية (Harvey and Pagel, 1991). هذا بالإضافة إلى استخدام هذا المنهج في العلوم التي تتطلب الإجراءات المختبرية والتجريبية بجميع أشكالها (Westgard, 2000).

وفي هذا الجانب، فقد ارتبطت الدراسات الأثنوجرافية بالدراسات المقارنة، فقد سعى العديد من الباحثين من خلال استخدام هذا المنهج إلى استخدام الطريقة المقارنة، وذلك للإشارة للتحليل العلمي للمجتمع وأجزائه ونظمه الاجتماعية المتعددة. فانطلقت الدراسات الأثنوجرافية لمقارنة

المجتمعات الإنسانية المتعددة من جهة، وفي المقابل قامت بالعديد من الدراسات المقارنة داخل المجتمع الواحد من جهة أخرى. فقدمت الدراسات المقارنة نماذج متعددة لتفسير السلوك الإنساني والتنوع البنائي في النظم الاجتماعية المختلفة في المجتمع الواحد، وفي المجتمعات الإنسانية المختلفة.

وعند تعريف الأثنوجرافيا، والذي تمت الإشارة إليه سابقاً بأنه الوصف المنظم للثقافة الإنسانية، فإنها أيضاً تعني وتهتم بدراسة البيئة الجغرافية، والأنماط الاقتصادية، والتنظيم الاجتماعي، والنظام السياسي، والمعتقدات الدينية، والأفكار والأيدولوجيات المجتمعية. فالعديد من الأثنوجرافيين يركزون على هذه الفروع بشكل خاص (Scupin, 1992). فيقوم الباحثون في هذا المجال باستخدام المنهج المقارن في هذه المجالات المتعددة والتركيز على الدراسات الخاصة بالثقافات المتعددة داخل المجتمع الواحد، بالإضافة إلى مقارنة المجتمع بغيره من المجتمعات حتى سميت الأثنوجرافيا بالأثنوجرافيا المقارنة في العديد من الأدبيات.

ولعل السمة الرئيسة لهذا المنهج هو إعطاء صورة واضحة متكاملة عن الثقافات المختلفة (Bates and Plog, 1990). لقد قام مردوك Murdock بدراستين رائدين في سبيل المقارنة بين المجتمعات الإنسانية. فقد قام بدراسته الأولى بمقارنة 862 مجتمعاً إنسانياً في كتابه الأطلس الأثنوجرافي (Murdock, 1981b)، إضافة إلى جمع ومقارنة 563 مجتمعاً غطى من خلالها أبرز المناطق الجغرافية في العالم، وذلك في كتابه أطلس الثقافات العالمية (Murdock, 1981a). ويستطيع الباحث من خلال هذه المراجع التي تحوي على بنك ثقافي من المعلومات الثقافية أن يقوم بمقارنة إحصائية للكشف عن العلاقات بين العناصر الثقافية المتشابهة. فيحدد من خلالها مواطن التشابه في بعض العناصر والخصائص الثقافية لهذه المجتمعات المتعددة والمتباعدة من خلال منهج مقارن مميز (Hammond, 1972). فهذه المراجع قد اشتملت على

جهد علمي منظم يستطيع من خلاله الباحث تفحص الثقافات الإنسانية واكتشاف مواطن التشابه والخلاف. فاعتمد على المنهج المقارن كوسيلة رئيسة في تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين الثقافات الإنسانية المتعدد. وهي التي سميت بالدراسات عبر ثقافية Cross-cultural research.

المنهج الأثنوجرافي المقارن والنظام الاجتماعي:

يستخدم المنهج الأثنوجرافي المقارن في دراسة النظام الاجتماعي العام للمجتمعات الإنسانية، فيقارن الباحث أوجه النظام الاجتماعي المتعددة، وذلك بهدف الوصول إلى صورة واضحة ومتكاملة عن الثقافة العالمية وطبيعة تمايزها أو تشابهها. فيبرز الأثنوجرافيين تحليل واضح وجلي للنظام الاجتماعي العام داخل المجتمع، وذلك للوقوف على تحديد الأثر والنتيجة للعناصر الثقافية في كل مجتمع على حدة. فيبحث الأثنوجرافي عن سبب تأثير العنصر الثقافي في مجتمع من المجتمعات وعدم تأثيره أو اختلاف درجة تأثيره في مجتمع آخر على سبيل المثال، وما هي الممارسات المختلفة بين الثقافات الإنسانية التي تفرض على المجتمع مجموعة من التأثيرات الخاصة.

ويمكن إبراز أهم عناصر النظام الاجتماعي الذي تقوم عليه الدراسات الأثنوجرافية المقارنة في الآتي (Scupin, 1992):

١ – الديموجرافيا:

وهي دراسة السكان وعلاقتها بالمجتمع. فيبحث الأثنوجرافي التشابه والاختلاف في العناصر الديموجرافية المتعددة والمتمثلة في:

أ– الخصوبة: فيبحث في معدلات الخصوبة والتأثيرات الخاصة التي تجعل من معدلات الخصوبة تكون مرتفعة مثلاً في أحد المجتمعات، ومنخفضة في مجتمع آخر.

ب– الوفيات: وتبحث في معدلات الوفيات في المجتمع، وأبرز الأسباب المؤدية

إلى الوفاة، والجوانب الثقافية المرتبطة بالوفاة.

ج- الهجرة: ويبحث في أسباب الهجرة ومحدداتها والمشكلات والظواهر التي تنتج جراء التمايز الثقافي داخل المجتمع الواحد والناجمة من الهجرة.

فيحاول الباحث الأثنوجرافي أن يفسر كيف يعزو ذلك كله إلى الثقافة الإنسانية داخل النظام الاجتماعي، والاختلاف والتشابه بين المجتمع المدروس والآخر، أو الثقافات داخل المجتمع الواحد.

2- التكنولوجيا:

يبحث الأثنوجرافي في الوسائل التكنولوجية المستخدمة في المجتمعات الإنسانية، وما علاقة التكنولوجيا بالإيديولوجيا والبناء الاجتماعي ،وكيفية الاستفادة من الوسائل التكنولوجية في بناء المجتمع، وما علاقة الأدوات التكنولوجية بالبيئة الطبيعية السائدة داخل المجتمع المدروس. تعتبر المستلزمات الحياتية، والسلع الإنتاجية مقتنيات مادية ترتبط بالبيئة المحيطة. فالأثنوجرافي يبحث في الشبه والاختلاف في هذه المستلزمات المتعددة بين الثقافات الإنسانية المختلفة.

3- النظام الاقتصادي:

يبحث الأثنوجرافيون في العلاقة السائدة بين النظام الاقتصادي والتكنولوجيا المستخدمة ووسائل الإنتاج المتعددة. ولعل الأدوات التكنولوجية المستخدمة وارتباطها بالوضع الاقتصادي تخلق نوعاً من تقسيم العمل. فما هذا التقسيم؟ وكيف يؤثر على جوانب أخرى في النظام الاجتماعي؟ فكيف يؤثر مثلاً على النظام القيمي السائد؟ وما تأثير الوضع الاقتصادي بشكل عام على السلوك الإنساني واختلافه من ثقافة إلى أخرى أو من مجتمع إلى آخر؟.

4- البناء الاجتماعي:

بدون وجود بناء اجتماعي واضح داخل المجتمع، فإن الأفراد يواجهون حياة فوضوية بكل تأكيد. فالأفراد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية يتعلمون القيم والمعايير والأنماط المفضلة من السلوك من خلال مجتمعهم. إن ذلك يعتبر قضية سائدة في المجتمعات الإنسانية ومتشابهة، ولكن ما هو مختلف هو تلك القيم نفسها والأنماط السلوكية، والمعايير التي تختلف من مجتمع لآخر. فالأثنوجرافي ينظر إلى العلاقة التفاعلية بين هذه القيم والأنماط السلوكية مع بعضها البعض داخل النظام الاجتماعي.

إن البناء الاجتماعي في أي مجتمع له أجزاء تتمثل أهمها في الآتي:

أ- الأسرة: وهي المختلفة من ثقافة إلى أخرى من حيث إنها ممتدة أو نووية، أو أنها تختلف في أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية الثقافية، أو أنها تختلف في ممارساتها وطبيعة علاقتها الاجتماعية وتوزيع الأدوار داخلها.

ب- الزواج: على الرغم من أن الزواج هو نظام عالمي، إلا إن هناك فروقاً في أنماط الزواج بين المجتمعات المتعددة من حيث درجة التفضيل للزواج من الأقارب، أو من الأباعد، أو ما يسمى بالزواج الداخلي أو الزواج الخارجي، وكذلك من حيث الزواج الأحادي أو المتعدد باختلاف أنواعه من حيث تعدد الأزواج أو تعدد الزوجات، وما هو نظام المحارم وغيرها من الأنماط المختلفة في المجتمعات والثقافات الإنسانية.

ت- القرابة: من المعروف أن القرابة أيضاً سمة عالمية، ولكنها تختلف باختلاف درجتها وقوتها وأهميتها في حياة المجتمع. فهل هي ذات تأثير على النظام الاجتماعي العام، وما هي طبيعة الوظائف الخاصة التي تؤديها للمجتمع، وماذا يشكل القريب بالنسبة لسائر أفراد العائلة، وكيف تؤثر القرابة على نمط الزواج. فهي مسائل مختلفة في المجتمعات الإنسانية.

فتتم دراسة البناء الاجتماعي باختلاف أشكاله وأنماطه من خلال الاعتماد على المنهج المقارن.

5- النوع:

تعتبر العلاقة بين الجنسين أيضا عنصراً مهماً في النظام الاجتماعي العام، والذي يحاول الأثنوجرافي البحث في درجات التشابه والاختلاف فيه عند دراسته للمجتمعات الإنسانية. فيبحث الأثنوجرافيون في القضايا الآتية والخاصة بالنوع:

أ- تأثير التنشئة الاجتماعية والثقافية على سلوك الجنسين، والتركيز ينصب على القيم والأفكار والنظرة للعالم، لكل منهما نتيجة ما تركته تأثيرات التنشئة فيهم.

ب- تقسيم العمل بين الجنسين وفقاً لطبيعتهم الجسمانية والبيئة الطبيعية المحيطة.

ت- الوضع الاجتماعي للجنسين من حيث دور كل منهما في الوضع الاجتماعي السائد.

فالاختلافات بين الجنسين تعكس أنماطا ثقافية مختلفة ومتفاوتة بين المجتمعات الإنسانية، وتركز عليهما الدراسات الأثنوجرافية المقارنة.

6- العمر:

وهو لا يختلف عن النوع وتصنيفاته حيث يعتبر عنصراً مهماً في النظام الاجتماعي، والذي يبحث الأثنوجرافيين ويقارن من خلاله المجتمعات الإنسانية والثقافات المختلفة في درجة تأثير التنشئة الاجتماعية الثقافية، وتقسيم العمل وارتباطه بالعمر، بالإضافة على الوضع الاجتماعي السائد.

7- التنظيم السياسي:

يلعب التنظيم السياسي دورا مهماً في الدراسات الأثنوجرافية. حيث يركز الأثنوجرافيون على دراسة التنظيمات السياسية المتعددة في المجتمعات الإنسانية وانعكاساتها الثقافية المختلفة. فالوضع الاجتماعي العام ارتبط بسلوك وتنظيم سياسي محدد تلائم مع طبيعة المجتمع وثقافته. فظهرت التنظيمات السياسية المتعددة ابتدأت من رئيس الجماعة، وشيخ القبيلة، والزعيم، ورئيس الدولة. فيتم البحث في طبيعة هذه الأنظمة واختلافاتها وارتباطها بالنظام الاجتماعي العام. إضافة إلى البحث في القانون وتأثيره، ووسائل الضبط الاجتماعي الموجودة داخل المجتمع.

8- الدين:

هناك طقوس ومعتقدات وأديان مختلفة. وهناك أيضاً من الممارسات التي ترتبط بالسحر والشعوذة واتخاذ بعض الرموز الدنيوية كوسائل للتعبد والاعتقاد. فالخرافات والأساطير والطقوس والمعتقدات والحركات الدينية العقائدية ترتبط مع النظم الاجتماعية السائدة وتتأثر وتؤثر فيها. وهي بطبيعة الحال تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى.

إن هذه بشكل عام أبرز العناصر الخاصة بالسلوكيات المتعددة في النظام الاجتماعي، والذي يحاول المنهج المقارن أن يعطيها نوعاً من الأهمية في الدراسة والتحليل. فالاختلافات بين المجتمعات الإنسانية بشكل عام تدفع الأثنوجرافي بالقيام بهذا النوع من الدراسات باستخدام المنهج المقارن، وذلك بهدف وصف وتحليل السلوك الإنساني، والذي يتميز بالاختلاف في جوانب متعددة والاتفاق والتشابه من حيث وجود جميع عناصر النظام الاجتماعي.

مشكلات الدراسات الأثنوجرافية المقارنة:

لا شك أن كل منهج له عيوبه ومشكلاته الخاصة. وتتمثل أبرز المشكلات

التي تواجه مستخدمي البحث المقارن في الأمور الآتية:

١- عدم الأخذ بالأحداث التاريخية بشكل عام. فعند وصف أي قضية محددة ومقارنتها مع مجتمع أو ثقافة أخرى، فإن البعد التاريخي يكون غير متوافر، حيث يتم الاعتماد على الوصف الحالي للظواهر والمشكلات.

2- من الممكن أن يقع البعض بأخطاء تتعلق في تدوين الحقائق داخل المجتمع. فقد يشوب هذه التقارير والبحوث بعض من التشويه والتحريف، وذلك من خلال الحصول على معلومات ينقصها الثقة (Scupin, 1992).

3 - غالبية الدراسات الأثنوجرافية في المجتمعات الإنسانية قد درست بواسطة باحث واحد، وهو الأنثروبولوجي. ولذلك فهي تخضع لتحليله الشخصي للأحداث. وعند المقارنة، فإن الآراء الفردية هي التي تأخذ طريقا للتحليل والاستنتاج (Hammond, 1972).

فهي بطبيعة الحال مشكلات تواجه العمل الحقلي والميداني بشكل عام، فالاعتماد على منهج المقارنة يجب أن يمر بإجراءات علمية دقيقة وواضحة ومحددة، ويجب أن تتوافر في الدراسة الخطوات المنهجية الدقيقة حتى يصبح عملاً متكاملاً.

الفصل الرابع

مشكلة البحث

الفصل الرابع

مشكلة البحث

لا بد من التحديد في البداية أن مشكلة البحث لا تعني بالضرورة مشكلًا نفسية أو اجتماعية تحتاج إلى حل، أو أنها موضوع غامض يتحدى تفكير الباحث، أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير فحسب، إنما مشكلة البحث هي القضية أو الإشكالية التي يدرسها الباحث. ولذلك فالمقصود بمشكلة البحث هي الإشكالية أو القضية التي يدرسها الباحث، ويركز جهوده العلمية عليها. لا شك بأن مشكلة البحث تعتبر من أصعب الخطوات التي تواجه الباحث عند تفكيره بالقيام بدراسة محددة. ولذلك ، فإن التخطيط الجيد الذي من خلاله يستطيع الباحث تحديد معالم بحثه تعد مسألة في غاية الأهمية . فمن خلال هذا التخطيط السليم يستطيع الباحث تحديد ما يتصل بموضوع دراسته حتى يستطيع أن يقدم حلولاً مناسبة لها . فاختيار مشكلة البحث تؤثر على كافة الإجراءات البحثية الأخرى. فمن خلال تحديده لمشكلة البحث ، يستطيع الباحث أن يدرك ما هو المنهج العلمي الذي سوف يستخدمه ، وما الأداة المناسبة لجمع البيانات ، وما الإجراءات الإحصائية الملائمة لهذا الموضوع، وأي الدراسات والكتابات السابقة التي يحاول التركيز عليها. ولذلك ، فإن تحديد مشكلة البحث تعد القاعدة والأساس واللبنة الأولى للبحث، والذي من خلاله يستطيع أن يشكل ويرسم هيكله ويستكمل أجزاءه بشكل مناسب.

من أبرز العناصر الخاصة بالمشكلة البحثية التي نحاول إبرازها هنا هي كما حددها ذوقان عبيدات وزملاؤه (1998)، والتي تمثلت بالآتي:-

1- مفهوم المشكلة.

2- مصادر الحصول على المشكلة.

3- اختيار المشكلة.

4- تحديد المشكلة.

5- معايير تقويم المشكلة.

6- أهمية الدراسات والأبحاث السابقة.

وهذه هي عناصر مشكلة البحث. وفيما يلي شرح تفصيلي لهذه العناصر كما جاءت، مع تعزيزها بمجموعة من الأمثلة والاستنتاجات .

أولا- مفهوم مشكلة البحث :

تتعدد صور مشكلة البحث أو الإشكالية البحثية، فهي قد تكون :-

- موقفاً غامضاً يحاول الإنسان اكتشافه .
- نقصاً في المعلومات والخبرة، فيحاول الإنسان أو الباحث أن يسد هذا النقص.
- سؤال محير يبحث عن إجابة.
- إجابة عن تساؤل عام.
- حل للغموض.

وهي بشكل عام لا تتعدى كونها أن الباحث يكون مجموعة من المشكلات البحثية مع وجود رغبة لديه في الوصول إلى الحقيقة.

فالباحثون يواجهون مجموعة من القضايا التي تحتاج إلى دراسات تستوجب جمع المعلومات عنها، وتحليلها وتفسيرها، وإيجاد الحلول لها، أو على الأقل استطلاع اتجاهاتها ومؤشراتها التي قد تؤثر على حياة المجتمع أو على فرد منه، أو على مجموعة أفراد. وعند إقدام الباحث على تحديد موضوع بحثه قد يكون محتاراً في بداية الأمر، وذلك نتيجة تفكيره الجاد في البحث العلمي، وقد يصاحب ذلك قلق شديد يجعل الباحث بين الإقدام والإحجام عن الموضوع. ولهذا ينبغي أن نعرف أن هذا الشعور يعتبر درجة متقدمة من التفكير العلمي المركز الاعتيادي إلى أن يصل بتفكيره المنظم إلى الانتباه

والتركيز الذي يقوده في النهاية إلى الاختيار واتخاذ القرار السليم لموضوع البحث المناسب (عقيل حسين عقيل، 1999 : 29).

فمشكلة البحث هي محاولة لتحليل وتفسير المعلومات وإقدام الباحث إلى أطلاق عنان تفكيره لإيجاد حلول لغموض أو تساؤلات تدور حوله في بيئته التي يعيش فيها. ولابد أيضاً من الإشارة هنا إلى أبرز العوامل التي تؤثر في اختيار المشكلة التي تتمثل في الآتي (عبدالله عامر الهمالي، 1993 : 54):

1 – الإطار المرجعي الذي ينتمي إليه الباحث، وما هو تخصصه ومجال اهتمامه.
2 – قيم الباحث: فالقيم لا تؤثر في اختيار المشكلة فحسب، وإنما تؤثر أيضاً في الأسلوب المتبع والملائم في دراستها.
3 – المنهج المستخدم من قبل الباحث الذي يحقق من فرضياته البحثية والطريقة المنهجية المستخدمة. على سبيل المثال، يطلب بعض الباحثين معامل الارتباط بدرجة دلالة إحصائية معينة، بينما يكتفي آخرون بوضعية السلوك المشاهد، وتسجل هذه المشاهدات من ميدان البحث.
4 – وحدة الدراسة، أهي الفرد أو الجماعة أو المجتمع.
5 – كيفية التعامل مع الوقت الخاص بالدراسة، أي: هل هي دراسة خاصة بالسكان عند نقطة معينة من الوقت أم هي دراسة طولية تجري على فترات زمنية متعددة.

فهناك مجموعة من المشكلات البحثية المتعددة، والتي يسعى الباحثون لاستيضاح الغموض التي يصيبها، أو إيجاد حل مناسب لها. فيتم التعامل مع هذه المشكلات البحثية باختلاف طبيعتها.

ثانيا – مصادر الحصول على المشكلة :–

المشكلات البحثية تحدث نتيجة عدد من العوامل التي تتعلق بالإنسان

وببيئته التي يعيش فيها. ويمكن تحديد المصادر التالية للمشكلات:

ا - الخبرة العملية والشخصية:-

إن اتجاهات الباحث وخبراته الشخصية واستعداداته تعتبر من أهم العوامل التي تساعده في اختيار مشكلة البحث. هذا بالإضافة إلى توفر الدرجة الكافية من الخبرة والمعرفة حتى يتمكن من بحث المشكلة المختارة بصورة مقبولة (إخلاص عبدالحفيظ ومصطفى باهي، 2000: 49).

إن حياتنا العملية واليومية وخبراتنا ونشاطاتنا التي نقوم بها مليئة بالمواقف الصعبة والمشكلات التي تتطلب حلولاً، وهناك العديد من المواضيع الغامضة أو الظواهر التي تحتاج إلى تفسير أو قضايا موضع خلاف. فهناك من لا يهتم بها، وهناك من يلتفت إليها، ويأمل أن يدرسها وهو هنا الباحث. فالإنسان يتعرض ويواجه مواقف متعددة، فقد تكون في البيت، وقد تكون في الشارع، وقد تكون في العمل، وهي بلا شك تحتاج أن تبحث ويتم دراستها.

ومن الممكن عرض بعض الأمثلة على المشكلات البحثية التي من الممكن أن نواجهها في حياتنا اليومية مثل البيت، أو الشارع، أو العمل فالآتي:-

(ا) البيت: قد يلاحظ الباحث يوماً ما أن عداد المياه الرقمي متعطل مثلاً في البيت. فيقوم الباحث بطرح تصور بأن هناك مشكلة صرف المياه واستحقاق الرسوم من المواطنين إذا كانت هذه سمة العديد من المنازل. فهنا برزت مشكلة حياتيه تولدت من البيت، وتحتاج إلى بحث ودراسة. فيحتاج الباحث إلى معرفة مقدار الرسوم التي تحصلها الحكومة مثلاً من واقع الصرف الفعلي، وهل هناك قياس مباشر لما يتم صرفه أم لا. فهنا تولدت لدى الباحث مشكلة بحثية تبحث عن حل.

(2) الشارع: حوادث الطريق تتزايد بشكل كبير على الخطوط السريعة. وهنا

يستطيع الباحث أن يطرح تساؤلاً لماذا؟ ما الأسباب ؟ ومن الفئات التي تتسبب في هذه الحوادث ولماذا هذه الفئة بالتحديد؟ وما العوامل التي تؤدي إلى ازدياد الحوادث عند هذه الفئة؟ فهي مشكلة بحثية تولدت من ملاحظات الفرد بالشارع. أي: إنه موضوع غامض، أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير.

(3) العمل: قد يرى الإنسان مثلاً أن هناك طابوراً أو صفاً وجمهوراً كبيراً حول موظف عند شركة أو مؤسسة أو في وزارة ما. فهنا تبرز مشكلة تحتاج إلى حل. فهل هي بيروقراطية؟ أم هي وضع إداري مترد؟ أم هي ضياع وإهدار لوقت؟ انتاجية الشركة أو المؤسسة؟ وغيرها من التساؤلات التي من الممكن أن تظهر. فهنا يقوم الباحث بدراسة هذه المشكلة والبحث عن حلول لها، وهكذا.

إن الأساس هنا عنصر طرح التساؤلات والافتراضات، إضافة إلى الحماس والإصرار لدراسة أي مشكلة وتوفر الواقعية والرغبة للتعرف عليها. فالمشكلات والظواهر كثيرة في حياتنا العملية والمطلوب هو توافر عنصر الحماسة والدافعية والرغبة للتعرف على المشكلة والأسباب التي أدت إلى هذه المشكلة.

2 – القراءات العامة والاطلاعات الخارجية :

إن قراءة الإنسان اليومية لقضايا معينة ومواقف متعددة من خلال الوسائل المختلفة من كتب، ومجلات، وصحف يتم تقديمها كمسلمات وأساسيات صحيحة دون أن يقدم الكاتب أي دليل على ما تم ذكره. فعلى سبيل المثال نقرأ كثيراً عن تأثير الإنترنت السلبي على الشباب وعلى العلاقات الاجتماعية. فهل هذا صحيح، وهل هذا تم التحقق منه؟ فهي مقدمة على أساس أنها مسلمة دون تقديم الكاتب أو صاحب المقابلة أو المقالة الصحفية على أي دليل. ومن هنا تتولد الفكرة ويكون هذا المرجع أو المقالة أو الرسالة أو المقابلة مصدراً من مصادر الحصول على المشكلة ويبدأ الباحث

بترجمتها والبحث فيها.

وقد نقرأ أيضاً في حقيقة نشك في صحتها. أو تساؤلاً عن صحة رواية ما ، أو رأياً غامضاً وهكذا . فيحاول الباحث إثبات صحتها أو خطأها. فالقراءات الناقدة هي التي تكشف عن المواقف.

ويعرض محمد الغريب عبد الكريم (1994) مجموعة من النقاط ذات الارتباط باطلاع الباحث وقراءاته العامة وخبرته العملية. فمن الممكن على سبيل المثال أن يستقصي الباحث مشكلة بحثه من حضور المناقشات الفعلية والملاحظات التي يتم استنباطها من المناقشات ووجهات النظر المطروحة. إضافة إلى أن الندوات والملتقيات الفكرية التي يحضرها الباحث قد تكون وتشكل فكرة بحثية جديرة بالدراسة. ويمكن أن يستقي الباحث مشكلته أيضاً من قضايا الساعة التي تحدث في المجتمع، ويهتم بها الرأي العام، أو بعض الظواهر التي تحدث في المجتمع وتثير رأي المواطنين، وتؤثر على اتجاهاتهم أو أفكارهم أو عقائدهم . وقد يكون من أمثلة ذلك في المجتمع المحلي تلك القضايا التي ترتبط وتتعلق بالمرأة وحقوقها السياسية. فهي من القضايا التي تثير رأي المواطنين، وتؤثر على اتجاهاتهم، ولها ارتباط مباشر على عقائدهم وأفكارهم، وتنشر بكل دائم على صفحات المجلات والصحف اليومية والأسبوعية. فهي قضية مجتمعية يهتم بها المجتمع وأفراده وتعد من قضايا الساعة. وهناك كثير من القضايا المتعددة المحلية التي من الممكن أن تكون مجالاً من مجالات الدراسة. إضافة إلى ذلك ، فإن الباحث يمكن أن يستقي مشكلة بحثه من فكرة مفاجئة أتت إليه بشكل درامي خلال حلم أو فكرة طارئة مثلاً، أو من خلال مجال ثقافي محدد أو نتيجة حادثة أو نتيجة استبناط من نظرية أو قانون سابق . وقد يختلف الباحث مع كاتب مقال وهذا يؤدي إلى قيام الباحث بدراسة المشكلة التي جاءت بالمقال، ويقوم بدحضها ، وهكذا.

ويمكن أن تكون حلقات البحث المسماة بالسيمنار من المصادر المهمة التي

تزود الباحث بأفكار كثيرة عن المشكلات البحثية. فتسهم في تزويد الباحثين بمهارة البحث المتعددة من اختيار المشكلة إلى تفسير النتائج. وتعتبر البرامج الدراسية المتقدمة التي توفرها الجامعات لطلاب الدراسات العليا أحد المصادر المهمة أيضاً، وخاصة لطلبة الدراسات العليا. فهي تهدف إلى تزويد الباحثين بالمعلومات اللازمة في مجال تخصصهم مما يسهم في نموهم العلمي وإكسابهم مهارات البحث. فهي دراسات تؤدي إلى توليد أفكار جديدة للباحث نفسه أو للباحثين الآخرين، والتي تستحق الدراسة والبحث. إضافة إلى ذلك، فإن المؤتمرات والندوات العلمية تعتبر من أبرز المصادر المهمة للحصول على أفكار متعددة . فالمؤتمرات يشترك فيها العديد من الأساتذة والمختصين من الداخل والخارج ، فالتبادل المعلوماتي والثقافي والفكري بين المختصين تنمي قدرات الباحثين لأخذ مواضيع بحثية قابلة للدراسة (إخلاص عبدالحفيظ ومصطفى باهي، 2000).

3 - الدراسات والأبحاث السابقة:

تعد الدراسات والأبحاث السابقة مصدراً مهماً لأبحاث أخرى، فيطلع الباحث على المجلات العلمية والأبحاث والدراسات السابقة، ويبحث في نتائجها من أجل التوصل إلى مشكلة ما تثير الاهتمام (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998). فمثلاً إذا كان هناك بحث ما يتحدث عن أسباب الطلاق في مجتمع محدد ، وذكر الباحث في أحد جوانب بحثه أنه وجد علاقة بين المستوى التعليمي وحالات الطلاق. فالنتيجة هنا تعد واحدة من نتائج أخرى حاولت الدراسة أن تجد العلاقة بينها. فالتعليم هو أحد المتغيرات البحثية. فيحاول الباحث من خلال هذه الدراسة اختيار موضوع التعليم كفكرة جديدة أساسية لموضوع بحثه الجديد، والذي يكشف العلاقة بشكل مفصل بين الطلاق والجانب التعليمي عند الفتاة، والذي توقف عنده الباحث، فيأتي الباحث وينظر في مشكلة التعليم بشكل محدد، ويدرس كيف يلعب دوره في هذه المشكلة.

فقد يكون البحث السابق يدور حول أسباب أو عوامل الطلاق، بينما البحث الجديد يدور حول جانب واحد فقط وهو التعليم.

فالاطلاع الخاص للباحث وقراءاته المتعددة هي التي تجعل الباحث قادراً على أن يختار المشكلة أو الظاهرة من هذه المصادر المتقدمة. فحياة الباحث مليئة بهذه المصادر التي من الممكن أن يستقي منها المعلومات. فيحاول الباحث وضمن إطار النقد أن يحدد موضوع بحثه الذي يريده.

ويشير تحصيل حسين عقيل (1999) إلى أن مرحلة استطلاع الدراسات السابقة مهمة لسببين:–

1 – قبل أن يحدد الباحث موضوع بحثه أي في أثناء حيرته العلمية وعند قراءته واطلاعه على الدراسات السابقة بشكل نقدي، فإن من خلال شكله العلمي الذي يحفزه على البحث عن الحقائق يستطيع الباحث أن يحدد موضوع بحثه بوضوح جلي.

2 – بعد تحديد موضوع البحث، فإنه ينتبه إلى نقاط الضعف التي وقع بها الآخرون. فقد يرى أن النتائج أو المنهج المستخدم في الدراسة السابقة وقع فيها الباحث بخطأ.

فاطلاع الباحث على الكتب العلمية يزوده بالعديد من الخبرات المتنوعة الغنية، ويعمل على تهيئته من الناحية الذهنية، كما يساعده أيضاً في وضع إطار نظري وافٍ لمشكلة بحثه بما يمكنه من فهمها بصورة وافية ودقيقة. فاستعراض الدراسات السابقة تساعد الباحث على تحديد مشكلة بحثه والاستفادة من نتائج تلك الدراسات، والتعرف على الطرق والأساليب المستخدمة، إضافة إلى العينات الخاصة بالدراسة، وهذا يؤدي إلى ضبط جميع العوامل التي من الممكن أن تؤثر في النتائج، كما يساعد استعراض الدراسات أيضاً في التخطيط لمشكلة البحث، بحيث يغطي الباحث جميع الجوانب التي توجد بها فجوات، والتي استلزمت القيام بالبحث (إخلاص

محمد عبد الحفيظ ومصطفى حسين باهي، 2000: 52-53).

ومن جانب آخر، يشير سمير نعيم أحمد (د.ت) إلى أن هناك مصدرين أساسيين يعتمد عليهما الباحث في اختياره لمشكلة بحثه، وهما: المصدر العلمي، والمصدر العملي (ص.ص 31-32).

1 - المصدر العلمي:

وهو الذي يعتمد على اطلاع الباحث على المعرفة المتوافرة في مجال تخصصه (علم الاجتماع الحضري، الريفي، السياسي، الصناعي، الأسري، القانوني. (إذا كان في مجال الاجتماع)، ومعرفته الجيدة بتفاصيلها يكتشف أن هذه المعرفة تعاني من قصور في جانب معين، أو وجود تناقض بين أجزائها، أو في نتائج البحوث السابقة، وهنا تثار في ذهن الباحث مجموعة من التساؤلات لا يجد إجابة عنها في تراث علم الاجتماع بوصفه مثالاً، ومن ثم تصبح هذه التساؤلات مجالاً للدراسة والبحث.

2 - المصدر العملي:

فيتمثل في الواقع الاجتماعي، حيث تظهر في المجتمع بعض الظواهر الاجتماعية الجديدة التي تمثل تهديداً للمجتمع، مثل إدمان المخدرات، التطرف والعنف، البطالة ..إلخ) وقد يتزايد انتشار هذه الظاهرة خلال فترة معينة للدرجة التي تشكل معها خطراً على المجتمع، وتشكل معوقاً للتقدم والتنمية، ومن ثم تثير انتباه المسؤولين والمتخصصين لمحاولة تقديم إرشادات وتوصيات لمواجهة هذه المشكلات، فإذا كانت هذه المشكلات قد درست من قبل، فإنه يمكن للعلماء تقديم الحلول لها من واقع البيانات ونتائج الدراسات والبحوث المتاحة. وإذا لم تتوافر دراسات وبحوث عنها، فان الأمر يتطلب القيام بإجراء بحوث حولها للتعرف على أسبابها وانتشارها وأبعادها والآثار المختلفة التي يمكن أن تترتب على انتشارها على الفرد والأسرة والمجتمع

بشكل عام.

فالحياة العملية بها كثير من المشكلات التي تحاول إيجاد الإجابة عنها، والتي تتطلب أيضاً باحثاً يحاول أن يقدم تصوراً بحثياً حولها. وما يجب على الباحث إلا أن يفتح آفاقه وعقله إلى هذه المحيطات البحثية من حوله.

ثالثاً – اختيار المشكلة :

يذكر سعيد ناصف (1997) اعتبارين أساسيين يجب أن يراعيهما الباحث الاجتماعي عند اختياره لمشكلة بحثه تتمثل في:

1 – أن يكون على معرفة جيدة بتراث العلم الذي يقوم بدراسته بشكل عام، وتراث الميدان الذي يرغب التخصص فيه بصفة خاصة.
2 – أن يختار إحدى المشكلات المهمة، والتي تشكل تهديداً مباشراً وغير مباشر للمجتمع.

هناك مجموعة من المعايير التي تساعد الباحث في اختيار مشكلته يتعلق بعضها بالباحث نفسه ، ويتطور الجانب الآخر ببعض العوامل الاجتماعية الخارجية.

أولا– المعايير الذاتية :

هذه المعايير تتعلق بشخصية الباحث وخبرته وإمكاناته وميوله، واتجاهاته. فميول الباحث لدراسة مشكلة معينة مسألة مهمة . وممكن إبراز أهم المعايير الذاتية بالآتي:

1 – اهتمام الباحث :

يهتم الباحث ببعض المشكلات فإذا كان مهتماً بمشكلة معينة فإنه سوف يبذل نشاطاً معيناً ومهماً فيها، والعكس صحيح. فإذا لم يكن الباحث مهتماً بموضوع البحث، فإنه قد لا يبدع في مجال دراسته. وقد يحدث في كثير من

الأحيان أن الباحث قد لا يكون مهتماً في الدراسة التي يقوم بها، ويضطر أن يؤديها، كتلك الأبحاث التي يطلب فيها المسؤولين من موظفيهم بإعداد دراسة نحو وضع معين، أو كطالب الماجستير أو الدكتوراه الذي يختار له مرشده الأكاديمي موضوع بحثه ويجبره. وكلما كان البحث مختاراً من قبل الباحث نفسه ومهتماً به، كلما زاد من عنصر المتعة والإبداع.

2- قدرة الباحث :-

الاهتمام وحده غير كاف ، فلابد من ارتباطها بتوافر عنصر القدرة والمهارة المناسبة للقيام بالبحث. فيدرس الباحث المسألة أو المشكلة التي يكون قادراً على دراستها.

فهناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تدخل ضمن اهتمام الباحث واختصاصه، وقد تكون من البحوث الجيدة والمهمة في الوقت نفسه، ولكنه في النهاية لا يكون قادراً على أن يؤدي هذه الدراسة لأي سبب من الأسباب بشكل مرض. ولعل التصرف الأنسب في هذه المسألة هو عدم إجراء هذه الدراسة والانسحاب منها. فقد تتولد لدى الباحث الميداني الذكر على سبيل المثال أهمية وفضول في دراسة أساليب وممارسات النساء في جلسات الزار المخصصة لهن. ولكن دخوله هذا المجتمع يعد أمراً صعباً، ولذلك فإنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الدراسة على أكمل وجه مستخدماً وسيلة أو أداة جمع البيانات المتمثلة بالملاحظة بالمشاركة أو الملاحظة . ولذلك فإن الأنسب هو الانسحاب من الدراسة وعدم إجرائها؛ لأن المغامرة في إجراء هذا النوع من الدراسات قد يضيع وقت الباحث دون جدوى، ودون أن تثمر عن تحقيق هدف الدراسة، أو قد يخرج بنتائج غير دقيقة. ولذلك فإن اهتمام الباحث لا يعني إجراء الدراسة إذا لم يتوافر عنصر القدرة.

أما إذا كان موضوع البحث من ذلك النوع الذي لا توجد كتابات كثيرة في

مجاله، ولا يمكن جمع بيانات كافية عنه، ولا يمكن توفير مراجع متخصصة له ، فإنه لا يصلح أساساً للبحث (محمد شفيق، 1994 : 23). فعندما لا يستطيع الباحث أن يجمع معلومات من أي مصدر سواء من مراجع أو من أفراد، فإنه من المتعذر عليه أن يقوم بإجراء الدراسة.

3 – توفر الإمكانيات المادية :

هناك بعض البحوث تتطلب أموالاً كبيرة لإجرائها، والذي قد يجعل من مهمة الباحث عسيرة، ولذلك يجب أن يراعي الباحث هذا الجانب. ففي كثير من البلدان، تقدم المؤسسات العلمية والهيئات منحاً مالية للباحث الذي ينتمي إليها. وهناك أيضاً من المؤسسات التي تقدم المعونات المادية، وتحدد أيضاً المشكلات البحثية التي تريد أن يقوم الباحث بدراستها . فهي التي تختار الموضوع وتختار الباحثين لأداء هذه الدراسة وإعدادها وفقاً لاحتياجاتها، وميزانيتها . ففي الحالة الأولى يحاول الباحث إقناع المؤسسة بأن الدراسة لها من الأهمية أن يتم بحثها، وذلك من خلال إعداد خطة واضحة الملامح مع تحديد الميزانية المناسبة لها.

ولا شك بأن مصدر التمويل المقدم من المؤسسة وحجمه يلعب دوراً بارزاً ومهماً ومباشراً في اختيار وتحديد مشكلة الدراسة. فتقدر الميزانية المتاحة بقدر ما يحدد الباحث حجم بحثه وطبيعته. وهناك أبعاد مهمة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وهي تلك المتعلقة بالأبعاد البشرية والزمنية والمكانية للبحث. فهذه الأبعاد ترتبط بشكل مباشر وأساسي بميزانية البحث. فحجم وطريقة الحصول على أفراد عينة البحث وعددها ، والمدة الزمنية المستغرقة في جمع البيانات والمعلومات، ومدة البحث نفسه، إضافة إلى مكان وطريقة الوصول إلى العينة والدراسة تلعب جميعها دوراً بارزاً في حجم ميزانية البحث. ولذلك ، فإن هناك بعض البحوث تتطلب أموالاً كبيرة لإنجازها، وقد يتم عرقلة العديد من الأبحاث والتوقف عنها، وذلك نتيجة القصور في ميزانية البحث. ولذلك

فإن موضوع القدرة على إجراء البحث يرتبط بشكل مباشر بالدعم المادي الذي من الممكن أن يحصل عليه الباحث لإجراء دراسته في كثير من الأحيان.

4- توفر المعلومات :

تعتبر المعلومات وتوافرها مسألة مهمة عند اختيار المشكلة. فقد توجد المعلومات في المراجع والكتب أو المخطوطات أو في ذاكرة بعض الأشخاص أو غيرها من المصادر المتعددة. إن توافر المعلومات عن المشكلة وأبعادها يسهل من معالجة جوانب البحث.

ولكن ليس من الضروري أن تتوافر المراجع عن موضوع المشكلة نفسها أو موضوع البحث بحد ذاته. فقد يكون بحثاً جديداً من حيث الغرض من الموضوع. فقد يكون الموضوع وليد الساعة، ولكن يحاول الباحث أن يستقي المعلومات المناسبة والملائمة، والتي ترتبط بموضوع بحثه، فإذا كان البحث جديداً خاصاً على سبيل المثال باستخدام الإنترنت عند الشباب، فإن الباحث من الممكن أن يلجأ إلى المراجع التي توضح العلاقة بين التكنولوجيا بشكل عام وتأثيرها على الشباب. فهي مراجع تزود الباحث بإطار منهجي ونظري مهم عن العلاقة بين هذين المتغيرين. فالإنترنت يعد موضوعاً حديثاً، وعند بداية ظهوره وانتشاره لم يكن هناك دراسات خاصة عنه، ولكن بالإمكان الانطلاق من إطار نظري ومعلوماتي عن أدوات تكنولوجية مشابهة تفيد وتغني الموضوع الذي تم اختياره.

5- المساعدة الإدارية:

أن الباحث لا يستطيع أن يتخصص في مجال بحث في كثير من الأحيان إلا بعد الحصول على المساعدة الإدارية، وهذه المساعدة تتعلق بالأنظمة والقوانين وتضامن المسؤولين. فعلى الباحث أن يتأكد من أنه يستطيع الحصول على مساعدة المسؤولين الإداريين وتعاونهم معه.

ولا بد من الانتباه بأنه ليس كل المعلومات الموجودة في المجتمع هي معلومات متوافرة وسهلة الحصول عليها. فهناك العديد من المجتمعات تضع مجموعة من العراقيل الإدارية في سبيل الحصول على المعلومات الخاصة بها. وترى العديد من المؤسسات بأن المعلومات تعتبر سرية أو غير متداولة بين العامة. فيجد كثير من الباحثين صعوبة بالغة في الحصول على المعلومة.

ثانيا - معايير اجتماعية وعلمية:

تنعكس فائدة البحث على المجتمع وتقدمه، أو على تقدم العلم وتحقيق إنجازات علمية.

ومن أبرز المعايير الاجتماعية والعلمية للبحث ما يلي:

1 - الفائدة العلمية للبحث:-

يجب أن يسأل الباحث نفسه بداية ؛ هل البحث مفيد؟ ما الفائدة العلمية من إجرائه؟ ما الجهات التي تستفيد منه؟ فإجابه الباحث عن هذه الأسئلة بالإيجاب هي التي تعكس أهميته. ولا بد من الإشارة بأنه ليس كل المشاكل التي يصادفها الباحث تصلح للبحث، فهناك مواقف فردية وحالات خاصة ومشاكل شخصية إذا أجرينا عليها البحث فلن نتمكن من استخدامها كقاعدة للتنبؤ لحالات مماثلة في المستقبل، وهذا يعني أن على الباحث عند اختياره لمشكلته أن يختار موضوعاً يتميز بالأصالة والعمق والأهمية، وتكون له دلالة علمية ويحقق أهدافاً عامة (محمد شفيق، 1994 : 22). فإن فائدة البحث العلمية والفائدة من إجرائه وتحقيقه لخدمة مؤسسات أو جهات معينة يعد من أبرز المعايير العلمية المهمة عند عملية اختيار المشكلة.

2 - مدى إسهام البحث في تقدم المعرفة:

الباحث هنا معني بأن يضيف شيئاً للمعرفة الإنسانية. فالأفضل ألا يكرر

الباحث المواضيع نفسها إذا كان هناك إجماع عليها. فيجب أن يبحث عن موضوعات جديدة وحقائق تدرس لأول مرة : فهنا يسأل الباحث نفسه: هل سأقدم شيئاً جديداً في هذا المجال؟ ولكن هذا لا يعني أن الباحث لا يكرر بحثاً معيناً. فقد يكرر الباحث بحثاً محدداً وذلك بهدف التأكد من النتائج ، أو نفي النتائج التي توصل إليها إذا شكك فيها، أو أدخل عليها متغيرات أخرى لتجربتها.

ولاشك أن جميع مشكلات البحث لا تستوي من حيث الأهمية. فالمشكلة العادية يمكن أن تؤدي فقط إلى إسهام متواضع قليل في مجال الباحث، ولهذا السبب يجب التمحيص في موضوع البحث للتعرف على مقدار أهميته، وبالتالي درجة إسهامه في المعرفة الإنسانية. وهناك تحفظ بالنسبة لذلك، فقد تحدث بالمصادفة اكتشافات ذات أهمية كبرى دون تقدير هذه الأهمية في البداية، ومع ذلك فينبغي على الباحث أن يتبين هدفه في القيام ببحث مشكلة اختارها، أي: أنه يجب على الباحث أن يسأل نفسه عن المعلومات الجديدة التي يأمل في إضافتها إلى المعرفة الإنسانية ، وما القيمة الحقيقية لمثل هذه المعرفة الجديدة (أحمد بدر، 1975 : 82–83). فالمعلومات التي سوف يتم الحصول عليها هي بلا شك تعد مؤشراً مهماً على نوع الدراسة، وما إذا كانت ستضيف شيئاً إلى المعرفة الإنسانية.

3 – تعميم نتائج الدراسة:

يجب على الباحث أن يختار المشكلة، ويعمم نتائج بحثه بحيث يكون لها طابع عام ، وبحيث يسهل تعميم نتائجها على الحالات المتشابهة . صحيح أن التعميم فيه خطورة، ولكن له أهمية خاصة بالنسبة للبحث. فإذا أخذنا موضوعاً عن المعلمين ومشكلاتهم فإننا لا نهتم بمعلمين في مدرسة معينة ، بل نحاول اختيار مشكلة لها طابع معين بحيث نعممها على كل المعلمين.

وإذا أراد باحث مثلاً دراسة معدلات ضغط الدم في المجتمع المحلي، فإنه لا يهدف إلى تحديد معدلات ضغط الدم عند فئة أفراد العينة، إنما يجب أن يكون هدفه لا يخرج عن الإطار العام للمجتمع. حيث إن دراسة عينة البحث لا تعني بالضرورة انطباقها على المجتمع بشكل كلي. وأن العينة هي في النهاية ما هي إلا وسيلة لمعرفة أحوال المجتمع.

ويجب الحذر هنا من أن البحث لا يكون بحثاً جيداً ومقبولاً إلا عندما نعممه على المجتمع الكلي، أو أن الدراسة تعطي مؤشراً للمجتمع بشكل عام. فقضية التعميم ترتبط بكيفية اختيار العينة، أو ما يسمى بالعينة العشوائية التي تتيح لجميع أفراد مجتمع الدراسة الفرصة المتساوية للاختيار دون تحيز من جانب الباحث. إن عملية التعميم قد تكون صعبة بل مستحيلة في كثير من المواضيع البحثية. فعلى سبيل المثال لا يمكن أن نعرف جميع الأفراد الذين يعانون من مرض السكري أو ضغط الدم التي نقوم بإجراء دراسة عليهم واختيار عينة عشوائية منهم، ومن ثم تعميمها على جميع أفراد المجتمع. ولا يمكن أيضاً أن نعرف جميع أفراد المجتمع من المتعاطين للمخدرات إذا أردنا أن نطبق دراسة عليهم. ولكننا عندما نقوم بدراسة محددة مثلاً على المدمنين للمخدرات واختيار عينة منهم، فلابد من أن أفراد هذه العينة تعطينا مؤشراً محدداً عن القضية البحثية المراد مناقشتها. فعلى سبيل المثال عندما نريد أن ندرس العوامل المؤدية لتعاطي المخدرات، فإننا بالإمكان أن نختار عينة، وتكون غير عشوائية من المتعاطين، ونعرف خلفياتهم الثقافية والاجتماعية والديموجرافية. فعندما تبين النتائج مثلاً أن 90٪ من أفراد العينة قد تعاطوا المخدرات أول مرة عندما كانوا في سن المراهقة، فإن ذلك بلا شك قد يكون مؤشراً مهماً في أن هذه الفترة حرجة ومهمة ليست على أفراد العينة المتعاطين فحسب، إنما على جميع أفراد مجتمع المتعاطين وغير المعروفين أيضاً. ومن هنا ندرك أهمية أن البحث يجب ألا يكون خاصاً على الفئة التي تم التطبيق عليها،

إنما تكون نتائجه عامة على المجتمع. ومن هنا فاختيار عينة البحث تعتبر مسألة مهمة.

4 - مدى إسهام البحث في تنمية بحوث أخرى:

إن البحث الجيد هو ذلك البحث الذي يكشف عن قضايا بحثية أخرى مهمة، وأن يشير بشكل مستمر للمشكلات. ومن هنا نجد أن كثيراً من الباحثين ينتهي بقوله بأن هناك حاجة لدراسات تتعلق بمسألة معينة. فالبحث الجيد هو الذي يترك الباب مفتوحاً لعشرات الدراسات المكملة.

فالبحوث تتميز بأنها عملية متتالية ومتكاملة، أي: أنها تكمل بعضها البعض. فلا تقف عند حد معين؛ ولذلك فإن المراجع المستخدمة في كل بحث ما هي إلا إشارة إلى أن البحث ينطلق من حيث انتهى إليه الآخرون.

5 - حاجة المجتمع ومتطلباته:

نتيجة للظروف والمتغيرات التي يمر بها المجتمع قد تثار أو تطرح موضوعات معينة أمام الباحث. وقد يحدد المجتمع عدداً من القضايا التي تثير انتباه الباحثين، وتدفعهم للبحث من أجل التعرف على أسبابها والنتائج المترتبة عليها أو من أجل التعرف على الحلول المناسبة لها، أو قد يثير الرأي العام قضايا تلفت انتباه الباحثين وتدفعهم للبحث كلاً وفق تخصصه، واهتماماته والإمكانيات المتوفرة (عقيل حسين عقيل، 1999 : 33).

6 - حداثة المشكلة:

ويقصد بها أن يقوم الباحث باختيار مشكلة جديدة، ولم يسبق لباحث آخر دراستها. ولكي يتحقق ذلك يجب أن يتوافر في الباحث العلمي اتساع الأفق وتفتح العقلية ، وأن يتوخى الدقة في جمع الأدلة والملاحظات من مصادر متعددة . إضافة إلى ذلك يرتبط مفهوم الحداثة بالأدوات المستخدمة

في جمع البيانات والأسلوب الإحصائي المستخدم وحداثة البيانات. ويجب على الباحث مراعاة نقطة مهمة وهي أنه يمكنه دراسة مشكلة سبق دراستها من قبل، ولكن يجب أن يكون لديه المبرر العلمي لذلك كما سبقت الإشارة (إخلاص محمد عبد الحفيظ ومصطفى حسين باهي، 2000: 48). فقد يدرس الباحث المشكلة نفسها ولكن يستخدم أداة مختلفة أخرى يرى أنها أكثر دقة، ويضع التبريرات لهذه الدقة في هذه الأداة، والتي من الممكن أن تعطينا نتائج مختلفة عن دراسة استخدم الباحث أداه بحثية أخرى مختلفة، أو أن يستخدم تحليلاً إحصائياً لم يلجأ إليه الباحث الآخر، والذي من الممكن أن يكشف عن جوانب أخرى لم يتعرض لها الباحث الآخر على الرغم من تشابه الموضوع .

7 – مراعاة وقت البحث:

من الجوانب والمعايير الاجتماعية والعلمية التي تراعي عند اختيار المشكلة هو أن يراعي الباحث الوقت المخصص لهذا البحث، وأن يختار البحث الذي يتناسب والوقت المسموح للدراسة والبحث، فعلى سبيل المثال فهناك لوائح خاصة للدراسات العليا تنص على حصول الباحث على درجة الماجستير أو الدكتوراه في مدة لا تتجاوز خمس سنوات من تاريخ القيد لهذه الدرجة، وإذا لم يحصل على هذه الدرجة خلال هذه المدة سيتم فصله من البرنامج المقبول به، ولذلك يسعى الباحث أو الطالب هنا لأن يختار موضوعاً بحثياً يتلاءم مع المدة المقررة والمسموح بها . فقد يخطر على بال الباحث زيادة عدد المتغيرات البحثية، ولكن لظروف المدة لا يستطيع أن يقوم بإدراج هذه المتغيرات فيضطر إلى إلغائها، ومن ثم يكتفي بموضوع بحثي يتلاءم مع وقت البحث.

8 – قابلية مشكلة البحث للحل:

يجب أن يختار الباحث إشكالية أو ظاهرة قابلة للدراسة، وذلك من خلال

جمع بعض الحقائق التي يمكن ترتيبها على نحو منطقي، وأن يكفي هذا الترتيب لاستنتاج حل أو تفسير لها، أو بجمع بعض الآراء التي يؤدي ترتيبها إلى حل مقبول لها. ويلاحظ أن هناك مشكلات نظرية وعملية قد يتعذر علينا أن نجد حلاً لها لعدم توافر المعلومات التي تؤدي إلى حلها، أو لعدم توافر الإمكانات التي تساعد على حلها أو لعدم مساعدة الظروف القائمة على دراستها، ولعدم كفاية الوقت لانجازها. وذلك كإثبات وجود كائنات حية على كوكب المريخ مثلاً، فمازالت المعلومات التي زودتنا بها مركبات الفضاء لا تساعدنا على الوصول إلى حل نهائي أو شبه نهائي لهذه المشكلة. فعلى الباحث إذن أن يختار المشكلات، التي تتوافر بصددها الوسائل والأدوات والمصادر والمراجع التي تكفي للوصول إلى حل لها (عادل مختار الهواري، 1993 : 76–77).

رابعا – تحديد المشكلة:

بعد أن نقوم بعملية اختيار سليم للمشكلة التي نرغب بدراستها تبدأ واحدة من أصعب، إن لم تكن أصعب، مرحلة من مراحل البحث العلمي، والتي تتعلق بتحديد المشكلة. وتعني عملية تحديد المشكلة العمل على «صياغة المشكلة في عبارات واضحة، ومفهومة ومحددة تعبر عن مضمون المشكلة ومجالها، وتفصلها عن سائر المجالات الأخرى» (عادل مختار الهواري، 1993 : 76–77).

إذا قام الباحث بتحديد مشكلته بصورة لفظية واضحة، فهو هنا يكون قد أنجز جزءاً مهماً في بحثه. فهي سوف توجهه نحو جمع المعلومات والبيانات الخاصة بموضوع دراسته. ولا شك بأن كثيراً من الباحثين يواجهون هذه المشكلة. فتحديد إشكالية يعد من أبرز المشكلات التي تواجه الباحثين. فالباحث يقوم هنا بصياغة مشكلة بحثه، والتي تعد الأساس والقاعدة لجميع خطوات البحث العلمي التالية. وممكن توضيح معنى صياغة المشكلة، ومعايير صياغة المشكلة على النحو الآتي:

١ – صياغة إشكالية البحث:

هناك طريقتان لصياغة المشكلة أو إشكالية البحث:–

أ – صياغة المشكلة بعبارة لفظية تقديرية.

ب – صياغة المشكلة عن طريق طرح تساؤل أو أكثر.

أ– صياغة المشكلة بعبارة لفظية تقديرية:

فإذا أراد الباحث دراسة العلاقة بين متغيرين مثل ضغط الدم والسمنة، فإن الباحث يقوم بكتابة عبارة تقديرية تتمثل بالآتي:

«علاقة السمنة بضغط الدم».

«علاقة الذكاء بالتحصيل الدراسي».

«تأثير المستوى التعليمي على نمط الزواج».

فهي عبارات محددة تهدف إلى معرفة علاقة متغير بآخر، ونقوم بسؤال أنفسنا بعد ذلك: أين نريد أن نكتشف هذه العلاقة ؟ عند أي فئة سكانية أو أي مرحلة أو أي بلد أو أي عينة وهكذا. فنقول كما جاء بالأمثلة السابقة:

«علاقة السمنة بضغط الدم في المجتمع الكويتي».

«علاقة الذكاء بالتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة الكويت».

«تأثير المستوى التعليمي على نمط الزواج لدى المجتمع الخليجي».

فأصبحت هذه الإشكالية واضحة ومحددة بإمكان الباحث رسم هيكل الدراسة على أساسها.

ب – صياغة المشكلة عن طريق طرح تساؤل أو أكثر:

وهو ما يفضله كثير من الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية. كأن نقول:

«ما أثر السمنة على ارتفاع ضغط الدم في المجتمع الكويتي».

«ما علاقة الذكاء على التحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة الكويت».

هنا يبرز الوضوح بين المتغيرين الأساسيين في الدراسة.

لاشك في أن صياغة إشكالية البحث بعبارة لفظية محددة أو عن طريق تساؤل أو أكثر يعد هو القاعدة الأساسية التي يحدد فيها بعد ذلك هيكل البحث، والذي من خلاله يستطيع الباحث تركيب جميع أجزاء بحثه وتحديد منهجيته ووسائله الإحصائية، وتعطي أيضاً مؤشراً لنتائجه.

2 - معايير صياغة المشكلة:

هناك عدة معايير مهمة يفترض أن يراعيها الباحث عند صياغة المشكلة، ممكن إبرازها كما يلي:

1 - دقة الصياغة: الصياغة يجب أن تكون دقيقة للعبارة اللفظية أو للسؤال. وهناك من يرى بأنه عند طرح سؤال معين فإنها تكون أكثر دقة وتحديداً من صياغتها بشكل تقديري.

2 - أن يكون في الصياغة متغيرات الدراسة: ففي الأمثلة السابقة تعتبر السمنة وضغط الدم متغيرين، المستوى الذكائي والتحصيل الدراسي متغيرين، ونمط الزواج والمستوى التعليمي متغيرين. وقد تم توضيحها في كل عبارة.

3 - وضوح صياغة المشكلة: أي: أنها تكون قابلة للاختبار المباشر، ويمكن أن نجد حلاً لها. إضافة إلى ذلك، فإنه عند صياغة المشكلة يجب أن تتضمن الصياغة الصحيحة للمشكلة تحديد للنقاط الرئيسة والفرعية التي تشمل عليها المشكلة، وتكون مبنية ومحددة لأهم الدراسات السابقة القريبة من موضوع الدراسة، بحيث تكون الصياغة عبارة عن خلاصة لهذه القراءات، إضافة إلى تحديد أسباب اختيار المشكلة، والتعريف بالمشكلات

والصعوبات التي يتوقع الباحث أن يواجهها في بحثه (خليل عبدالمقصود وزملاؤه، 1999). فصياغة المشكلة تأتي من خلفية علمية، وتبرز أهمية الدراسة، وتوضح النقطة التي توقف عندها الآخرين.

خامساً – معايير تقويم مشكلة البحث:

من الممكن أن نحدد مشكلة البحث من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :–

1 – هل تعالج المشكلة موضوعاً حديثاً أم مكرراً ؟

2 – هل سيسهم هذا الموضوع في إضافة علمية معينة ؟

3 – هل تمت صياغة المشكلة بعبارات محددة واضحة ؟

4 – هل ستؤدي دراسة المشكلة إلى توجيه الاهتمام ببحوث ودراسات أخرى ؟

5 – هل يمكن تعميم النتائج التي يمكن التوصل إليها من خلال بحث هذه المشكلة ؟

6 – هل ستقدم النتائج فائدة عملية إلى المجتمع ؟

يمكن الحكم على مدى أهمية المشكلة من خلال الإجابة على هذه الأسئلة. فهي أسئلة تقويمية لمشكلة البحث فازدياد أهميتها تبرز من خلال الإجابة بإيجابية عن هذه الأسئلة أو أغلبها.

سادساً – أهمية الدراسات والأبحاث السابقة:

الدراسات والبحوث السابقة تشكل تراثاً مهماً ومصدراً يجب أن يطلع عليه الباحث قبل عملية البدء في البحث. فالدراسات والأبحاث السابقة توفر للباحث :–

1 – بلورة مشكلة البحث وتحديد أبعادها ومجالاتها. لأن ذلك سوف تقود الباحث إلى عملية اختيار سليم لبحثه يبعده عن عملية التكرار أو يخلصه من مشكلة قد وقع فيها باحث آخر.

2 – إغناء مشكلة البحث من خلال هذه الدراسات. فيطلع الباحث على النتائج،

والأطر النظرية، والفرضيات والمسلمات، وهي تثري موضوع مشكلته.

3 - تزويد الباحث بالكثير من الأفكار، والأدوات والإجراءات والاختبارات. فهي تساعده على أن يختار أداة معينة أو يصمم أداة متشابهة لأداة ناجحة.

4 - تزود الباحث بعدد كبير من المراجع والمصادر المهمة من خلال ما يعثر عليه في كل من هذه الأبحاث.

5 - توجه الباحث إلى تجنب الانزلاق في مشكلات وقع فيها باحثون آخرون، وتعرفه بالصعوبات التي يواجهها الباحثون.

6 - الاستفادة من نتائج الأبحاث والدراسات السابقة وذلك من خلال:

أ - بناء مسلمات البحث اعتماداً على النتائج التي توصل إليها الآخرون.

ب - استكمال الجوانب التي وقفت عندها الدراسات السابقة.

الفصل الخامس

فروض البحث وتساؤلاته

الفصل الخامس

فروض البحث وتساؤلاته

الفروض والتساؤلات مشكلات جزئية:

بدايةً، لابد من الإشارة إلى أن فروض البحث أو تساؤلاته مستمدة بشكل مباشر من مشكلة البحث ومن صياغة المشكلة، فهي تشعب لهذه الصياغة. فعندما يريد الباحث أن يتناول فروض البحث أو التساؤلات المطلوبة التي يحاول أن يجيب عنها، فإنه يجب أن يشتق هذه الفروض والتساؤلات من صياغة المشكلة أو تساؤلها العام، فهي الخطوة الثانية من طرح الأسئلة بعد السؤال الأول العام، وهي اللبنة الثانية في بناء البحث العلمي.

فالإشكالية العامة التي يحاول الباحث الإجابة عنها يجب عليه أن يقسمها إلى أجزاء. فغالبية مشكلات الدراسات تكون كبيرة، وهي التي تصاغ في الغالب في عبارة صياغة المشكلة. فحجم المشكلة وتعقيدها في بعض الأوقات تتطلب من الباحث أن يقوم بعملية تجزئتها إلى مشكلات صغيرة حتى يستطيع الباحث من خلال الإجابة عنها التمكن من الإجابة عن التساؤل العام للدراسة. فبعد عملية التجزئة لمشكلة الدراسة، يكون من السهل على الباحث اختبار وفحص هذه القضايا البحثية المجزأة، والتي تهدف في النهاية إلى الإجابة عن التساؤل العام للدراسة. فمجموع الأجزاء سيؤدي في النهاية إلى الكل، والإجابة عن الأجزاء ستؤدي في النهاية إلى الإجابة عن الكل. فهذا هو الهدف الأساسي من وضع فروض الدراسة أو تساؤلاتها.

ويجب بدايةً، وقبل الدخول إلى فروض البحث وتساؤلاته، أن يتم إيضاح الفرق بين الفرض والتساؤل. فهما أولاً يؤديان إلى نتيجة واحدة، ويحققان هدف الدراسة. ويشير إلى ذلك سعيد ناصف (1997) موضحاً أن أسلوب

البحث سواءً كان بحثاً استطلاعياً أو بحثاً وصفياً أو تجريبياً هو الذي يحدد ما إذا كان الباحث سيعتمد في بحثه على طرح مجموعة من التساؤلات أو مجموعة من الفروض يسعى في النهاية إلى اختبار مدى صدقها، فإذا كان الباحث قد صاغ مشكلة بحثه وفقاً للأسلوب الاستطلاعي أو الأسلوب الوصفي، فإن ذلك يحتم عليه ضرورة صياغة ووضع مجموعة من التساؤلات الأساسية التي يهدف البحث للإجابة عليها. أما إذا حدد مشكلة بحثه وصاغها وفقاً للأسلوب التجريبي، فإنه يجب عليه وضع مجموعة من الفروض الإحصائية. ومن ثم يجب أن يكون الباحث على وعي ودراية بهذه الأمور حتى لا يقع في أخطاء منهجية، ولذلك فإن الدراسة الاستطلاعية تعتمد على تساؤلات عامة ليس لها إجابة في ذهن الباحث، كما أنه لا توجد عنها إجابات في محيط المعرفة العلمية الخاصة بميدان تخصص الباحث. وتعتمد الدراسة الوصفية كذلك على صياغة الباحث لمجموعة من التساؤلات التي ترتبط بخصائص الظاهرة موضوع الدراسة، حيث يكون الباحث في حاجة إلى تقديم وصف كمي وتحليل كيفي لهذه الخصائص والسمات. أما الدراسات والبحوث التجريبية فإنها تتطلب من الباحث أن يضع مجموعة من الفروض لاختبارها ميدانياً (ص ص: 34–35).

ولابد من الإشارة إلى أنه ليس من الضرورة أن يلتزم جميع الباحثين بهذا المعيار، وخاصةً إذا أدركنا تنوع الأساليب البحثية وأنواعها كما سبق أن تم توضيحه. فلا يلتزم العديد من الباحثين بهذه القاعدة: إضافةً إلى ذلك هناك بعض البحوث التي لا يمكن من خلالها استخدام الفروض العامة، وتطرح الأسئلة بدلاً عنها. وهذا ما نلاحظه خاصة في البحوث التاريخية والبحوث الأثنوجرافية. فالبحث الأثنوجرافي والذي يعتمد بالدرجة الأولى في عملية جمعه للبيانات من خلال أدوات مثل الملاحظة بالمشاركة واستيفاء المعلومات من خلال الاخباريين، من الصعب على الباحث هنا أن يستخدم فروضاً محددة

تكشف علاقة متغيرين مع بعضهما البعض على سبيل المثال، فغالباً ما يلجأ الباحث إلى تحديد عدد من الأسئلة التي من خلالها يحاول أن يقدم عنها إجابات من عمله الميداني وجمعه للمعلومات الكيفية.

وبشكل عام فإن استخدام الفروض أو الأسئلة هي قضية يحددها أسلوب البحث المستخدم، والفروض والأسئلة يفترض أن يتم وصفها من الباحث، والتي تعتبر عنصراً أساسياً ورئيساً للبحث، ويحتاج الباحث إلى مهارة بحثية خاصة في صياغته للأسئلة أو الفروض الخاصة في مجال بحثه. وليس هناك حاجة للتعريف بماذا يقصد بالسؤال البحثي، فالقضية واضحة هنا، فهي تبدأ وتنتهي بالقواعد العامة للأسئلة نحوياً ولغوياً. ولكن تبقى مشكلة بناء الفروض وتعريفها ومجالاتها. فهي التي سيتم التركيز عليها خلال السطور القادمة.

الفروض وتعريفها:

تعني كلمة فرض Hypothesis وجمعها فروض Hypotheses في أصلها الإغريقي مجموعة من المبادئ التي يسلم العقل بصحتها، والتي لا يستطيع البرهنة عليها بطريقة مباشرة لشدة عموميتها (عبد الباسط محمد حسن، 1977 : 169). ويعرف أرسطو الفرض بأنه نقطة البدء في كل برهنة، وأنه المنبع الأول لكل برهنة، ولكل معرفة يكتسبها الإنسان، أي: أنه المبدأ العام الذي يستخدم كإحدى مقدمات القياس (عبد الوهاب إبراهيم، 1985 : 75).

ويعرف الفرض في البحوث الاجتماعية على أنه تخمين أو استنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتاً لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر، ويكون هذا الفرض مرشداً له في البحث والدراسة التي يقوم بها. ويمكن أن يشبه الفرض الذي يضعه الباحث في دراسته بالرأي الذي يعتنقه الشخص العادي في حياته اليومية. فعلى الرغم من أن الحقائق تعتبر مقدمة لكل منهما

إلا أن الفرض وحده- كقاعدة – هو الذي يتم اختباره من خطوات البحث التالية بالبيانات والمعلومات ومزيد من الحقائق (أحمد بدر، 1979 : 88).

وبطريقة أكثر تحديداً نستطيع أن نقول بأن الفرض كما عرفه عبد الباسط محمد حسن (1977) بأنه «عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين الظاهرة موضوع الدراسة وبين أحد العوامل المرتبطة بها أو المسببة لها، أو بأنه عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين متغيرين أحدهما مستقل والآخر تابع» (ص: 169). فالفروض وفقاً لذلك هي عبارة عن علاقة بين متغيرين مستقل وتابع، وهي عبارة عن إجابة محتملة للمشكلة المراد دراستها، وهي المنطلق الأول للباحث، والذي من خلاله يعتمد على الوسائل المتاحة بهدف الكشف عن الحقيقة، والتي هي هدف الباحث والبحث العلمي. فالفروض هي الموجه والمرشد للباحث الذي يدله ويوجه ويركز اهتمامه حول قضية محددة. ويستخدم الإنسان العادي دائماً الفروض في حياته اليومية لحل العديد من مشكلاته الحياتية التي تواجهه. فعندما يفقد الشخص على سبيل المثال شيئاً معيناً في منزله، فإنه يضع بعض الفروض المنطقية والمرشدة، ويرسم من خلالها العلاقات والتخمينات التي في النهاية تحاول أن تصل به إلى الحقيقة ومكان فقد هذا الشيء. فهو يضع تخمينات منطقية وليست عشوائية، فيضع من خلال ذلك بعضاً من هذه الفروض السليمة الذكية التي ينطلق منها.

الفروض وعلاقتها بالحقائق والنظريات والقوانين:

- الفروض والنظرية:

«من العسير أن نرسم خطاً فاصلاً حاداً بين الفرض والنظرية. والفرق الأساسي بينهما هو في الدرجة لا في النوع. فالنظرية في مراحلها الأولى تسمى فرضاً، وعند اختبار الفروض بمزيد من الحقائق بحيث تتلاءم معها، فإن هذه الفروض تصبح نظرية» (أحمد بدر،1979 : 88). فالفروض والنظرية

تتشابهان من حيث إنها تخيلات وتفسيرات لعلاقات ما، فالنظرية هي أكثر شمولاً من الفرض، وهي تشمل عدة فروض، ولذلك فهي تحتاج إلى وقت وجهد أكبر لإثبات النظرية (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998). فعندما نتحدث عن تأثير التغير الاجتماعي والثقافي على الإنسان فإننا نتحدث عن نظرية عامة كبرى تستطلع العديد من الفروض بعد أن يتم بناؤها من خلال البحوث، وبعد بنائها على تخيلات وتفسيرات لعلاقات ما تنتهي في نهاية المطاف إلى هذه النظرية الكبرى.

- الفروض والحقيقة:

الفروض لا تعتبر تخمينات عشوائية، بل تخمينات منطقية أو ذكية كما سبقت الإشارة، فهي خطوة نحو الحقيقة، فإذا ثبتت هذه التخمينات وصلنا إلى الحقيقة (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998). فالحقيقة هي هدف البحث العلمي، وهدف الفروض التي يتم بناؤها من خلال الباحث، فالحقيقة هي نهاية الخط، والفروض بدايته.

- الفروض والقانون:

القانون علاقة ثابتة بين متغيرين تحت ظروف معينة، فهو أكثر ثقة من النظرية والفروض (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998). فالقانون هو علاقة أو نظام ثابت لا يتغير بين ظاهرتين أو أكثر. وهذه العلاقة الثابتة الضرورية بين الظواهر تكون كذلك تحت ظروف معينة محددة بالزمان والمكان (أحمد بدر، 1979). فوقوف السيارة على الجانب الأيسر من الشارع يعني أن صاحب السيارة يعد مخالفاً. فهنا علاقة ثابتة بين متغيرين، وتحت ظروف معينة، وتختلف باختلاف الزمان والمكان.

بناء الفروض:

كما سبقت الإشارة، فإن الإنسان يستخدم الفروض في حياته اليومية، وذلك لحل مشكلاته، فإذا فقد شيء معين، فإنه يضع الفروض المناسبة التي تساعده على العثور على هذا الشيء. ولكن كيف نبني الفروض الخاصة بالدراسة؟ وما الأسس العلمية والشخصية التي تساعد الباحث على وضعه لهذه الفروض؟ وهل عملية بناء الفروض تتم بطريقة عشوائية؟ وما الدور الخاص بالباحث عند وضع هذه الفروض؟ وهل يمكن بناء الفروض بطريقة معينة؟

للإجابة عن هذه التساؤلات يجب الالتفات إلى أن الباحث يجب أن يستقي فروضه من العديد من المصادر التي تدور حوله ، إضافة إلى أن الباحث نفسه يجب أن يتميز ببعض من السمات المحددة حتى يستطيع صياغة فروض بطريقة علمية صحيحة. ولعل أبرز السمات التي يجب أن يتميز بها الباحث عند صياغة فروضه تتمثل فيما يأتي (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998، إخلاص محمد عبد الحفيظ ومصطفى حسين باهي، 2000؛ عادل مختار الهواري، 1993؛ خليل عبد المقصود وزملاؤه، 1999):

1- المعرفة الواسعة والعقلية المتفتحة:

تتطلب عملية صياغة الفروض تفكير الباحث، وتقليب الأمور، والنظر إليها من زوايا مختلفة. فصياغة الفروض تعتبر عملية عقلية تتطلب جهداً عقلياً مميزاً. فالباحث يفكر في مشكلة، ويبدأ بدراسة واسعة في موضوع المشكلة وموضوعات أخرى ذات صلة بها.

2- الخيال العلمي:

إن المعرفة الواسعة والخبرة والاطلاع لا تكفيان في مساعدة الباحث على بناء فروضه، فلابد أن يمتلك قدرة واسعة على التخيل. وهذا يعني أن تكون

عقلية الباحث متحررة لا مغلقة، قادرة على تصور الأمور وقادرة على بناء علاقات غير موجودة أو على التفكير في قضايا غير مطروحة واستخدامها في تفسير قضايا أخرى. إن التحرر يعني أن يبتعد الباحث عن أنماط التفكير التقليدية، ويتجاوز حدود الواقع دون حذر أو خشية. إن هذه أشبه بعملية الإلهام، ولذلك لابد للباحث أن يخصص وقتاً طويلاً في بناء فروضه، ويفكر في بحثه دون وجود عوائق. فالباحث لا يتمكن من وضع فروضه من خلال تعامله مع الواقع، ولابد أن يتجاوز هذا الواقع ويتخيل وجود علاقات ما يخضعها للتجريب.

3- الجهد والتعب:

لابد للباحث المجد أن يخصص وقتاً طويلاً في الدراسة، ويفكر باستمرار في بحثه، ويفكر فيه دائماً في أوقات عمله وفي أوقات استرخائه، ويقوم بطرح مشكلته دائماً للنقاش مع زملائه في العمل وزملائه الباحثين، ومع المختصين في موضوع بحثه. ويجب عليه القيام بعملية الملاحظة الدائمة، ويقوم بجمع المعلومات وتسجيلها. إن عملية المناقشة وطرح الموضوع مراراً وتكراراً على زملائه يعد بلا شك بناءً مهماً للبحث، ويكشف كثيراً من الأمور التي قد تكون غائبة عن الباحث. فالفروض تحتاج إلى جهد وتعب حتى يتم إعدادها وصياغتها.

4- الخبرة الشخصية:

تلعب الخبرة الشخصية دوراً رئيساً في تهيئة الباحث ومساعدته على وضع فروض بحثه، فخبرة الباحث وملاحظاته الدقيقة للظواهر المتعلقة بموضوع ما تدفعه إلى وضع تصور لطبيعة العلاقات القائمة بين تلك الظواهر. فالخبرة هي المنشط الذي يحفز العقل لإيجاد علاقة بين هذه الظواهر.

مصادر الفروض:

هناك صعوبة في عملية الفصل بين مصادر الفروض، وبين السمات التي يجب أن يتميز بها الباحث لصياغة فروضه، والتي أيضاً تنطلق من كونها تعتبر من مقومات وأساسيات يعتمد الباحث عليها في بناء فروضه. إلا أنه من الواجب تحديد أبرز مصادر الفروض التي يستمدها أو يستنبطها الباحث من خلال محيطه، ومن خلال شخصيته، والتي من الممكن إجمالها في الجوانب الآتية (عادل مختار الهواري، 1993 : 98 – 101):-

1- الحدس أو التخمين:

وترتبط هذه بقدرة الباحث على التخيل كما سبقت الإشارة. وقد يؤدي مثل هذا النوع من الفروض إلى نتائج مفيدة في حالة اختبارها، والتحقق من صحتها في أكثر من دراسة. أما إذا اختبرت في دراسة واحدة فقط فقد تصبح الفائدة منها محدودة بل قد تصبح عديمة الفائدة، والسبب في ذلك يرجع إلى:

أ- حالة التوصل إلى وجود علاقة بين متغيرين نتيجة لهذه الدراسة لا يعني وجود نفس العلاقة في دراسات أخرى، أي: أن اختبار الفرض المستنبط عن طريق التخمين لا تثبت صحته إلا بإجراء دراسات أخرى متتالية لتؤكده.

ب- أن هذا النوع من الفروض- طالما أن مصدره الحدس والتخمين – عادةً ما لا يكون مرتبطاً ارتباطاً واضحاً بالمادة العلمية المعروفة لنا عن موضوع البحث، ولذلك فهذا النوع من الفروض- ما لم يختبر في دراسات متعددة – يبقى كمعلومات منعزلة عن المادة العلمية لمجال البحث.

2- استخدام نتائج بحث أو بحوث سابقة لفروض للبحث:

لو استخدمنا نتائج بحث كفروض في بحث تجربة، وأظهرت النتائج تأييداً لهذا الفرض فإن هذه النتائج تؤكد الارتباط المبنى عليه الفرض. فلو

أيدت نتائج دراستين أو أكثر فروض هذه الدراسة فإن هذه النتائج تقلل من الشك في هذه الفروض.

3- استنباط الفرض عن طريق مجموعة من النظريات:

وذلك عن طريق الاستنتاج المنطقي الذي يوصلنا إلى التنبؤ بأنه تحت ظروف معينة تظهر لنا نتائج معينة. وفي حالة استخدام مثل هذا النوع من الفروض، وتمكننا من إيضاح العلاقة بين الفرض والنظرية العامة التي استنبط منها، وإذا ما أيدت نتائج بحثنا هذه الفروض، فإن هذه النتائج توضح ثبات هذه النظرية، وإمكان تطبيقها في جميع المواقف، بالإضافة إلى تحققنا من أن الحالة التي ندرسها يندرج تفسيرها تحت النظرية التي استنبط منها الفرض.

4- مجال تخصص الباحث:

إن مجال التخصص هو المصدر الرئيسي الذي يستمد منه الباحث فروضه. فالنظريات التي توصل إليها الباحثون السابقون ليست إلا فروضاً من الدرجة الثانية من الممكن دراستها واختبارها للتأكد من مدى صحتها، ثم إننا نستنبط منها قضايا جديدة قابلة للاختبار، ويمكن أن تعتبر أساساً لدراسات جديدة. هذا ويشترط في الباحث الذي يختبر صحة نظرية من النظريات أن يكون عالماً بالجوانب النظرية للموضوع الذي يدرسه، وما يتصل به من موضوعات، حتى تكون الفروض التي يضعها على درجة كبيرة من الصحة.

5- العلوم الأخرى:

يستمد الباحث في كثير من الأحيان بعض الفروض من العلوم الأخرى التي تبعد عن مجال تخصصه. فالباحثون في علم النفس والاجتماع مثلاً قد استفادوا من نظرية داروين في النشوء والارتقاء، كما استفاد داروين عند

دراسته لموضوع التطور بكتابات مالتس عن السكان، كما أن الفروض التي وضعها الباحثون الاجتماعيون، والتي أدت إلى نمو الايكولوجيا الإنسانية، لم تكن إلا تطبيقاً لنظريات قائمة في علم النبات. والباحثون في الخدمة الاجتماعية كما يذكر خليل عبد المقصود وزملاؤه (1999) على سبيل المثال استمدوا فروضهم من بعض النظريات البعيدة من مجال تخصصهم مثل نظرية الدور، ونظرية النسق.

6- ثقافة المجتمع:

لما كان الباحث الاجتماعي لا يعيش في برج عاجي بعيداً عن التيارات الثقافية في المجتمع، فإنه يستطيع أن يستفيد من ثقافة المجتمع بما تشمله هذه الثقافة من قيم واتجاهات وتقاليد وآراء شائعة تساعد على صياغته للفرض. فالأيديولوجية الاشتراكية الديموقراطية مثلاً قد توحي إلى عدد من الباحثين بصياغة بعض الفروض المتعلقة بحوافز العمل والإنتاج في المجتمعات الاشتراكية، ومدى اختلافها عن حوافز العمل في المجتمعات الرأسمالية، وقد توحي إلى البعض الآخر بصياغة فروض أخرى تتعلق بمدى تأصل هذه الأيديولوجية في نفوس الأفراد الذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية ومستويات تعليمية مختلفة.

وقد يسيطر على الباحث اهتمام بإشكالية ما تستمر معه لسنوات طويلة (ابن فلاح يشغل نفسه بقضايا الفلاحين، ويتصور أسلوباً لتحليلها، مثلاً، وإن كان شكل الاهتمام يختلف من مرحلة إلى مرحلة في تطور تفكيره)، ومن ثم يمكن أن يكون مصدراً لفرض، فضلاً عن موضوع ومشكلة الدراسة.

7- المصادفة:

وقد تلعب المصادفة دوراً هاماً في توليد فروض من التفكير في واقعة جزئية، أو تأمل كسول لبعض الأوضاع، أو قراءة طليقة لبعض المواد، أو خيال

يسرح في غير موضوع محدد. ولكن كل باحث يعلم أنه لا يمكن أن يعتمد على الصدفة وحدها، وأن الفروض وهو أداة عقلية ضرورية للبحث، يجب أن يتبلور في فكرة محددة مقبولة.

خصائص الفروض العلمية:

يشترط عند صياغة الفرض العلمي الخاص بالدراسة أن يتميز بعدة خصائص، وعند الحديث هنا عن الفرض فإن ذلك يتفق في كثير من الجوانب مع تساؤل البحث؛ فالفرض العلمي يجب أن يتميز بالخصائص الآتية (محمد شفيق، 1994 : 77–79؛ ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998؛ أحمد بدر، 1997؛ سعيد ناصف، 1997):

1- البساطة:

يجب أن يكون الفرض مبسطاً وواضحاً يؤدي إلى معني محدد لا أكثر من معنى، ولا يحتمل التأويل.

2- الإيجاز:

يكون موجزاً ومبسطاً على هيئة قضايا محددة ومختصرة يمكن التحقق من هدفها.

3- عدم مخالفته للحقائق:

يجب ألا يكون مخالفاً للحقائق الثابتة أو القوانين والنظريات العلمية المستقرة.

4- عدم بديهية الفرض:

يجب ألا يكون الفرض بدهياً لا مجال للشك فيه، كافتراض أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت، أو أن الأجسام تتمدد بالحرارة وتنكمش

بالبرودة. إلى آخر الحقائق التي أصبحت تكون قوانين ومبادئ راسخة.

5- معقولية الفروض:

يجب أن يكون الفرض معقولاً أي يمكن تحقيقه، بمعنى أن العلاقة التي توجد بين ظاهرتين تكون ممكنة الحدوث، فلا نصمم مثلاً فرضاً مؤداه «ينتصر الجيش الصومالي على الجيش الأمريكي إذا سلح تسليحاً فرنسياً» لأنها فرضية تتعارض مع الحقيقة الموضوعية ومع المنطق للمحور السليم، أو كافتراض أن تعقيم الرجال أو وأد الأطفال هو حل لمشكلة الانفجار السكاني في مصر، وهو أيضاً افتراض يتعارض مع القيم ومبادئ الدين السائدة والتطبيق المعقول. أي: بمعنى آخر بأن تكون الفروض منسجمة مع الحقائق العلمية وليست خيالية أو مستحيلة.

6- خلوه من التناقض:

أن يكون خالياً من التناقض لوقائع معروفة، فالفكرتان المتعارضتان تهدم كل منهما الأخرى، وتصبحان عديمتي الفائدة. كذلك يجب ألا يتعارض الفرض مع النظريات والقوانين والمسلمات العلمية.

7- البعد عن المغالاة:

يجب أن يكون الفرض بعيداً عن المغالاة بحيث يمكن تحقيقه، فلا نندفع وراء الفروض الخيالية العاطفية التي تدل على عمق الوجدان واتساع النظرة، ولكنها لا تنفع في الواقع، ولا نندفع وراء الفروض الفلسفية والقضايا الأخلاقية والحكم القيمية التي يستحيل اختبارها كالافتراض بأن أصل الكون من الماء أو النار.

8- ألا يكون موجهاً لإدراك الباحث:

يجب ألا يكون تصميم الفروض محدداً لإدراك الباحث وتفكيره إلى

ناحية معينة من البحث أو الظاهرة مع إهمال باقي النواحي الأخرى، أي: يجب أن تغطي الفروض جميع جوانب ظاهرة البحث المدروسة، وتقدم تفسيرات منطقية ومعقولة لجميع جوانب المشكلة.

9- التخلي عنه في حالة معارضته للحقائق:

يجب أن يكون الباحث مستعداً لأن يتخلى عن الفرض الذي صممه إذا ثبت عدم صحته، فالباحث الناجح هو القادر على ترك الفرض الذي كان يعتقد في صحته، ولا يصر عليها إذا تعارض ذلك الفرض مع الحقائق الموضوعية.

10- أن لا يحوي على أكثر من إجابة:

يجب أن يكون معنى الفرض واضحاً تماماً، ولا يتضمن أكثر من إجابة واحدة، فالفروض المركبة المزدوجة التي تنطوي على أكثر من علاقة بين متغيرين تؤدي إلى إثارة صعوبات في التجريب والتفسير معاً.

11- يجب أن يتماشى مع هدف البحث:

يتعين أن يكون الفرض متمشّياً مع هدف البحث، ومحققاً للغرض منه، وأن يعطي إجابة واضحة للمشكلة المحددة، وبحيث يختص كل فرض بالإجابة عن جانب واحد من جوانب مشكلة البحث، ويحقق أحد أهدافه.

12- البحث عن ظواهر عامة وليست خاصة:

يجب أن يمثل الفرض ظواهر اجتماعية عامة، ولا يتطرق لمشكلات شخصية أو فردية خاصة.

13- إمكانية التحقق منها:

يجب أن يكون الفرض قابلاً للقياس، وقابلاً لاختبار تجريبي.

14- قدرته على تفسير الظاهرة المدروسة:

أن يقدم الفرض تفسيراً للموقف أو تصميماً شاملاً لحل الموقف.

15- متسقة مع النظريات:

يجب أن تكون الفروض متسقة جزئياً أو كلياً مع النظريات، وإذا أراد الباحث أن ينقض نظرية معينة فإنه من الممكن أن يبني فرضيات تعارض هذه النظرية، وذلك يعتبر بلا شك جرأة كبيرة من قبل الباحث إذا عمد إلى استخدام ذلك.

16- الاعتماد على تعدد الفروض:

يتعين على الباحث أن يعتمد على مبدأ الفروض المتعددة، فيضع عدة فروض محتملة بدلاً من فرض واحد.

17- ارتباطه بمشكلة البحث:

يجب أن يكون الفرض متعلقاً بمشكلة البحث، وأن يختص كل فرض بالإجابة على جانب واحد من جوانب المشكلة.

وكما سبقت الإشارة إلى أن هذه الشروط العامة لفروض الدراسة لا تختلف كثيراً عند عملية صياغة أسئلة الدراسة. فهي شروط خاصة بالفروض وللأسئلة الفرعية الخاصة بالدراسة التي يحاول الباحث أن يضعها في بحثه، وبمقدار ما يلتزم الباحث بهذه الشروط عند بناء فروضه أو أسئلته بمقدار ما يكون قد قطع شوطاً مهماً وأساسياً في موضوع بحثه. فبناء الفروض والأسئلة وفقاً لهذه الشروط تعطي الباحث قدرة تامة للسيطرة على بقية مجريات بحثه.

أهمية الفروض:

لا شك أن للفروض فوائد وأهمية قصوى في موضوع البحث، وتبرز أهمية الفروض العلمية في الجوانب التالية (عقيل حسين عقيل، 1999؛ ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):

1- أنها القاعدة الأساسية لتحديد أبعاد البحث، والتي يعتمد عليها الباحث في تفسيراته وتحليلاته العلمية، والتي يبني عليها البحث شكله النهائي. وتوجه الباحث إلى نوع المعلومات والحقائق التي يجب أن يبحث عنها.

2- تعتبر الفروض المرشد الأساسي للباحث تجاه المنهج الذي يمكن أن يختاره، ويساعده على تحقيق أهدافه، وتحدد إجراءات وأساليب البحث المناسبة من اختياره للأدوات المنهجية المستخدمة.

3- تعبر الفروض عن وضوح البحث في ذهن الباحث، وقدرته على صياغته وتبيانه للآخرين.

4- تشكل الفروض وحدة البحث وترابطه العلمي والمنطقي، وعدم تشتته، وتناثر مكوناته ومعطياته.

5- تبين الفروض اتجاهات البحث والباحث، والتي تتضح بشكل نهائي عند إتمام البحث بصورته الشاملة.

6- تربط الفروض المبادئ بالأهداف، من خلال ربطها المعطيات بالنتائج.

7- تستوعب فلسفة البحث وتحقيق أهدافه.

8- تزودنا فروض الدراسة بفروض أخرى، وتكشف لنا عن الحاجة إلى أبحاث أخرى.

أنواع الفروض:

هناك تصنيفات متعددة للفروض. وتقسم الفروض حسب مضمونها وحسب اتجاهها. فهناك من يقسم الفروض حسب مضمونها، وفقاً لما يأتي (عادل مختار الهواري، 1993 : 102):-

1- **فرض تجريبي**: وهو الذي يتحقق من خلال الملاحظات والتجارب. وهذا النوع من الفروض يعبر إذا كان صحيحاً عن علاقة ثابتة بين ظاهرتين، وإذا أيدته التجربة يصبح قانوناً يفسر مجموعة من الظواهر.

2- **فرض نظري**: وهو الذي يتم استنتاجه من مجموعة من القوانين والنظريات والآراء بالتأمل والاستقراء، وهذا الفرض لا يتحقق بالتجربة على نحو مباشر؛ لأنه ليس نتيجة ملاحظات وتجارب، بل نتيجة تأملات واستقراءات، لا تقوم على الواقع مباشرة.

وتقسم الفروض أيضاً حسب اتجاهها على النحو الآتي:-

1- **فروض طردية**: وهي إذا ما حدث زيادة في المتغير الأول ترتب عليه زيادة في المتغير الثاني، أو كلما زاد المتغير المستقل كان له الأثر في الزيادة على المتغير التابع.

مثال: «كلما زاد المستوى المعيشي للفرد زاد من مستواه التعليمي». فالزيادة في المستوى المعيشي (متغير مستقل) يؤثر في الزيادة على المستوى التعليمي (متغير تابع).

2- **فروض عكسية**: وهي العكس من الفروض الطردية؛ إذ إن أي زيادة في المتغير يترتب عليه نقصان وانخفاض في المتغير الثاني.

مثال: «كلما زاد مستوى الدخل لدى الفرد، قلت الضغوط النفسية والاجتماعية». فالزيادة في مستوى الدخل عند الفرد والذي يعتبر في هذا المثال متغيراً مستقلاً يؤدي إلى انخفاض في درجة الضغوط النفسية والاجتماعية.

وتقسيم آخر للفروض في الاتجاه يتمثل فيما يأتي:-

1- **الفرض المباشر**: والذي من خلاله يطلق الباحث حكماً أولياً على وجود اختلاف أو فروق أو تشابه أو غير ذلك من الأحكام عند صياغته للعبارة.

مثال: «هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين نوع الأسرة (ممتدة / نواة)

وبين مستوى الدخل». فهنا الباحث قد أطلق حكماً أولياً محدداً تجاه وجود هذه الفروق بين نوع الأسرة ومستوى الدخل.

2- **الفرض الصفري:** وهو يعتبر أكثر دقة، وذلك لأن الباحث لا يستطيع أن يطلق حكماً أولياً على وجود فروق، وهو أسهل في القياس.

مثال: «لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين ومستوى الذكاء» ويعني هنا عدم وجود فروق بين الجنسين في مستوى الذكاء عدم إطلاق حكم محدد وأولي.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن العديد من الباحثين يحاولون وضع هذه الفروض على

طريقة أسئلة، كأن يتم صياغة السؤال على النحو الآتي:-

«هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين ومستوى الذكاء؟»

ولا شك أن ذلك يضعنا في دائرة الاسترشاد بأن السؤال البحثي والفرض البحثي ما هما إلا وسيلة مختلفة لتحقيق غاية واحدة ومحددة؛ ولذلك فإن وضع الفروض والأسئلة والمهارة في صياغتها بطريقة مناسبة، تحقق من هدف الباحث، وتصل به إلى الحقيقة المبتغاة. فبمقدار جودة الفروض والأسئلة والإتقان باستخدامها، بمقدار ما يستطيع الباحث أن يكشف عن حقائق محددة لا تخرج عن نطاق أهداف بحثه؛ ولذلك فإن هذه المسألة ترتبط بدرجة كبيرة بمهارة الباحث وخبرته.

الفصل السادس

إعـداد خطـة البـحث

الفصل السادس

إعداد خطة البحث

خطة البحث:

خطة البحث عبارة عن تقرير يعطي الباحث صورة وافية عن مشكلة بحثه (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998: 9). فالخطة هي الخطوط الأساسية التي يشير الباحث إليها في بحثه، أو هي الهيكل العظمي للموضوع. أو الصورة المصغرة لما سيكون عليه البحث بعد إتمامه أو قريباً منه. وكما أن بناء أي منزل يبدأ المهندس فيه برسم مصغر له، يحدد فيه أركانه ودعائمه وأقسامه، ثم يبدأ البناء بعد ذلك تبعاً للمشروع المخطط، فكذلك البحث يبدأ الباحث فيه بوضع مشروع له أو منهج يسير عليه، ليكون هذا المشروع دليلاً له عند إعداده (عبد الرحمن عميره، 1981: 40).

فخطة البحث يفترض أن تكون خطوة تأتي بعد خطوة اختيار موضوع البحث، ويفترض أن تأتي قبل خطوة عملية جمع المعلومات العلمية، وتتزامن مع خطوة المصادر والمراجع العلمية التي يلجأ إليها الباحث. فيكون الوضع العلمي كالآتي:-

1- اختيار موضوع بحثي.
2- البحث في المصادر والمراجع وكتابة الخطة.
3- تنفيذ الدراسة وإجراءاتها.

فالموضوع يتم اختياره وفقاً لأسس معينة تم ذكرها سابقاً، أما الخطوة الثانية فهي التي تبدأ بعملية القراءات الأولى الاستطلاعية، فهذه القراءات الأولى تتميز بأنها قراءات سريعة تهدف إلى استقرار الباحث على الموضوع الذي قام باختياره. وقد تكون هذه القراءات السريعة تأتي مرحلة قبل اختيار

الموضـوع فـي بعض الأوقـات، حـيث يقـرأ البـاحث في بعض المصـادر عن مـوضـوع مـعين، ويعـجب بـه، ويكون قـراره في الكتـابة عن هذا الموضـوع. والمرحلة الثانيـة يقـوم الباحث بكتـابة خطة بحثـه، يذكـر فيـها إطاره النظري والدراسـات السـابقة الشـبيهة بدراسته الحاليـة في متن خطة البحث. فالقـراءة هنا والإطلاع على الدراسات الشبيهة والإطار النظري لموضـوع البحث يكون بعد اختيار الموضوع بشكل عام. ومن ثم تبدأ القراءة المتأنية المتزامنة مع كتابة خطة البـحث؛ لأن خـطة البـحث يـجب أن يذكـر بهـا هذه الخلفـيـة النظرية والدراسـات السـابقة، أو في بعض الأوقات يتم اختصـارها بشـكل يتناسب مع حـجم الخطة. ولكن لابد من الإشـارة بـأن قـوة خطة البـحث تكمن في تكامل بنائها التام، وقدرتها على إقناع القارئ بأن الباحث ملم بجميع جوانب البحث، وقادر على أدائه أحسن أداء.

ولابد من الإشـارة إلى أن هناك خطوطاً عريضة مشـتركة ومتشـابهة بين جـميع خطط البـحث بـحيث تكون هناك عناصـر واحدة. ومع ذلك قد تخـتلف الخطة البـحـثـيـة من حـيث الشكل وترتيب هذه العناصـر، وهذه الخـطوط العريضة كما سنرى فيما بعد. إضـافةً إلى ذلك، فإن البـاحث يلجأ لكتابة خطة بحثه سـواءً كان بحثه بحثاً أمبيريقياً، أو بحثاً نظرياً. ويجدر الإشـارة إلى أن هناك اخـتلافـاً في كتـابة خطة البـحث في البـحوث النظرية عنهـا في البـحوث التطبيقية الأمبيريقية.

وسنتحدث عن خطة البحوث التطبيقية على الرغم من وجود تشابه كبير أيضاً بين هذين النوعين من البحوث.

أهمية إعداد خطة البحث:

تعد كتابة خطة البحث من الأمور الأسـاسـية والمهمة قبل البدء في كتـابة البحث ذاته، حيث إن كتابة الخطة الخاصة بالبحث هي الأساس الذي يفترض

أن ينطلق منه الباحث قبل البدء بالدراسة، وذلك للأسباب الآتية:-

1- تحديد خطوط البحث العريضة وتوجيه الباحث:

فمن خلال الخطة يستطيع الباحث أن يركز جل جهده ووقته من خلال هذه الخطوط العريضة دون الخروج عنها. فهي تلعب دوراً موجهاً للباحث، ولعل من أبرز مشكلات الباحثين وخاصةً المبتدئين لا يقومون باختيار مشكلة ذات مجال واسع، فخطة البحث تحدد موضوع الدراسة وترسم الخطوط الرئيسة قبل عملية البدء في الدراسة.

2- أخذ المشورة والخبرة من الآخرين:

إن كتابة وعرض خطة البحث على مجموعة من المختصين تساعد بشكل مباشر على إبداء الرأي وتقديم المشورة والمقترحات الخاصة في مجال البحث، فالمتخصصون من زملاء الباحث يمكنهم تقديم مجموعة من الاقتراحات التي تسهم بدرجة كبيرة في إفادة الباحث وتختصر كثيراً من الوقت والجهد. ويمكن أن تشمل المشورة والاقتراحات الإجراءات المنهجية، أو إضافة بعض الدراسات السابقة، أو إثراء الخلفية النظرية، وكذلك مناقشة واقتراح بعض الأساليب الإحصائية المناسبة، فالباحث ينبغي عليه أخذ الاستشارة من المختصين والاستفادة من الخبرات المختلفة، فيتلقى الباحث وجهات نظر متنوعة ومختلفة تعطيه آفاقاً جديدة لم تكن بحسبانه.

3- طلب الدعم المادي لمشروع البحث:

هناك العديد من البحوث التي تحتاج إلى دعم مادي يتناسب مع حجم البحث، فيلجأ الباحث إلى كتابة خطة بحثه حتى يحصل على الدعم المادي من المؤسسة التي يريد أن يتقدم إليها، فهناك العديد من المؤسسات العلمية وحتى الشركات الكبرى والمؤسسات الحكومية التي قد تقدم دعماً مادياً لبعض

الأبحاث التي تخدم قضاياها، خصماً من ميزانيتها التي تخصص جزءاً لدعم الأبحاث العلمية. فالمؤسسة لا تقدم الدعم المادي لأي موضوع إلا إذا استطاع الباحث أن يقنع المؤسسة بأنه جاد ومؤهل للقيام بالبحث، وأن هذا البحث مُعَدّ علمياً، ويستخدم منهجاً محدداً وواضحاً يستطيع من خلاله الباحث إنجاز بحثه وتحقيق الفائدة المرجوة؛ لذلك يحرص كثير من الباحثين على الاعتناء البالغ بكتابة خطة البحث قبل تقديمها.

4- أغراض أخرى:

قد يكون من الأغراض المهمة لكتابة خطة البحث الحصول على درجة علمية معينة مثل درجة الماجستير أو درجة الدكتوراه، فلا يستطيع الباحث البدء في دراسته إلا من خلال إقناع المشرفين على رسالته بأنه قادر على القيام بهذا البحث. ولذلك فإن الباحث أو الطالب يلجأ إلى كتابة خطة البحث لإقناع المشرفين بأنه مؤهل لكتابة بحثه، وقادر على تحديد منهجية واضحة ومحددة، إضافة إلى أن بعضاً من المؤسسات الحكومية والخاصة تطلب من موظفيها أو من باحثين خارجيين إعداد بعض الدراسات، كما تطلب منهم تقديم خطة بحث مسبقة قبل الموافقة على مشروع البحث.

محتويات خطة البحث:

وكما سبقت الإشارة، لا يوجد شكل واحد لخطة البحث، ولكن لابد من توافر بعض العناصر الأساسية في هذه الخطة. وبمقدار ما يستطيع الباحث أن يحدد هذه العناصر ويسهم في شرحها وتحديد قدرته على أداء أجزائها، بمقدار ما يكون الباحث مهيأ للقيام بالبحث. فهي المعيار في الحكم بأن الباحث قادر على أداء البحث من عدمه.

ومن الممكن أن نحدد محتويات خطة البحث على النحو الآتي:-

أولاً- العنوان:

من الممكن القول بأن عنوان البحث يرتبط بجانبين أساسيين: (محمد الأنصاري محمد مبارك، 1992 :52):-

1- جانب موضوعي، حيث يرتبط اختيار العنوان بمدى تعبيره عن مضمون البحث.

2- جانب شكلي، بمعنى خلو العنوان من الأخطاء اللفظية واللغوية أو النحوية، وهي أخطاء غير مقبولة خاصة في عنوان البحث.

وبشكل عام يمكن القول إن العنوان يجب أن يتسم ببعض الخصائص الآتية:-

أ- احتواؤه على الموضوع وذلك لأنه يؤدي وظيفة إعلامية.

ب- أن يكون مكتوباً بعبارة مختصرة ولغة سهلة.

ت- يرشد القارئ إلى مجاله- لأنه يصنف ويوضع في المكتبات.

ث- يفضل أن يكون العنوان مختصراً دون إطالة.

ج- يفضل أن تكون الكلمات الأساسية في بداية العنوان مثل (مشكلات، دوافع، السمنة، التعليم، المستوى التعليمي).

ح- يحدد مؤشر عن مشكلة البحث، ويوضح مجالها فقط (أما تحديد المشكلة فيجب أن يكون دقيقاً يبلور المشكلة، ويحدد أبعادها وجوانبها).

و- أن يجذب انتباه القارئ.

ز- يحدد مكان البحث والفئة المدروسة قدر الإمكان.

ويجب الانتباه إلى عدم الإسراع في تحديد العنوان إلا بعد أن يقوم الباحث بتحديد مشكلة البحث وصياغة الفرضيات التي سيقوم عليها البحث؛ لذلك، فمن الطبيعي جداً أن يقوم الباحث من فترة إلى أخرى بمراجعة وبلورة العنوان ليتماشى مع بقية عناصر الخطة (حسين فرحان رمزون، 1994 : 50-51). وذلك يعني أن العنوان قد يكون قابلاً للتغير من قبل الباحث، وحتى من

قبل من يقوم الباحث باستشارتهم، فيلجأ كثير من الباحثين إلى تغيير عناوين بحثهم وذلك بعد أخذ المشورة من زملائه وبعد مراجعته هو لخطة البحث، أو حتى بعد الانتهاء أيضاً من كتابة بحثه، فيحاول الباحث بقدر الإمكان أن يتوافق العنوان مع جميع عناصر البحث ومحتواه وموضوعه، ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن العنوان واختياره يتلاءم مع طبيعة الدراسات المكتبية والأمبيريقية على حد سواء.

ثانياً - المقدمة :

يجب أن يتبع الباحث ويحدد في مقدمته بعض الأمور مثل (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998؛ خير الدين علي أحمد عويس، 1997):

1- موضوع الإشكالية.
2- أهمية الدراسة.
3- ما الذي يمكن أن تسده الدراسة من نقص.
4- الجهود المبذولة السابقة.
5- أسباب اختيار المشكلة.
6- المستفيد من الدراسة.

وفيما يلي شرح لهذه النقاط:-

1- موضوع المشكلة:

يحدد الباحث هنا المشكلة التي يريد بحثها، فيحاول الباحث تعريفها بشكل عام، وتوضيح ماذا نريد أن ندرس، فعندما يريد الباحث أن يجري دراسة عن كفاءة مدرسي المرحلة الابتدائية، فإنه يجب أن يتحدث عن موضوع إعداد المدرسين بشكل عام وتأهيلهم، والاتجاهات الحديثة في هذا الموضوع، ويتحدث عن أبرز هذه الاتجاهات. وعندما يريد الباحث أن يتحدث عن تأثير شبكة الإنترنت على فئة الشباب مثلاً، فإنه يجب أن يتحدث بدايةً وبشكل عام

عن تأثير التكنولوجيا على السلوك الإنساني، ومن ثم الشباب بشكل محدد. هنا يحاول الباحث أن يرسم مجال دراسته وفي أي اتجاه تسير. ويقوم الباحث من خلال مجال الدراسة أن يقدم تدرجاً مفهوماً وواضحاً من العام إلى الخاص، أي: يبحث في المشكلة الكبرى (التكنولوجيا والسلوكيات الإنسانية في المثال السابق)- إلى المشكلة الخاصة (الإنترنت والشباب)، فيقوم بالتحديد في نهاية مجال البحث داخل المقدمة.

2- أهمية الدراسة:

وذلك يعني أن يحدد الباحث أهمية دراسته وأهمية إيجاد الحل للمشكلة المبحوثة، فهو يقدم تبريراً شريطة أن يكون مقنعاً عن أهمية بحثه. فيحاول الباحث أن يوضح في هذا الجانب القيمة أو الإضافة العلمية والعملية والنظرية والتطبيقية لموضوع البحث، ويمكن إبراز هذا الجانب من خلال الآتي) عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، 1987 : 50):-

أ- إبراز بعض الجوانب أو وضعها أو شرحها.

ب- صحة بعض النظريات والأفكار من عدمها.

ج- سد بعض الثغرات فيما هو متوافر من معلومات.

د- الكشف عن بعض التفسيرات الخاطئة.

هـ- تصحيح بعض الطرق والمناهج.

و- حل بعض المشكلات العلمية.

ز- إضافة علمية جديدة ، أو تطورات متوقعة.

ح- التنبؤ باتجاهات الظاهرة أو القضية.

فيجب أن يقنع الباحث القارئ بأن بحثه مهم وجدير بالدراسة، فأهمية الدراسة هي التي تقنع القارئ بجدواها من عدمه وبإجرائها أو عدم إجرائها.

3- توضيح مدى النقص الناتج عن عدم إجراء البحث:

وهي قضية أيضاً ترتبط بأهمية الدراسة. حيث يشير الباحث إلى أن عدم إجراء البحث يعني استمرار تواجد النقص والعجز والضعف. ويجب عليه هنا أن يحدد هذه الجوانب، ويحاول توضيح أن إجراء البحث سوف يعالج القصور والعجز الموجود.

4- استعراض الجهود والدراسات السابقة (عبدالوهاب أبو سليمان، 1997):

يفترض من الباحث الاطلاع على الدراسات السابقة لموضوع البحث، ويقوم بدراستها دراسة نقدية فاحصة، ويحاول أن يختار أهم الكتب والدراسات التي أنجزت فيها، ويقوم بعملية تحديد المقبول والمرفوض منها، ويبين مدى صلتها بالموضوع، وأهمية التفاصيل الموجودة بها، وما جاء بها من تفسيرات.

من خلال هذه الدراسات النقدية الفاحصة يمكن التعرف على ما إذا كان الباحث قد وصل إلى أبعد مما توصلت إليه البحوث السابقة، أو أنه أخفق في استيعاب تلك الدراسات. ويتطلب من الباحث تقديم قائمة وصفية لها، وتقويماً لمحتواها، وتكمن باختصار أهمية هذه الخطوة في مسألتين:-

أ- تفادي التكرار في البحوث.

ب- إيجاد المبررات المقنعة لدراسة الموضوع الذي تم اختياره.

يستطيع الباحث من خلال عرضه لهذه الدراسات السابقة أن يبرز قدراته العلمية. فكتابتها بصورة جيدة دلالة النضج العلمي في موضوع البحث. ومما يستحق التنويه هنا، أنه ليس خطأ الكتابة في موضوع سبق بحثه، أو مشكلة سبقت دراستها إذا اشتملت الدراسة على تقويم الدراسات السابقة، أو دراسات لجوانب لم تكن من اهتمام الباحثين السابقين، أو قدمت نتائج أخرى جديدة عما سبقها من دراسات.

إن عـرض الدراسـات لا شك يعطي قيمـة وأهمية محددة للدراسـة التي يرغب الباحث فيها، فهو في نهاية عرضه للدراسات يجب عليه تحديد ما هو الجديد الذي سوف يقوم هو بعرضه، ويكون مختلفاً فيه عن الآخرين، فهو جزء مرتبط بأهمية الدراسة أيضاً. فتحديده للأمور الحديثة والجديدة في دراسته التي سوف يقوم بها يعني أنها ببساطة ليست تكراراً لأبحاث أخرى، إنما هي إضافة محددة.

ويجب أن نذكر هنا أنه قد جرت العادة في عرض الدراسات السابقة أن يتم البدء بعرض الدراسات العالمية أولاً، ثم الدراسات العربية والإقليمية ثانياً، وأخيراً يتم عرض الدراسات المحلية ثالثاً، وذلك باعتبار أن ذلك نوع من التدرج من العام إلى الخاص في بحث المسألة. فقد يلجأ الباحث في بعض الأحيان إلى تكرار دراسة محددة قام بها أحد الباحثين على المستوى الدولي أو العربي، وهناك نقص في الدراسات المحلية. فهنا قد لا يكون هناك إشكالية من عملية التكرار، والذي يعد في الواقع إضافة إلى المعرفة العلمية الخاصة بدراسة ظاهرة محددة أو مشكلة معينة في إقليم أو مجتمع معين لم يتوافر فيه هذا النوع من الدراسات. فهو إثراء للمعرفة العلمية ولا يعد تكراراً. المهم هنا أن يقدم الباحث تبريراً بماذا تختلف دراسته عن ما هو معروض، وما الجوانب التي سوف تعرضه دراسته وأغفلته الدراسات السابقة، وما هو الجديد، فيقدم أيضا هنا نوعاً من أنواع التبرير للقيام بالدراسة.

ولابد من الإشـارة أيضـاً إلى أن هناك بعض الأبحـاث التي لا يمكن من خلالها الحصول على دراسات سابقة ذات ارتباط وتشابه تام بالدراسة التي يقوم الباحث بإجرائها. فهنا يلجأ الباحث للكشف من خلال الكتابات والدراسات السابقة المتعددة عن مفاهيم نظرية ذات صلة وثيقة بموضوع بحثه، ويحاول أن يربط موضوع بحثه بخطوط نظرية محددة. فعلى سبيل المثال، عند بدأ انتشار استخدام الإنترنت من حيث كونها ظاهرة تكنولوجية

حديثة بدأت تظهر على الساحة بعض الدراسات الحديثة الخاصة في هذا المجال، فقد تكون بداية الدراسات التي تناولت هذا الجانب تفتقد إلى أبحاث تكشف علاقة استخدام الإنترنت وتأثيره على سلوك الإنسان بحكم أن الإنترنت أداة تكنولوجية حديثة الظهور توسع انتشارها بشكل كبير للأفراد في مطلع التسعينات، ولكن ذلك لا يمنع الباحث من الاطلاع وذكر مدى تأثير وسائل الإعلام الشبيهة على سلوك الأفراد مثل جهاز التلفاز، ويحاول الباحث هنا أن يستخدم إطاراً مرجعياً مستمداً من دراسات سابقة عن التلفاز وتأثيره على السلوك الإنساني، فليس من الضرورة احتواء الدراسات السابقة لمواضيع مشابهة تماماً لموضوع البحث، إنما من الممكن أن تدور في فلك الموضوع، وتكون مراجعة نظرية لكتابات سابقة ذات صلة، وهنا يقدم الباحث خلفية نظرية عن المشكلة التي تعكس تعمق الباحث في مراجعاته، وهنا أيضاً تبرز مهارة الباحث والتي تعد هي المعيار، إضافة إلى كفاءته وقدرته على الاطلاع على أكبر قدر من الكم المتدفق من المعلومات.

5- أسباب اختيار المشكلة:

أسباب اختيار المشكلة يعد جزءًا أيضاً من المقدمة، ويحدد الباحث هنا لماذا قام باختيار هذه المشكلة بعينها؛ وما الدوافع والأسباب التي جعلته يختارها؟ هل هي دوافع علمية، أم دوافع شخصية؟ أم دوافع ترتبط بمجال عمله؟ وغير ذلك.

6- المستفيد من الدراسة:

يحدد الباحث هنا من هي الجهة المستفيدة من الدراسة، فيحدد أي جهة رسمية أو أي مؤسسة أو هيئة علمية من الممكن أن تستفيد من نتائج الدراسة.

ومن خلال ما سبق يمكن أن يتضح أن العناصر التي تم ذكرها في المقدمة الخاصة لخطة البحث. من الممكن أن تكون عناوين فرعية محددة تخرج عن

نطاق المقدمة لتكون مستقلة عنها. وكما سبقت الإشارة فإنه لا توجد خطة بحث مثالية واحدة وخطوط محددة، إنما هي عناصر من الممكن أن يتم استخدامها من قبل الباحث بطريقته وأسلوبه الخاص، حيث إن الدراسات السابقة قد تكون جزءاً مستقلاً عن المقدمة وكذلك أهميتها. فهي تعتمد على الباحث وأسلوبه في الكتابة كما ذكر. إضافةً إلى ذلك، لابد من الإشارة إلى أن مقدمة خطة البحث لا تعتبر كلاماً إنشائياً، إنما يفترض أن تكون واقعة ضمن أسس وقواعد علمية سليمة يعرف من خلالها الباحث ماذا يذكر وماذا يقدم بصورة جيدة، ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن بعض الباحثين يضع المشكلة وصياغتها عند الانتهاء من عرضه للدراسات السابقة، حيث يذكر المشكلة المحددة التي يرغب في البحث عنها بعدما يفرغ من ذكره للعديد من الدراسات المتعددة.

ثالثاً - مجالات المشكلة:

ويقصد بمجالات المشكلة تحديد مجالات البحث والمتمثلة بالآتي (سعيد ناصف،1997) :-

1- المجال المكاني:

ويقصد به المجتمع الذي يختاره الباحث لإجراء الدراسة إذا كانت الدراسة دراسة ميدانية، مثل ريف، مدينة، مصنع، مستشفى، سجن، مؤسسة أحداث... إلخ، ويتوقف اختيار الباحث لمجتمع بحثه على طبيعة المشكلة موضوع الدراسة من جانب أو على تحديده لمفاهيم بحثه والمؤشرات التي اعتمد عليها في تعريفاته الإجرائية التي ينطلق منها من جانب آخر. فعند دراسة مثلاً مشكلة الإدمان بين الشباب الجامعي، فإن مجتمع البحث سيكون الجامعة، وإذا كان يدرس الإدمان عند الفلاحين فإن مجتمع بحثه سيصبح قرية، وإذا كان يدرس الوظائف الاجتماعية للديوانية في المجتمع الكويتي، فإن

الديوانية الكويتية تعد مجتمع البحث.

2- المجال البشري:

وهي عينة البحث ومجتمعه بشكل عام، فيقول الباحث مثلاً: إن الدراسة سوف تقتصر على فئة المسنين في المجتمع الكويتي، أو فئة من أبناء قبيلة شمر، أو على الرجال دون النساء مثلاً، أو من الرجال مرتادي الديوانيات الكويتية، وهكذا، فيحدد الباحث مجاله البشري، ومن ثم يعرض كيفية اختياره للعينة كما سوف يتم تفصيله لاحقاً.

3- المجال الزمني:

ويقصد به الفترة الزمنية التي سيستغرقها البحث بدءًا من اختيار مشكلة البحث وإعداد الخطة، مروراً بتحديد الإجراءات والخطوات المنهجية وإعداد أدوات البحث، واختيار المجالات (البشرية والمكانية)، ووصولاً إلى عملية جمع البيانات الميدانية وتحليلها وكتابة التقرير النهائي للبحث. ويفترض على الباحث تحديد الوقت الذي تستغرقه الدراسة، غير أن هناك كثيراً من الدراسات الاجتماعية التي تعالج ظواهر ومشكلات اجتماعية في مراحل تاريخية مختلفة، ومن ثم يجب على الباحث أن يحدد بدقة فترات أو مراحل الدراسة وفقاً لتتابعها التاريخي.

رابعاً - وضع المسلمات:

لابد من الأخذ بعين الاعتبار أن المسلمات قد لا توضع كعنوان فرعي محدد في خطة البحث. ولعل غالبية الباحثين لا يعمد إلى وضع ذلك بصورة عنوان فرعي محدد، إنما يحاول أن يذكر المسلمات البحثية داخل متن الخطة، ولاسيما في مقدمتها، وعند الحديث عن الأطر النظرية للدراسة.

يقوم الباحث بعرض المسلمات في بحثه، وهي عبارات يستخدمها في

بحثه، ويسلم بصحتها دون أن يحتاج إلى إثباتها، وإقامة الدليل عليها؛ لأنها حقائق واضحة أو بدهيات، وقد تكون حقائق مأخوذة من نتائج بحوث علمية سابقة، كأن يقول الباحث مثلاً: إنّ التدخين عامل رئيسي لحدوث سرطان الرئة. ومن المسلمات مثلاً عندما نقول: إن الديوانية مرتادوها من الرجال، وإن التدريب يُحسِّن من أداء المعلمين والمدرسين، ومن المسلمات التي من الممكن أن تكون حقائق معينة مثل الأرض كروية، أو تتمدد الأشياء بالحرارة، وتتكمش بالبرودة. فيضع الباحث هنا مجموعة من المسلمات على أساس أنها عبارت شريطة ألا تخالف هذه العبارات الحقائق العلمية المعروفة.

خامساً – وضع الفروض وأسئلة الدراسة:

الهدف الأساسي للباحث هو الإجابة عن أسئلة البحث أو الأسئلة التي حددت مشكلة الدراسة. فيضع الباحث نفسه أمام سؤال أو مجموعة من الأسئلة، وعليه أن يقوم بتقديم إجابات عنها. حيث يضع الباحث إجابات أولية محتملة، والتي قد تكون صحيحة كما قد تكون غير صحيحة. فهذه الإجابات المحتملة تسمى فروضاً. وفي حال وضع الأسئلة فإن السؤال نفسه يعتبر احتمال صحته أو خطئه من خلال طرح السؤال نفسه.

ويمكن القول إن الفرض هو فكرة مبدئية تربط بين الظاهرة موضوع الدراسة وبين أحد العوامل المرتبطة بها أو المسببة له، فهو إجابة محتملة عن السؤال المطروح في البحث أو استنتاج من الباحث، ولكن يجب الوضع في الاعتبار بأن هذا الاستنتاج ليس استنتاجاً عشوائياً، بل استنتاجاً مبنياً على معلومات سابقة أو نظرية علمية كما سبقت الإشارة في فصل سابق، ولعل من أبرز خصائص ومميزات الفرض الجيد هو إمكان اختباره إحصائياً، والفرض يعبر عن علاقة بين متغيرين، ويجب صياغته بشكل يوضح هذه العلاقة.

سادساً: إجراءات الدراسة:

تعني إجراءات الدراسة كيفية استطاعة الباحث أن يقوم بأداء دراسته، بمعنى ما هو السبيل أو الطريق، أو بالتحديد ما هو المنهج والأدوات المختلفة التي يستخدمها من أجل تحقيق هدفه. فالدراسة لها هدف محدد، وعن طريق الإجراءات يستطيع الباحث أن يحدد كيف يمكنه القيام بتحقيق هدفه وإجابته عن أسئلة وفروض الدراسة.

فيحدد الباحث بعض الإجراءات التي سوف يقوم بها والمتمثلة في:-

1- مجتمع الدراسة وعينة البحث.
2- الأداة المستخدمة.
3- المناهج والأساليب المستخدمة.
4- الأساليب الإحصائية المستخدمة.

1- مجتمع الدراسة وعينة البحث:

ويقصد بالمجتمع جميع الأفراد موضوع الدراسة، والعينة هي جزء من هذا المجتمع. فيحاول الباحث في إجراءات الدراسة أن يقوم بتحديد مجتمع الدراسة والعينة التي سوف يتم اختيارها. فيقوم الباحث بتحديد كيفية اختيار هذه العينة وبأي طريقة سواء أكانت عينة عشوائية أو غير عشوائية. وعليه أن يقدم تبريراً مناسباً في كثير من الأوقات لماذا تم اختيار هذه العينة بهذه الطريقة، وخاصة إذا كانت العينة عينة غير عشوائية سواء أكانت فرضية أو حصصية، أو عينة المصادفة- كما سيتم تناولها لاحقاً. وهنا يحاول الباحث تقديم التبرير المناسب بأن تكون عينته ممثلة لمجتمع البحث بحيث تخرج نتائج بحثه صادقة وفعالة ومؤثرة. إضافةً إلى ذلك، يذكر الباحث حجم العينة المختارة المراد دراستها، وتقديم التفصيل عنها قدر الإمكان من حيث مثلاً: الجنس، والفئات العمرية، ومن أي منطقة، وغير ذلك من

الخصائص العامة للعينة.

2- الأداة المستخدمة:

يجب أن يقوم الباحث بتحديد الأداة المستخدمة التي سيلجأ إليها ليثبت صحة فروضه أو الإجابة على أسئلة دراسته. وهي الأداة التي سوف يجمع من خلالها الباحث بياناته والمعلومات المطلوبة. فيجب على الباحث هنا أن يقنع الآخرين بأن الأداة التي سوف يستخدمها هي الأداة المناسبة لجمع هذا النوع من المعلومات الذي يحقق هدف الدراسة في النهاية. فيحدد على سبيل المثال هل المقابلة أم الاستبانة هي الأنسب، أم أن الملاحظة بالمشاركة هي الأداة المناسبة.

إضافةً إلى ذلك، فإن الباحث قد يلجأ إلى أكثر من أداة محددة في عملية جمعه للبيانات، فقد يلجأ إلى استخدام الاستبانة، والملاحظة بالمشاركة، والسيرة الذاتية وجمع الوثائق، والمقاييس المتعددة في بحث واحد. وقد تكون كل أداة تجيب عن أحد فروض أو أسئلة الدراسة، فاستخدام الأدوات يعتمد بالدرجة الأولى على هدف البحث ونوع الدراسة والأسئلة أو الفروض المستقاة من هذا الهدف.

3- المنهج والأساليب والأدوات المستخدمة:

ويعني ذلك الأساليب والطرق والتصميمات التي يضعها ويستخدمها الباحث عند إجابته عن أسئلة الدراسة. فيحاول الباحث أن يقنع القارئ بدقة الإجراءات المستخدمة من أجل الوصول إلى صياغة الأداة المستخدمة مثلاً، أو الطريقة التي تم بها تطبيق الأداة على أفراد العينة وغير ذلك. فيذكر الباحث على سبيل المثال إذا استخدم أحد المقاييس أداة لدراسته، كيف قام باستخدام هذا المقياس أو تطويره وإجراءات الصدق والثبات الخاصة به، ويفترض أن يذكر أمثلة لعباراته. إضافةً إلى ذلك يذكر على سبيل المثال: أين تمت المقابلة

وفي أي وقت، ومع من تم إجراء الترتيبات التي خلصت بالنهاية إلى الوصول إلى أفراد العينة. وقد يذكر الباحث من الذي قام بعملية توزيع استبانته، وكيف قام بتدريبهم أو تدريب الأشخاص الذين أجروا مقابلات، والوقت الذي استغرقته الإجابة على الأسئلة، وهل كانت هناك فترة تمهيد للإجابة وهكذا، ويعني هذا أن يقدم الباحث وصفاً دقيقاً عما سيقوم به ويجريه في دراسته.

4- الأساليب الإحصائية المستخدمة:

يحدد الباحث هنا ما هو الأسلوب الإحصائي الذي سوف يقوم باستخدامه، ولابد من الإشارة إلى أن مهارة الباحث الإحصائية مهمة في تحديد الأسلوب الإحصائي المناسب. فبمقدار فهمه وإدراكه لقواعد وأصول الإحصاء، بقدر ما يستطيع أن يستخدم المنهج الإحصائي المناسب، إضافةً إلى ذلك، فإن هناك بعض الأساليب الإحصائية تكون بسيطة، وهناك أساليب أخرى أكثر تعقيداً. وهي تعتمد على قدرة الباحث وإدراكه للمفاهيم الإحصائية وكيفية استخدامها، ولعل من أهم الأساليب الإحصائية المستخدمة هي تلك التي تسمى بالإحصاء الوصفي، والتي تعتمد على سبيل المثال على التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية. إضافةً إلى ذلك، يلجأ الباحثون في أغلب الأوقات إلى استخدام أساليب إحصائية أخرى متعددة مثل اختبار الارتباط Correlation، أو اختبار تحديد الفروق المسمى باختبار «ت» t-test، وكذلك اختبار ANOVA، إضافةً إلى اختبار العلاقة والتنبؤ المسمى بالانحدار Regression، فهذه بعض من الأساليب المستخدمة، والتي سيتم تناولها بالتفصيل فيها لاحقاً في هذا الكتاب.

ولابد من الإشارة إلى أن استخدام أي وسيلة إحصائية أو أسلوب يعتمد بالدرجة الأولى على الفرضية المستخدمة أو السؤال الموجه. فالفرض أو السؤال هو الذي يحدد الأسلوب الإحصائي المستخدم والذي يجب على الباحث أن يكون مدركاً أيٍ من هذه الأساليب تتوافق مع السؤال أو الفرض، إضافةً إلى

ذلك، فالباحث يلجأ إلى عدة أساليب إحصائية في البحث الواحد، ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن الأسلوب الإحصائي هو الذي يبرز التميز بين نوع البحوث إذا كانت كمية أو كيفية، فالأسلوب الإحصائي يرتبط مع الأرقام، والأساليب الإحصائية تتحدث عن الأرقام كما سنرى فيما بعد.

سابعاً – تحديد المصطلحات:

ينبغي على الباحث أن يقوم بتعريف بعض المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بدراسته، ويقوم بتحديد معناها. فقد يكون في البحث أكثر من مفهوم أو مصطلح يحتاج الباحث إلى القيام بتعريفه؛ ولذلك فإن الباحث يجب أن يختار أفضل التعاريف المتلائمة مع دراسته، أو التعريف المناسب له، والذي ينطبق على دراسته.

ولعل من أبرز المشكلات في العلوم الاجتماعية– السلوكية هو عدم وجود تعريف واحد محدد جامع مانع للعديد من المفاهيم والمصطلحات، فمفاهيم مثل الأسرة، الشباب، الغضب، المسنون وغيرها لا يوجد لها تعريف واحد محدد. فهناك العديد من التعريفات؛ ولذلك فإن الباحث يجب أن يذكر هنا بعضاً من هذه التعريفات، ومن ثم يقوم بتحديد ما يتوافق من هذه التعريفات مع بحثه. فعلى سبيل المثال، فتعريف الشباب يختلف في الكتابات السابقة العلمية في تحديد المرحلة السنية، فيجب على الباحث أن يوضح تعريفه بالتحديد، وأي التعريفات أو الفئات العمرية التي سوف تنطبق على دراسته، فإذا حددها بالفئة العمرية الواقعة بين 18–24 سنة مثلاً فإنه يجب أن لا تخرج عينته عن هذه الفئة إذا كانت عينته من فئة الشباب.

ولنأخذ هذا المثال، فإذا قام الباحث مثلاً بدراسة تأثير الإنترنت على العزلة الاجتماعية عند الشباب في المجتمع الكويتي، فإنه يفترض عليه أن يحدد ماذا يقصد بفئة الشباب، وأي فئة عمرية ستكون أفراد عينته. إضافةً إلى ذلك،

فإن الباحث يجب أن يحدد ماذا يعني بمفهوم العزلة الاجتماعية، وما المقصود بها. فالباحث هنا يفترض عليه تحديد المصطلحات المستخدمة في بحثه حتى يكون ذلك واضحاً وجلياً ماذا يعني، وما المقصود من بحثه. فهناك العديد من المفاهيم التي يحتاج الباحث لتعريفها. وفي هذا المثال، يفترض أن يكون لدى القارئ فهم واضح لما هو المقصود من مفهوم الشباب، ومفهوم العزلة الاجتماعية.

فالباحث هنا ما عليه إلا أن يحدد المصطلحات المستخدمة في دراسته، ويقدم التعريف الذي يتوافق مع هذه الدراسة، أو الذي تعنيه الدراسة، وهو المسمى بالتعريف الإجرائي. فيحاول الباحث أن يحدد التعريف الخاص بالمفهوم المدروس بما يتوافق مع دراسته، فيحدد تعريفه للشباب في المثال السابق بأنهم تلك الفئة التي تقع بين 18-,24 فهو التعريف الذي سيستخدمه في بحثه.

ثامناً - قائمة المراجع:

في نهاية كتابة خطة البحث، يجب على الباحث أن يحدد ما المراجع والمصادر التي استخدمها؛ إن كم ونوع المراجع وحداثتها يعكس مدى جدية وقيمة الدراسة المستخدمة.

تاسعاً - ميزانية البحث:

بالإضافة إلى العناصر السابقة والتي تعد العناصر الأساسية لخطة البحث، فإن هناك بعض البحوث التي يطلب من خلالها الباحث تمويلاً مالياً لإجراء الدراسة، وخاصة أن هناك العديد من الدراسات التي تكلف الكثير من المال، ويحتاج الباحث إلى الدعم المادي من بعض المؤسسات المتعددة والمختصة، فالخطة إذا تم إعدادها لمؤسسة أو جهة محددة، ويطلب فيها الباحث دعماً مادياً، فإنه وفي هذه الحالة، يفترض أن تكون ميزانية البحث جزءًا منها.

فيحدد الباحث الميزانية المقترحة لبحثه. ويقوم بتحديد تقدير لإجمالي المبلغ الذي يمكن أن يقوم بطلبه من المؤسسة التي يتم إنجاز بحثه من خلالها، ويعرض الميزانية أيضاً بشكل تفصيلي ومحتواها، فيحدد المبلغ المطلوب مثلاً للباحثين المساعدين الذين يقومون بجمع البيانات، والباحث الذي يقوم بتحليل البيانات وإدخالها، واقتناء بعض من الأدوات الضرورية للدراسة، إضافةً إلى المصاريف الجارية للدراسة. فبمقدار ما يقوم الباحث بإقناع القارئ أو المؤسسة بدقة المصروفات المطلوبة، بمقدار ما يستطيع الباحث أن يصل إلى قبول المؤسسة أو الجهة الداعمة للبحث. وفي بعض الأوقات تسعى بعض المؤسسات وفق قناعتها إلى تخفيض المبلغ، أو يتم من قبل الباحث زيادة المبلغ المطلوب بعد مدة. وهي مسألة تعتمد وترتبط بالمؤسسة المقدمة لهذا الدعم.

نقاط أساسية في محتويات خطة البحث:

يجب الالتفات إلى بعض النقاط الأساسية عند كتابة خطة البحث ومراعاتها والأخذ بها بعين الاعتبار، وهي تتمثل في الجوانب الآتية:-

1- أن عملية ترتيب الخطوات سابقة الذكر لخطة البحث يعتبر ترتيباً غير ملزم، فبالإمكان إعادة ترتيبها وفقاً لما يراه الباحث مناسباً مع مراعاة بعض الأصول العلمية في عملية الترتيب، وحتى كتابة العناوين الفرعية.

2- ليس من الضروري أن تحتوي كل العناصر المذكورة السابقة في جميع خطط البحث. فالمسلمات مثلاً كعنوان فرعي، والميزانية كذلك قد لا تكون موجودة في كل الخطط، ولكن من المهم أن يتم ذكر العناصر المذكورة سابقاً.

3- أن خطة البحث هي في الأساس امتداد للبحث، فإعداد خطة البحث يعني القيام بجزء مهم من البحث، ولذلك من الممكن استخدام ما تم ذكره في الخطة للبحث نفسه، فيستخدم الباحث الدراسات السابقة والمنهجية المستخدمة والعناصر الأخرى في بحثه عند البدء في كتابته.

4- يغلب على أسلوب كتابة الخطة الفعل المستقبلي، أي: بمعنى أن يقوم الباحث بذكر أنه سوف يقوم أو سوف يعمل أو سوف يختار وسوف يفحص، أما عند كتابة البحث نفسه فإن الفعل هنا سيكون بالماضي بدلاً من المستقبل.

5- من المفضل أن تعرض الخطة البحثية في لقاء عام يجمع المتخصصين فيتم عرض الخطة في سيمنار (قاعة بحث) محدد حتى يتم الاستفادة من الأفكار والآراء والمقترحات قبل البدء بالدراسة، وهي طريقة وأسلوب يستخدمه الكثير من الباحثين.

لابد من الإشارة إلى أن خطة البحث تعتبر ضرورية، وهناك العديد من الباحثين لا يمكنه أن يبدأ بحثه إلا من خلال إعداد الخطة أولاً، ومن ثم الموافقة عليها مثل الباحثين في الأطروحات العلمية، أو الباحثين الذين يطلبون دعماً مادياً. وقد يعمد الباحث إلى البدء بالبحث دون خطة في بعض الأحيان، وذلك لعدم حاجته مثلاً إلى أي دعم مادي، أو لا توجد أي جهة تسأله عن هذا البحث. وعلى الرغم من أن الكثير من الباحثين من يعمد إلى ذلك، فإن كتابة الخطة جزء مهم في البحث حتى يستشف الباحث من خلالها الآراء والأفكار والمقترحات من المختصين ومن زملائه الذين يقدمون له العون والمساعدة.

خطة البحث المكتبي:

لاشك- وكما سبقت الإشارة- أن الأبحاث تختلف أنواعها، وتقسم وفقاً للطرق التي تم الحديث عنها، ومن هذا المنطلق فإن خطط الأبحاث تختلف باختلاف مناهج الباحثين والموضوعات التي يتم بحثها، ولعل البحث المكتبي الذي يعتمد على الدراسات المكتبية والبحث عن الوثائق والكتب تختلف خطة البحث فيه عن البحوث التطبيقية،ولكن لا يختلف الهدف العام منه، فالهدف من خطة البحث يظل واحداً.

ولعل من الممكن عرض أبرز الخطوط العريضة لخطة البحث المكتبي، والتي من الممكن أن تكون كالآتي (غازي عناية، 1986؛ عبد الرحمن عميره، 1981):-

1- عنوان البحث.

2- المقدمة.

3- الأبواب أو الفصول أو الأجزاء وعناوينها.

4- المراجع والمصادر.

فالعنوان لا يختلف تحديده في الدراسات التطبيقية، إضافةً إلى أن المقدمة يفترض أن يتم فيها ذكر الآتي:-

1- التعريف بالبحث والأفكار التي يدور حولها الموضوع والعناصر الأساسية له.

2- غرض البحث والهدف منه، وماذا يريد الباحث أن يبحث والدوافع إلى البحث. كما يبحث أيضاً في نوع الدراسة: هل هي إخبارية، أو تحليل حادثة، أو دراسة خلال فترة أو حقبة زمنية أو عن إحدى الشخصيات، وغيرها من الأمور التي تتفق مع هدف الدراسة. على أن يتم أيضا صياغة موضوع الدراسة صياغة محددة وبعبارة واضحة.

3- الدراسات السابقة ذات الارتباط.

4- أهمية البحث: وهي المبررات من وراء إجراء الدراسة التي لا تختلف عن البحث التطبيقي.

وبعد ذلك يحاول الباحث أن يقسم بحثه إلى أبواب أو فصول أو أجزاء، ويكتفي بالخطوط العريضة فيه بدون تفاصيل، والتي تكون في الغالب عرضه للتغيير والتبديل في أثناء كتابة البحث، وفي النهاية يذكر أبرز المراجع والمصادر المستخدمة.

فخطة البحث هنا تعتمد بشكل كبير على قراءات الباحث المتفرقة، فهي

عملية تجميع وقراءات مستفيضة ومتنوعة، ولعل الجهد الذهني المبذول في عملية القراءة والاطلاع يعتبر أكثر من الدراسات التطبيقية. بينما الدراسات التطبيقية تتطلب الجهد البدني بصورة أكبر من خلال طبيعة أدوات الدراسة وتحليل البيانات وإدخالها وغيرها. فالقراءات والاطلاع على الكتابات والدراسات السابقة والوثائق والكتب هي الأساس في البحث المكتبي.

إن الباحثين الذين يختارون البحث الكيفي بجميع أشكاله كثيراً ما يواجهون مشكلة ماذا يريدون أن يقوموا بكتابته قبل تقديم خطتهم K (Krathwhl, 1988)، ولابد من الإشارة إلى أن البحث المكتبي لا يعني البحث الكيفي بكافة أشكاله، فهناك الدراسات الأثنوجرافية التي تعد أبحاثاً كيفية في غالبيتها، حيث تعتمد على الوصف والتحليل، ويستخدم الباحث هنا مزيجاً في خطة بحثه بين الإجراءات التي تعتمد على التطبيق، وإعداد بعض الخطوط الرئيسة للعناوين أو الفصول، أو حتى الأبواب لهذا البحث الأثنوجرافي. فيحاول الباحث الميداني الأثنوجرافي أن يجمع بين الأسلوبين عند إعداد خطته، وبشكل عام فإن الهدف من إعداد خطة البحث واحد، وهو إظهار القدرة على أداء الدراسة أو البحث بشكل مناسب.

الفصل السابع

العينة وطرق اختيارها

الفصل السابع

العينة وطرق اختيارها

لعل أحد أبرز المشكلات التي تواجه الباحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية بالتحديد هي طريقة اختيار العينة الخاصة ببحثه. فاختيار عينة البحث يجب أن يكون دقيقاً وواضحاً ومحدداً من قبل الباحث، وذلك لأنه ينعكس بشكل مباشر على النتائج التي سوف يتوصل إليها. فطريقة جمع البيانات عن طريق عينة مختارة بطرق سليمة وصحيحة، يسهم بشكل كبير في مصداقية النتائج التي سوف يتم التوصل إليها، ومقدار الثقة فيها.

ولابد من الإشارة إلى أن طرق وأساليب اختيار عينة البحث تختلف باختلاف أسلوب البحث المتبع، وما إذا كان بحثاً يعتمد على التحليل الكمي أو التحليل الكيفي. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث يجد في بعض الأوقات صعوبة في تحديد عدد أفراد العينة الذين يريد أن يقابلهم، وبعض الباحثين يحاول أن يقوم بمقابلة أكبر قدر من المبحوثين الذين يفهمون ويعرفون موضوع الدراسة (Taylor and Bogdon, 1984)، فطرق اختيار العينة في الدراسات الاثنوجرافية تختلف عن طرق اختيارها في الدراسات الكمية، والتي تعتمد على الرقم في عملية التحليل.

مفهوم العينة:

قبل أن نحدد مفهوم العينة وماذا يقصد بها، يفترض بدايةً وقبل الإجابة عن هذا السؤال أن نحدد المقصود بمفهوم «مجتمع البحث» "Population Research". ومن الممكن أن نعّرف مجتمع البحث بأنه جميع المفردات التي تكّون إطار البحث المراد دراسته. فهو جميع الأشخاص أو الأشياء المكونة للدراسة. فإذا أراد الباحث على سبيل المثال أن يدرس مشكلة

خاصة تتعلق بمستويات ومعدلات السمنة لدى تلاميذ مدارس الكويت فإن مجتمع الدراسة هو جميع المفردات أو جميع تلاميذ مدارس الكويت عامةً، وإذا أردنا أن ندرس اتجاهات طلبة جامعة الكويت نحو الزواج، فإن طلبة جامعة الكويت جميعهم يعتبرون مجتمع الدراسة. وإذا قمنا بدراسة الخصائص العامة للأسرة الكويتية، فإن جميع الأسر الكويتية تعد مجتمع الدراسة، وعند دراسة تفضيلاتها الزواج عند الإناث في المجتمع الكويتي فإن جميع الإناث ممن يدخلن ضمن دائرة الزواج يعتبرن مجتمع الدراسة، وهكذا، فمجتمع الدراسة هو جميع المفردات الخاصة التي تكون موضوع أو مشكلة البحث.

ولكن السؤال الذي يحتاج إلى تحديد: هل يستطيع الباحث أن يدرس جميع مفردات مشكلة البحث وجميع أفراده، بمعنى هل يستطيع الباحث أن يدرس مجتمع البحث بأكمله؟

إن دراسة مجتمع البحث كاملاً لا يعتبر أمراً مستحيلاً. فهناك العديد من البحوث الاجتماعية والسلوكية التي تقوم بدراسة مجتمع البحث كاملاً. فمجتمع البحث من الممكن دراسته كاملاً في بعض الأوقات، ولكن ذلك لا يحدث إلا إذا كان مجتمع البحث صغيراً ومحدداً وسهل الوصول إليه. فبالإمكان تطبيق الدراسة على المجتمعات البحثية الصغيرة. فعلى سبيل المثال، إذا أراد الباحث أن يقوم بدراسة عن اتجاهات أعضاء مجلس الأمة الكويتي نحو قضية معينة فإن أعضاء المجلس لا يتجاوز الخمسين عضواً، ومن السهولة الوصول إليهم، وقياس اتجاههم. أو إذا أراد الباحث مثلاً قياس مدى كفاءة القياديين من مديري الإدارات في إحدى الوزارات أو المؤسسات فإن المجتمع قد يكون محدوداً وسهل الوصول إليه، ومن الممكن أن يلجأ الباحث إلى إجراء دراسته على جميع أفراد المجتمع. بمعنى أنه يمكن الدراسة الشاملة لمجتمع البحث إذا كان صغير الحجم.

ولكن، وكما سبقت الإشارة، لا يستطيع الباحث في جميع البحوث اللجوء

إلى مجتمع البحث كله، فيضطر إلى أن يلجأ إلى اختيار جزء من هذا المجتمع، وهذا ما يسمى بعينة البحث. وهو الأمر الغالب في الدراسات الاجتماعية والسلوكية. فيلجأ الباحثون إلى اختيار عينة بحثية بدلاً من اختيارهم لجميع المفردات أو مجتمع البحث كله.

ووفقاً لذلك فإن عينة البحث من الممكن أن تعرف على أنها مجموعة فرعية من العناصر المختارة من بين العديد من العناصر الممكنة المكونة للمجتمع الأصلي لإجراء الدراسة عليها (محمد عوض عبد السلام، 1987: 31).

وبما أن الباحث يحاول هنا أن يختار جزءاً من كل، فإنه يفترض عليه أن يحدد هذا الكل، أي: بمعنى آخر يفترض عليه أن يحدد المجتمع الأصلي في دراسته. فيفترض في دراسته أن يقوم بتعريف مجتمعه الأصلي موضع دراسته تعريفاً دقيقاً وواضحاً. ولا يشترط أن يكون مجتمع البحث الأصلي محدداً بعدد معين من العناصر، فقد يكون كبيراً جداً في حجمه لدرجة أنه ربما يشتمل على كل سكان الدولة، أو سكان مجموعة من الدول، وقد يكون صغيراً جداً لدرجة أنه لا يتجاوز بضعة عناصر مثل فريق كرة القدم، أو أعضاء مجلس الأمة. ومهما تكن طبيعة المجتمع الأصلي من حيث الحجم، فإن الباحث الاجتماعي يجب أن يحدده بدقة ووضوح (محمد عوض عبد السلام، 1987)، حتى يعرف القارئ عن أي فئة تتحدث عنها مشكلة البحث، إضافةً إلى أنها تعطي تصوراً وخطاً واضحاً حول مشكلة البحث.

أسباب اختيار العينة:

لعل هناك أسباباً أساسية تجعل الباحث يختار جزءًا من مجتمع البحث بدلاً من المجتمع بكامله. ولعل أبرز الأسباب التي تدفع الباحث الاجتماعي إلى أن يختار عينة بدلاً من مجتمع الدراسة بكامله تتمثل فيما يأتي:-

١- تقليل الوقت المستخدم: فاستخدام العينة يقلل من الوقت المبذول للدراسة.

2- استثمار التكاليف: فتكلفة بحث العينة ودراستها تقلل من التكاليف الخاصة لإجراء الدراسة، ولا سيما تلك المجتمعات البحثية ذات العدد الكبير جداً.

3- قلة الجهد المبذول: فاختيار العينة يقلل من المجهود المبذول من قبل الباحثين ومساعديهم.

4- إمكانية الوصول إلى جميع أفراد العينة: وهو أمر متعذر لا يمكن تحقيقه على كل أعضاء المجتمع الأصلي، وربما يكون ذلك راجعاً إلى انتشار سكانه وبشكل شاسع في أماكن متفرقة يصعب الوصول إليها (محمد عوض عبد السلام، 1987).

5- كون العينة أكثر دقة وملاءمة لدراسة بعض المشكلات في المجتمعات الأصلية التي تتطلب ممارسة أو تطبيق بعض الإجراءات الضارة (المدمرة) على العنصر تحت الدراسة. فعلى سبيل المثال، إذا أراد باحث اجتماعي دراسة العلاقة بين التدخين والإصابة ببعض الأمراض لدى أطفال التعليم الأساسي، فإنه يكون غير أخلاقي ومنافٍ لمعايير المجتمع وأخلاقه أن يجعل كل أطفال التعليم الأساسي يزاولون عادة التدخين لفترة ما من الوقت بقصد دراسة ومعرفة ما سوف يصيبهم من أمراض بسبب ممارستهم لعادة التدخين. وفي هذه الحالة، تصبح العينة المختارة من كل أطفال التعليم الأساسي أكثر ملاءمة، وتعطي النتائج نفسها المراد الحصول عليها من دراسة المجتمع الأصلي الكلي (محمد عوض عبد السلام، 1987).

يتضح أن عملية اختيار العينة البحثية يحقق أهدافها وأهداف البحث. فهي- أي: العينة - مثل النسيج لثوب كبير، فإذا أخذنا جزءاً من ثوب متجانس، نعرف محتوى الثوب كله، ومثله أيضاً مثل العينة من الدم التي يأخذها الطبيب من المريض. فعينة من الدم كفيلة أن تعطينا فكرة عن خصائص هذا الدم مع بعض الفروق في عملية التشبيه.

فالعينة إذا تم اختيارها بدقة تحقق الهدف. ولعل عبد الباسط محمد حسن (د.ت: 436-437) يضرب مثالاً خاصاً، والذي قام به رونتري Rowntree (1941) في دراسته الكلاسيكية عن الفقر في مدينة يورك بإنجلترا. فقد عرض عن جدوى وأهمية ودقة اختيار العينة وتحقيقها لهدفها. بدأ رونتري بدراسة المجتمع كله، وقام بحساب النسب المئوية لما ينفق على إيجار السكن. ثم أخذ بطريقة عشوائية منتظمة عدة عينات من فئات المجتمع. فأخذ في إحدى العينات حالة واحدة من كل 10 حالات، وفي عينة ثانية أخذ حالة من كل 20، وفي ثالثة حالة من كل 30، وفي رابعة حالة من كل 40، ثم أخذ في عينة خامسة حالة من كل 50 حالة في المجتمع. وقام بحساب النسب المئوية لمتوسط ما ينفق على السكن لكل فئة، وذلك بالنسبة لكل عينة من العينات الخمس السابقة.

ويوضح الجدول التالي النسب المئوية للعينات الخمس. ويلاحظ أنها لا تختلف كثيراً فيما بينها، كما أنها لا تختلف كثيراً عن النسب المئوية للمجتمع الأصلي. وقد استنتج رونتري بناءً على تلك النسب أن العينة طريقة عملية تفيد في دراسة مجتمع البحث، ويمكن عن طريقها معرفة خصائص المجتمع والاستدلال على المعلومات اللازمة عنه.

جدول يوضح النسب المئوية لما ينفق من الدخل على إيجار السكن(*)

فئات الدخل	العدد الأصلي في المجتمع	نتائج المسح الشامل	نتائج مسح العينات				
			1 من كل 10	1 من كل 20	1 من كل 30	1 من كل 40	1 من كل 50
(أ)	1848	26,5	26,9	25,9	27,0	28,3	27,1
(ب)	2477	22,7	22,9	23,5	23,3	22,3	22,6
(ج)	2514	19,8	18,1	17,6	18,3	17,2	18,0
(د)	1676	15,8	16,0	14,4	15,8	17,1	16,9
(هـ)	3740	11,3	11,0	10,1	10,7	11,6	11,5

(*) نقلاً عن عبد الباسط محمد حسن (1977). أصول البحث الاجتماعي. ص 437 .

اختيار العينة:

إن عملية اختيار عينة البحث لا تعتبر مسألة سهلة كما يعتقد البعض. فعملية تحديد عينة البحث عملية تحتاج إلى جهد ذهني من قبل الباحث قبل أن يبدأ باختياره لمفردات بحثه. فعملية التحديد والاختيار تلعبان دوراً في نتائج البحث من حيث صدقها والاعتماد عليها من عدمه. حيث إن الاختيار الخاطئ وغير المنظم الذي يقدره الباحث لحجم العينة يلعب دوراً رئيساً في التأثير على نتائج البحث، فلا يمكن الاعتماد على نتائج بحثية معينة ما لم يثق القارئ بعينه البحث. ولا يمكن على سبيل المثال الاعتماد على نتائج بحث تتعلق بمقدار انتشار ظاهرة المخدرات في مجتمع ما بشكل عام، وعينة البحث تقتصر على طلبة وطالبات المرحلة الثانوية مثلاً. ولا يمكن أن نعتمد على نتائج مدى التأثير السلبي على استخدام شبكة المعلومات عند الشباب، وعينة البحث تكون ممن يعملون في المؤسسات الحكومية فقط. فعملية تحديد العينة، وحجمها، ومن ثم اختيارها تلعب دوراً كبيراً في مقدار الثقة بنتائج البحث. فاختيار عينة البحث يجب أن تتم بعناية فائقة.

وتمر عملية اختيار العينة بالخطوات الآتية ذوقان عبيدات وزملاؤه (1998):-

١- تحديد المجتمع الأصلي للدراسة:

يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمجتمع الدراسة، أي: تحديد جميع مفردات مشكلة البحث. فعلى سبيل المثال إذا أردنا دراسة اتجاهات طلبة جامعة الكويت نحو الاختلاط، فإن مجتمع البحث هم طلبة الجامعة بأكملهم. وهنا يجب على الباحث تحديد حجم المجتمع الأصلي، ويستثني من ذلك جميع الفئات العمرية المشابهة لهذه الفئة أو لهذا المجتمع من خارج طلبة الجامعة.

2- تحديد أفراد المجتمع الأصلي:

عند اختيار العينة العشوائية البسيطة بالتحديد- والتي سيتم التطرق إليها لاحقاً- يفترض أن يتم إعداد قائمة بجميع مفردات المجتمع الأصلي، وقد يلجأ الباحث إلى الجهات المختصة حتى يتم الحصول على هذه القوائم، فمثلاً قد يلجأ الباحث إلى إدارة التسجيل في الجامعة، أو قد يلجأ إلى الهيئة العامة للمعلومات المدنية، أو إدارة الإسكان وهكذا. وإذا كانت العينة غير عشوائية أو عشوائية غير بسيطة، فيجب تحديد مفردات العينة البحثية أيضاً، وذلك من خلال تحديد أسلوب الاختيار.

3- اختيار عينة ممثلة Representative Sample:

أي أن تكون ممثلة لجميع مفردات المجتمع، وهنا يجب الالتفات إلى نقطة مهمة في هذا الجانب، وهي أن عملية التمثيل الدقيق لمجتمع الدراسة لا يتم إلا من خلال اختيار عينة عشوائية كما سنرى فيما بعد. ولكن لا يستطيع الباحث أن يحصل في جميع الأوقات على عينة ممثلة تمثيلاً مثالياً للمجتمع، وذلك لأن هناك العديد من المشكلات الاجتماعية والبحثية التي يجب دراستها تعوق عملية الاختيار العشوائي من مفردات المجتمع، ولكن اختيار العينة الممثلة هنا يقصد به أن يختار الباحث مفردات بحثه وفقاً لتوزيع مناسب، فقد يكون التمثيل المناسب هنا أن يشمل جميع المحافظات في المجتمع المدروس مثلاً، أو جميع المراحل العمرية، أو التعليمية في بعض الأوقات وجميع الطبقات الاجتماعية. وهكذا وحسب الهدف من الدراسة أو البحث، يجب أن يراعي الباحث عملية التمثيل قدر الإمكان.

4- اختيار عدد كاف من الأفراد في العينة:

أولاً لابد من الإشارة إلى أن اختيار العدد الكافي من أفراد العينة يختلف من حيث طبيعته بين الدراسات الأثنوجرافية والدراسات التي تعتمد على

الأرقام أو المسماة بالدراسات الكمية، فالدراسات الأثنوجرافية لا تعتمد على اختيار مشابه للاختيار في الدراسات الكمية. وبشكل عام فإن اختيار العينة يرتبط بعدة عوامل منها:-

١- **تجانس المجتمع الأصلي أو المجتمع المدروس:** ولتوضيح هذه النقطة فإننا نستطيع تشبيه مجتمع الدراسة بالثوب. فإذا كان الثوب الذي يرتديه الشخص من لون واحد وشكل واحد وطبيعة واحدة ليس فيه أي نقوش أو زخارف أو تشكيلات، فإن هذا الثوب متجانس ليس فيه أي شوائب. فاختيار قطعة صغيرة منه نسبياً قد تكون كافية. فأي قطعة منه تكون كافية لمعرفة طبيعة الثوب بأكمله، ومما هو مصنوع وشكله. أما إذا كان الثوب فيه بعض من الزخارف والنقوش والتشكيلات المتعددة، فإننا نحتاج إلى أخذ عينة من أماكن مختلفة، وقد تكون عدد القطع المأخوذة كبيراً من هذا الثوب حتى نعرف طبيعته إذا افترضنا عدم معرفتنا أساساً بطبيعة هذا الثوب. كذلك الحال بالنسبة للمجتمع المراد دراسته. فإذا كان مجتمع البحث متجانساً فإننا نحتاج لأخذ عينة أصغر نسبياً عما إذا كان هذا المجتمع غير متجانس.

ويمكن ضرب مثال بحثي خاص بقياس مسألة الاختيار الزواجي في المجتمع الكويتي لدى طلبة جامعة الكويت مثلاً. فالعينة هنا قد تكون أكثر تجانساً فيما لو أردنا تطبيق هذه الدراسة علي فئات المجتمع بأكمله. فمعيار التجانس هنا هي المرحلة العمرية لهؤلاء الطلبة، والذين يكون في الغالب متوسط أعمارهم في بداية العشرينات، وهم أيضاً متجانسون في المرحلة التعليمية والتي تقابلها تجانس نحو النظرة للمستقبل والنظرة لفكرة الاختيار الزواجي، وكذلك التجانس في الطبقات الاجتماعية. فالعينة هنا متجانسة وتحتاج إلى عدد قليل من الطلبة نسبياً. ولو طبقت هذه الدراسة على المجتمع الكويتي بأسره، فإننا نحتاج أن نزيد نسبة العينة، وذلك لأن المجتمع يشتمل على جميع الفئات العمرية، كما يشتمل على خلفيات ثقافية

وتعليمية ونظرة إلى العالم مختلفة ومتفاوتة؛ وإضافةً إلى غيرها من الأمور الثقافية الأخرى، والتي يحتاج من الباحث بأن يرفع من نسبة العينة لتشمل هذه الفئات والتوزيعات الثقافية المتعددة.

فالقضية هنا ترتبط بتجانس المجتمع والهدف الأساسي من الدراسة. ولابد من الإشارة إلى أن قضية التجانس لا تعنى التشابه. فالتجانس يفترض وجود بعض الفروق في المجتمع المراد دراسته، ويعني التشابه عدم وجود مثل هذه الفروق.

ب- **أسلوب البحث المستخدم**: ويقصد بذلك منهج الدراسة المستخدم في الدراسة. فحجم العينة يختلف باختلاف أسلوب البحث، وما إذا كان البحث بحثاً مسحياً أو بحثاً ارتباطياً، وما إذا كان بحثاً كيفياً أو بحثاً كمياً، كما تم توضيح ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب. فطرق اختيار العينة في الدراسات الأثنوجرافية على سبيل المثال غالباً ما يعتمد على عدد محدود من أفراد العينة، والتي تشترط بعض الأمور الخاصة عند عملية الاختيار. فقد يعتمد الباحث على عدد عشرين أو عشرة أو خمسة أشخاص من أفراد المجتمع يقومون بوظيفة أساسية لتحقيق هدف بحثه، ويعتبرون إخباريين. وقد تعتمد بعض الأبحاث التي تستخدم طريقة أسلوب دراسة الحالة إلى الاعتماد على عينة واحدة فقط. وهذا طبعاً يعكس البحوث المسحية التي تحتاج إلى عينة كبيرة، وتزداد هذه النسبة عند بعض الدراسات التي تسمى بالدراسات الوبائية Epidemiological Studies التي يرتفع فيها عدد العينة إلى أعداد كبيرة حتى يتم قياس الانتشار الخاص بالظواهر الصحية الاجتماعية. فلا يمكن دراسة معدلات انتشار أعداد مرضى السكر أو ضغط الدم أو السمنة، أو زواج الأقارب في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا كانت عينة الدراسة كبيرة. وتقل هذه النسبة في البحوث الأخرى مثل الدراسات التي تركز على الارتباطات وإيجاد الفروق بين المتغيرات المختلفة، فهدف الدراسة هو الذي يحدد أسلوب الدراسة المستخدمة، والتي على

أثرها يتم تحديد العدد المطلوب.

جـ- **الدقة:** هناك قاعدة عامة، وهي أنه كلما ارتفع حجم العينة كانت النتيجة أكثر دقة وتمثيلاً لمجتمع الدراسة المبحوث. فالدقة في النتائج تتطلب أعداداً كبيرة في البحوث الإحصائية. ولكن يجب الانتباه إلى نقطة مهمة، وهي أنه في مرحلة من المراحل البحثية فإن ارتفاع حجم العينة لا يعطي أي تغير مميز. فعند دراسة معدلات انتشار زواج الأقارب في مجتمع ما على سبيل المثال، وقرر الباحث أن يطبق على 10 آلاف امرأة ممن تجاوزت أعمارهن 15 سنة وما فوق في ظل وجود 100 ألف امرأة في هذا المجتمع، فإن المعدل يكون دقيقاً إذا تم اختيار العينة بطريقة سليمة، وهنا مهما يتم رفع حجم العينة فإنه يصل إلى نتيجة مشابهة تقريباً. فالدقة مطلوبة، ولكن اختيار العينة بشكل مناسب يسهل كثير من الأمور البحثية.

الخطأ في العينة:

في بعض الأوقات يحدث خطأ في العينة المختارة، وتنحصر مصادر الخطأ في العينة (اعتماد علام ويسرى رسلان، 1991: 272-273) في أمرين:-

(1) خطأ المصادفة أو ما يسمى بخطأ العينة.

(2) خطأ التحيز.

خطأ العينة أو المصادفة Random Error:

ينشأ خطأ الصدفة نتيجة لوجود فروق بين أفراد العينة وأفراد المجتمع الكلي، ويرجع وجود هذا الخطأ إلى أن العينة التي يتم احتيارها تكون محدودة العدد، وليس مضموناً أن يكون متوسط القيم في أية عينية نختارها هو نفس المتوسط العام في المجتمع. (عبدالباسط محمد حسن، 1977).

فيتوقف هذا النوع من الخطأ على كل من درجة تباين المجتمع الأصلى وطريقة اختيار العينة وحجمها، فكلما كبر حجم العينة قل خطأ المصادفة،

زادت درجة الثقة في النتائج. هذا ويمكن التحكم في قيمة هذا الخطأ وتقديره بالطرق الإحصائية، وإن كان يصعب تجنب وقوعه إلى حد بعيد. كذلك يجدر الملاحظة أن هذا النوع من الأخطاء يؤثر على العينة وحدها، ولا يتأثر به الحصر الشامل بوصفه أحد المصادر الهامة لجمع البيانات.

مثال لخطأ الصدفة:

إذا كان لدينا ستة أطفال، وكانت أعمارهم (بالسنة) على التوالي 2، 3، 4، 6، 9، ,12 أي أن متوسط العمر في هذه المجموعة (بعد قسمة مجموع المفردات على عددها) 6 سنوات. فإذا سحبنا عينة عشوائية مكونة من حالتين فقط من هؤلاء الأطفال ولتكن 2، 4 فإن متوسط العمر يكون 6/2= 3 سنوات، وهنا نجد فرقاً كبيراً بين متوسط العينة ومتوسط المجتمع الأصلي. وإذا سحبنا عينة ثانية، وثالثة، ورابعة مكونة كل منها من حالتين لا يكون هذا الاختيار دقيقاً إلا في حالة سحب الحالتين رقم 3، 9، ففي هذه الحالة الأخيرة يمكن القول بأن القيمة المقدرة لأعمار الأطفال تنطبق تماماً على القيمة الحقيقية للأعمار، حيث إن متوسط العينة = (3+9)/2 = 6 سنوات، وهي نفس المتوسط الحقيقي للمجموعة. أي: أن خطأ الصدفة يرجع إلى الفرق بين القيمة المقدرة من العينة والقيمة الحقيقية في المجتمع الأصلي الذي سحبت منه العينة. ومن هنا لا نستطيع الجزم بأن متوسط القيم في أية عينة هو المتوسط العام نفسه للقيم الحقيقية في المجتمع الأصلي، فقد يكون عمر أحد أفراد العينة صغيراً فينخفض متوسط العينة، وقد يكون كبيراً فيرفع المتوسط في العينة عن المتوسط الحقيقي. ولا يحدث خطأ المصادفة في حالة حدوث التعادل. كذلك لا يمكننا الجزم بحدوث هنا التعادل في أي حالة معينة إذا تركت للمصادفة وحدها. وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو أنه يحتمل حدوث هذا التعادل. وهكذا تصبح الاحتمالات من الموضوعات العامة التي يجب على الباحث الاهتمام بها وتفهمها قبل أن يختار أنسب الطرق لاختيار العينة، وربما تجدر الإشارة إلى

كيفية التغلب على خطأ المصادفة وذلك عندما يحدد الباحث نسبة التسامح في العينة بحيث لا تتجاوز 5٪ على سبيل المثال.

خطأ التحيز Bias Error:

ينتج خطأ التحيز عادة عندما لا يختار الباحث عينته اختياراً عشوائياً، أو أن الإطار «مجتمع البحث» الذي اعتمد عليه في اختيار عينه البحث لم يكن وافياً بالغرض، أو لصعوبة الاتصال ببعض المبحوثين وتركهم دون الحصول على الاستجابات المطلوبة منهم (عبدالباسط محمد حسن، 1977 : 439). ويتسم هذا النوع من الخطأ بالتحيز غالباً نحو جانب واحد إما بالزيادة أو بالنقصان. وتزداد أهمية هذا النوع من الخطأ كلما كبر حجم العينة، حيث تقل فرص الخطأ العشوائي. ويرجع حدوث أخطاء التحيز لعدد من العوامل تذكر من بينها:

1- سوء التقدير وعدم توفر الدقة من جانب الباحث، وذلك عند قيامه بعمليات الحصر، حيث قد تفوقه الدقة الكافية في حساب المتغيرات، وكذلك عدم توفيق الباحث في صياغة الفروض الصحيحة.
2- صياغة أسئلة غامضة وغير واضحة للمبحوثين.
3- عدم استجابة بعض مفردات العينة لأسئلة المقياس أو الاستبانة.
4- الاختيار المقصود غير العشوائي لمفردات العينة.
5- سوء اختيار العينة وقد يحدث نتيجة لسحب العينة من إطار غير كامل.
6- عدم دقة القياس.

فهذان النوعان هما الأساسيان لمصادر الخطأ في العينة والتي يفترض أن يراعي الباحث عدم الانزلاق فيهما. وعليه، فإن مهارة الباحث قضية مهمة عند عملية اختيار العينة.

أنواع العينات:

عند مطالعة الكتابات السابقة المتعددة لمناهج وطرق البحث، نجد أن هناك

تعدداً في العينات وأنواعها وحتى مسمياتها. فهناك أساليب متعددة للعينة، وهناك أيضاً مسميات مختلفة للعينات وطرقها. ولكن هناك اتفاق على تقسيم العينات إلى أسلوبين أساسيين عامين سُمّيا بأسلوب العينة الاحتمالية أو العشوائية، وأسلوب العينة غير العشوائية.

والاختلاف في التسميات يأتي في البنود المتنوعة من هذين الأسلوبين. ولابد من الإشارة بدايةً إلى نقطة مهمة جداً في هذا الجانب، وهي أن الباحث الماهر هو الذي يستطيع أن يستخدم الأسلوب المناسب والملائم لموضوع بحثه. فالباحث هو الذي يحدد نوع العينة المناسبة، والذي يتطلب مهارة وخبرة وإعداداً لذلك.

فاختيار أسلوب العينة سيطرح كثيراً من التساؤلات من قبل القارئ، وعدم الدقة في الاختيار يؤثر على نتائج البحث ومصداقيته. ولذلك، فيفترض أن يبذل الباحث الجهد في تحديد أسلوب اختيار العينة المناسب. والعينة وأنواعها يمكن تقسيمها وفقاً لذلك إلى:-

أولاً- العينة العشوائية (الاحتمالية) وأنواعها:

في أسلوب العينة العشوائية:

1- من الممكن أن تعمم نتائج الدراسة على جميع مفردات المجتمع. حيث إنها الأسلوب الذي يكشف لنا عن خصائص المجتمع وسماته.
2- أن تتوافر لدى كل فرد من أفراد مجتمع الدراسة الفرصة المتساوية والمكافئة لأن يتم اختياره، وذلك دون تحيز أو تدخل من قبل الباحث.
3- من الممكن أن يكون جميع أفراد مجتمع الدراسة معروفين كما هو الحال في العينة العشوائية البسيطة.

ويمكن تقسيم العينة العشوائية إلى ثلاثة أنواع:-

1- العينة العشوائية البسيطة Simple Random Sampling

2 – العينة المنتظمة Systematic Sampling

3 – العينة الطبقية Stratified Sampling

1 – العينة العشوائية البسيطة Simple Random Sampling:

عند عملية اختيار العينة العشوائية البسيطة، يجب أن يتوافر شرطان أساسيان هما:-

1– أن يكون جميع أفراد المجتمع معروفين.

2– أن يكون هناك تجانس بين أفراد هذا المجتمع.

فلو انتفى وجود هذين الشرطين لا يستطيع الباحث الاختيار العشوائي البسيط. فالنقطة الأولى المتمثلة بمعرفة جميع مفردات المجتمع هو شرط أساسي لتتم من خلاله عملية الاختيار، فلابد من وجود قائمة كاملة لمجتمع الدراسة. أما عملية تجانس هؤلاء الأفراد داخل المجتمع فإنه شرط فني أو علمي، بحيث لا يستطيع الباحث اختبار هذا الأسلوب ما لم يكن هناك تجانس واضح بين أفراد العينة؛ والتجانس هنا يحدده موضوع الدراسة كما سبقت الإشارة إليه. فمن الأمور التي من الممكن أن تعكر من تجانس مجتمع الدراسة أنه «قد يوجد (في مجتمع الدراسة)– حسب خصائص المجتمع الأصلي بعض صغار السن، وبعض طوال القامة وبعض قصار القامة، والفقير والغني ... إلخ» (لويس كوهين ولورانس مانيون، 19 : 129).

وتتم عملية اختيار مفردات العينة بالأسلوب العشوائي البسيط بإحدى الطرق الآتية (فتحي عبد العزيز أبو راضي، 1997 : 48–53):-

أ– طريقة السحب العشوائي (القرعة) :

عند اتباع هذه الطريقة تعطي مفردات المجتمع الأصلي أرقاماً مسلسلة تكتب على بطاقات متشابهة، وبعد أن تخلط خلطاً جيداً يسحب عشوائياً منها عدد من البطاقات يساوي عند مفردات العينة المطلوبة. وتلائم هذه الطريقة

سحب العينات من المجتمعات الصغيرة الحجم، حيث لا تحتاج إلى مجهود كبير أو وقت طويل في عملية ترقيم مفردات المجتمع الأصلي وسحب العينة منه.

ب- طريقة الجداول العشوائية :

يصعب اتباع طريقة السحب العشوائي في الاختيار في حالة المجتمعات الكبيرة الحجم، حيث تحتاج عملية الترقيم إلى مجهود كبير كما أنها تكون مضيعة للوقت. ولذلك يفضل الرجوع إلى جداول خاصة تعرف باسم جداول الأرقام العشوائية Tables of Random Numbers، وهي جداول أرقامها مختارة بطريقة عشوائية (أي أنها أرقام لا ترتبط ببعضها بأي أسلوب رياضي فهي لا تكون متتالية عددية أو هندسية موضوعة في شكل أعمدة تتناسب مع حجم مجتمع إحصائي يتكون من أي عدد من المفردات)، كما يبدو من الجدول التالي :-

جدول يوضح الأرقام العشوائية(*)

52	92	55	51	10	86	10	02	61	38	66	59	17	23	28	42	17	20
49	94	60	94	63	48	54	11	70	53	33	01	04	03	49	04	49	74
64	48	18	37	71	78	88	40	65	29	42	23	67	38	31	49	10	94
37	38	37	01	02	54	12	15	54	32	52	32	84	69	15	78	15	22
53	12	36	49	51	58	57	50	87	91	55	30	30	27	18	12	29	93
97	56	85	87	51	83	03	85	69	95	53	45	99	14	36	77	04	45
51	08	26	59	72	64	77	06	49	48	60	94	39	89	49	99	91	44
24	26	37	63	92	30	84	27	65	89	59	47	96	19	02	91	23	16
34	99	83	88	47	61	04	55	51	70	42	82	65	65	04	65	50	04
92	08	78	17	33	88	77	22	71	24	26	66	61	03	72	01	70	32
08	39	90	51	34	92	81	20	41	06	39	81	95	42	07	59	64	03
47	27	03	49	68	67	07	19	83	31	48	93	86	67	90	00	49	62
76	33	86	06	40	33	07	51	88	48	03	14	36	98	86	95	00	61
79	01	80	52	03	22	45	60	86	09	04	21	74	28	49	90	03	89
01	79	85	24	55	29	14	27	89	06	07	60	40	52	85	33	72	01
56	14	93	70	44	23	17	91	53	60	22	32	34	34	79	49	56	37
35	26	34	66	66	35	22	20	28	24	25	35	55	10	48	74	05	49
66	03	69	92	58	59	28	01	23	42	94	33	26	97	25	37	74	49
85	97	07	56	63	65	65	97	12	08	85	19	08	88	43	22	26	20
26	97	75	93	55	44	18	22	79	08	93	76	39	43	96	77	87	48
67	04	21	22	85	30	20	05	7	27	11	00	73	75	46	87	72	08
99	20	32	19	75	32	22	46	71	64	42	31	27	17	62	98	97	95
10	72	20	69	74	36	32	24	12	46	55	46	20	70	31	57	99	37
23	96	48	00	28	54	44	23	71	88	18	75	33	85	37	58	79	05
11	36	65	36	40	51	39	41	01	29	22	91	79	00	42	63	85	55

(*) نقلاً عن فتحي عبد العزيز أبو راضي (1997): ص ص 50-,51 وأشار المؤلف في الحاشية بأنه يحسن الرجوع إلى الجداول المفصلة في:. Lindley and Miller (1953). Cambridge Elementary Statistical Tables. Cambridge

19	08	86	64	69	05	24	49	85	03	72	24	36	68	25	91	28	67
87	06	57	89	60	45	84	73	43	86	82	51	59	32	78	94	86	85
62	75	47	18	11	37	25	58	13	63	44	78	88	5	9	60	10	10
19	20	20	66	47	23	44	87	89	26	80	77	80	90	48	89	555	94
09	14	37	56	15	64	3	29	19	62	62	33	20	23	77	77	63	11
61	03	25	24	04	26	40	68	62	94	57	38	55	54	04	16	00	64
96	70	98	45	21	30	46	88	60	10	58	60	41	78	23	13	94	50
85	17	19	27	97	48	85	75	59	34	05	45	13	44	96	37	98	66
80	08	28	72	66	57	62	79	90	60	91	90	77	60	83	42	91	66
43	85	84	58	42	90	45	39	29	21	40	19	07	02	18	12	58	23
25	27	30	05	24	98	04	02	90	50	05	73	40	72	06	40	49	52
41	84	76	86	23	40	58	58	66	66	47	79	30	78	99	93	98	74
44	93	69	05	21	23	88	88	45	54	52	69	88	01	30	54	26	50
34	56	56	39	73	28	35	35	34	28	84	96	79	33	89	61	46	49
90	67	76	86	66	25	00	00	03	22	88	73	29	78	44	13	65	19
38	23	86	55	28	28	00	00	61	72	40	81	59	87	67	47	17	64
60	42	17	48	89	11	88	88	95	57	56	56	97	68	37	97	43	18
01	31	75	44	88	66	81	81	53	15	61	96	09	51	87	60	58	65
53	34	78	64	93	45	15	15	75	31	65	85	14	91	00	31	90	79
11	34	67	65	76	63	40	40	42	94	09	16	05	59	15	00	23	07
51	40	28	19	14	00	19	19	32	30	46	95	51	01	24	14	08	90
30	56	97	00	30	65	85	85	03	41	13	34	82	21	02	62	82	53
64	59	33	23	31	39	84	84	33	20	25	76	50	04	15	26	17	98
44	59	35	89	17	65	54	54	50	45	62	30	40	82	44	12	91	08
50	90	74	11	41	33	37	37	54	85	16	17	87	84	77	46	21	37

وعند استخدام هذه الجداول تعطي أرقاماً مسلسلة لمفردات المجتمع الذي نريد معاينته، ثم يختار بداية اختياراً عشوائيا تؤخذ من عندها الأرقام التي تدخل ضمن مفردات العينة مع استبعاد الأرقام المتكررة، أو الأرقام التي تزيد عن حجم المجتمع. ولتحقيق ذلك يلزم أخذ أعمدة تحتوى على عدد من الخانات تساوي عدد أرقام حجم المجتمع. ولشرح ذلك يمكن القول لو كانت بيانات عن مجتمع يتكون من 100 مفردة فبإمكاننا اختيار الأرقام بالطريقة العشوائية من العمودين الأول والثاني من الجدول. فإذا كنا نريد اختيار عينة مكونة من 10 مفردات من 100 مفردة، فإننا سنرى أن أرقام المفردات المطلوبة من الجدول السابق، هي 20، 74، 94، 22، 93، 45، 44، 16، 4، ,32 أما إذا كان حجم المجتمع كبيراً كان يتكون من 10000 مفردة، ففي هذه الحالة تستعمل الأعمدة الأربعة في الجدول المذكور. فإذا أردنا سحب عينة مكونة من 100 مفردة من هذا المجتمع، فإن أرقام مفردات العينة المختارة من الجدول بهذه الطريقة تكون هي على التوالي 1720 ثم تليها 4974 وبعدها 1094، وهكذا حتى يصل عدد المفردات 100، وهي عدد مفردات العينة المطلوبة. وإذا كنا بصدد معاينة 2000 مفردة فقط فإننا نختار من الجدول السابق أرقاماً مكونة من أربعة حدود لمفردات العينة

المطلوبة، وهي 100 مفردة وتتم عملية الاختيار بإحدى الطريقتين: إما أن تختار الأرقام العشوائية من العمودين الأول والثاني كمفردات العينة بقبول أي رقم يقع بينهما، أو الأرقام التي هي أقل من 2000، ورفض أي رقم آخر يقع بين 2000 و ,9999 ويتم الاستمرار في عملية القبول والرفض حتى يصل عدد المفردات 100 مفردة. ويعاب على هذه العملية أنها تستنفذ وقتاً طويلاً، وذلك بسبب ارتفاع معدل رفض الأرقام التي تزيد عن الحجم الكلي للمفردات الذي نريد سحب العينة منه. ولهذا السبب تستبدل طريقة قبول ورفض الأرقام العشوائية بطريقة أخرى يمكن بها اختيار المفردات المطلوبة، وذلك على أساس قبول جميع الأرقام التي تزيد عن رقم 2000، واعتبارها تكرارات الأرقام بين 1 و 2000، بمعنى أن الأرقام العشوائية بين 2001 و4000، 4001 و 6000 ،6001 و8000، 8001 و 10000 يمكن اعتبارها أرقاماً إضافية (جديدة) للأرقام من 1 إلى 2000، وتمتاز هذه الطريقة بأن فيها اختصاراً كبيراً للوقت في اختيار الأرقام المطلوبة من جميع الأرقام المحصورة بين 1 و 2000 .

وفي بعض الحالات تكون البيانات المتاحة عن مجتمع البحث في شكل مجموعات ويراد أخذ عينة عشوائية من المجموعات ككل، وليس من كل مجموعة على حدة. فمثلاً إذا كانت لدينا بيانات عن أعداد السكان لعدد كبير من المراكز العمرانية التي تتكون من عدة مجموعات: قرى صغيرة، قرى كبيرة، مدن صغيرة، مدن كبيرة (عواصم المحافظات) فإنه بإمكاننا أخذ عينة واحدة من كل هذه المجموعات باستخدام الطريقة العشوائية في الاختيار. ويتم ذلك بأن ترتب أعداد كل المجموعات في قائمة حتى نحصل على المجموع الكلي لأعداد جميع المراكز العمرانية المطلوب معاينتها، فمثلاً إذا كان عدد المراكز العمرانية للمجموعات الأربع هو: 136، 67، 32، 7 على الترتيب، فإنها تأخذ ترقيماً من 1 إلى 136، ومن 137 إلى 204، ومن 205 إلى 237، ثم من 238 إلى 245 على الترتيب أيضاً. وبالتالي يتكون المجتمع الإحصائي للمجموعات الأربع من

245 مركزاً عمرانياً، والذي يمكن منه سحب عينة بالطريقة العشوائية السابق شرحها.

جـ- طريقة السحب بواسطة الحاسب الآلي

تستخدم هذه الطريقة في حالة سحب عينات كبيرة الحجم من مجتمعات تتميز بأحجام كبيرة جداً، وتحقق هذه الطريقة درجة عالية من العشوائية، وعدم التحيز حيث إن الباحث لا يتدخل في عملية الاختيار.

ويطبق هذا الأسلوب حالياً في الأبحاث العلمية التي تجرى في معظم دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وفي سبيله للانتشار في الدول الأخرى التي أخذت على عاتقها حديثاً، تطوير أجهزتها الإحصائية بإدخال الحاسبات الآلية. وبالإضافة إلى السحب الآلي لمفردات العينة، فإنه من الممكن الآن تغذية الحاسب الآلي ببرامج يمكن بواسطتها أن يضع جداول للأرقام العشوائية.

2- العينة العشوائية المنتظمة Systemic Sampling:

ويتم فيها اختيار المفردة الأولى من العينة بطريقة عشوائية، ثم يمضي الباحث في اختيار بقية المفردات على أبعاد رقمية منتظمة بين المفردات، بحيث تكون المسافة بين أي وحدتين متتاليتين ثابتة في جميع الحالات. وطبقاً لما تقتضيه حجم العينة، يختار الباحث العدد المطلوب للعينة من الأسماء المدرجة (محمد شفيق، 1993 : 199).

وتستخدم عادةً إذا كان المجتمع متجانساً مثل العينة العشوائية البسيطة. فإذا كان المجتمع الأصلي مكوناً من 1000 شخص ونريد 100 فرد كعينة بين هذا المجتمع، فنقوم بقسمة 1000 / 100 = 10 . فتكون المسافة 10، ويقوم الباحث باختيار عشوائي لأول رقم وليكن رقم 5 كرقم أولي، ثم يبدأ باختيار البقية التي ستكون 15، 25، 35، 45 ... وهكذا.

فعلى سبيل المثال، إذا أردنا القيام بدراسة خاصة عن مستخدمي الهاتف النقال (الخلوي) وحددنا العينة بأنهم الأفراد الذين يقومون باستخدام هذه الأجهزة. وتم الحصول على دليل الهواتف الخاص لمستخدمي هذه الخدمة، والذي بلغ عددهم وفقاً لهذا الدليل 10 آلاف مشترك. وقمنا بعد ذلك بتحديد حجم العينة المتمثل بخمسمائة فرد. فالأمر الذي نقوم بالبدء به هو القيام بقسمة 10000 / 500 والناتج سيكون 20, فهنا تم تحديد المسافة التي ستكون 20، ونبدأ باختيار رقم في البداية ولنقل رقم (2). ستكون العينة هم المشتركين الذين يحملون الترتيب الآتي في الدليل 2، 22، 42، 62، 82 ...، وهكذا إلى أن تصل إلى الرقم 500 من أفراد العينة. وبعد ذلك نقوم بتطبيق الدراسة عليهم.

3- العينة العشوائية الطبقية Stratified Sampling:

في كثير من الأحيان يكون مجتمع البحث متبايناً وغير متجانس، وفيه بعض من السمات والخصائص المختلفة، والتي يحتاج الباحث أن يغطيها في بحثه ودراسته. فقد يستخدم الباحث الطريقة العشوائية البسيطة أو المنظمة، ولكنه لا يستطيع أن يغطي جميع مفردات بحثه وخصائص مفرداته، فيضطر الباحث أن يلجأ إلى استخدام العينة الطبقية. إضافةً إلى ذلك، فإنه في كثير من الأحيان يتعذر على الباحث الحصول على قوائم خاصة بمفردات العينة. فيضطر الباحث إلى استخدام العينة الطبقية التي يقسم الباحث من خلالها الجمهور الأصلي إلى درجات أو فئات، ومن ثم يتم الاختيار العشوائي من بين هذه الفئات. فهي من الممكن أن تكون في كثير من الأوقات أكثر دقة من استخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة أو المنتظمة، وذلك لقدرتها على تمثيل جميع فئات الجمهور الأصلي للدراسة.

ووفقاً لذلك يقوم الباحث بالآتي:-

1- تحديد فئات المجتمع المدروس المختلفة.

2- تحديد عدد أفراد العينة التي يرغب في الحصول عليها في كل طبقة.

3- يقوم بعملية اختيار عينة عشوائية من كل فئة.

ويمكن تقسيم العينة الطبقية إلى قسمين (اعتماد علام ويسرى رسلان، 1999 : 279-282):-

(أ) العينة الطبقية النسبية **Proportional Stratified Sampling**

ويتم الاختيار إذا كان الباحث يعلم أن المجتمع الأصلي مثلاً يتكون من تنوع في بعض الخصائص مثل الديانات، فيقسم الباحث هذا المجتمع إلى شرائح مثل مسلمون، مسيحيون، يهود وغيرهم. وعندما يقوم الباحث بهذا التقسيم الطبقي فإن الفرص الاحتمالية لاختيار الأفراد الممثلين تعتبر كبيرة ومتساوية لكل شريحة. ففي العينة الطبقية لا يحدد الباحث الطبقة فقط بل يستطيع أن يقرر أيضاً كم يبلغ عدد الأفراد في كل طبقة والذين سوف تتضمنهم العينة، ويطلق على عملية اختيار الأفراد من كل طبقة وبطريقة متساوية من حيث الفرصة بعملية الحصص النسبية أو التقسيم النسبي. ومن ثم فإن العينة النسبية تشير ببساطة إلى أن كل شريحة أو طبقة تسهم في العينة بعدد من أفرادها يتناسب مع حجم تلك الشريحة في المجتمع الأصلي.

فلو افترضنا أنا أخذنا عينة نسبية من 5 طبقات متمثلة بأعداد الطلبة من الكليات وأن الباحث يأخذ نسب 20٪ من كل طبقة فستكون كالآتي:-

- كلية العلوم الاجتماعية	(1000 المجتمع الأصلي)	200 العينة
- كلية العلوم	(800 ،، ،،)	160 العينة
- كلية الشريعة	(600 ،، ،،)	120 العينة
- كلية الهندسة والبترول	(200 ،، ،،)	80 العينة
- كلية الحقوق	(200 ،، ،،)	40 العينة

فنسبة 20٪ متشابهة للجميع، ولكن حجم العينة يختلف بين فئة وأخرى.

(ب) العينة الطبقية غير النسبية Sampling Dis Proportional Stratified

ويستخدم غالباً الباحثون هذا النوع من العينة الطبقية إذا كان هدفهم العام التوصل لتعميمات للمجتمع الأصلي، وليس الهدف قاصراً على إجراء مقارنات فقط بين الجماعات الفرعية أو الطبقات الفرعية، وفي الغالب يستخدم الباحثون الأسلوب الأول إذا أرادوا اختيار أسلوب العينة الطبقية.

4- العينة العنقودية أو العينة التجمعية Cluster Sampling:

في هذا النوع من العينات تكون وحدات العينة إما مجموعات أو تجمعات وحدات طبيعية، ومن ثم تكون تلك الوحدات أسراً تضم أفراداً، أو مجموعة مباني متلاصقة، أو فصول دراسية تضم طلاباً، وغيرها. وأول خطوات أخذ العينة العنقودية أو التجمعية هي أخذ عينة عشوائية من كل وحدة يشملها المجتمع الأصلي تحت الدراسة، ثم بعد ذلك إجراء المشاهدات التجريبية وتطبيق الأداة على كل المفردات داخل كل وحدة. فالعينة التجمعية أو العنقودية هي مجموع المفردات لكل الوحدات التي تم اختيارها عشوائياً في الخطوة الأولى (اعتماد علام ويسرى رسلان، 1991).

وتسمى أيضاً في بعض الأوقات بالعينة المساحية، وذلك لانتشار مجتمع البحث على مساحة كبيرة مع عدم وجود قوائم مفصلة ودقيقة بأسماء وعناوين أفراده. وممكن تفصيل طريقة اختيار هذه العينة على النحو الآتي (كمال المنوفي، 1984 : 79):-

أ- تقسيم مجتمع البحث جغرافياً إلى وحدات أولية (محافظات مثلاً)، ويتم اختيار عينة عشوائية بينها.

ب- تقسيم الوحدات الأولية المختارة إلى وحدات ثانوية (مراكز)، يختار عدد منها بالأسلوب العشوائي.

ج- تقسيم الوحدات الثانوية المختارة إلى وحدات أصغر (قرى)، يختار من

بينها عينة عشوائية.

د- يلي ذلك رسم خرائط تفصيلية بالمنازل في القرى موضع الاختيار، ومن واقع هذه الخرائط يختار الباحث بالأسلوب العشوائي عدداً من المنازل في كل قرية. ثم يذهب إلى كل منزل، ويسأل واحداً أو أكثر من أفراده حسبما يقتضيه موضوع البحث.

وتجدر الإشارة إلى أن العينة التجمعية أو العنقودية أو المساحية أصعب في اختيارها من العينة العشوائية البسيطة؛ ولكن نجد أنها تتميز بالآتي (كمال المنوفي، 1984 : 79):-

1- إمكانية اختيار مفرداتها دون حاجة إلى قوائم بأسماء وأفراد مجتمع البحث.

2- أقرب إلى تمثيل مجتمع البحث؛ إذ تختار على مراحل تستخدم جميعها الأسلوب العشوائي.

3- تضمن تركز المبحوثين في أماكن معينة بما يقلل من تكاليف الدراسة.

ثانياً - أسلوب العينة غير العشوائية (غير الاحتمالية) وأنواعها:

هناك كثير من الدراسات التي يصعب فيها تحديد أفراد المجتمع الأصلي، وذلك لكون جميع مفردات هذا المجتمع غير معروفين أساساً، ولا يمكن أن نعرفهم في كثير من الأوقات. فمدمنو المخدرات والمسكرات مثلاً، ومرتادو الديوانيات في مجتمعنا المحلى والمتزوجين من الأقارب أو من غيرهم، أو مرضى السكر أو ضغط الدم وغيرهم من العينات التي لا نستطيع بأي حال من الأحوال تحديدهم أو تحديد مجتمع الدراسة. ولو أخذنا مثال مدمني المخدرات فإننا نجد أنه على الرغم من أن مدمني المخدرات متركزون في ثلاثة أماكن في المجتمع الكويتي مثلاً، والمتمثلة في مستشفى الطب النفسي، أو السجن المركزي، أو اللجان الخيرية مثل لجنة بشاير الخير، والتي يمكن الحصول من خلالها على قوائم معروفة ومحددة، فإنه ليس بالضرورة أن

يكون جميع المدمنين موجودين في هذه الأماكن، فهناك الكثير منهم خارج هذه المؤسسات الثلاث. ومرضى السكر أو ضغط الدم أيضاً لا يشترط أن يراجع جميعهم العيادات الطبية والصحية حتى نحصل على قوائم خاصة بهم، فالعديد لا يراجع هذه العيادات، إضافةً إلى أن كثيراً منهم لا يعرف فعلاً بأنه مصاب بأي من هذه الأمراض؛ ولذلك فإن معرفة مجتمع الدراسة قد لا يكون واضحاً للباحث، كي يلجأ إلى اختيار عينة عشوائية منهم. ولذلك فإنه يلجأ إلى استخدام عينة غير عشوائية. وكذلك، فالدراسات البحثية الأثنوجرافية التي تعتمد على وصف المجتمع وسلوكيات أفراده ومشاعرهم وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وغير ذلك، يلجأ الباحث هنا إلى بعض أفراد المجتمع ممن يتسمون ببعض السمات والصفات التي تجعله يقدم معلومات محددة وأساسية عن هذا المجتمع، فاختيار الرواة والإخباريين لا يتم بطريقة عشوائية إنما عن طريق العينة غير العشوائية، والتي ستسهم في إعطاء تفصيل وشرح عن مسألة سلوكية أو حالة وضع معين لمجتمع الدراسة. هنا يلجأ الباحث إلى الطريقة غير العشوائية، لأن الطريقة العشوائية لا تكون ذات معنى.

ولعل من أبرز أنواع العينة غير العشوائية أو غير الاحتمالية تتمثل فيما يأتي:-

1- عينة المصادفة Accidental Sample
2- العينة الحصصية Quota Sample
3- العينة المقصودة أو القصدية Purposive Sample
4- العينة التراكمية Snowball Sample

1- عينة المصادفة Accidental Sample:

وتسمى أيضاً العينة العرضية أو العينة المتاحة Available Sample، وهي ببساطة أفراد العينة الذين يقابلهم الباحث بالمصادفة، فيقوم باختيارهم

لبحثه. فقد يقابلهم خلال مروره في الجامعة، أو في الشارع أو في العمل. فهي عينة تكون في متناول يده أو الأشخاص الذين يسهل الاتصال بهم. وهنا لا نستطيع أن نقول بأن هذه العينة تمثل المجتمع الأصلي بدقة؛ إذ يصعب من خلال ذلك التعميم، فهي من العينات السهلة، والتي من الممكن أن يؤثر نفوذ الباحث على استجابات الأفراد.

2- العينة الحصصية Quota Sample:

وتسمى أيضاً بعينة الحصص، أو العينة الفئوية. فالباحث وفقاً لهذه الطريقة يقسم ويحدد خصائص عامة لعينة بحثه يعتمد فيها مثلاً على الجنس، أو العمر، أو الشريحة الاجتماعية أو أي متغير آخر. ومن ثم يقوم الباحث بأخذ وسحب حصة كل متغير من هذه المتغيرات، والتي يراعي فيها عملية النسبة والتناسب. فإذا اهتم الباحث مثلاً بدراسة العلاقات بين سكان المدن وسكان القرى، في بلد ما على سبيل المثال، فإنه يحدد النسبة التي تمثل كل فئة في عينة بحثه متماثلة مع النسب الأخرى.

ولعل من أبرز فوائد وميزات هذه العينة، أن يقوم الباحث بتوزيع هذه الخصائص أو المتغيرات حسب العدد المطلوب. فعلى سبيل المثال، إذا أراد الباحث في المجتمع المحلي أن يقوم بدراسة الخصائص العامة للأسرة الكويتية، فإنه هنا يضطر أن يراعي عدة متغيرات في دراسته مثل متغير التعليم، والعمر، والجنس، إضافةً إلى متغير العرق، ومتغير المذهب الديني. ولعل الملاحظ أن هذه العينة تتشابه إلى حد كبير مع العينة العشوائية الطبقية، إلا أن الفرق يبدو كامناً في أن العينة الحصصية يتم اختيارها بطريقة ليست عشوائية.

3- العينة المقصودة أو العمدية Sample Purposive:

وهي العينة التي يذهب إليها الباحث ويقصدها بالتحديد، أي: أن يقصد

أشخاصاً بعينهم، فينتقي الباحث الأفراد الذين سيكونون هم أفراد العينة الخاصة بدراسته، ويبني حكمه على مدى مطابقة هؤلاء الأفراد لأغراض بحثه المحددة. فإذا أراد الباحث أن يدرس مثلاً أثر الديوانية الكويتية القديمة في تاريخ وبناء دولة الكويت، فإن الباحث هنا يحاول أن يقصد ويختار عينة محددة من كبار السن الذين من الممكن أن يحققوا له أغراض دراسته، والتي لا يحققها أحد غيرهم.

وهذا النوع من العينات غالباً ما يستخدم في البحوث الكيفية والأثنوجرافية، حيث يعمد الباحث إلى قصد مجموعة من الأشخاص الذين يحققون هدف دراسته. فيختار الباحث مجموعة من الرواة أو الإخباريين بطريقة مقصودة. ولعل بذل الجهد في العثور على أفراد العينة– والتي غالباً ما تكون قليلة من حيث الحجم مقارنة بالعينة العشوائية – يساعد الباحث في استخلاص نتائج مهمة لبحثه.

4– العينة التراكمية Snowball Sampling:

وهي عينة تتراكم في عددها مثل كرة الثلج، بحيث يقوم الباحث بدايةً باختيار عدد صغير من الأفراد يرغب في تطبيق الدراسة عليهم، وتنطبق عليهم خصائص محددة، ويقوم هؤلاء الأشخاص بإرشاد الباحث وإخباره عن أفراد عينة آخرين تتوافر فيهم الخصائص نفسها. فأفراد العينة الأولى تقوم بإرشاد الباحث إلى عينة أخرى نظراً لمعرفتهم بهم. فعلى سبيل المثال، إذا أراد الباحث أن يقوم بدراسة ثقافية خاصة على المهاجرين العرب في أحد الولايات الأمريكية، فإن العينة الأولى التي تقع عين الباحث عليها ويقوم بتطبيق دراسته عليها يخبرونه عن أقربائهم أو أصدقائهم أو من يعرفونه من العرب القاطنين والمهاجرين في الولاية نفسها.

نخلص من كل ما سبق إلى أن العينة واختيارها يعتمد بشكل مباشر على

موضوع البحث، فموضوع البحث هو الذي يحدد حجم العينة ونوعها، فقد تصلح العينة العشوائية في أحوال كثيرة، ولكنها قد لا تصلح في دراسات أو موضوعات أو قضايا أخرى، وقد تخل بنتائج البحث، فمن غير المقبول أن يقوم الباحث الأثنوجرافي مثلاً – إذا أراد أن يدرس ظاهرة اجتماعية أو يصف الحياة الاجتماعية في السابق – باختيار عشوائي من المسنين في مجتمع ما. فهو يلجأ إلى أسلوب العينة غير العشوائية، وبالتحديد العينة القصدية حتى يضمن مدى إلمام المبحوث بالمعلومات التي تفيد عينة بحثه. ومن غير المقبول أيضاً أن يقوم الباحث باختيار عينة عشوائية من مجتمع محلي قد تسقط لأي سبب من الأسباب شريحة اجتماعية معينة تكون مهمة لموضوع بحثه، فمهارة الباحث العلمية هي التي تحدد طريقة اختيار العينة سواءً أكانت عشوائية أو غير عشوائية، وفي النهاية يجب التأكيد على أن العينة العشوائية واختيارها بطريقة سليمة هي العينة الوحيدة التي يمكن أن يستطيع من خلالها الباحث أن يطلق تعميماً سليماً على أفراد المجتمع، وعدا ذلك فالأنواع الأخرى قد توضح أو تعكس مؤشرات ودلائل عن المجتمع المدروس.

الباب الثاني

أدوات جمع البيانات

الفصل الثامن

الاستبانة

الفصل الثامن

الاستبانة(*)

قبل البدء بتعريف وتوضيح أبرز العناصر المرتبطة به وتحديد خطواته وطريقة تصميمه، لا بد من الإشارة في البداية إلى أن الاستبانة تعتبر أداة من أدوات البحث العلمي. ولا بد في البداية تحديد مفهوم الأداة، وماذا يقصد بها.

الأداة:

الأداة هي الوسيلة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى المعلومة. ويستخدم كل علم من العلوم أدواته الخاصة والتي تساعد حواس الإنسان على اكتشاف الحقائق. فالميكروسكوب والترمومتر أدوات يستخدمها العلماء مساعدة لحواسهم تساعدهم في إجراء الملاحظات الدقيقة التي يدرسونها (سليمان خلف،1995). كما يستخدم علماء الاجتماع والباحثون الاجتماعيون أدواتهم الخاصة من استبانة ومقابلة، وملاحظة بسيطة، وملاحظة بالمشاركة وإحصاءات ودراسات للحالة وتحليل وثائق للحصول على معلومات دقيقة عن الظواهر التي يقومون بدراستها.

فكل علم من العلوم له أدواته البحثية الخاصة، وعند الإشارة إلى هذه الأدوات السابقة التي يستخدمها الباحث الاجتماعي، فإنه ليس من الضروري أن يستخدم هذا الباحث كل هذه الأدوات بهدف جمع البيانات والمعلومات لموضوع بحثي واحد، أو للإسهام في حل إشكالية بحثية واحدة، إنما يحاول الباحث أن يختار أداة مناسبة ملائمة لجمع بياناته البحثية والحصول على المعلومات المطلوبة. وهذا في المقابل لا يعني بطبيعة الحال أن كل بحث أو

(*) هذا الفصل يعد جزءًا من كتاب خاص بالمؤلف: الاستبيان: تصميمه، وطرق المعالجة الإحصائية في العلوم الاجتماعية والسلوكية. بيروت: دار الأحباب، 2005 .

مشكلة بحثية يستخدم الباحث من خلالها أداة واحدة فحسب، إنما من الممكن جداً- وهو السائد في الأبحاث الاجتماعية - أن يستخدم الباحث في كثير من الأحيان أكثر من أداة واحدة في عملية جمعه للبيانات، كأن يستخدم الباحث الاستبانة، وأسلوب الملاحظة بالمشاركة مثلاً، أو أن يستخدم عدة مقاييس نفسية وهكذا. فيلجأ الباحث الاجتماعي في كثير من الأحيان لاستخدام أكثر من أداة بحثية واحدة، ويمكنه أيضا الاكتفاء بأداة واحدة حسب طبيعة البحث وهدفه.

إن ذلك بطبيعة الحال لا ينطبق على العلوم الاجتماعية فحسب، إنما ينطبق على جميع العلوم الأخرى كالعلوم الإنسانية والطبيعية والطبية وغيرها. فالعلوم المتعددة لها أدواتها الخاصة، ولها أسلوبها في استخدام هذه الأدوات. فنجد من الأدوات البحثية على سبيل المثال المجهر الذي يستخدمه عالم الفلك، وجهاز ضغط الدم الذي يُستخدم لدى العاملين في العلوم الطبية، والميزان، والمتر ومقياس سماكة الجلد للعاملين في شؤون التغذية، والإحصاءات المتعددة للعاملين في الشؤون السكانية، وأدوات التنقيب لعلماء التاريخ والأركيولوجيا، وغيرها من هذه الأدوات كما هو الحال بالنسبة للعلوم الإنسانية.

إن هذه الخصوصيات في استخدام الأدوات البحثية المتعددة لا يعني بالضرورة أن كل علم من هذه العلوم يملك هذه الأدوات فحسب، أو تنحصر استخداماته ضمن إطار محدد من الأدوات، إنما يمكن لأي علم من العلوم استخدام ما يشاء من الأدوات البحثية التي تفيد وتخدم مشكلة بحثه. فانطلاقاً من تداخل العلوم فيما يسمى بالعلوم البينية Interdisciplinary approach، فإن الباحثين يلجأون إلى استخدام أدوات بحثية متعددة ومن فروع مختلفة. وهذا الذي يجعل عدم ارتباط أي أداه معينة بعلم أو فرع محدد من المعرفة. فالعلوم مترابطة، وبذلك تدخل الأدوات ضمن هذا الترابط والتداخل فيما بينها

عند مناقشة ومعالجة المشكلات البحثية المتعددة.

ونأخذ أحد الأمثلة على تنوع الأدوات البحثية في ذلك الذي قام به عبد الله Abdullah (1999) عند دراسته للتوافق الزواجي في المجتمع الكويتي، والذي كان يهدف إلى دراسة التوافق الاجتماعي الثقافي المتمثل في التوافق الديني واللغوي، والتعليمي، وغيرها من المتغيرات من جهة والتوافق الفيزيقي والمتمثلة في التوافق في ضغط الدم الانبساطي والانقباض والسمنة ومقاييسها من جهة أخرى. فقد استخدم الباحث بالإضافة إلى الاستبانة أدوات تتعلق بالعلوم الطبية مثل جهاز مقياس ضغط الدم، ومقياس سماكة الجلد، والميزان، والمتر الخاص بعلوم الأغذية. فقد جمع الباحث بين أدوات بحثيه مختلفة لتحقيق هدف الدراسة والإجابة على أسئلتها المتعددة. وهناك العديد من الدراسات البينية التي تجمع أكثر من أداة بحث واحدة في سبيل تحقيقها لهدف الدراسة.

وعلى الرغم من عملية التنوع في الأدوات، والتزاوج فيما بينها في الأبحاث العلمية العامة، إلا أن العلماء في بعض الأوقات قد نسبوا أدوات معينة لعلم محدد. بمعنى أن نقول: إن الأداة (س) ترتبط بعلم محدد مع إمكانية استخدام هذه الأداة في علم آخر. فعلى سبيل المثال، ممكن القول أن الاستبانة مرتبطة بعلم الاجتماع بشكل عام. فكثيراً ما نسمع بما يسمى بالاستبانة السوسيولوجية والمقاييس والاختبارات النفسية التي ترتبط بعلم النفس، والملاحظة بالمشاركة المرتبطة بعلم الإنسان «الأنثروبولوجيا»، وهكذا. وهذا بطبيعة الحال لا يمكن أن يقودنا إلى تحديد هذه الخصوصية لهذا العلم، وإنكار استخدامه من قبل فروع المعرفة العلمية الأخرى.

وعلى أية حال ، فإن الأداة هي الوسيلة التي من خلالها يستطيع الباحث أن يجمع مادته العلمية المرتبطة بمشكلة الدراسة، وكثيراً ما يستخدم الباحث عدة أدوات، والتي في الغالب تكون ضمن دائرة مجال العلم سواء أكانت

طبيعية أو إنسانية، أو طبية، أو اجتماعية أو غيرها من المجالات.

تعريف الاستبانة:-

تتم عملية جمع البيانات كمية كانت أو كيفية بواسطة عدة طرق. ولعل أحد أبرز الطرق وأكثرها انتشاراً في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية هي الاستبانة. حيث يستطيع الباحث من خلاله الحصول على بيانات كمية وكيفية، ومن ثم يعمل على تحليلها تحليلاً إحصائياً أو تحليلاً كيفياً معتمداً على مضمونها.

ومن الممكن أن يعرف الاستبانة ببساطة على أنه مجموعة من الأسئلة يطلب من أفراد العينة أو المعنيون بموضوع الاستبانة الإجابة عليها. ومن التعريفات العامة للاستبانة ما يعرضه رايت (1973) Wright والذي يعرفه بأنه أحد الأدوات البحثية البسيطة والمباشرة في عملية جمع البيانات التي ترتبط باتجاهات وخبرات الأفراد وعلاقتهم بمواقف معينة، فيتم جمع البيانات والمعلومات عن طريق توجيه الأسئلة إلى أفراد العينة بطريقة مباشرة وشخصية أو من خلال البريد.

وتستخدم الاستبانة في الغالب إذا كان المبحوثون كثيري العدد، فقد يكونون مئات أو حتى آلاف أو منتشرين جغرافياً، وغير متمركزين في مكان واحد، بحيث يكون الاتصال بهم مباشرةً أمراً مكلفاً أو غير ممكن. وفي مثل هذه الحالات يمكن الاعتماد على الاستبانة أداة لجمع البيانات على افتراض أن المستجيبين يستطيعون القراءة والكتابة بدرجة مقبولة (عادل مختار الهواري، 1993).

ويوضح عبد الباسط عبد المعطي (1995) بعض الخلط الذي يحدث في التسمية الخاصة بالاستبانة. فيشير إلى أن البعض يرى أن الاستبانة هي إشارة إلى الأسئلة التي يتم إرسالها بالبريد من خلال استمارة، كما أن

للمقابلة استمارة يسجل إجابتها القائم بها. فكأن القاسم المشترك بين الاستبانة والمقابلة هو وجود استمارة، في حين أن الفرق بينهما يأتي من التطبيق. فإذا أرسلت للمبحوثين لكي يجيبوا هم عن أسئلتها سميت استبانة، وأما إذا تمت الإجابة عليها بواسطة الباحث من خلال موقف مواجهة سميت مقابلة. وهناك من يعرف الاستبانة بالطريقة السابقة في الوقت الذي يعرف فيه «الاستخبار» (البعض يطلق عليه الاستبار) بأنه مجموعة من الأسئلة التي تسأل وتسجل بواسطة الباحث. وهذا يعني التشابه بين المقابلة والاستخبار من حيث إن كليهما يتم الإجابة عنه عن طريق الباحث ذاته. وهناك أيضاً من يستخدم كلمة «استفتاء» مقابلاً لكلمة استبانة. وهناك من يقصر الاستبانة على كشف البحث الذي يرسل عادة بالبريد كي يجيب عليه المبحوث بنفسه.

خطوات تصميم الاستبانة:-

لابد من الإشارة في البداية إلى أن الباحث يحاول أن يبني هذه الأداة بشكل تجريبي، حيث إنه يحاول أن يضع أفكاره على الورق وفق تصور علمي مدروس، يبدأ بهدف البحث، وينتهي بعبارات الاستبانة. فهو يقوم في البداية بتطوير مسودة الاستبانة ويبدأ بعدها تقسيمها وتعديلها. ولابد أن يأخذ بعين الاعتبار من هي الشريحة التي يفترض أن يوجه لها هذا الاستبانة. فتحديد وحدة البحث هي قضية مهمة، بمعنى من هو الشخص الذي سوف توجه له هذه الاستمارة. فقد يكون هذا الشخص ربّة المنزل، وقد يكون طفلاً، أو قد يكون أستاذاً جامعياً، أو يكون معلماً، أو مهنياً، أو شيخاً كبيراً، أو امرأة مطلقة أو متزوجة، وهكذا. إن تحديد الشريحة سيحدد بكل تأكيد جميع الخطوات الخاصة ببناء الاستبانة.

وبعد تحديد الشريحة المطلوبة يتم تصميم الاستبانة، والتي تمرُّ بالمراحل الثلاث الآتية:-

1 - ارتباط الاستبانة بهدف الدراسة:

يجب أن ترتبط الاستبانة بالهدف العام للدراسة وبالتحديد بصياغة المشكلة، التي يفترض أن تكون صياغة عن طريق عبارة لفظية واضحة ومحددة، أو عن طريق طرح تساؤل أو أكثر كما سبقت الإشارة. فهنا يفترض على الباحث أن يكون إطار بحثه واضحاً، ومشكلته الرئيسية محددة.

2 - تحويل السؤال العام إلى أسئلة فرعية:

فيقوم الباحث بالخطوة الثانية بمحاولة تقطيع السؤال إلى أجزاء، وتحويله إلى أسئلة فرعية ذات ارتباط بالسؤال العام، ويجيب عنه، بحيث تكون هذه الأسئلة الفرعية والإجابة عنها إجابة على السؤال العام. فيتفرع عن السؤال العام عدة أسئلة فرعية يرتبط كل سؤال فرعي بجانب من جوانب المشكلة. وقد تكون هذه الأسئلة فروضاً وذلك حسب طبيعة الدراسة. أي السؤال العام من الممكن أن يتحول إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية أو الفروض التي تتناول جوانب المشكلة العامة للبحث.

3 - وضع أسئلة الاستبانة:

وتأتي المرحلة الثالثة، والتي يقوم الباحث من خلالها بوضع الأسئلة الخاصة بالاستبانة. فيحاول أن يقوم بتحديد أسئلة فرعية أخرى للأسئلة الفرعية الموجودة في الخطوة الثانية. فيضع في هذه المرحلة الأسئلة الدقيقة والمباشرة التي توجه للمبحوث لتجيب عن الأسئلة الفرعية أو الفروض، والتي في النهاية تقدم إجابة للسؤال العام للدراسة.

وبما أن الهدف من البحث أو الدراسة هي الإجابة عن تساؤل الدراسة العام الذي يتحدد من خلال صياغة المشكلة، فإن عملية التفكيك هذه هي التي من خلالها يستطيع الباحث أن يحصل على نتائج خاصة ببحثه من خلال المبحوثين.

مثال (١):-

ولنأخذ مثلاً يوضح الخطوات الثلاث التي يمر بها بناء الاستبانة. فلو افترضنا أن الباحث قد حدد مثلاً مشكلته وصاغها في تساؤل عام مفاده:

«ما الوظائف الاجتماعية التي تؤديها الديوانية في المجتمع الكويتي». هنا قد حدد الباحث مشكلته، والتي يريد أن يستخدم الاستبانة أداة، فيحاول أن ينفذ الخطوة الثانية بحيث يقوم بتحويل هذا السؤال إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي قد تكون كالآتي:

- كيف تلعب الديوانية دوراً في الحياة السياسية في المجتمع الكويتي؟ أو ما الدور السياسي الذي تلعبه الديوانية في المجتمع الكويتي؟
- ما الدور التربوي الذي تلعبه الديوانية؟
- ما الدور الاجتماعي العام الذي تلعبه الديوانية في الحياة اليومية؟

وهكذا، فطرح الباحث هنا ثلاثة أسئلة فرعية، وقد تمتد إلى أكثر وقد تتقلص وذلك حسب هدف البحث وموضوعه وتساؤله العام، فيبدأ هنا الباحث بتحديد الخطوة الثالثة التي تتعلق بكتابة ووضع أسئلة تتعلق بكل سؤال فرعي، وعن كل موضوع من هذه الموضوعات. فلنأخذ السؤال الفرعي الأول مثالاً، والذي يشير إلى الدور السياسي، فقد يكون من المناسب وضع بعض الأسئلة التي ترتبط بهذا الدور، والتي يجب أن يتم وضعها في صحيفة الاستبانة مثل:-

- مرشح دائرتي الانتخابية يزورنا في الديوانية، ويعرض أفكاره.

أبداً نادراً أحياناً غالباً دائماً

- أعرض ما يبدو لي بارتياح ودون خوف أمام المسؤولين في الديوانية.

أبداً نادراً أحياناً غالباً دائماً

● يعرف عضو المجلس ما يعرض في الجلسة داخل الديوانية.

أبداً نادراً أحياناً غالباً دائماً

وهكذا، يقوم الباحث بعرض مجموعة من الأسئلة التي ترتبط بالسؤال الفرعي، والتي تفي الغرض بالإجابة عنه. ولابد من التأكيد مرة أخرى هنا على أن هذه الأسئلة تكتب بصورة أولية وتحتاج إلى عملية مراجعة وتجريبها واستشارة أهل الخبرة. والملاحظ هنا بأن هذه الأسئلة يفترض أن تكون موجهة إلى الرجال دون النساء، والرجال الذين يقومون بزيارة الديوانيات في الكويت دون سواهم. فهذا يعني أن عملية صياغة الأسئلة يجب أن تخضع لمعايير محددة من أهمها معرفة أفراد العينة التي سوف يتم اختيارها.

مثال (2):-

وهو مثال يتم فيه اختيار فروض للدراسة بدلاً من الأسئلة، فتتم وفقاً للخطوات الثلاث الآتية:-

الخطوة الأولى: حدد الباحث موضوع مشكلته كالآتي:-

ما علاقة زواج الأقارب ببعض المحددات الثقافية الاجتماعية في المجتمع الكويتي؟

الخطوة الثانية: حدد الباحث بعضاً من فروض الدراسة على النحو الآتي:-

● هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين المستوى التعليمي ودرجة القرابة بين الزوجين.
● هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي ودرجة القرابة بين الزوجين.
● هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المذهب (سني/شيعي) ودرجة انتشار زواج الأقارب.

● هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الانتماء للأصول القبلية أو غير القبلية وبين درجة انتشار زواج الأقارب.

وبالإمكان وضع فروض أخرى متعددة ترتبط بالسؤال العام.

الخطوة الثالثة:- تحديد الأسئلة الخاصة بالاستبانة. فيأخذ السؤال الفرعي الأول على سبيل المثال و الذي يفترض أن يحتوي على عنصرين يتكون منهما الاستبانة وهما:-

1 - المستوى التعليمي

2 - درجة القرابة بين الزوجين

ويفترض السؤال عن المستوى التعليمي عبر وضعه كمتغير ترتيبي يكون كالآتي:-

( ) يقرأ ويكتب ( ) ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي

( ) دبلوم ( ) جامعي ( ) ماجستير ( ) دكتوراه

أما العنصر الثاني فيحتاج الباحث إلى تحديد درجة الزواج من الأقارب كأن يحدده على النحو الآتي:-

درجة القرابة بيني وبين زوجي / زوجتي:-

( ) قرابة درجة أولى (ممكن التفضيل).

( ) قرابة درجة ثانية (من الأهل المقربين).

( ) قرابة درجة ثالثة (من الأهل الأباعد أو نفس القبيلة).

( ) من غير الأقارب.

(في البند أو الخيار الأول من الممكن التفضيل في درجة القرابة الأولى ومد الخيارات إلى أكثر من خيار واحد وذلك من خلال إضافة عبارات أو خيارات أخرى كدرجة القرابة المتقاطعة مثل ابن عم وابن خالة معاً، أو ابنة عمة

وخال معاً، وكذلك درجة القرابة الأولى مثل ابنة خال، ابنة عمة، ابنة خالة، ابنة خال. فالخيارات ممكن أن تصل إلى تسع خيارات بدلاً من أربعة).

وعن الفرضية الثانية فإننا نجد أيضا عنصرين، ولكن نحتاج إلى إضافة سؤال واحد فقط جديد إلى الاستبانة وذلك لكون السؤال الخاص بدرجة القرابة قد تم ذكره. فيتم السؤال عن المستوى الاجتماعي الاقتصادي، ويتم ذكر هذا المتغير في صحيفة الاستبانة.

ويفترض أن يتم الوقوف على هذا المتغير بالتحديد، حيث إن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتم قياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي؟ بمعنى كيف نسأل المبحوث عن هذا المتغير بالتحديد بصحيفة الاستبانة؟ وهنا لابد من الإشارة وبلمحة صغيرة إلى ما يسمى بمفهوم المقياس. أي: الأداة التي تقيس وتوضح هذا المتغير ودرجته، والذي قد يكون في كثير من الأحيان أكثر من سؤال واحد، وقد يصل إلى مائة سؤال أو أكثر لتحديد متغير واحد.

ولقياس المستوى الاجتماعي الاقتصادي، يستخدم العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية هذا المقياس كما يعرفه مجلس البحوث للعلوم الاجتماعية Social Science Research Council والتي تحدده بثلاثة أبعاد تتمثل في المستوى التعليمي، ودخل الأسرة السنوي، والمركز الوظيفي. فهذه الأبعاد الثلاثة تقيس متغير المستوى الاجتماعي الاقتصادي بعد أن يتم دمجها بطريقة حسابية بمتغير واحد. والهدف من وراء هذا التوضيح هو أن الاستبيان في هذه الحالة سوف يضم مقياساً، وسيضم وفقاً لذلك أسئلة ثلاثة (أحدها قد تم استخدامه في فرضية سابقة- المستوى التعليمي) في الاستبانة. فيتم السؤال عن الدخل السنوي للأسرة، والمركز الوظيفي. وهكذا الحال بالنسبة للعديد من المقاييس مثل العزلة الاجتماعية، الاكتئاب، شبكة العلاقات الاجتماعية، القلق، الخوف، وغيرها من المتغيرات المتعددة التي من الممكن أن يلجأ إلى استخدامها الباحث، والتي ستحتوي على أكثر من سؤال.

أشكال الاستبانة:-

هناك عدة أشكال من الاستبانة، والتي ترتبط بالدرجة الأولى بنوعية الأسئلة التي تحتويها صحيفة الاستبيان وشكلها. وأشكال الاستبانة هي:

1 - الاستبانة المغلقة:-

وهي التي تحتوي على أسئلة تطلب من المبحوث أن يقوم بالإجابة عليها وفقاً لاختيارات معينة محددة من مجموعة من الإجابات فيسمى أيضاً الاستبانة «المقيد أو محدود الخيارات» (رجاء وحيد دويدري، 2000)، فهي أسئلة تقدم جميع الإجابات الممثلة أو المحتملة وتكتب أمام السؤال ليقوم المفحوص بوضع علامة على الإجابة المناسبة، وتأخذ أشكالاً متنوعة لنوع المشكلة أو الهدف من الدراسة، وأهم هذه الأشكال (علي عسكر وزملاؤه، 1992):-

أ - أسئلة الاختيار من بديلين:-

وهي أبسط الأنواع وهي يختار المبحوث من إجابتين ومن أمثلتها:-

- هل تحب القراءة نعم لا
- هل تمارس الرياضة نعم لا

ب - أسئلة الاختيار من متعدد:-

ويعتبر هذا النوع شائعاً بدرجة كبيرة حيث يطرح سؤالاً وعبارة من ثلاث أو أربع استجابات يختار المبحوث واحدة منها مثل:-

يرجع السبب الأساسي لتعلمي اللغة الإنجليزية:-

- حبي لهذه اللغة.
- رغبتي في استكمال دراستي العليا.
- من متطلبات وظيفتي.

● رغبتي في التعرف على ثقافات الغرب.

● أخرى، تذكر ـــــ.

ويلاحظ في هذا المثال، أن الباحث قد ترك مجالاً لأمر آخر من الممكن أن يعبر عن ميول المبحوث في دراسة اللغة الإنجليزية، ولم يذكره الباحث ضمن الخيارات، فيترك فرصة لكتابته وتحديده.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً هو ذلك النوع الذي يسأل عن تأثير بعض الجماعات على المراهق.

● ما مدى تأثير الجماعات الآتية في حياة المراهق؟

	تأثير كبير	بعض التأثير	تأثير قليل	لا أدري
المدرسة				
الصحبة				
الأسرة				
النادي				

ومن أمثلة الأسئلة المغلقة تلك التي ترتبط بالاتجاهات، حيث إن كثيراً من المعتقدات يمكن التعبير عنها بدرجة معينة من القوة، فقد يوافق المبحوث على فكرة معينة أو يعارضها بشدة، وما بين الموافقة بشدة، أو المعارضة بشدة وغير متأكد. ويعرف هذا المقياس باسم مقياس ليكرت Likert ويستخدم بكثرة في الاستبانات الخاصة بالاتجاهات والقيم والميول. ومن أمثلة ذلك:-

	موافق بشدة	موافق	غير متأكد	غير موافق	غير موافق بشدة
يضايقني برامج التلفزيون					
أشعر بالسعادة في عملي					

ج – أسئلة ترتيبية:-

إضافةً إلى ما سبق، فهناك بعض الأسئلة الترتيبية التي يطلب الباحث من المبحوثين ترتيب الإجابات وفقاً لما يشعر به من أهمية مثل:-

- ما النشاطات التي ترغب في ممارستها بالديوانية؟ (رتب حسب الأهمية):-
- نشاط سياسي.
- نشاط ترفيهي.
- نشاط ديني.
- نشاط اجتماعي.
- مشاهدة التلفزيون.
- أخرى، تذكر ـــــ.

هذا النوع من الاستبانة يساعد في الحصول على معلومات وبيانات أكثر مما يساعده على معرفة العوامل والدوافع والأسباب (رجاء وحيد دويدري، 2000) .

ولأسلوب الأسئلة المغلقة عدة مزايا أهمها (علي عسكر وزملاؤه، 1992، ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999):-

1 – تساعد في الحصول على معلومات محددة وواضحة دون تشتت.

2 – لا تأخذ وقتاً في الإجابة، حيث إن كل ما على المبحوث عمله هو وضع علامة.

3 – لا تطلب من المبحوث أن يكتب شيئاً، فذلك أمر مشجع للمبحوث، وأكثر أمناً عليه في بعض الأوقات.

4 – تسهل في عمليات تحليل النتائج.

5 – تقلل من عدد الأفراد غير المجيبين.

6 – تؤدي إلى التخلص من الاستجابات غير المناسبة، والتي غالباً ما تؤدي إليها الأسئلة المفتوحة.

7 – تتيح هذه الأسئلة توفير الاستجابات ومعالجتها آلياً باستخدام الحاسوب.

8 – السرعة في الحصول على المعلومات المطلوبة.

أما عيوب هذه الأسئلة تتمثل في الآتي (علي عسكر وزملاؤه، 1992):–

1 – استجابات الفرد دائماً تكون موجهة وليست تلقائية.

2 – تستغرق وقتاً طويلاً في صياغتها.

3 – يصعب على الباحث وضع أسئلة مفيدة تغطي جميع موضوعات البحث.

2– الاستبانة المفتوحة:–

وهي الاستبانة التي تحتوي على أسئلة يترك للمبحوث فيها فرصة للتعبير عن الرأي، وتساعده على معرفة عوامل وأسباب ودوافع معينة في قضية ما بعكس من الاستبانة المغلقة.

ومن أمثلة هذا النوع من الأسئلة ما يأتي:–

– ما رأيك بمشاركة المرأة في المجال السياسي؟

– ما رأيك في تأثير الإنترنت على الشباب؟

– كيف يمكن التغلب على مظاهر السلوك الغربي في المجتمع المحلي؟

– ما أبرز المشكلات التي تواجهها مؤسستكم؟

– أي اقتراحات أخرى تود إضافتها؟

ويتطلب هذا من المبحوث أن يجيب عن هذه الأسئلة بعبارات تختلف في طولها ومحتواها، ويعتمد ذلك على مدى إلمام المبحوث بالموضوع، وثقافته، وقدرته على التعبير والمساحة المتوافرة للكتابة. وهنا قد تكون إجابة المبحوث مصدراً غنياً بالمعلومات مقارنةً بالأسئلة المغلقة. وقد تكون الأسئلة أيضاً تحتاج إلى إجابات بسيطة في الكتابة مثل:–

– سبب وفاة الابن أو الابنة.

– أبرز مشكلة واجهتك في أثناء عملك.

ومن مزايا هذا الأسلوب (علي عسكر وزملاؤه، 1992):-

1 - يعطى لكل فرد من أفراد عينة الدراسة صورة واضحة ودقيقة لما يعتقد أنها الإجابة الصحيحة.

2 - يتيح الفرص لكل مبحوث للتعبير عن نفسه بصراحة وحرية.

3 - قد تلفت الإجابات نظر الباحث إلى أمور مفيدة للبحث لم يهتم بها الباحث أو ينتبه إليها.

4 - تستخدم بالضرورة في الموضوعات التي لم يسبق دراستها للتعرف على أهم العوامل التي تؤثر فيها.

أما عيوب هذا الأسلوب فهي تكمن فيما يأتي (علي عسكر وزملاؤه، 1992، ذوقان عبيدات وزملاؤ، 1998):-

1 - صعوبة تحليل نتائجها ورصدها.

2 - صعوبة قراءة الاستجابات في بعض الأحيان.

3 - تتأثر بدرجة كبيرة بالظروف والعوامل المحيطة بالمبحوث وقت الإجابة، وقد تؤدي إلى الحصول على معلومات غير صحيحة لاسيما إذا كانت المعلومات صعبة أو محرجة.

4 - عدم حماس البعض للكتابة.

5 - الوقت الطويل في الإجابة.

6 - الجهد الأكبر في عملية الكتابة.

3- الاستبانة المزدوجة (المغلقة المفتوحة)

وهي الاستبانات التي تحتوي على أسئلة مغلقة ومفتوحة معاً فتجمع بين النوعين، وكثير من الاستبانات تعتمد على هذا النوع.

وهناك نوع آخر من الاستبانات هو الاستبانة المصورة، والذي تقدم فيه الأسئلة على شكل رسوم وصور بدلاً من عبارات مكتوبة. وهذا

النوع مفيد مع الأطفال والأميين، وأيضاً في حالة التحليل النفسي. وإن كان له عيبان أساسيان: الأول قصر استخدامه على المواقف التي تتضمن خصائص بعدية يمكن تمييزها وفهمها، والآخر من العسير تقنينه (رجاء وحيد دويدري، 2000).

تجريب الاستبانة:-

لا بد قبل تطبيق الاستبانة مراجعتها من قبل الباحث أولاً وصياغته بطريقة مناسبة، ومن ثم يقوم بإعداده لتجريبه بصورته الأولية. فتجريب الاستبانة تعد مسألة مهمة، وهو إجراء من الواجب اتباعه من قبل الباحث قبل البدء بعملية توزيعه.

فمن المرغوب فيه أن يقوم الباحث بإجراء الاستبانة على عينة محدودة من الأفراد كاختبار قبلي، ومن الأفضل أن تكون هذه العينة مشابهة في خصائصها لعينة البحث، ويجب ألا تقل عينة الاختبار القبلي عن 20 فرداً. ويجب إجراء الاستبانة بالطريقة نفسها التي سوف يجريها بها في البحث (رجاء محمود أبو علام، 1999). ولعل تجريب الاستبانة يمكن من خلاله استخلاص عدة أمور خاصة ومهمة مثل (علي عسكر وزملاؤه، 1992):-

1 - مدى صلاحية البنود وملاءمتها لموضوع البحث.
2 - اكتشاف الأخطاء في صياغة الأسئلة.
3 - استبعاد الأسئلة الغامضة وإضافة أسئلة جديدة وتعديل أسئلة أخرى.
4 - التعرف على الوقت الذي سيستغرق في جمع البيانات.
5 - التعرف على احتمالات الإجابة.

كما يمكن عرض الصورة الأولية للاستبانة على عدد من المحكمين المتخصصين فيه للتعرف على آرائهم في الاستبانة من حيث مدى وضوح البنود وملاءمتها. وفي ضوء ذلك يتم التعديل في الاستبانة وتصبح الأداة-

أي الاستبانة– صادقة. وفي الاختبار القبلي من الممكن أيضا تطبيقه مرة أخرى بعد مدة محددة كإعادة الاختبار، وذلك لمعرفة مدى ثباته، وهو الأمر الذي سيتم التطرق إليه بشكل مفصل في الجزء الخاص بالصدق والثبات.

فهنا يقوم الباحث بأمرين: الأمر الأول هو عرضه على مجموعة من المحكمين، والأمر الآخر القيام بتطبيقه على عينة من نفس أفراد مجتمع الدراسة. وبذلك يكون الباحث قد استفاد من الملاحظات المقدمة من الآخرين الذين ساعدوه في إعداد أداته البحثية.

وهذا التجريب يعزز من أهمية صياغة عبارات الاستبانة ودقتها. ويكون بهذا قد وصل إلى مرحلة إعداده في صورته النهائية.

الاستبانة في صورتها النهائية:–

يفترض أن تشمل صحيفة الاستبانة على جزأين أساسيين:–

1 – المقدمة:–

وهي الورقة التي توضع للمبحوث قبل أسئلة الاستبانة، والتي يركز الكثير على أهميتها لما تحتويه من معلومات تساعد بشكل أساسي على دقة إجابة المبحوث وتقبله الإجابة بكل صدق. وإذا صاغ الباحث عباراته في هذه المقدمة بصورة صادقة ومختصرة ومؤثرة، فإنه يستطيع أن يحصل على أدق النتائج من المبحوث. ومع الأسف نلاحظ أن الكثير من الباحثين من يغفل هذه المقدمة، والتي تعد مهمة جداً وتؤثر بشكل كبير على الإجابة خاصة في الاستبانات التي توزع دون وجود الباحث. ولعل من الأمور التي من الممكن أن يتم ذكرها في مقدمة الاستبانة هي:–

1 – الغرض من الاستبيان أو الدراسة.

2 – نوع المعلومة الموجودة.

3 – تشجيع المبحوث على الإجابة.
4 – إحاطة المبحوث علماً بأن المعلومات سوف يتم التعامل معها بسرية.
5 – توضيح مدى الفائدة التي يتلقاها بعد إجابة المبحوث.
6 – طريقة إجابة الأسئلة وفقرات الاستبيان.
7 – الوقت التقريبي المستغرق للإجابة على بنود الأسئلة.
8 – الجهة المستفيدة من هذا الاستبانة سواءً جامعة أو مؤسسة.
9 – اسم الباحث ووظيفته وفي بعض الأوقات معلومات شخصية عنه مثل رقم هاتفه مثلاً.

2 – فقرات الاستبانة:–

وهي أسئلة الاستبانة بشكل عام، والتي يقوم المبحوث بالإجابة عليها، والتي كما سبقت الإشارة إما أن تكون أسئلة مفتوحة، أو أسئلة مغلقة، أو مزيج بين النوعين من الأسئلة. فيجب تنظيم أسئلة الاستبيان وإعدادها بصورة مقبولة ومريحة للعين، تجعل المبحوث راغباً في الإجابة عليها نتيجة لحسن تنظيمها وشكلها. ويمكن أن يكون ذلك بعد الالتزام بالقواعد الآتية (رجاء محمود أبو علام، 1999):–

1 – التأكد من أن الطباعة واضحة سهلة القراءة، وأن يختار بنطاً مناسباً ومقروءاً.
2 – التأكد من خلو الاستبانة من الأخطاء اللغوية.
3 – تجنب ازدحام صفحات الاستبانة بالأسئلة عن طريق ترك مساحات بيضاء كافية على جانبي الصفحة، مع طباعة الأسئلة على مسافات كافية بين كل سطر والذي يليه.
4 – إذا كان في الاستبانة أسئلة مفتوحة يجب ترك مساحات كافية للكتابة فيها.
5 – يجب ترقيم الأسئلة والصفحات.

6 – إذا كان الباحث يعتقد أن بعض الأسئلة يصعب فهمها يجب إضافة أمثلة عنها.

قواعد تراعى في صياغة الاستبانة:-

هناك قواعد متعددة يجب أن يراعيها الباحث عند كتابته وشروعه في تصميم الاستبيان. هذه القواعد يمكن تصنيفها إلى قواعد عامة، وقواعد خاصة ببنود الأسئلة، وقواعد خاصة لضمان صدق استجابة المبحوث، وأخيراً قواعد خاصة تتعلق بترتيب الأسئلة.

أولاً: قواعد عامة:

يراعي الباحث القواعد التالية في بنائه للاستبانة وإعدادها بصورتها النهائية. (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998) :-

1 – يفترض أن لا يكون الاستبيان من الطول بحيث تتطلب إجابته جهداً شاقاً ووقتاً طويلاً من المبحوث، فالاستبانات الطويلة لا يتحمس المبحوثون لإجابتها، وغالباً ما تهمل من قبل بعضهم.

2 – تجنب وضع أسئلة لا مبرر لها وغير مهمة؛ لأن ذلك يشعر المبحوثين بعدم أهمية الاستمرار في الإجابة، وتفقد بعض المبحوثين الدافعيه إلى استكمال الإجابة.

3 – إن توجيه الأسئلة المثيرة للتفكير الدقيق أو التي تتطلب تفكيراً معقداً قد يؤدي إلى نفور المبحوثين، وانخفاض مستوى دافعيتهم للإجابة، ولذلك يجب أن تبتعد الاستبانة عن مثل هذه الأسئلة.

4 – إذا كان بالإمكان الحصول على المعلومات من مصادر أخرى كالسجلات والوثائق، فلا داعي لأن يطلبها الباحث من خلال الاستبانة. فالاستبانة هي أداة للحصول على معلومات غالباً ما تكون غير معروفة إلا لدى المبحوثين، كما هي أداة للحصول على الآراء والمواقف والتعرف على الانطباعات

والمشاعر. فإذا ركز الباحث على الحصول على معلومات يمكن أن توجد في السجلات، فإنه يعطي المبحوث الفرصة للشك في جدية البحث وميل الباحث إلى السهولة والعمل غير المكلف.

5 – إن وجود عناصر تنشيطية تجذب انتباه المبحوث، أو وجود عناصر تنفيسيه تسمح له بالتعبير عن مشاعره وآرائه يمكن أن يساعد على قيام تفاعل مهم بين المفحوص والاستبانة يدفع المفحوص للإجابة بدقة وجدية.

6 – التأكد من ارتباط كل سؤال في الاستبانة بمشكلة البحث، وبتحقيق هدف جزئي يسهم في تحقيق أهداف البحث.

ثانياً – قواعد تتعلق بصياغة الأسئلة:

يجب أن يراعي الباحث بعض القواعد عند صياغته لأسئلة الاستبانة تتمثل فيما يأتي (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998 ، رجاء محمود أبو علام، 1999) :-

1 – وضوح العبارة:-

يجب أن تصاغ الأسئلة بعبارة واضحة، وكلمات سهلة لها معان محددة، بحيث يكون من السهل على المبحوثين إدراك المطلوب من السؤال. فيجب أن تستخدم لغة عربية سهلة وسليمة، وأن توجه إلى أقل المستويات التعليمية حتى نضمن أن تفهمها جميع المستويات، وخاصة تلك الاستبانات الموجهة لمجموعة عامة من الناس تشمل جميع شرائحه. ولا يجب الافتراض أبداً أن القارئ سوف يفهم ما هو مكتوب.

2 – الابتعاد عن الكلمات غير الشائعة:-

يجب أن تستخدم الكلمات العامة التي يتفق الناس على معانيها، والابتعاد عن الكلمات غير الشائعة أو الكلمات الفنية المتخصصة، أو التعبيرات

والمصطلحات التي لا يفهمها غير الفنيين.

3 – قصر الأسئلة:–

أن تكون الجمل المستخدمة في صياغة الأسئلة قصيرة ومرتبطة بالمعنى، فلا داعي لاستخدام جمل طويلة قد تعيق المبحوث عن فهم المعنى الدقيق للعبارة.

4 – دقة صياغة السؤال الكمي:–

يجب أن تصاغ الأسئلة ذات الطابع الكمي، والتي تحتاج إلى إجابة رقمية بشكل دقيق ومباشر، مثل: ما عمرك؟ السن عند الزواج؟ تاريخ الميلاد؟ راتبك الشهري؟ وهكذا.

5 – فكرة واحدة لكل سؤال:–

يجب أن يحوي السؤال الواحد على فكرة واحدة فقط، فلا يجوز حشد أكثر من فكرة في السؤال الواحد. ويعتبر هذا من أكثر الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الباحثون. وهذا مثال يوضح سؤالاً يحتوي على أكثر من فكرة:–

«برأيي الخاص أؤيد حق المرأة في الترشيح والانتخاب»

أو «ينفق المرشدون التربويون وقتاً كبيراً في إعداد السجلات، ولا ينفقون وقتاً كافياً في إرشاد الطلبة في مشكلاتهم الخاصة»

فهذان المثالان قد يوافق المبحوث على فكرة ويرفض الأخرى. فلا يستطيع المبحوث هنا أن يجد جواباً مناسباً وفقاً لاتجاهه. ولذلك من الممكن تحويل السؤال الوارد في المثال الأول مثلاً إلى سؤالين كأن يقول:

برأيي الخاص، أؤيد حق المرأة في الترشيح.

برأيي الخاص، أؤيد حق المرأة في الانتخاب.

6 – البعد عن الأسئلة المحرجة:-

يجب الابتعاد عن وضع الأسئلة التي تتطلب إجابات قد تشعر المبحوث بالحرج. فمن الممكن أن يعطي المبحوث إجابات خاطئة، أو قد يمتنع عن الإجابة عن الاستبانة.

7 – عدم توجيه الأسئلة:-

يتعين على الباحث أن يبتعد عن توجيه الأسئلة لإجابة معينة. فإن صياغة السؤال بطريقة خاصة أو إضافة مصطلح ما إليه قد يوحي بإجابات معينة، فلو سألنا مثلاً بعض المدرسين في مدرسة معينة مثلاً: هل توافق على الرأي الذي ذكره الناظر عن... قد يستثير استجابات معينة متأثرة باتجاه المستجيب نحو ناظر المدرسة وليس تعبيراً عن رأيه حول الموضوع.

8 – تجنب العبارات المنفية:-

يجب على الباحث تجنب العبارات النافية قدر الإمكان، لأن من السهل إساءة تفسيرها، فكثيراً ما يغفل المستجيبون أداة النفي، ويفهمون العبارة عكس المقصود منها. وإذا اضطر الباحث أن يستخدم أداة النفي، فإنه يجب أن يضع تحتها خطاً حتى يلفت الانتباه إليها. وهناك من الباحثين من يلجأ إلى استخدام أداتين للنفي، قد لا يفهمها المبحوث، والتي تعتبر إثباتاً. وبالإمكان أن يبدأ باستخدام العبارة التي تشير إلى الإثبات.

ثالثا – قواعد تراعى لضمان صدق الاستجابة:-

لا شك إن أحد أبرز عيوب الاستبانة هو عدم دقة البعض في الإجابة على أسئلته وبنوده. ولذلك يضطر كثير من الباحثين من التأكد من صدق إجابة المبحوثين، حتى يطمئن الباحث على دقة نتائجه. وعلى الباحث أن يراعي القواعد الآتية كوسائل تساعده على التأكد من أن المبحوثين يجيبون إجابات

جادة وصادقة (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998) :-

1 - وضع أسئلة خاصة توضح مدى صدق المبحوث:-

كأن توجه إليه أسئلة واضحة الإجابة، ولا تحتمل أكثر من إجابة، مثل:-

هل اضطررت للكذب في حياتك ولو مرة واحدة؟ نعم لا

إن الإجابة المحتملة لهذا السؤال هي نعم، أما إذا أجاب المبحوث بلا فإن ذلك قد يعني أنه غير دقيق في إجابته.

2 - وضع أسئلة خاصة ترتبط إجاباتها بإجابات أسئلة أخرى موجودة في الاستبانة: مثل:

- كم سنة عمرك؟
- في أي سنة تزوجت؟
- ما تاريخ ولادة ابنك؟

إن وجود خلل أو تقاطع في إجابات هذه الأسئلة قد يكشف عن عدم دقة المبحوث في الإجابة، فالمفروض أن تكون إجابات هذه الأسئلة منطقية، كأن يكون تاريخ ولادة الطفل بعد الزواج مثلاً. فهي عبارة عن تسلسل تاريخي يستطيع أن يكتشف من خلاله الباحث إذا ما أجاب المبحوث بعشوائية أم لا.

وهناك وسائل أخرى يمكن أن يستخدمها الباحث للتأكد من صدق إجابات المبحوث مثل: مقارنة بعض الإجابات التي حصل عليها الباحث من الاستبانة بمعلومات أخرى موجودة في السجلات والوثائق. إضافةً إلى ذلك يحاول الباحث وضع سؤال في مقدمة الاستبانة ويسأله بطريقة أخرى في نهايته، كأن يسأل في البداية عن العمر، ويسأل في النهاية عن سنة الميلاد وغيرها من هذه الوسائل التي من المهم أن يتم الاعتماد عليها عند إعداد الاستبانة.

لا شك أن الباحث يفترض عليه أن لا يتردد بإلغاء أي استمارة يجد بأن صاحبها لم يقدم المعلومات بطريقة صحيحة أو دقيقة. فأي استبانه يكتشف من خلالها الباحث عدم مصداقية المبحوث يستبعدها فوراً حتى يحافظ على نتائج دراسته. فالنتائج تتأثر بشكل كبير بصدق المبحوث. وهناك من الباحثين من يلجأ إلى العينة غير العشوائية حتى يضمن دقة استجابة مبحوثيه، حيث إن تطوع المبحوث للإجابة عن أسئلة الاستبانة سوف تساعد بشكل كبير على صدق الاستجابة، وبالتالي صدق النتائج.

رابعاً: قواعد تتعلق بترتيب الأسئلة:-

إن ترتيب الأسئلة يعد جزءاً من تنظيم الاستبانة، والتي تساعد بشكل كبير على استجابة المبحوث، وتؤثر على صدق استجابته. ويفترض بالباحث مراعاة ما يلي عند كتابته أسئلة الاستبانة (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):-

1 - ترتيب الأسئلة بشكل منطقي متسلسل:

فلا يفترض عليه أن ينتقل المبحوث من موضوع إلى آخر، ثم يعود إلى الموضوع نفسه مرة أخرى، بل يحرص الباحث على أن يضع الأسئلة الخاصة بموضوع معين في وحدة واحدة متسلسلة في الاستبانة، وبعد انتهاء هذه الأسئلة يبدأ بالانتقال إلى أسئلة أخرى مرتبطة بموضوع آخر.

2 - البدء بالأسئلة السهلة:

وهي تلك التي تتناول الحقائق الأولية الواضحة المتعلقة بالسن، والعمل، والحالة الاجتماعية، والدخل الشهري، وغير ذلك.

وفيما يتعلق بهذه النقطة، فهناك من الباحثين من يعمد في بعض الأوقات إلى وضع الأسئلة السهلة في نهاية الاستبانة، خاصة إذا شملت بعض الأسئلة التي قد يعتقد بأنها محرجة بالنسبة للمبحوث، وأنه إذا رآها في بداية الدراسة

قد تؤثر على إجابته أو لا يقوم بالإجابة عنها، مثل أن يكون السؤال عن المذهب، أو الدخل الشهري أو غير هذه الأسئلة، التي من الممكن أن يشعر الباحث أن أفراد العينة قد يفاجأون بهذه النوعية من الأسئلة، والتي من الممكن أن تؤثر على استمراريتهم في الإجابة أو صدق هذه الإجابة. ويمكن القول بشكل عام أن الباحث يفترض عليه أن يبدأ بالأسئلة السهلة، ولكن هناك ظروف محددة قد تضطر الباحث إلى عمل العكس، وهي متروكة لتقديره ومهارته وإدراكه لخصائص عينته؛ لذلك فإن مهارة الباحث تعد قضية أساسية.

توزيع الاستبانة:

ويتم توزيع الاستبانه بعدة طرق يمكن حصرها فيما يأتي:

أ- الاتصال المباشر:-

وهو أن يكون الباحث موجوداً في أثناء تعبئة المبحوث لصحيفة الاستبانة بحيث يكون هناك اتصال مباشر بينهما، وللاتصال المباشر بين الباحث والمبحوث مزايا عدة منها:-

1 - يفهم بشكل أكبر استجابة المبحوثين، ويدرس انفعالاتهم وتعبيراتهم الحسية واللفظية وهذا أمر يجعله في وضع أفضل لفهم استجاباتهم وتحليلها.

2 - يجيب عن الأسئلة الغامضة ويوضحها، فهناك العديد من الأسئلة التي من الممكن أن تثار من قبل المبحوثين. فوجود الباحث يمكنه من الإجابة عن بعض تساؤلات المبحوثين.

3 - يشجع المبحوثين على الاستجابة، ويقلل من فرصة رجوع الاستبانات الخالية.

4 - جدية الموضوع وضمان الاستجابة للاستبانة. وهي مرتبطة بالنقطة السابقة، حيث إن وجود الباحث شخصياً يقنع المبحوث بجدية الموضوع،

ويضمن الاستجابة من قبلهم.

ب- عن طريق البريد:-

قد يحدث صعوبة في جمع المبحوثين في مكان واحد، أو قد يلعب البعد المكاني دوراً في عدم استطاعة الباحث الاتصال المباشر بالمبحوثين، فيضطر إلى إرسال الاستبانة بالبريد، وفي العادة يرفق مع الاستبانة ظرفاً يحتوي على عنوان المؤسسة أو الباحث وملصق عليه طابع بريد حتى لا يتكلف المبحوث مصاريف الرد.

ومن مزايا هذا الأسلوب:-

1 - الاتصال بأشخاص يعيشون في مناطق جغرافية متباعدة، حيث يصعب الاتصال بهم مباشرةً، وهذه نجدها في الدول الصغيرة والكبيرة على حد سواء، فالمساحة الجغرافية قد تكون كبيرة في الدول الصغيرة، ولا يستطيع الباحث الوصول بوسائل النقل المتاحة إلى جميع هذه المناطق، أو يكون هذا الاتصال صعباً، ويستغرق وقتاً كبيراً. وفي الدول الكبيرة يجد الباحث صعوبة بل استحالة من الانتقال من مكان لآخر، مثل بلد كالولايات المتحدة. فلا يستطيع الباحث السفر من ولاية إلى أخرى، فيستعيض عن ذلك بالبريد.

2 - لا تتطلب جهداً كبيراً ونفقات مرتفعة، حيث لا تتطلب باحثين مدربين، وما يحتاجه الباحث فقط تكاليف البريد والطوابع والمظاريف.

ومن عيوب هذا الأسلوب:-

1 - طول الوقت في وصول الاستبانات إلى المبحوثين وإعادتها للباحث.

2 - لا يجيب كثير منهم عن الأسئلة، فنسبة كبيرة من هذه الاستبانات لا تعود للباحث مرة أخرى.

وللتغلب على هذه الإشكالية، يمكن أن يضع الباحث نصب عينيه

مجموعة من الاعتبارات التي تشجع المبحوث على إعادته الاستبيان مثل:-

1 - أن يكون الورق من النوع الجيد وبالحجم المناسب.

2 - أن تكون الاستبانة في شكل مظروف عليه طابع البريد، وعنوان المؤسسة التي تدعم البحث، أو التي ينتمي إليها الباحث.

3 -من الممكن أن تعطى الاستبانات أرقاماً، وترصد بعض الجوائز الرمزية للأرقام التي سوف تفوز بعد اختيارها بالقرعة مثلاً (عبد الباسط عبد المعطي، 1995).

4 - من الممكن أيضاً تكرار المحاولة عدة مرات، وذلك لإشعار المبحوث بأهمية الاستبانة.

5 - من الأمور التي تساعد على الاستجابة أيضاً أن يوقع الباحث رسمياً على الرسالة المرفقة، وأن تكون أصلاً، وليست صورة، مما يعطي المبحوث أهمية، ولاعتقاده بأن هذه الرسالة موجهة له شخصياً دون غيره بحيث تشير إلى اهتمام الباحث به.

ومن أنواع الاستبانة التي ترسل عبر البريد تلك الاستبانات التي تنشر على صفحات الجرائد والمجلات، ويقوم المبحوث باستيفائها وإعادتها إلى المؤسسة أو الهيئة المشرفة على البحث (غريب محمد سيد احمد، 1994).

ج- عن طريق الهاتف:-

وهي طريقة أخرى للقيام باستيفاء الاستبانة، فإن الباحث يتصل بالمبحوث عن طريق الهاتف، ويسجل إجاباته عن الأسئلة في الاستمارة المطلوبة (غريب محمد سيد أحمد 1994).

وأهم مزايا هذه الطريقة:-

1 - سرعة الحصول على البيانات.

2 - إمكانية توضيح بعض الأسئلة الصعبة.

أما عن أبرز عيوبها:-

1 – من الصعب تعميم هذه الطريقة إذ إنها لا تصلح إلا للأفراد الذين في حوزتهم هواتف.

2 – كثرة التكاليف في حالة المكالمات الخارجية غير المحلية.

3 – لا تصلح هذه الطريقة في حالة البيانات الحساسة أو المحرجة. فليس من السهل أن يدلي المبحوث بمثل هذه البيانات عن طريق الهاتف. (غريب محمد سيد أحمد، 1994).

4 – من الممكن أن يستنكر البعض في بعض الثقافات مثل هذه الطريقة في استيفاء المعلومات، وذلك لمخالفتها للتقاليد والعادات الاجتماعية السائدة.

مزايا وعيوب الاستبانة:

كغيرها من الأدوات البحثية، هناك مجموعة من المزايا والعيوب الخاصة بالاستبانة. فهي أداة مهمة ورئيسة في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، لكنها لا تخلو من العيوب. ولعل من المناسب إبراز أهم مزايا الاستبانة وعيوبها، والتي تتمثل فيما يأتي:-

مزايا الاستبيان:-

من أبرز مزايا الاستبانة (نوال محمد عمر، 1986 ، رجاء وحيد دويدري، 2000):-

1 – قلة الوقت والجهد في عملية جمع البيانات، خاصةً إذا أرسلت عبر البريد أو نشرت في الصحف والمجلات.

2 – تصلح في البحوث التي تتطلب الحصول على بيانات لا يمكن الجهر بها، لما قد ينتج عن ذلك من ضرر أو عدم سماح التقاليد والأعراف بالتصريح بمثل هذه البيانات. فمثلاً ليس من المحتمل أن يصرح عامل ما بعيوب صاحب العمل، كما أنه لا ينتظر أن يجاهر شخص ما بالمبدأ السياسي الذي يؤمن به،

إذا كان يعيش في دولة تحرم اعتناق هذا المبدأ وتعاقب عليه، وليس من المتوقع أن يحصل الباحث على معلومات خاصة عن العلاقات الزوجية، أو مسائل خاصة ببعض المشكلات الاجتماعية مثل المتحررات.

3 – الاستبانة لا تجعل البحث عرضة لتحيز بعض جامعي البيانات.

4 – تعطى الحرية للمبحوث في اختيار الوقت المناسب لتعبئة الاستبانة وحرية التفكير، والرجوع إلى المصادر التي تحتاجها الإجابة عن الأسئلة.

عيوب الاستبيان:-

من أبرز عيوب الاستبانة (نوال محمد عمر، 1986، ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):-

1 – لا يمكن استخدام هذه الطريقة في جمع البيانات إلا إذا كان أفراد البحث قادرين على القراءة والكتابة، فلا تصلح هذه الوسيلة للمبحوثين الأميين أو الذين يجدون تعثراً في القراءة والكتابة.

2 – قد يجيب غالبية أفراد البحث عن الأسئلة دون مساعدة أو شرح من الباحث في بعض الأوقات، فإذا لم يفهم المستجيب المعنى المقصود من سؤال ما أهمل الإجابة عليه، أما إذا أساء فهمه فإن الإجابة تكون غير صالحة لتحقيق الغرض الذي وضع من أجله هذا السؤال.

3 – إذا كان البحث يستدعى عدم كتابة اسم المجيب على الصحيفة حتى يكون صريحاً في إجاباته لاطمئنانه إلى عدم التعرف على شخصيته، فإنه لا يمكن الرجوع إليه لاستكمال ما قد يكون بالصحيفة من نقص أو لتصحيح الأخطاء أو الاستفسار عن الإجابات المتناقضة إن وجدت.

4 – قلة عدد الردود البريدية التي تصل من أفراد البحث مهما وضع الباحث من التسهيلات والمغريات على الإجابة، خصوصاً إذا كانت الصحائف ستعاد إليه بطريق البريد.

ومن أهم أسباب عدم رد الصحيفة ما يلي:

أ - الاعتقاد بعدم أهمية موضوع البحث.

ب - قد يعتبر البعض أن الأسئلة الموجهة إليهم تدخل في شؤونهم الخاصة.

ت - قد يظن البعض أن نتيجة البحث واضحة ومعروفة وأنه لا داعي لضياع الوقت في الرد على أسئلة الصحيفة.

ث - قد لا يكون لدى بعض أفراد البحث الوقت الكافي لقراءتها والإجابة عن أسئلتها.

5 - قد يهزأ بعض الأفراد بموضوع البحث فتكون إجابتهم تهكمية أو مغرضة، وبالطبع لن تكون للردود في مثل هذه الأحوال أي قيمة بل سيؤدي ذلك إلى ضياع وقت الباحث في قراءتها.

6 - من الممكن أن يهتم بعض أفراد العينة بموضوع البحث أكثر من البعض الآخر، ويرغبون في أن تكون نتائج البحث مؤيدة لوجهة نظرهم. ولعل ذلك كان السبب في فشل الاستقصاء الذي أجراه معهد جالوب بالولايات المتحدة للتنبؤ بنتيجة انتخابات رئاسة الجمهورية في سنة 1948 ، عندما خسر المرشح ترومان منصب الرئاسة. فمن المحتمل أن مؤيدي ترومان كانوا واثقين من نجاحه، فلم يهتموا بإرسال آرائهم، بينما كان أنصار ديوي معارضين لسياسة ترومان، بل وساخطين عليها، لهذا كانوا يهتمون بكل ما من شأنه إظهار رجاحة كفتهم وتفوقهم عليه، فأرسلوا ردودهم، وبذلك جاءت نتيجة الاستفتاء في صالحهم خلافاً للحقيقة التي ظهرت بعد الانتخابات.

7 - تأثر بعض المبحوثين ببعض الأسئلة التي قد تؤثر في الإجابة، فيحاول المبحوث الإجابة على الأسئلة بما يرضي الباحث لا بما يشعر به هو.

8 - اختلاف المؤهلات والخبرات بين المبحوثين، فهم ليسوا بالكفاءة والخبرة نفسها. فالأسئلة واحدة، وما يقدمونه من معلومات مرتبط

بخبراتهم الخاصة.

9 - تقديم بعض المبحوثين لإجابات نتيجة لبعض الظروف أو الاعتبارات الاجتماعية، أو لاعتبارات معينة تتعلق بسلامة الشخصية.

10 - قد لا يتوافر مستوى الجدية عند بعض المبحوثين، فيجيبون بتسرع وعدم مبالاة أو اهتمام.

وهناك بعض الأساليب والوسائل التي تؤدي إلى التقليل من أثر العيوب السابقة. ومن أهم هذه الأساليب عرض الفكرة الأساسية من البحث عرضاً جذاباً مع توضيح الفوائد العلمية والعملية لنتائجه وتضمين ذلك في خطاب رقيق موجه إلى أفراد البحث لكسب تأييدهم وضمان عنايتهم بملء الصحيفة وردها. وبشكل عام إذا كانت الاستبانة جيدة البناء والشكل ودقيقة الصياغة ومشوقة فإننا نضمن الحصول على استجابات إيجابية خاصة قد تفوق أي وسيلة أو أداة بحثية أخرى.

الفصل التاسع

المقــابلــة

الفصل التاسع

المقـــابلـــة

المقابلة هي أداة بحث علمية، تختلف عن الأنواع الأخرى من المقابلات مثل مقابلات المصادفة، أو المقابلات التي يجريها المذيعون مع بعض الأشخاص. ويمكن تعريفها بأنها اجتماعات بين الباحث أو بعض مساعديه، وبين الشخص المطلوب الحصول على بيانات منه (كوكب كامل جبر، 19؟98:). فهو وسيلة لجمع المعلومات بالاعتماد على تبادل الحديث بين الباحث والمبحوث (علي عبد المعطي محمد ومحمد السرياقوس، 19؟). فالمقابلة تتشابه مع الاستبانة كأداة، غير أن المقابلة يقوم الباحث بكتابة إجابة المبحوث، بينما في الاستبانة يقوم المبحوث نفسه بالكتابة والإجابة عن الأسئلة.

فالمقابلة وفقاً لذلك، استبانة منطوقة، والخطوات الرئيسة لإعداد المقابلة هي نفسها خطوات بناء الاستبانة والتي تتمثل في تحديد المبررات، والأهداف، ثم كتابة الأسئلة، ومن ثم الاختبار القبلي مع وجود التفاعل المباشر بين الباحث والمستجيب (رجاء محمود أبو علام، 1999).

أشكال المقابلة:

لا شك أن هناك أشكالاً وأنواعاً متعددة للمقابلات، فوفقاً للتعريف السابق للمقابلة، والذي يعتمد على تبادل المعلومات وجهاً لوجه بين الباحث والمبحوث، فإنه هناك عدة أشكال وأنواع للمقابلة. ومن الممكن إبرازها كما يعتمد عليها الباحثون في العلوم الاجتماعية والسلوكية كما يأتي (عقيل حسين عقيل، 1999، 196–204):–

أولاً: أنواع المقابلة من حيث الأسلوب:

وتنقسم إلى نوعين:

أ- المقابلة المرنة:

وهي المقابلة التي تتميز بروح المودة بين الباحث والمبحوث، وقد ترتقي العلاقة بينهما إلى درجة الصداقة خاصة إذا كانت الحالة المدروسة مطولة وتحتاج إلى تتبع التغيرات الطارئة عليها.

والمقابلة المرنة تحقق مناخاً للتفاعل بين الباحث والمبحوث ولم تعد أسئلتها بشكل نهائي مسبقاً، بل تكون الاستفسارات المقدمة للمبحوث، قابلة للتوضيح والشرح والتغيير والتهذيب، كلما تطلب الأمر ذلك من الباحث. ويأخذ هذا النوع من المقابلات شكل الحديث العادي البسيط في تناول القضايا مع المبحوث. ويستعمل هذا النوع من المقابلة في دراسة الحالات الفردية، في خدمة الفرد وتشخيصها وعلاجها، ويستعمل أيضاً في الدراسات النفسية والاستطلاعية، وسوء التكيف الاجتماعي. ويهتم الباحث بتسجيل المقابلة حسب الموقف والظروف، ودرجة تقبل المبحوث للباحث وتفاعله معه، فقد يكون التسجيل أولاً بأول، وقد يتم التسجيل بعد نهاية المقابلة.

ب- المقابلة المقننة:

وهي المقابلة التي تعد أسئلتها بشكل مقنن من حيث اللغة والأسلوب، وتصاغ بشكل نهائي في استمارة مقابلة يتقيد المبحوث بالإجابة عليها، ويتقيد الباحث بتسجيل تلك الإجابات أثناء إجراء عملية المقابلة، وبعلم المبحوث دون إخفاء عنه. وقد يكون مع الباحث فريق من المساعدين المدربين خاصةً في الدراسات المسحية التي تتطلب عدداً كبيراً من المساعدين والباحثين.

ثانياً - أنواع المقابلة من حيث الغرض:

وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

أ- مقابلة تجميع المعلومات والبيانات:

فقد تكون من أجل اختيار أطباء أو فنيين، أو من أجل اختيار مدربين، أو قد تكون من أجل دراسات استطلاعية، أو حالة انحراف، أو مشكلات عمل أو أسرة. ويهتم الباحث أو مساعدوه بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات ذات العلاقة المباشرة بالموضوع والمعلومات والبيانات الثانوية التي لها صلة بالموضوع وبشكل غير مباشر. فيهتم الباحث بمعرفة تاريخ الحالة، والمستوى التعليمي للفرد والمستوى الاقتصادي ونوع العمل والمهنة أو الحرفة، والديانة والجنسية، وعدد أفراد الأسرة وهل الأسرة ممتدة أو نواة، والنوع ذكر أم أنثى. كل هذه المعلومات هامة ولا حرج في إعطائها ويمكن تسجيلها في المقابلة الأولى لأنها لا تحتوى على عناصر الحرج، ولا تتطلب سرية. ثم ينتقل الباحث إلى تجميع المعلومات المتعلقة بالحالة من حيث نوع الحالة، وعمر الحالة، وزمن وقوع الحالة، والبحث عن المتغيرات المتداخلة التي أنتجتها، سواء كانت (سرية) أو جاءت نتيجة دور قام به أحد أفراد الأسرة، أو نتيجة ردود أفعال، أو نتيجة إهمال، أو مرض أو إجبار من آخرين، سواءً كانت له علاقة بهم أو لم تكن.

وهنا يجدر الإشارة إلى أن كل البحوث وبمختلف أنواعها تعتمد أساساً على تجميع المعلومات والبيانات، ولا يمكن إجراء أي دراسة وتكاملها إلا بالمعلومات، وعلى ضوء المعلومات وطبيعة الحالة يصدر القرار أو الحكم أو العلاج، سواء كان من القاضي أو الطبيب أو الاختصاصي الاجتماعي، أو الأختصاصي النفسي.

ب- المقابلة التشخيصية:

وهي ببساطة تعتمد على طلب المعلومات وجمعها لتشخيص الحالة أو المشكلة أو الظاهرة، ويتم التركيز فيها على العوامل المتداخلة من حيث تباينها وتبيان العلاقات التي تربطها ببعضها البعض، والتي أوجدت هذه الظاهرة أو الحالة من الكمون إلى العلانية السلوكية، مما جعلها قيد البحث أو الدراسة، وجعل مرتكبيها نزلاء الإصلاحيات الاجتماعية أو المصحات الاجتماعية مثلاً.

ج - المقابلة العلاجية:

تهدف المقابلة العلاجية إلى مشاركة المبحوث في اختيار الحلول المناسبة، والتي تتمشى مع قدراته وإمكانياته الذاتية والشخصية والبيئية حتى لا يحدث نكوص للفرد أو للأفراد. ويفضل أن تكون الحلول نابعة من المبحوث من خلال مشاركته في تشخيص حالته.

وتهدف أيضاً إلى إقناع المبحوث بالأخطاء التي وقع فيها، والعيوب أو الأضرار التي نتجت عن الأفعال التي ارتكبها في الماضي، والوصول به إلى تكفير السيئات وإصلاح باله. وتعتمد المقابلة العلاجية على حقيقة أن الإنسان معرض للخطأ، ويمكن معالجته أو إصلاحه. وتهدف أيضاً إلى إزالة درجة التوتر التي يعاني منها المبحوث، وتهدف إلى إعادته إلى الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه من أجل تأدية مهامه ووظائفه من خلال دوره كفرد لا يمكن له الاستغناء عن محيطه الاجتماعي.

وتهدف المقابلة العلاجية إلى تفطين المبحوث بخصائص المجتمع من حيث أعرافه، وديانته، وقوانينه، وما يحبه وما يكرهه وما يجيزه وما يحرمه، كل ذلك من أجل بناء ذات الفرد، لكي تكون قوية ويمكن الاعتماد عليها.

ثالثاً – أنواع المقابلة من حيث درجة الاهتمام:

وتقسم إلى نوعين هما:

أ- المقابلة الشاملة (العامة):

وهي المقابلة التي تهتم بالموضوع بشكل عام، سواء كانت مقابلة تجميع المعلومات أو مقابلة تشخيصية أو علاجية، وهي المقابلة المتكاملة التي تستهدف وحدة الموضوع، والإلمام به من جميع جوانبه من حيث تأثيره على شخصية المبحوث. فتستهدف البيئة الاجتماعية والأفراد المتداخلين في ارتكاب الظاهرة أو الحالة، سواء كان هذا التداخل تداخلاً رئيسياً أو ثانوياً. وتسعى أيضاً إلى إبراز دور كل منهم وآثاره على المبحوث. وذلك من خلال تجميع كل المعلومات ذات العلاقة بالموضوع والمبحوث، وإجراء تشخيص عام لها وفق ما يتوافر من متغيرات مستقلة وتابعة أو متداخلة من أجل الوصول إلى علاج نفسي، واجتماعي وبيئي، وتكون المقابلة شاملة متى اهتمت بجوانب الحالة أو الظاهرة من حيث المستوى التعليمي والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والصحي ... إلخ.

ب- المقابلة البؤرية:

وهي المقابلة التي يقوم بها الباحث بعد إجراء المقابلة الشاملة، أي: بعد اتضاح المعالم الرئيسة والأساسية للحالة أو الظاهرة، وبعد معرفة الأسباب والأفراد الذين كانوا وراء حدوث الظاهرة. والمقابلة البؤرية تهدف إلى التركيز على صلب الموضوع، سواء من حيث جمع المعلومات، أو من حيث التشخيص والعلاج باعتباره لب المشكلة أو الظاهرة. فمن خلال المقابلات العامة قد يتضح أن السبب الرئيسي لحالة انحراف مراهق مثلاً هو زوجة الأب التي تزوجها بعد وفاة أو طلاق والدته، وأن الأب عامل بالأجرة، ويخرج من المنزل الساعة السادسة صباحاً، ولا يعود إليه إلا في المساء.

فبعد أن كانت المقابلة شاملة وعامة للحالة التي اتضح من خلالها أن السبب لم يكن سياسياً، أو صحياً، أو تعليمياً بل السبب الرئيسي كان اجتماعياً، وتم تحديده في دور الأب وزوجة الأب، فإن المقابلة البؤرية تتوجه بالعناية العلمية إلى إجراء مقابلات مع زوجة الأب ومع الأب، ومع المبحوث وذلك بالتركيز على إيضاح العلل والأسباب التي جعلت من الابن منحرفاً يتعاطى المسكرات والحشيش مثلاً، حتى تكون العناية بالدرجة الأولى على الأب، وزوجته، وتبيان الأضرار الصحية للمراهق المبحوث، والأضرار الاقتصادية حتى يتم العلاج المناسب له.

ويكون الفرق بين المقابلة الشاملة العامة، والمقابلة البؤرية، أن الأولى تهتم بالظاهرة من جميع الجوانب، سواءً كانت أساسية أو ثانوية أو هامشية، لأنها مبنية على أسئلة رئيسة ذات علاقة مباشرة بالموضوع. والمقابلة العامة هي التي لها الفضل الأكبر في تبين بؤرة الموضوع أو المشكلة. أما المقابلة البؤرية فتنطلق من المعلومات والبيانات التي تم التوصل إليها عن طريق المقابلة الشاملة.

رابعاً – المقابلة من حيث عدد مصادر المعلومات:

وتنقسم إلى أربعة أنواع:

أ- المقابلة الفردية:

هي مقابلة الباحث مع المبحوث كطرف وحيد في وجود المشكلة أو الحالة، وتسمى دراسته بدراسة الحالة الفردية. حيث لم يشترك معه أحد في أثناء إجراء عملية المقابلة، وحتى إن كان هناك آخرون لهم علاقة غير مباشرة به، ولم يستهدفوا بإجراء المقابلة معهم من قبل الباحث، فتكون الحالة فردية، محورها واحد باعتباره قيد البحث والدراسة، أو أنه نزيل مؤسسة إصلاحية نتيجة حالته التي لم يعثر على آخرين له علاقة بهم.

ب- المقابلة الثنائية (الحالة الثنائية):

هي الحالة التي تخص حالتين اثنتين معاً، مما يجعل الباحث يقوم بإجراء مقابلات مشتركة معهما، أثناء تجميع البيانات في أثناء التشخيص أو العلاج، والاثنان دائماً هما أساس كل شيء في الوجود. وحتى الحالة الفردية التي يرتكبها شخص واحد فهي من ضمن الاثنين. فإذا كانت الحالة انحراف الفرد عن قيم المجتمع الحميدة فإن المقابلة قد تجري معه لوحده باعتباره العنصر الوحيد في القيام بالانحراف، ولكن لابد أن يكون هناك طرف آخر قد وقع عليه الفعل الانحرافي، سواءً كان على شخصه أو على ممتلكاته. وفي هذه الحالة هناك اثنان، إلا أن واحداً تجرى معه المقابلة من أجل إصلاح انحرافه، والآخر شخص سويّ قد تُجْرَى معه أيضاً المقابلة على انفراد، وقد يتطلب الأمر إجراء مقابلة مشتركة معهما من أجل تكفير الأول عن سيئاته، وتسامح الثاني له، مما يؤدي إلى إصلاح الحالة.

ج- المقابلة الجماعية:

هي المقابلة التي تخص أكثر من اثنين، ولا تصل إلى حجم المجتمع مثل جماعة النشاط الرياضي، أو الثقافي، أو الفني، أو المسرحي أو الأدبي أو العلمي، أو جماعة العمل، هؤلاء حسب الموضوع تُجْرَى معهم مقابلات مشتركة بشكل منظم، يقوم بها الباحث من أجل تحقيق أهداف واضحة ومحددة لتنمية النشاط وتطويره، أو لتغييره أو لتعديل بعض فقراته أو تغيير الأفراد القائمين به. كل ذلك يتم في الحالات السوية، أما في الحالات الانحرافية فقد تكون المقابلة مع المجموعة الانحرافية في وقت واحد من أجل إرشادها وتشخيص حالتها أو إصلاحها، ومن المقابلات الجماعية مثلاً: مقابلات أسرة، وجيران، ورفاق المبحوث سواءً في المدرسة أو العمل أو في أماكن ممارسة النشاط وقضاء وقت الفراغ.

د- المقابلة المجتمعية:

وهي المقابلة التي يقوم بها الباحث مع المجتمع المحلي أو مجتمع القرية، وقد تكون وفق أسئلة معدة في استمارة مقابلة تستهدف معرفة التراث الشعبي مثلاً أو العادات الخاصة بالمجتمع المحلي في الأفراح والمآتم والأعياد الدينية والوطنية، أو عن أساليب التعاون الإنتاجي. وقد تكون المقابلة من أجل دراسة ظاهرة تفشت في المجتمع، وأصبح لها آثار سلبية على أفراده وأسره. والمقابلات المجتمعية تحتاج إلى فريق من المساعدين المدربين لإنجازها، لأنها تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير يصعب على الباحث القيام بها بمفرده.

فالمقابلة وفقاً لما تم عرضه متعددة في أشكالها، وهناك أيضاً أشكال أخرى متعددة أشارت إليها العديد من الكتابات السابقة المتعددة. فهناك ما يسمى بالمقابلات الفورية السريعة، بمقابل المقابلات المتعمقة كجلسات التحليل النفسي، وهناك ما يسمى بالمقابلات التي تجرى مع أشخاص عاديين أو أفراد عينة عادية، ومقابلات تقام مع إخباريين ورواه. وهناك مقابلات مع أشخاص محددين، ومقابلات مسحية تهدف إلى الحصول على معلومات وبيانات وآراء معينة حول قضية محددة، كقياس اتجاه أو دراسة الرأي العام. فهناك تعدد في الأشكال الخاصة بالمقابلة، والتي يعتمد عليها الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية.

وهناك من يصنف أسئلة المقابلة إلى ثلاث أنواع (رجاء محمود أبو علام، 1999):

1- **أسئلة مقننة:** وفيها تكون أسئلة المقابلة محددة ويتبع كل سؤال مجموعة من الاختيارات أو الإجابات، يختار من بينها المبحوث. مثال : هل تعتقد بأن هذا البرنامج فعال؟

- فعّال جداً.
- فعّال إلى حد ما.

- غير فعّال.

2- **أسئلة شبه مقننة:** وهنا نجد أن الأسئلة لا يتبعها اختيارات محددة، ولكن تصاغ الأسئلة بحيث تسمى بالإجابات الفردية، فالسؤال مفتوح، ولكنه محدد للغاية في محتواه مثال:

ما أهم فائدة لبرنامج التربية العملية؟

3- **أسئلة غير مقننة:** وفي هذا النوع من المقابلة يقوم الباحث بتوجيه أسئلة عريضة في أي ترتيب يراه مناسباً، وهنا نجد أن المقابلة تركز على المستجيب. وعلى الرغم من أن الأسلوب يتميز بوجود علاقة ألفه كبيرة بين الباحث والمبحوث، فإن درجة صدقها وثباتها محدودة مقارنةً بالنوعين السابقين.

أهمية المقابلة:

المقابلة لها أهمية خاصة مميزة عن الأدوات البحثية الأخرى، فهي أداة لا يمكن الاستغناء أو الاستعاضة عنها بأداة أخرى في كثير من الموضوعات البحثية. فالمقابلة تكتسب أهميتها مما يأتي (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999):

1- يستطيع الباحث فحص التأثيرات الانفعالية، والتعبيرات النفسية للمبحوث.

2- المقابلة قد تنشئ علاقة ومودة واستلطافاً مع المبحوث.

3- بالإمكان من خلال المقابلة فحص صدق الإجابة التي يدلى بها المبحوث في كثير من الأوقات، ومدى دقة إجابته.

إضافةً إلى ذلك فإن لها بعض الخبرات الخاصة من حيث كونها أداة بحثية سوف يتم التطرق لها لاحقاً.

إجراءات المقابلة:

هناك إجراءات معينة يجب أن يلتزم الباحث باتباعها عندما يختار المقابلة

أداة بحثية خاصة به، فهي تقنيات معينة يتطلب أن يستخدمها الباحث، وتتمثل هذه الإجراءات فيما يأتي:-

أولاً- الإعداد والتحضير للمقابلة:

يقوم الباحث بالإعداد والتحضير للمقابلة وفقاً للخطوات الآتية:

أ- تحديد الهدف:

يحدد الباحث هدف المقابلة، وما المعلومات التي يريد الحصول عليها؛ وما طبيعة هذه المعلومات. والذي يقوم على أثره بتحديد نوع المقابلة التي سوف يستخدمها.

ب- تحديد العينة البحثية:

يحدد هنا الباحث المجتمع الأصلي، ومن ثم يقوم باختيار العينة التي يشترط أن تكون راغبة في تقديم المعلومات للباحث والتعاون معه. ومن المهم أيضاً معرفة بعض من خصائصها العامة، وخصائص مجتمع الدراسة لأن ذلك يساعد على تحديد صياغة الأسئلة، ويساعد في إجراء المقابلة نفسها من حيث إدراك القيم والعادات والتقاليد التي يجب على الباحث أن يراعيها، وحتى لا يلاقي الرفض من المبحوثين (عبد الباسط عبد المعطي، 1995).

ج- تحديد أسئلة المقابلة:

يجب تحديد الأسئلة التي سوف توجه للمبحوث في أثناء المقابلة، كما يجب تحديد عدد هذه الأسئلة. وتجدر الإشارة إلى أن درجة التقنين المطلوب في المقابلة تؤثر في هذه الأسئلة، ففي المقابلات غير المقننة يترك الأمر للباحث، وأحياناً للمبحوث. أما في المقابلات المقننة، فتحدد الأسئلة تحديداً دقيقاً من حيث المضمون والعدد والصياغة والترتيب، ونوع الأسئلة من حيث كونها مفتوحة النهاية أو مغلقة النهاية، وكذلك التدرج في الأسئلة من البسيط إلى

الأقل بساطة (عبد الباسط عبد المعطي، 1995). وبشكل عام يفترض أن يتم الإعداد المسبق للأسئلة، وأن تتميز الأسئلة بالوضوح، والموضوعية، والتحديد، والترتيب.

د- تحديد مكان وزمان المقابلة:

إن قضية اختيار مكان وزمان مناسب مسألة في غاية الأهمية، وتسهم في خدمة البحث ودقة نتائجه. فيجب أن يختار الباحث مكاناً يكون مريحاً للمبحوث وله، وأن يكون الوقت مناسباً للمبحوث وله، بحيث يجعل من جو المقابلة جواً ودياً مناسباً لتبادل المعلومات، فكلما كانت المقابلة في مكان وزمان مناسبين، حصل الباحث على معلومات جيدة وبكثافة.

هـ- انتقاء الباحثين وتدريبهم:

في كثير من الأحيان لا يقوم الباحث الرئيس بإجراء المقابلة بنفسه ،بل يعتمد على مساعديه للقيام بهذه المهمة. فيفترض على الباحث أن يقوم بانتقاء مساعديه لهذه المهمة بترو، حيث ينظر إلى مهاراتهم وخبرتهم وثقافتهم العامة. فهي قضية مهمة جداً يجب أن يراعيها في هذا الجانب. إضافةً إلى ذلك فيحاول أن يقوم بتدريبهم على الأسس الخاصة بإجراء المقابلات. وهنا يجب الاهتمام بعدة جوانب (عبد الباسط عبد المعطي، 1995):

1- توضيح أهداف المقابلة للباحث وفهمه لخطة البحث بشكل عام.

2- إذا كانت المقابلة قريبة من التقنين فيجب إعداد القائمين بها بقدر من المعرفة بأساليب التعبير المناسبة والمختلفة التي من الممكن أن يواجهوها وتدريبهم.

3- توضيح أهمية البحث للقائمين بالمقابلة بهدف استثارة الدافع لديه.

4- تدريب الباحث على المهارات المتعددة لعملية الاتصال والتواصل.

يتم هذا التدريب على الجوانب التي ذكرت من خلال جلسة أو جلسات

يقوم الباحث فيها مع مساعديه بتوضيح هدف الدراسة وتزويدهم بالمهارات المطلوبة. ولاشك أن إجراء المقابلة تحتاج إلى شخصية ذات صفات محددة قد لا تتوافر عند الجميع؛ ولذلك، يجب على الباحث أن يحرص على اختيار مساعديه بتأن.

ويختلف مقدار التدريب حسب نوع المقابلة. فيكون محدوداً في المقابلة المحددة، في حين يكون مكثفاً في المقابلة غير المحددة. وفي جميع الأحوال لا ينبغي السماح لشخص بإجراء المقابلة، قبل أن يتلقى الإعداد الملائم الذي يؤهله للقيام بهذه المهمة بكفاءة (عبد الفتاح القرشي، 2001).

ثانياً - إجراء المقابلة:

بعد عملية التهيئة المناسبة والإعداد والتحضير للمقابلة، تبدأ المرحلة الثانية، والتي تتطلب التنفيذ للمقابلة. والتنفيذ للمقابلة يأخذ شقين: تنفيذ تجريبي، وتنفيذ حقيقي أو فعلي.

أ- التنفيذ التجريبي والتدريب:

أو ما يسمى بالتدريب على إجراء المقابلة، فيقوم الباحث أو مساعده بالتجريب على إجراء المقابلة مع أحد أصدقائه مثلاً، فيقوم باختبار نفسه وقدرته على إلقاء الأسئلة والإصغاء، واستخدام الطرق المختلفة لتشجيع المبحوثين على الإجابة.

ب- بدء المقابلة الفعلي:

ينبغي على القائم بالمقابلة أن يبدأها بمقدمة مختصرة حول البحث، ووصف الطريقة التي اختير بها المبحوث، وتعريف المبحوث بالقائمين بالبحث سواء كانوا مؤسسة علمية أو أشخاصاً، ثم يؤكد الباحث له السرية التامة للبيانات التي تجمع عن طريق المقابلة- إذا لزم الأمر والموضوع - وطمأنة

المبحوث على قدرته على الاستجابة، ويمكن أن يبدأ مباشرةً بالطلب من المبحوث عن مدى إمكانية مساعدته في إجراء بحثه (عبد الباسط عبد المعطي، 1995). وهنا يجب على الباحث أن يراعي بعض الأمور عند تنفيذه للمقابلة:

1- البدء بحديث مشوق، وتوضيح أهداف الدراسة والمقابلة ودور المبحوث.

2- إظهار الود والمحبة تجاه المبحوث حتى يشعر بالطمأنينة، فإظهار هذه العلامات تشجع المبحوث على الإجابة.

3- البدء بمناقشة موضوعات محايدة غير انفعالية ثم بعد فترة ينتقل الباحث إلى الأسئلة التي من الممكن أن تكون انفعالية.

4- يجب أن تكون الأسئلة واضحة، ومن الممكن أن يتم شرح السؤال بأكثر من طريقة.

5- إعطاء المبحوث فرصة كافية للإجابة، ويوحي للمبحوث بالاندماج في عملية الاستماع. إن ذلك بلا شك يساعد على تشجيع المبحوث على الإجابة.

6- يحاول الباحث بلباقة توجيه المبحوث إلى لب الموضوع، ويحاول أن يمنعه بقدر الإمكان وبطريقة هادئة ومهذبة من الاسترسال في الأشياء والمعلومات غير المهمة. فهناك كثير من المبحوثين يسترسلون في أحاديث جانبية أو غير مهمة يتذكرونها في أثناء إجراء المقابلة. وهناك من يفرط في الحديث عن نفسه. فالباحث الماهر هو الذي يستطيع توجيه المبحوث إلى صلب الموضوع لكسب الوقت والتركيز على موضوع المقابلة.

7- يحاول الباحث ألا يقوم بأية تصرفات تظهر الدهشة عند سماعه لمعلومات معينة، ويبالغ في ذلك، أو استنكار حدوث موقف معين، وذلك حتى لا يشجع المبحوث على المبالغة في تصوير الأمور والخوض في أحاديث تدعو للدهشة والاستنكار.

8- يجب الحذر من الهجوم على المبحوث واتهامه، فقد يؤثر ذلك على الجو الودي للمقابلة ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999).

9- التدرج في الأسئلة من العام إلى الخاص، ويقصد بالخاص الأكثر ارتباطاً

بموضوع المقابلة.

10- قد يضطر الباحث أن يوجه عدة أسئلة بصياغات مختلفة لكي يحصل على إجابة واحدة من المبحوث في حالة الأسئلة غير المقننة (عبد الباسط عبد المعطي، 1995).

11- من الممكن تبسيط الأسئلة، واستخدام العامية كلما تطلب الأمر ذلك.

12- يجب التوقف عن المقابلة متى ما شعر الباحث بأن المبحوث قد تعب، أو غلب عليه النعاس، أو أبدى أي رغبة في عدم الاستمرار.

ثالثاً- تدوين المقابلة:

المعلومات التي لا يتم تدوينها وتسجيلها على الورق معرضة للنسيان. وخاصةً إذا كان حجم المعلومات وفيراً. ولذلك وجب على الباحث القيام بعملية تدوين المعلومات التي يتلقاها من المبحوث. ويجب الالتفات إلى قضية مهمة أخرى، وهي أن يقوم الباحث بتدوين المعلومات بعد أن يتأكد من صحتها، حيث إن بعض المبحوثين في كثير من الأحيان لا يقولون الحقيقة، أو لا يعطون إجابات صحيحة ودقيقة. فمن خلال ممارسة العمل الميداني، نجد أن بعض المبحوثين من الممكن أن يبالغ في إعطاء المعلومات عن قضية معينة، أو نجد البعض الآخر يمكن أن يتحيز لنفسه أو لقبيلته أو طائفته أو مجموعته التي ينتمي إليها. وهناك آخرون يعطون صوراً مثالية لا تمت للواقع بصلة، إضافة إلى أن البعض قد يخفي كثير من الأمور والمعلومات. فالباحث الماهر هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يتأكد من صحة المعلومات التي يتلقاها من المبحوث ويقوم بتدوينها. وهناك بعض القواعد التي يجب أن يراعيها الباحث عند عملية تدوين المعلومات يمكن إبرازها في النقاط الآتية (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):-

1- عدم الانهماك بالتدوين وإغفال التواصل:

عند عملية التدوين الفوري والمباشر يجب على الباحث عدم الاستغراق بالتدوين والانهماك فيه؛ لأن ذلك يمكن أن يربك المبحوث؛ ولذلك يفضل البعض تدوين رؤوس الموضوعات كأحد الوسائل الخاصة بعملية التدوين. فعملية الانهماك في التدوين تلغي دور التواصل بين الباحث والمبحوث وتبادل الأحاسيس والمشاعر، والتي تعتبر مسألة مهمة عند إجراء المقابلة.

2- استخدام دليل المقابلة:

وهي أحد أنواع المقابلات التي يمكن للباحث أن يستخدم نماذج معينة ومحددة لعملية الإجابة، مثل أسئلة الاستبانة. وهنا من الممكن ألا يستغرق وقتاً حتى في عملية الكتابة، ويجب الانتباه هنا إلى أن هذه الوسيلة تعد أحد أشكال المقابلات، ولا تصلح لجميع المقابلات.

3- عدم ترك التدوين في نهاية المقابلة:

وهي أن يقوم الباحث في الوقت نفسه بتدوين المقابلة أو رؤوس الموضوعات المهمة ولا يتركها حتى نهاية المقابلة، مخافة أن يتعرض الباحث للنسيان.

4- الاعتماد على آلة للتسجيل:

وهي طريقة مهمة وتعد نوعاً مميزاً للمقابلات، فيمكن للباحث أن يعتمد على آلة للتسجيل أو فيديو، فهي تعد من أفضل الوسائل التي تحقق الدقة، وخاصة تلك المقابلات التي يكثر فيها الحديث. ولكن لهذه الطريقة مشكلتان أساسيتان هما:

1- تستغرق وقتاً أطول، حيث يعمد الباحث إلى تفريغ محتوى الشريط بعد الانتهاء من المقابلة.

2- لا يرغب كثير من المبحوثين في عملية تسجيل أصواتهم لعدة أسباب وعوامل. فقد تكون الرهبة من التسجيل نفسه، وقد تكون جزءاً من العادات والتقاليد كصوت المرأة مثلاً في مجتمعاتنا المحلية، وقد يكون ذلك لأمور تتعلق بسلامة الشخص وخلافه. ولابد هنا من التنبيه إلى أن من أخلاقيات البحث استئذان المبحوث قبل القيام في تسجيل صوته، ويتوقف ذلك على مهارة الباحث حيث يستطيع إقناع المبحوث بعملية التسجيل.

5- الحذر من الوقوع في بعض الأخطاء:

يجب الحذر من الوقوع في بعض الأخطاء في أثناء إجراء المقابلة ومنها:-

- المبالغة في تقدير أهمية معلومات محددة أو التقليل من أهمية معلومات أخرى.
- أخطاء تتعلق بتغيير أو تبديل المعلومات بمعلومات أخرى. فهناك من الباحثين خاصةً مع اختلاف لغتهم مع لغة المبحوث، قد يحولون كلام المبحوث إلى لغتهم الخاصة، وهذا أمر من الممكن أن يفقد الكلام بعضاً من معناه، أو يعطيه معنى جديداً.
- هناك من يخطئ في تسلسل الوقائع خاصةً إذا كانت المقابلة سرداً قصصياً خاصاً بوقائع وأحداث تاريخية معينة، حيث تأتي الوقائع غير مترابطة أو منطقية.
- أخطاء قد ترتبط بالإضافة أو الحذف، فمن الممكن أن يقع الباحث في خطأ إضافة بعض المعلومات التي لم يدل بها المبحوث، أو قد لا يكمل موقفاً ناقصاً، أو لا يكمل حادثة أو نهاية معينة لحادثة، أو حذف جزء منها.

ولابد من الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من يعتمد على طرق متعددة في إجراء مقابلاتهم، فمنهم من يسجل من الذاكرة بعد المقابلة، ومنهم من يسجلها على مقياس خاص سبق إعداده، ومنهم من يسجلها حرفياً، ومنهم من يقوم باستخدام التسجيل الصوتي. إن اختيار أي من هذه الأنماط في

عملية التسجيل تعتمد بشكل كبير ومباشر على مهارة الباحث. فهو من حقه اختيار الوسيلة المناسبة، وهو من يتخذ القرار في ذلك (عبد الباسط عبد المعطي، 1995). ولكن يجب أن يكون قراره متناسباً مع المادة أو المعلومة التي يرغب بجمعها، فالمعلومة هي المحك الأساسي في عملية الاختيار، فالنتائج ستكون دقيقة إذا اختار وسيلة مناسبة في المقابلة، وستكون غير دقيقة إذا اختار نموذجاً للمقابلة لا يمكن أن يحقق هدف الدراسة.

رابعاً - إنهاء المقابلة:

قد يتصور البعض أن الانتهاء من المقابلة يعد أمراً سهلاً ويسيراً، ولا يكلف الباحث سوى كلمة شكر، وكلمة إلى لقاء، ثم يحمل أوراقه ويرحل. إن ذلك لا يكون في جميع الحالات. فهناك من الباحثين الذين يرون أن عملية إنهاء المقابلة قد يكون أصعب من البدء فيها. إن من الضروري إنهاء المقابلة بجو ودي لا يقل الاهتمام به عن الجو السائد في أثناء المقابلة، فقد يضطر الباحث للعودة مرة أخرى إلى المبحوث لاستيفاء واستكمال بعض البيانات الناقصة، أو استيضاح بعض النقاط. أن مسألة إنهاء المقابلة تتوقف على المبحوث واستجاباته. فقد تكون لدى المبحوث رغبة في عدم إنهاء المقابلة، ومن ثم يجب على الباحث أن يكون لبقاً حريصاً على انتقاء الكلمات الملائمة للموقف، وألا يقاطع المبحوث مادام قد حصل على البيانات التي يريدها (عبد الباسط عبد المعطي،1995). ومن الممكن أيضاً أن يقوم الباحث بتلخيص أهم ما ذكره المبحوث في أثناء المقابلة للتحقق من موافقته عليه. (عبد الفتاح القرشي، 2001).

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن كثيراً من الباحثين قد طور علاقته مع المبحوثين، وامتدت إلى ما بعد البحث، وذلك من جراء اللقاء الودي الذي قام بينهما، وخاصةً في تلك المقابلات المطولة التي يستغرق فيها المبحوث بالحديث. فالباحث الماهر هو الذي يستطيع أن يخلق جواً مملوءًا بالود في أثناء المقابلة، وهو الذي يستطيع أن يحافظ على هذا الود بعد المقابلة، ويجعل من

السهولة أن يتواصل مع المبحوث مرة أخرى متى دعت الحاجة.

مزايا المقابلة وعيوبها:

هناك عدة مزايا للمقابلة. وهي تستخدم أداة حسب الموضوع البحثي، ففي كثير من الأحيان تعد من أنسب الأدوات البحثية التي تستخدم لموضوعات محددة. فقد تبرز أهمية استخدام أسلوب المقابلة في الحالات التالية:-

1- عندما يكون المبحوثون أطفالاً أو أميين.

2- عندما يكون المبحوثون من كبار السن أو العجزة، ولا يجيدون الكتابة بشكل جيد، أو تكون مهاراتهم محدودة.

3- عندما لا يرغب المبحوثون في أن يقوموا بعملية الكتابة بخط أيديهم لأي سبب من الأسباب.

4- عندما يكون من المهم للباحث أن يكون مطلعاً بنفسه على الظاهرة التي يقوم بدراستها، كأن يهتم مثلاً بدراسة الآثار الاجتماعية والنفسية للمطلقات، فهنا يلجأ إلى هذه الأداة حتى يطلع بنفسه على الأوضاع الحقيقية لظروفهم.

5- حين يتطلب موضوع البحث أن يقوم الباحث بإجراء حديث مع عدد من الأشخاص الذين يعيشون معاً. كدراسة يقوم بها الباحث عن عمال يعملون في شركة مثلاً.

6- حين يريد الباحث الحصول على وصف كيفي (معلومات كيفية)، وليست معلومات رقمية كمية.

7- حين يتطلب الحصول على المعلومات وجود علاقات شخصية قوية مع المبحوثين، فهي من الممكن أن تزود الباحث بمعلومات عن دقائق الأمور.

8- حين يشعر الباحث بأن المبحوثين يحتاجون إلى من يشعرهم بأهميتهم، ويقدرهم مثل كبار الموظفين مثلاً أو كبار السن، حيث يشعر الباحث بالحرج من تقديم الاستبانة لهم للإجابة عنها (ذوقان

عبيدات وزملاؤه، 1999).

9- حين يتطلب الأمر من الباحث مشاهدة وملاحظة ردود أفعال المبحوث سواءً في حديثه أو تعبيرات وجهه، وألفاظه المنطوقة وصحته واسترساله وحركات يده وارتعاشه. فهي جميعها مؤشرات تعكس حالة المبحوث، وقد تكون ذات أهمية.

10- حين يرغب الباحث في أن يجعل المبحوث شريكاً له في الدراسة والتشخيص والعلاج، مما يطمئنه بعدم فرض أي حل عليه إذا كان يليق بظروفه وقدراته واستعداده (عقيل حسين عقيل، 1999).

11- حين يرغب الباحث الاستفسار عما يريد، حيث تتمتع بقدر كبير من المرونة مما يتيح للمبحوث الاستفسار عما يريد، كما تعطي فرصة للإجابة المقابلة عن هذه الاستفسارات وتوضيح الأمور الغامضة (عبد الفتاح القرشي، 2001).

أما أبرز عيوب المقابلة، فيمكن إبراز أهمها فيما يأتي (عقيل حسين عقيل، 1999):-

1- تحتاج إلى وقت طويل وتكاليف كبيرة في بعض الأوقات.

2- قد تتأثر بعواطف الباحث والمبحوث إذا لم يتم التقيد بالمبادئ المهنية.

3- تحتاج إلى عدد كبير من مساعدي الباحث في كثير من الأوقات.

4- تصنع المبحوث لمواقف أو ردود أفعال أو ارتكاب سلوك لا يعبر عن حقيقة الأمر في شيء.

5- أنها صعبة التقنين نظراً لاختلاف أساليب القائمين بها، واختلاف ظروف المبحوثين، مما قد يستوجب تغيير بعض أسئلتها أو صيغها.

الاستبانة والمقابلة:

وكما تمت الإشارة في البداية، فإن المقابلة والاستبانة تشتركان في أنهما أداتان لجمع البيانات، واختلافهما فقط يتركز في أن الباحث يقوم بكتابة

الإجابات والمعلومات في المقابلة بينما في الاستبانة يترك للمبحوث الإجابة عليها. وهذا التعريف هو الذي يتم الاعتماد عليه هنا مع وجود العديد من التعريفات الأخرى التي تميز بين الاستبانة والمقابلة والاستخبار والاستقصاء وغيرها من المفاهيم.

وفي خلاصة يمكن القول بأن الاستبانة تعد (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999):

- أداة سهلة لجمع معلومات واسعة ومتعددة في وقت وزمن قصير نسبياً.
- أداة مقننة للحصول على المعرفة تضمن التكافؤ في ظروف الإجابة.
- أداة تعتبر أكثر صراحة في كثير من الأوقات عندما لا يكون هناك حاجة لوجود علاقة شخصية.

أما المقابلة فهي:

- تدرس الانفعالات الخاصة بالمبحوثين.
- تقيم علاقة ودية بين الباحث والمبحوث الذي يسمح بالحصول على معلومات دقيقة لا تستطيع الاستبانة تقديمها.

الفصل العاشر

الاختبارات والمقاييس

الفصل العاشر

الاختبارات والمقاييس

التعريف:

الاختبار هو عبارة عن أداة يتم تصميمها بواسطة الباحث لوصف جانب من جوانب السلوك الإنساني وقياسه من خلال تقدير رقمي أو عددي، فالاختبارات تعطي أوصافاً موضوعية ومعيارية لأحد جوانب السلوك الإنساني، وقد تستخدم هذه الاختبارات لقياس سلوك فرد من الأفراد وتقارنه مع آخرين (Best, 1981)، فهي عبارة عن استجابات الفرد التي تحول إلى درجة عددية (رقمية)، وهذه الدرجة تمثل سلوكه وتعتبر مؤشراً للخاصية التي يقيسها الاختبار، وفائدة الدرجات التي يحصل عليها الفرد من الاختبارات والمقاييس تعد مؤشرات للمفهوم الذي نرغب في قياسه، فهي إلى حد كبير دالة لموضوعية الاختبارات وصدقها وثباتها (رجاء محمود أبو علام، 1999).

ويستخدم الباحث الاختبارات في قياس الظاهرة التي يدرسها وتحديد مقدارها، وقد يستخدم الباحث الاختبارات في مسح الواقع أو في التنبؤ بما يمكن أن يحدث لظاهرة ما، أو في تحديد نواحي القوة والضعف في الظاهرة التي نقيسها (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998 : 157).

شكل الاختبار:

تأخذ الاختبارات أشكالاً متعددة، فالاختبارات قد تكون أسئلة أو رسوماً يتم إعدادها لقياس سلوك ما بطريقة كمية (رجاء وحيد دويدري، 2000)، وينقسم الاختبار الذي على يأتي على شكل أسئلة إلى شكل أسئلة مقالية أو

موضوعية، شفهية أو تحريرية، نظرية أو عملية، ويطلب من المفحوص أن يجيب عنها، أو يقوم بتنفيذ المهمة التي تتطلبها. ومن خلال استجابات المفحوص لهذه الأسئلة نتعرف على مدى ما حققه من أهداف، أو حصّله من معلومات ومفاهيم، حيث يفترض أن الاختبار عينة ممثلة لمنطقة السلوك التي ننوي قياسها (سامي عريفج وزملاؤه، 1999).

مجالات الاختبارات:

هناك مجالات متعددة من مجالات الحياة المختلفة لإجراء الاختبارات. ويمكن تحديدها بالأمثلة الآتية للتوضيح (سامي عريفج وزملاؤه، 1999) :-

في مجال التربية:

يستخدم في مجال التربية والتعليم المعلمون الاختبارات للكشف عن التحصيل الدراسي، وتزويد المعلمين والتلاميذ بصورة دقيقة عما تتطلبه دراسة معينة، وتوجيه التلاميذ إلى ما يتناسب مع استعداداتهم وميولهم، وتشخيص مظاهر الضعف والقوة، وتصنيف التلاميذ على أنواع التعليم المتوافرة، وإثارة الدافعية والتحفيز نحو العمل المدرسي، وتقويم المعلمين والإدارة التربوية.

في مجال الصناعة:

تستخدم في مجال الصناعة الاختبارات في الكشف عن الأفراد الصالحين وغير الصالحين لعمل معين، تمهيداً لاستبعاد غير الصالح، وتفيد الاختبارات كذلك في مجال تصنيف العمال، وتقويم أعمالهم والتخطيط للبرامج اللازمة لتدريبهم وزيادة كفايتهم الإنتاجية.

في المجال العسكري:

واستخدمت الاختبارات في الجيش منذ الحرب العالمية الثانية لتحليل

خصائص المتقدمين للخدمة العسكرية للمواءمة بين الواجبات العسكرية المطلوبة والقدرات المتوافرة لدى المجندين والمتطوعين.

في مجال الهندسة:

وتستخدم الاختبارات في مجال الهندسة للتعرف على جودة المواد،وفحص أنواع الخامات والأتربة، وسلامة التصميمات الموضوعة لإقامة بناء أو مشروع.

في مجال الطب:

وتفيد الاختبارات في الطب في التعرف على الحالات المرضية وتشخيصها تمهيداً لإيجاد العلاج المناسب لها.

انتشر استخدام الاختبارات في مجالات الحياة المختلفة، وأصبحت واحدة من أهم أدوات جمع المعلومات من أجل التطوير والتحسين؛ فهي عملية قياس تهدف في النهاية إلى إعطاء درجة عددية تمثل سلوك الإنسان، وتعد مؤشراً يحدد هذا السلوك.

أغراض الاختبارات:

يحقق إجراء الاختبارات أغراضاً متعددة يمكن تحديد أهمها كما يأتي (سامي عريفج وزملاؤه، 1999):-

1- **المسح**: ويفيد في التعرف على مستوى التحصيل العام للمبحوث في مجال أو أكثر، فقد يكون المسح مثلاً خاصاً بالقدرات الرياضية المتوافرة في منطقة تعليمية أو للقدرات الفنية في مؤسسة ما، أو للتحصيل العام في مادة أو مجموعة من المواد الدراسية. إن الاختبارات المسحية تعطينا في العادة علامة كلية، أو تقديراً عاماً للدلالة على إمكانيات المبحوث.

2- **التشخيص والعلاج**: وتفيد الاختبارات في التعرف على مواطن القوة

والضعف عند المبحوثين، من أجل تدعيم مواطن القوة، وعلاج مواطن الضعف بعد تحديد الأسباب التي أدت إليه، وغالباً ما نلجأ إلى هذا النوع من الاختبارات حين تواجهنا صعوبات أو حالات تقتضي عناية خاصة.

3- **التصنيف والتصفية**: ويقصد بها في ميدان التعليم مثلاً توزيع الطلبة على أنواع التعليم المتوافرة: أكاديمي (علمي، أدبي)، ومهني (زراعي، صناعي، تجاري)، فندقي..)، أو إلحاقهم في صفوف متجانسة تبعاً لمستوى القدرة العقلية، أو تبعاً للمستوى التحصيلي، أو تبعاً لاهتماماتهم بمجالات النشاط المختلفة، وذلك بناءً على نتائج الاختبارات.

4- **التنبؤ**: ويعني توقع الأداء مستقبلاً، على افتراض الثبات النسبي للسلوك الإنساني، كما تحدد مواصفاته الاختبارات ووسائل التقويم الأخرى، ويوفر التنبؤ كثيراً من الجهود الضائعة بالنسبة للمؤسسات التي تتكفل بإعداد الكوادر البشرية حين تقتصر جهودها على الأفراد الذين تتنبأ الاختبارات بإمكانية استفادتهم من البرامج التي يلتحقون بها. وأفضل المقاييس المستخدمة لتحقيق هذا الغرض اختبارات الاستعداد العام، واختبارات الميول، وأحياناً اختبارات الشخصية.

5- **صناعة القرار**: إن الاختبارات أدوات قياس وتقويم، يتبعها قرار مناسب، فعلى سبيل المثال بعد اختبارات المسح تتخذ القرارات بترفيع الطلبة أو ترسيبهم أو بإعطاء الشهادات والتقادير.

صفات الاختبار الجيد:

يتصف الاختبار الجيد بالموضوعية والصدق والثبات، وكذلك يتصف بمستوى صعوبة الاختبار، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:-

1- الموضوعية : Objectivity

يتصف الاختبار الجيد بالموضوعية، والاختبار الموضوعي هو الاختبار

الذي يعطي النتائج نفسها مهما اختلف المصححون، أي أن النتائج لا تتأثر بذاتية المصحح أو شخصيته، فالمبحوث يأخذ درجة معينة على الاختبار حتى لو قام بتصحيح الاختبار أكثر من مصحح.

2- الصدق: Validity

الاختبار الصادق هو الاختبار الذي يقيس ما وضع الاختبار من أجل قياسه، فعلى سبيل المثال إذا أعد المعلم اختباراً لقياس قدرة الأطفال على جمع الأعداد، فإن الاختبار يكون صادقاً إذا قاس القدرة على الجمع، أما إذا قاس قدرة أخرى مثل الكتابة مثلاً، فإنه لا يكون صادقاً. ومن المهم أن يكون الاختبار صادقاً لأننا نريد أن نقيس ظاهرة معينة وليس ظاهرة أخرى غيرها.

3- الثبات: Reliability

يتصف الاختبار الجيد بالثبات، والاختبار الثابت هو الاختبار الذي يعطي نتائج متقاربة أو النتائج نفسها إذا طبق أكثر من مرة في ظروف مماثلة على نفس العينة أو عينة مشابهة، فإذا طبق اختبار لقياس ذكاء طالب ما وحصل على درجة 120، فإن هذا الطالب يجب أن يحصل على الدرجة نفسها تقريباً لو تقدم للاختبار نفسه بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1999: 158-159).

4- مستوى الاختبار:

يجب أن يكون الاختبار سهلاً، وذلك لأن الاختبار الصعب يدفع المبحوثين إلى التخمين (رجاء وحيد دويدري، 2000).

خطوات الاختبار:

يمر إعداد الاختبار ببعض الخطوات والتي تحتاج إلى عناية فائقة في عملية التخطيط والتنظيم. ولعل من الممكن إبراز أهم خطوات تحضير الاختبار

الجيد على النحو الآتي (محمد مصطفى زيدان، 1990 : 197-199) :-

1- تحديد الأغراض:

قبل البدء بإعداد اختبار ما يجب أن نعرف بالتحديد الأمور الآتية :

- ماذا يراد قياسه؟
- وما الغرض الذي يراد الوصول إليه من تطبيق هذا الاختبار؟
- ومن الأفراد المراد اختبارهم؟
- من أي سن؟
- ومن أي مستوى تعليمي؟
- وما الطريقة التي يراد بها تطبيق الاختبار؟
- هل ستلقى أسئلة مشافهة أم تحريراً؟ وهل سيجري بطريقة جمعية أو فردية؟
- كيف سيعبر المفحوص عن إجابته؟

إلى غير ذلك من الاعتبارات التي تتحدد بها أغراض الاختبارات والنواحي المراد قياسها.

2- مادة الاختبار:

وفي ضوء هذه الاعتبارات يمكن تحديد نوع المادة المناسبة التي سيتكون منها الاختبار، والمجال الذي يصح أن يحصر فيه اختبار محتوياته وأسئلته، فنأخذ في حصر الموضوعات التي يراد اختباره بها، ونتبع ذلك تصنيفاً أو تقسيماً لهذه الموضوعات وتفاصيل كل نقطة. ويحسن هنا عمل جدول يوضح أقسام الاختبار وموضوعات كل قسم أو استعمال نظام بطاقات التصنيف والترتيب في تبويب أجزاء الاختبار.

3- وضع الأسئلة:

يوضع لكل من النقاط السابقة عدد من الأسئلة مع مراعاة التوازن بين النواحي التي يقيسها الاختبار. ويراعي في وضع الأسئلة اعتبارات كثيرة منها:

أ- الابتعاد عن الأسئلة غير المحددة، والتي توحي على أكثر من معنى.

ب- الابتعاد عن نقل عبارات معينة من الكتب في صيغة أسئلة.

ج- أن يكون كل سؤال مستقلاً عن الآخر، بحيث لا تُبنى الإجابة عن سؤال معين عن الإجابة عن سؤال سابق.

د- الابتعاد عن الأسئلة البدهية أو التافهة.

هـ- أن تكون اللغة صحيحة وواضحة ومشوقة.

ويراعي في تصميم الأسئلة محاولة صياغتها في أصلح الصور التي تضمن الوصول إلى الغرض من القياس، كأن يكون بعضها من النوع الذي تطلق فيه الحرية للإجابة، وبعضها مما يتعين فيه اختيار إجابة واحدة من مجموعات إجابات معطاة، وبعضها الآخر عن استكمال الجمل إلى غير ذلك.

4- تنظيم ترتيب الأسئلة:

يتم ترتيب الأسئلة بحسب تقدير سهولتها وصعوبتها، على أن هذا الترتيب لا يصح أن يكون نهائياً إلا بعد التجريب وتحليل النتائج، ويراعى في ترتيب الأسئلة تنوع مادتها وأسلوبها حسب الصورة التي تناسب تصحيح الاختبار.

5- وضع التعليمات:

يوضع في كل سؤال التعليمات المناسبة للإجابة من حيث مكان الإجابة وطريقتها، وإذا كان للاختبار أقسام متشابهة فيصح أن يبدأ كل قسم منها بمثال توضيحي يساعد على فهم التعليمات والمطلوب من الأسئلة.

6- تجهيز مفتاح الاختبار:

يوضح نموذج الإجابة عن كل سؤال والدرجة التي يصح إعطاؤها عند تصحيحه، مع عمل التعديلات التي تظهر الحاجة إليها في بعض الأسئلة بالنسبة لتسهيل أسلوب التصحيح.

7- تجريب الاختبار:

يطبق الاختبار على مجموعة صغيرة من الأفراد على سبيل التجربة، وتستخلص الإحصاءات التحليلية للنتائج، وهذه الخطوة العملية تفيد كثيراً في توضيح مفهوم الأسئلة ودرجة صعوبتها وما تحتمله لغتها من تأويل.

8- تعديل الاختبار:

تجرى التعديلات المناسبة من حيث صياغة الأسئلة وإعادة ترتيبها، وما يتطلبه التعديل من حذف أو إضافة- على أن تتكرر عملية تجريب الاختبار وإعادة تعديله عدة مرات حتى يصل إلى درجة يمكن الاطمئنان إليها.

9- تطبيق الاختبار:

بقصد الوقوف على مدى صلاحية وثبات نتائجه، ومدى تحقيقه لشروط الاختبار الجيد، ويحتاج ذلك لمجهود ووقت كبيرين، وهذا هو ما يطلق عليه «تقنين الاختبار».

10- عمل معيار للاختبار:

وهذا يتضمن تحديد المستويات المناسبة للأعمار المختلفة والدرجات التي يحصل عليها متوسط الأفراد لكل عمر، ويصح أن تكون هذه المعايير Norms في صورة جداول أو رسوم بيانية.

أنواع الاختبارات والمقاييس:

هناك العديد من الاختبارات والمقاييس في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية. ويعمد الباحثون إلى استخدام هذه الأساليب وفقاً وتمشياً مع هدف البحث، ومن الممكن تحديد أهم وأبرز الاختبارات والمقاييس المستخدمة في العلوم الاجتماعية والنفسية والسلوكية فيما يأتي (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 345-389):-

1- الاختبارات التحصيلية:

وهي تلك الاختبارات التي يراد بها قياس التحصيل الدراسي، ويطلق عليها أحياناً اختبارات القلم والورقة، وتعتبر من أهم وسائل تقويم التحصيل، وتحديد مستوى الطلبة التحصيلي. والاختبارات التحصيلية واسعة الاستخدام في البحوث التربوية. ويمكن تصنيف الاختبارات إلى اختبارات تحريرية، واختبارات عملية، واختبارات شفوية.

2- اختبارات الاستعدادات العقلية:

وهي اختبارات خاصة تقيس بعض المتغيرات العقلية، ويمكن تصنيف اختبارات الاستعدادات العقلية إلى نوعين:

أ- اختبارات الاستعداد العقلي العام، أو اختبارات الاستعداد الدراسي العام، وهي ما اصطلح على تسميته باختبارات الذكاء.

ب- اختبارات الاستعداد العقلي الخاص، وهي التي تقيس القدرات والاستعدادات العقلية الخاصة في المجال العقلي المعرفي.

3- اختبارات الشخصية:

من أهم المجالات التي يهتم بها الباحثون مجال قياس الشخصية، وهناك عدد من مقاييس الشخصية يعكس كل منها اهتماماً بجانب نظري خاص،

فبعضها يهتم بنظريات السمات في حين يهتم البعض الآخر بنظريات التحليل النفسي والدافعية. ولذلك يجب أن يحدد الباحث بالضبط المتغيرات التي يريد قياسها قبل أن يختار أداة القياس، وأكثر مقاييس الشخصية استخداماً في البحوث هي:

أ- **استبانات الشخصية**: وهي مجموعة من العبارات تصف السلوك وتوجه للمستجيب، وعليه أن يجيب عن كل عبارة أو سؤال بأحد الاختيارات مثل نعم، لا، أو موافق، غير موافق، غير متأكد، أو غير ذلك من الاختيارات المتشابهة. ودرجة الفرد في الاستفتاء هي مجموع استجاباته في السمة التي يقيسها.

ب- **الأساليب الإسقاطية**: وهي تسمح للفرد بحرية كبيرة للتعبير عن نفسه مما يقدم من استجابات، وهو يتكون من مثير غامض يستجيب له الفرد استجابة حرة بالطريقة التي يريدها، ونظراً لأن المثير الغامض لا يتطلب استجابة معينة، فإن الفرد يُسقط ذاته وشخصيته على هذا المثير تماماً كما يسقط جهاز العرض الصور على شاشة العرض، فهي تتطرق إلى مخيلة الفرد، ومن المفروض أنه نتيجة لعمليات التخيل يكشف الفرد بعضاً من نفسه في أثناء استجابة الاختبار. ومن أهم الأساليب الاسقاطية: اختبار رورشاخ الذي يستخدم بقع الحبر كمثيرات له، واختبار تفهم الموضوع الذي يتكون من مجموعة من الصور التي يبنى المستجيب حولها قصة من القصص.

4- مقاييس الاتجاهات:

تستخدم بعض المقاييس لقياس الاتجاهات والقيم والآراء وغير ذلك من المتغيرات التي لا يمكن قياسها بالاختبارات أو غير ذلك من الأساليب، ويهتم الباحثون في العلوم الاجتماعية والسلوكية باتجاهات الأفراد أو الجماعات نحو موضوعات معينة، ويقصد بالاتجاه استجابة موجبة أو سالبة للفرد نحو

موضوع، أو مؤسسة، أو مفهوم أو قضية ذات صبغة اجتماعية غالباً. وتسلم مقاييس الاتجاهات بأنه من الممكن توزيع الأفراد على طول متصل ذي قطبين: أحدهما يعبر عن الجانب الموافق أو الجانب المؤيد، والثاني عن الجانب المعارض. وهناك نوعان أساسيان من مقاييس الاتجاهات وهما:

أ- **مقياس ليكرت** Likert: وتسمى طريقة التقديرات المجمعة، وهي من أكثر الأساليب استخداماً لقياس الاتجاهات. ويتكون مقياس ليكرت من مجموعة من العبارات الغرض منها قياس الاتجاهات نحو موضوع معين، ويطلب من المستجيبين الاستجابة لكل عبارة بأحد الاستجابات التالية: «موافق تماماً»، «موافق»، «غير متأكد»، «غير موافق»، «غير موافق تماما»، وتعطى كل استجابة من هذه الاستجابات قيمة عددية، ونحصل على درجة المقياس بجمع استجابات الفرد لعبارات المقياس، ويعبر المجموع عن اتجاه الفرد نحو موضوع الاتجاه. ويتم بناء مقياس ليكرت بتجميع عدد كبير من العبارات عن الموضوع. ومن المفترض أن يعبر نصف هذه العبارات عن اتجاه مؤيد في حين أن نصف العبارات الآخر يعبر عن اتجاه سالب نحو موضوع المقياس. ولا تستخدم العبارات المحايدة في مقياس ليكرت. ويجب أن تكون هذه العبارات عينة ممثلة لكل الآراء والاتجاهات الممكنة نحو موضوع الاتجاه. ومن المهم أن يبدأ بناء المقياس بالتفكير في الموضوعات الفرعية التي يتكون منها الاتجاه، وبعدها نكتب عبارات تمثل كل موضوع فرعي. ويجب أن تتصف العبارات بالسمات الآتية حتى يكون مقياس الاتجاه تعبيراً صادقاً عن الاتجاه:

1- أن تكون العبارة قابلة للجدل أي: تعبر عن رأي لا حقيقة.

2- أن تعبر كل عبارة عن موضوع الاتجاه.

3- أن تكون العبارة قابلة لتفسير واحد فقط.

4- أن تكون العبارة بسيطة غير مركبة.

5- أن تكون العبارة قصيرة.

6- أن تكون العبارة كاملة في التعبير عن وجهة نظر معينة متعلقة بالاتجاه.

7- أن تحتوي العبارة على فكرة واحدة.

8- أن تكون العبارة واضحة تماماً ومباشرة.

9- أن تبنى العبارة في صيغة المعلوم وليس صيغة المجهول.

10- أن تحتوي العبارة على المصطلح موضوع الاتجاه أو النقاش كموضوع لها.

ب- **مقياس أوسجود** Osgood: وتسمى أيضاً بمقياس الدلالة لأوسجود، وهي طريقة أخرى لقياس الاتجاهات. ويقوم مقياس المعاني الفارق على مسلم أساسي هو أن لكل شيء معنيين بالنسبة للأفراد: رمزي وضمني. والمعنى الرمزي هو المعني الذي يعطيه القاموس للكلمة، أما المعني الضمني فيشير إلى الارتباطات أو التداعيات التي تثيرها هذه الكلمة، ومن السهل على الفرد أن يعطي المعنى الرمزي من إعطاء المعنى الضمني. إلا أنه من الأسهل قياس المعنى الضمني للشيء بشكل غير مباشر، وذلك بسؤال الأفراد أن يقدروا هذا الشيء باستخدام عدد من الصفات ثنائية القطب. وبذلك يكون معنى شيء ما بالنسبة للفرد هو نمط تقديراته لهذا الشيء على مقاييس الصفات ثنائية القطب، وقد وجد أوسجود وزملاؤه بعد استخدام التحليل العاملي لتقديرات المقاييس ثلاثة تجمعات للصفات، نتج عنها ثلاثة عوامل هي:

1- عامل التقويم: ويتكون من صفات مثل جيد- سيئ أو قيم- غير قيم.

2- عامل القوة أو الطاقة: ويتكون من صفات مثل قوي- ضعيف أو ثقيل- خفيف.

3- عامل النشاط أو الفاعلية: ويتكون من صفات مثل إيجابي- سلبي أو سريع- بطيء.

وتوضع الصفتان المتقابلتان عند طرفي المقياس المدرج المكون من سبع

درجات، ويختار الفرد الفراغ الذي يحدد درجة الاتجاه بالنسبة له من بين الفراغات السبعة، ويضع علامة (×) في هذا الفراغ، فإذا افترضنا مثلاً أننا نريد قياس اتجاهات الطلبة نحو المدرسة فإنه يمكن بناء المقياس المبين في هذا الشكل:

المدرسة

جيد — — — — — — — سيئ

سلبي — — — — — — — إيجابي

نابه — — — — — — — غبي

حزين — — — — — — — سعيد

قيم — — — — — — — غير قيم

صلب — — — — — — — رخو

ثقيل — — — — — — — خفيف

ضعيف — — — — — — — قوي

سريع — — — — — — — بطيء

وتجمع التقديرات في كل الفقرات، وتكون الدرجة الكلية هي المعبرة عن اتجاه الفرد نحو الموضوع، يمكن أيضاً الحصول على متوسط التقديرات، ويكون هذا المتوسط هو المعبر عن الاتجاه.

5- مقاييس التقدير:

تستخدم مقاييس التقدير عندما نريد تحديد درجة حدوث سلوك ما، وبخاصة في المواقف التي يكون فيها للأداء أو الإنتاج جوانب متعددة يتطلب كل منها تقديراً خاصاً. مثال ذلك عندما يريد الباحث قياس قدرة أفراد العينة

على الخطابة، يمكنه إعداد مقياس تقدير يستخدمه عند ملاحظة كل فرد والاستماع إليه وهو يلقى خطبة ما، وفي هذه الحالة يمكن أن يشتمل المقياس على الأبعاد التالية: محتوى الخطبة، تنظيمها، سهولة العرض، صحة اللغة والنحو، القدرة على التعبير، استخدام الإيحاءات والإشارات، ويعطي الباحث كل بعد من هذه الأبعاد تقديرات منفصلة.

ويختلف أسلوب التقدير من مقياس لآخر، فقد يستخدم ثلاث درجات (جيد ومتوسط وضعيف) أو خمس درجات (ممتاز، جيد جداً، جيد، متوسط، ضعيف)، وقد يستخدم سبع درجات، وقد يستخدم الأرقام بدلاً من الألفاظ بحيث يدل الرقم الأعلى على قوة الصلة والرقم الأدنى على ضعف الصلة. ويلاحظ أن زيادة عدد التقديرات يزيد من حساسية المقياس المدرج، فسبع درجات أكثر حساسية من خمس درجات، وهذه أكثر حساسية من ثلاث درجات. إلا أن زيادة حساسية المقياس تزيد من صعوبة التمييز بين الدرجات المتتالية، ولذلك يجب على الباحث أن يوازن بين الأسلوبين قبل اختيار عدد الدرجات التي يضمنها مقياسه.

أنواع مقاييس التقدير:

هناك أنواع متعددة من مقاييس التقدير، إلا أنه يمكن تصنيفها في واحد من الأنواع الثلاثة الآتية:

١- مقاييس التقدير الرقمية:

من أبسط مقاييس التقدير والذي يقوم فيه المُقدر بوضع علامة حول الرقم الذي يبين درجة وجود الصفة.

ويمكن إعطاء كل رقم وصفاً لفظياً يظل ثابتاً من صفة لأخرى، وفي بعض الحالات تحدد التعليمات أن أعلى رقم يمثل أعلى تقدير، والرقم (١) يمثل أدنى تقدير، والأرقام الوسيطة تمثل قيماً متوسطة.

مثال:

بين الدرجة التي يسهم بها الطالب في المناقشة في الفصل، وذلك بوضع دائرة حول الرقم المناسب، وذلك على النحو التالي:

5- ممتاز 4- فوق المتوسط 3- متوسط 2- تحت المتوسط 1- غير مرضي

- ما مدى إسهام الطالب في المناقشة في الفصل؟

1 2 3 4 5

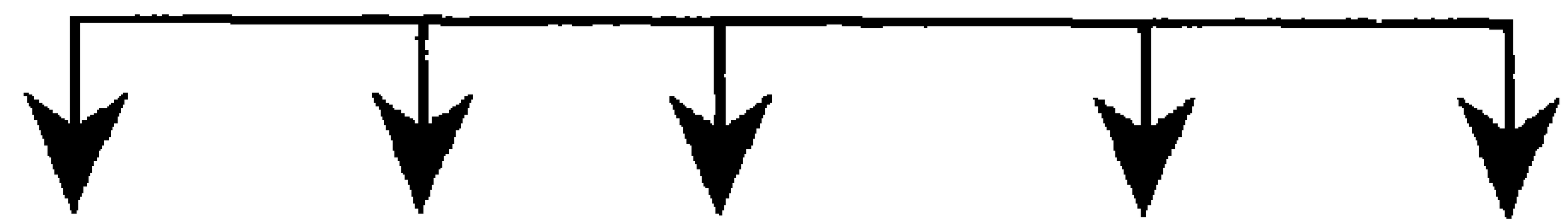
2- مقاييس التقدير البيانية:-

يميز مقاييس التقدير البيانية وجود خط أفقي بعد كل صفة، وتوضع علامة على الخط ، ولكل فئة موقع محدد على الخط، إلا أن المقدر حرفي وضع علاقاته بين فئتين لتدل على درجة وسيطة للصفة بين الفئتين.

مثال:

بين الدرجة التي يسهم بها الطالب في المناقشة في الفصل وذلك بوضع علامة في المكان المناسب على الخط عقب كل سؤال

1- ما مدى إسهام الطالب في المناقشة في الفصل؟



دائماً كثيراً أحياناً نادراً أبداً

وعلى الرغم من أن الخط البياني المستخدم في هذا النوع من مقاييس التقدير يمكن من وضع العلامات عند نقط وسطية بين الفئات، فإن هذا النوع ليس له ميزة كبيرة على المقياس الرقمي، فنادراً ما يتفق المحكمون على معنى (نادراً) و(أحياناً) و (كثيراً).

3- مقاييس التقدير البيانية الوصفية:

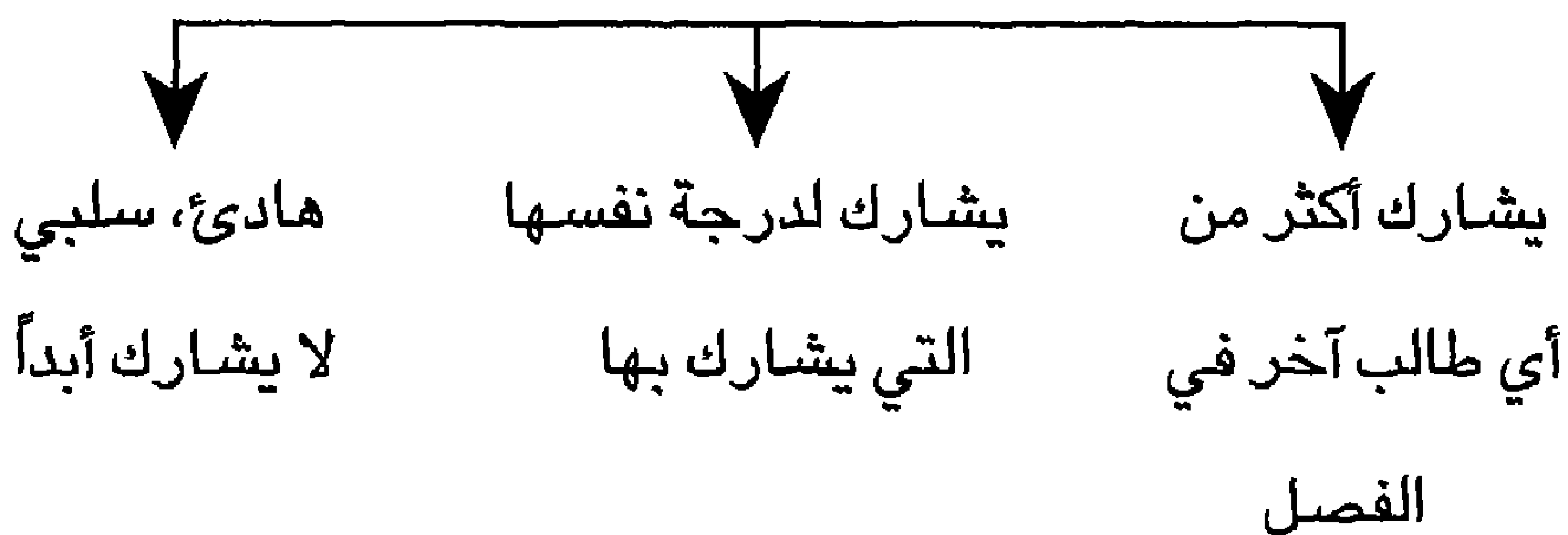
يستخدم هذا المقياس عبارات وصفية لتحديد النقاط على الخط البياني، وتحدد النقاط كيف يسلك المبحوثون عند كل نقطة من نقاط الخط. وفي بعض المقاييس تحدد نقاط البداية والوسط والنهاية فقط، وكثيراً ما يضاف حيز يذكر فيه المقدر أية تعليقات يراها لتوضيح التقدير.

ومقاييس التقدير البيانية الوصفية أكثر مقاييس التقدير مناسبة للاستخدام في البحوث، حيث إنها تصف للمقدر نوع السلوك الذي يعبر عن كل فئة من فئات التقدير كما يساعد على تحقيق موضوعية الملاحظات، لأن أوصاف السلوك المحددة تساعد على تحقيق الدقة والموضوعية في أثناء عملية التقدير. ويمكن أن يتم إضافة قيم رقمية إلى الصفات عند كل موقع للمساعدة على تحويل الصفات إلى درجات.

مثال:

بين الدرجة التي يسهم بها الطالب في المناقشة في الفصل، وذلك بوضع علامة في أي مكان على الخط عقب كل سؤال، وفي المكان المخصص للتعليقات أضف أي تعليق تراه يمكن أن يساعد في توضيح سلوك الطالب.

1- ما مدى إسهام الطالب في المناقشة في الفصل؟



تعليقات: ——————————————————————

استخدامات مقاييس التقدير:

يمكن استخدام مقاييس التقدير في ثلاثة مجالات من مجالات القياس:

1- قياس الإجراءات:

يحتاج الباحث في كثير من الأحيان إلى قياس الأداء الذي يظهره أفراد العينة، وبخاصة عقب المعالجة التجريبية. مثال ذلك إلقاء خطبة، استخدام أدوات المعمل، والعمل بفاعلية في الجماعة، عزف آلة موسيقية، القيام ببعض الحركات الرياضية.

2- قياس الإنتاج:-

إذا ترتب على أداء الطالب إنتاج معين فقد يكون من الأفضل قياس الإنتاج بدلاً من الأداء، مثل القدرة على إعداد خطة معينة، وهنا نجد من الأفضل الحكم على الخطة نفسها بدلاً من طريقة إعدادها، حيث إنه لا فائدة من ملاحظة الطالب في أثناء إعداده للخطة. وفي بعض المجالات مثل الطباعة على الآلة الكاتبة، الطبخ، والنجارة، قد يكون من الأفضل تقدير الإجراءات في مرحلة مبكرة من المعالجة، والإنتاج بعد انتهاء المعالجة. ومن الأمثلة على قياس الإنتاج الرسم، ورسم الخرائط، والرسوم البيانية، والبحوث والتقارير وغيرها من أنواع الإنتاج التي يمكن أن تكون جزءاً من متغيرات البحث.

3- قياس النمو الشخصي والاجتماعي:

من أهم استخدامات مقاييس التقدير في البحوث تقدير مظاهر النمو الشخصي والاجتماعي؛ إذ يمكن للباحث تصميم استمارة لتقدير بعض الصفات الشخصية والاجتماعية مثل القيادة والتوافق الاجتماعي والتوافق الشخصي وغيرها، وذلك في البحوث التي تسعى إلى تقدير مثل هذه المتغيرات سواء لمتغيرات مستقلة أو متغيرات تابعة أو متغيرات ضابطة.

ويختلف تقدير الخصائص الشخصية والاجتماعية عن تقدير الإجراءات أو الإنتاج، ففي الحالتين الأخيرتين يتم التقدير في أثناء الأداء أو بعده مباشرةً. أما تقدير الخصائص الشخصية والاجتماعية فيحتاج إلى مراحل فترية ممتدة زمنياً، قد تكون فصلاً دراسياً أو عاماً دراسياً كاملاً. ونظراً لاعتماد التقديرات على ملاحظات المُقدر قد تكون عارضة ومنتشرة على فترة طويلة نسبياً من الزمن، فمن المتوقع أن تكون هذه التقديرات أكثر تعبيراً عن مشاعر المُقدر وتشبعاته من تلك التقديرات التي نحصل عليها من الملاحظة المباشرة.

6- قوائم المراجعة:

تتكون قوائم المراجعة من عدد من الخطوات أو الأنشطة أو الأنواع من السلوك التي يستعين بها الملاحظ لتسجيل ملاحظاته، وتتشابه قوائم المراجعة مع مقاييس التقدير في مظهرها، إلا أنهما يختلفان في طريقة إصدار الإحكام، ففي مقاييس التقدير نحدد درجة ظهور أو تكرار السلوك. أما في قوائم المراجعة، فإننا نحكم على السلوك أو الصفة بأنه موجود أو غير موجود؛ ولذلك فإن قوائم المراجعة وسيلة لتسجيل حدوث أو عدم حدوث عمل ما، أو وجود خاصية من الخصائص. فإذا كنا نريد تحديد درجة السلوك، فإننا لا نستخدم قوائم المراجعة، ولكن نستخدم مقاييس التقدير، وتتميز قوائم المراجعة بأنها تمكن الملاحظ من تحديد السلوك بسرعة.

وقوائم المراجعة لها فائدتها على وجه الخصوص عندما يعتمد القياس على أسلوب الملاحظة وليس الاختبار. وإذا أمكن تعريف المتغيرات التي نريد قياسها تعريفاً إجرائياً في سلوك ظاهر محدد، فإنه يمكن استخدام قوائم المراجعة، وذلك ببيان أي سلوك موجود، وأيها غير موجود، ويحدد التعريف الإجرائي مظاهر السلوك المراد قياسها.

مثال:

قائمة مراجعة لقياس بعض مهارات الطالب في مقرر الرياضيات

(*) ضع علامة (+) أمام السلوك الذي يظهره الفرد وعلامة (–) أمام السلوك الذي لم يحدث. توضع العلامة داخل المربع أمام كل عبارة:–	
☐	1– يتعرف على الأعداد من 1 إلى 10 .
☐	2– يعد حتى 10 .
☐	3– يتعرف على الأشكال الهندسية.
☐	4– يتعرف على أجزاء العملية.
☐	5– يرتب الأشياء حسب قيمها الرقمية.
☐	6– ينقل الأعداد من 0 إلى 10 .
☐	7– يحدد الوقت إلى أقرب نصف ساعة.
☐	8– يتعرف على ربع الدائرة.

وإذا أراد الباحث تفريغ بيانات كل فرد في كشف واحد، فإنه يقوم بهذه العملية بعد الانتهاء من عملية الملاحظة. ويوضح الشكل الآتي عملية تفريغ لقائمة المراجعة.

شكل يوضح تفريغ البيانات قائمة المراجعة

	رقم العبارة / الاسم	1	2	3	4	5	6	7	8
1									
2									
3									
4									
5									
6									
7									
8									
9									
10									
11									
12									
13									

* المصدر: رجاء محمود أبو علام (1999).

وفي مجال النمو الشخصي والاجتماعي يمكن استخدام قوائم المراجعة لقياس السلوك المطلوب، وفي هذه الحالة تحتوى قائمة المراجعة على أنواع السلوك التي تم تحديدها كعينة ممثلة للسلوك الذي نسعى إلى قياسه، وفي مجال عادات العمل على سبيل المثال يمكن للباحث أن يضمن المراجعة أنواع السلوك التالية:—

- ينفذ التعليمات.

- يطلب العون عندما يحتاجه.
- يعمل في تعاون مع الآخرين.
- يشارك الآخرين عند الضرورة في الأدوات التي يستخدمونها.
- يحاول القيام بأنشطة جديدة.
- ينهي العمل الذي بدأه.

7- الأساليب السوسيومترية:

تستخدم الأساليب السوسيومترية لدراسة التفاعل بين الأفراد داخل الجماعات الاجتماعية، والإجراء الأساسي في القياس السوسيومتري يتضمن سؤال أعضاء الجماعة لبيان اختياراتهم الأولى والثانية وكذلك الاختيارات التالية حول من يرغبون أن يكونوا زملاءهم في نشاط من الأنشطة مثلاً. ومثال على ذلك، قد يطلب من مجموعة من الأطفال تحديد اثنين أو أكثر من الأطفال في مجموعتهم للعمل معهم في نشاط من الأنشطة، أو اللعب معهم.

والأسلوب السوسيومتري يستخدم على نطاق واسع في البحوث في مجال علم النفس الاجتماعي وفي التربية حيث يمكن دراسة التركيب الاجتماعي للعينة وعلاقته بمجموعة أخرى من المتغيرات، مثل القدرة العقلية العامة، والتحصيل الدراسي، ومفهوم الذات، والمعلمين الذين يفضلهم الأطفال.

وفيما يلي مثال على استمارة سوسيومترية والغرض منها هو اختيار التلاميذ لمن يشاركونهم مقاعدهم في الفصل ، وفي النشاط المدرسي وفي جماعات اللعب في المدرسة مع الشرح الخاص بأهم المبادئ في الاختبار السوسيومتري.

استمارة سوسيومترية

الاسم: ---------------------------- التاريخ: ---/---/---

سوف تعدل في الأسابيع القادمة أماكن الجلوس على المقاعد في الفصل، وتكوين جماعات النشاط الحر وجماعات النشاط الرياضي. وبما أنه قد مضى وقت كاف من السنة لكي يعرف التلاميذ بعضهم البعض يمكن مساعدة المدرسة في تنظيم جماعات النشاط المختلفة. ويمكنك ذلك بكتابة أسماء التلاميذ الذين ترغب أن يكونوا معك في هذه الجماعات. ويمكنك اختيار أي تلميذ من هذا الفصل حتى ولو كان غائباً. ولن يطلع أحد على الاختيارات التي تقوم بها، بما في ذلك التلاميذ الذين اخترتهم.

دقق في اختياراتك حتى يكون زملاؤك في أي جماعة هم من ترغب في أن يكونوا معك. وسوف نحاول تنظيم الجماعات بحيث يكون مع كل تلميذ في جماعته اثنين على الأقل ممن اختارهم. ومن الصعب أحياناً تحقيق الرغبات الأولى، ولذلك من الأفضل أن تكتب خمسة اختيارات.

تذكر:

1 – أن تكون جميع اختياراتك من تلاميذ في الفصل حتى ولو كانوا متغيبين.
2 – أن تكتب الاختيارات الخمسة كلها بعد كل سؤال.
3 – يمكنك اختيار نفس التلميذ في أكثر من جماعة إذا رغبت.
4 – اختيارات سرية ولن يطلع عليها أحد.

أرغب أن أجلس بالقرب من:

1 – ---------------------------- 2 – ----------------------------
3 – ---------------------------- 4 – ----------------------------
5 – ----------------------------

أرغب أن أشترك في النشاط مع:

1 – ---------------------------- 2 – ----------------------------
3 – ---------------------------- 4 – ----------------------------
5 – ----------------------------

أرغب أن أشترك في اللعب مع:

1 – ---------------------------- 2 – ----------------------------
3 – ---------------------------- 4 – ----------------------------
5 – ----------------------------

المصدر: رجاء محمود أبو علام (1999). ص 384 .

الفصل الحادي عشر

الملاحظة والملاحظة بالمشاركة

الفصل الحادي عشر

الملاحظة والملاحظة بالمشاركة

الملاحظة العلمية:

تعد الملاحظة من أبرز الوسائل المستخدمة في عملية جمع البيانات والمعلومات من قبل الباحثين في مجالي العلوم الاجتماعية والطبيعية، فالملاحظة من حيث كونها أداة من أدوات جمع البيانات لا تقل أهميتها عن الأدوات الأخرى كالمقابلة، أو دراسة الحالة مثلا، فهي أداة مميزة عن بقية الأدوات لأنها تسمح للباحث أن يلاحظ الظروف الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة البحث، وتمكن الباحث من ملاحظة سلوك وعلاقات وتفاعل المبحوثين، إضافةً إلى الإطلاع على نمط المعيشة وأساليب الحياة والمشكلات اليومية والحياتية التي يتعرضون لها دون أن يكون هناك أي تدخل بين الأطراف أو أي من الجهات (. Swedner, 1968)

والملاحظة هي قاعدة العلم، وهي نقطة البدء عند جمع الشواهد، ثم لا يلبث العالم أن يعود إليها مرة أخرى لكي يتحقق من صحة النتائج والاستخلاصات، وهناك فرق بين الملاحظة السريعة العابرة التي يقوم بها الإنسان في ظروف الحياة العادية، وبين الملاحظة العلمية التي تمثل محاولة منهجية يقوم بها الباحث بدقة تامة، وفق قواعد محددة، للكشف عن تفاصيل الظواهر، ولمعرفة العلاقات التي تربط بين عناصرها، وهي تتميز عن الملاحظة العابرة بأن الباحث يقوم بها لخدمة بحث معين. كما أنها مخططة بطريقة منظمة من أجل تحقيق أهداف البحث. ثم إن الملاحظات العلمية تثبت وتسجل تسجيلاً دقيقاً، والملاحظة العلمية فوق كل ذلك يمكن تكرارها، بالعودة للظاهرة نفسها مرة أخرى للتحقق من صحة الملاحظة، والوقوف على مدى

دقتها (محمد علي محمد، 1983).

وتُعد الملاحظة من أقدم طرق جمع البيانات والمعلومات الخاصة بظاهرة ما، كما أنها الخطوة الأولى للبحث العلمي وأهمها؛ إذ تعنى بمعناها البسيط الانتباه العفوي إلى حادثة أو ظاهرة أو أمر ما، أما الملاحظة العلمية فهي انتباه مقصود ومنظم ومضبوط للظواهر أو الحوادث أو الأمور بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها (رجاء وحيد دويدري، 2000).

فالملاحظة أداة رئيسة في البحث الاجتماعي، ومن الممكن القول إن الباحث الاجتماعي يستخدم الملاحظة بدرجات مختلفة في بحثه انطلاقاً من مبدأ أن العلم أساساً يبدأ بالملاحظة. والملاحظة أسلوب أو طريقة لا نستغني عنها في حياتنا اليومية، ونستخدمها دائماً حتى نكتشف الأشياء، ونحصل على المعلومات، ونتحقق من النتائج. والملاحظة العلمية هي في حقيقة الأمر نفس فكرة الملاحظة الحياتية اليومية، ولكن تدخل ضمن إطار منهجي وعلمي يخضع لقواعد ونظم إجراءات البحث العلمي.

الملاحظة الدقيقة:

الدقة في الملاحظة هي مسألة مهمة، وهي التي يمكن الاعتماد عليها وعلى النتائج المتوقعة من وراء استخدام هذه الوسيلة. ولذلك يجب أن تتميز الملاحظة بما يأتي (رجاء وحيد دويدري، 2000):-

1- **الانتباه:** وهو شرط أساسي من شروط الملاحظة الصحيحة الناجحة والموضوعية وعدم التحيز.

2- **الإحساس:** ويقصد به الحواس السليمة أو الاستعانة بالأدوات إن احتاج الأمر، ولابد من تفسير الإحساسات للوصول إلى الحقائق.

3- **الإدراك:** وهو تفسير الإحساس في ضوء أمور من بينها الخبرة السابقة والمقولات العقلية والمنطقية، وما الملاحظة إلا خدمة للإدراك.

ومن معوقات الملاحظة الدقيقة احتمال حدوث أخطاء في الإدراك أكبر بكثير منه في الإحساس. فقد تعمل اهتمامات الباحث الشخصية على رؤية ما يريد رؤيته، ويقف هذا عقبة في سبيل الملاحظة الموضوعية. كما يتضح أن الإدراك عرضة للتحريف والتشويه، لذلك كان لابد من الحذر، وهذا هو السبب في أن يرى شخصان حادثاً واحداً، فيفسران تفسيراً متبايناً، لهذا يجب أن يتجنب الملاحظ كل الأسباب التي تمنع دقة ملاحظته، وأن يلجأ إلى كل الوسائل التي تعين على الانتباه ودقة الإحساس وضبط الإدراك وسلامته، وأهم أسس الملاحظة الدقيقة :-

1- أن يقوم الباحث بجميع معلومات أساسية مسبقة عن الشيء الذي سيقوم بملاحظته.
2- أن يحدد أهداف الملاحظة والأمور الأساسية التي سيقوم بملاحظتها، ويساعده هذا على التركيز في جمع البيانات عن الأمور المراد دراستها، بخاصة في الدراسات الوصفية واختيار الفرضية.
3- أن يختار الوسيلة الملائمة لتسجيل الأحداث أو المشاهدات التي سيلاحظها مع التدريب على الوسيلة المختارة.
4- القيام بالملاحظة بشكل ناقد وبعناية؛ لأن الكثير من الأمور تبدو بسيطة وغير مهمة في تصرفات الأفراد، لكن يكون لها أهمية كبيرة وأثر في مجريات الحادثة أو الظاهرة.

شروط الملاحظة:

أما شروط الملاحظة العلمية فهي:

1- أن تكون منظمة ومضبوطة، تقوم على أساس سؤال أو مشكلة وفرضية مبدئية توجه هذه الملاحظة وترتب خطوطها، وتحيط بنواحيها المختلفة وتضبط مجرياتها.
2- أن تكون موضوعية بعيدة عن التحيز، بحيث لا يسمح الباحث لنفسه أن

يأخذ ما يؤيد فرضيته وترك ما لا يؤيدها.

3- أن تكون دقيقة كماً وكيفاً، بحيث يلجأ الباحث إلى القياس كلما أمكن ذلك، وهو غاية أساسية من أسس العلم.

4- أن يكون الملاحظ مؤهلاً للملاحظة، بمعنى أن يكون سليم الحواس، قادراً على الانتباه في وضع جسمي ونفسي ومادي يمكنه من الملاحظة.

5- أن يتم تسجيلها بسرعة؛ لأن الاعتماد على الذاكرة أمر غير مضمون.

6- التخطيط للملاحظة واجب، فهو يشير إلى وضع خطة علمية يسير الملاحظ وفقها ويتبع خطواتها.

7- يجب أن يستعين الملاحظ بكل وسيلة أو أداة تساعده على دقة الملاحظة وضبطها.

أنواع الملاحظة وإجراءاتها:

من الممكن أن يتم تقسيم الملاحظة إلى عدة تقسيمات حسب طبيعتها، ومنها (رجاء وحيد دويدري، 2000: 320-321):

1- الملاحظة العفوية البسيطة (Direct):

أي: غير المقصودة أو المضبوطة، وهي بداية للملاحظة العلمية، تنجم عنها فرضية، تحتاج إلى بحث وتدقيق، وتستخدم في الدراسات الاكتشافية، كملاحظة سلوك شخص بشكل مباشر، دون تخطيط مسبق.

2- الملاحظة المقصودة والمضبوطة والمنظمة:

أي: غير المباشرة (Indirect)، وهي الملاحظة العلمية بالمعنى الصحيح، توجهها فرضية معينة أو نظرية محددة، وتتم في ظروف مخطط لها، وتتم حينما يحدد فيها الباحث المشاهدات التي يريد أن يجمع عنها بيانات.

3- الملاحظة الفردية والملاحظة الجماعية:

ولكل منهما موجبات واستعمال تفرضها طبيعة البحث.

4- الملاحظة في الطبيعة:

وتستعمل في العلوم الطبيعية والسلوكية.

5- الملاحظة في المختبر:

وهي التجريب، وفيه تضبط المتحولات الحرة جميعها وتثبت إلا واحداً يحول، ويلاحظ التغير مما يؤكد صحة الفرضية أو بطلانها.

6- الملاحظة في العيادة:

وهي جزء من دراسة الحالة، يلجأ إليها الأطباء النفسيون والموجهون التربويون.

وحسب أهداف الملاحظة تقسم الملاحظة إلى:

1- ملاحظة محددة (Structured)، إذا كان لدى الباحث تصور مسبق عن نوع المعلومات التي يلاحظها أو السلوك الذي يراقبه، وقد تكون الملاحظة:

2- غير محددة (Unstructured)، حين يقوم الباحث بدراسة مسحية للتعرف على واقع معين أو يجمع البيانات والمعلومات.

هذا وتتم إجراءات الملاحظة على النحو الآتي:

1- تحديد مجال الملاحظة وبيان مكانها وزمانها وفقاً لأهداف الدراسة.

2- إعداد بطاقة الملاحظة لتسجيل المعلومات التي يلاحظها الباحث.

3- أن يتأكد الملاحظ من صدق ملاحظاته، بوساطة إعادة الملاحظة أكثر من مرة وعلى فترات متباعدة أو مقارنة ما يلاحظه بملاحظة باحث آخر، وبهدف الدقة والصدق والتأكد من عدم تحيز الباحث أو اهتمامه بجانب دون آخر، فلا بد للباحث من أن يعيد الملاحظة ويكررها لضمان صحة ما يلاحظ.

4- أن يتم تسجيل ما يلاحظه في أثناء الملاحظة، ويقوم بعض الباحثين بتسجيل ملاحظاتهم خلال إجرائها، بأدوات التسجيل، مما يجعل الباحث

يحصل على صورة واقعية، ويقلل من إمكانية الوقوع في أخطاء الملاحظة أو النسيان، هذا ويمكن للملاحظ أن يستعين بأفراد آخرين لمساعدته، بشرط تدريبهم ويحدد أهداف الدراسة لهم والأمور التي يسعى لملاحظتها.

الملاحظة ودور الباحث:

من الممكن أن يتم تقسيم الملاحظة وفقاً للدور الذي يقوم به الباحث. فهي تدخل ضمن ما يسمى من قبل البعض بالملاحظة البسيطة أي الموضوع الذي يحدث في الظروف الطبيعية دون استخدام أدوات دقيقة، أو إخضاعها للضبط العلمي. وعليه فتقسم إلى ما يسمى بالملاحظة البسيطة، والتي ترتبط وفقاً لدور الباحث في الظاهرة موضوع البحث إلى ما يأتي (إخلاص محمد عبد الحفيظ، ومصطفى حسين باهي، 2000: 166-167):-

1- الملاحظة غير المشاركة:

وهي التي تتم دون أن يشارك الباحث بشكل مباشر في الموقف الذي يلاحظه، بمعنى أن الباحث يقوم بملاحظة المبحوثين من الخارج دون أن يتفاعل مع موضوع الملاحظة، ولا يؤثر فيه. وهذا الأسلوب يهيئ الفرصة لملاحظة السلوك الفعلي للمبحوثين في صورته الطبيعية كما يحدث في مواقف الحياة الحقيقية.

2- الملاحظة بالمشاركة:

وهي التي يصبح فيها الباحث جزءاً مشاركاً في الموقف الملاحظ كما سوف يتم عرضه خلال السطور القادمة بشيء من التفصيل.

إن طريقة الملاحظة غير المشاركة أو ما تسمى أيضاً بالملاحظة البسيطة تختلف عن طريقة الملاحظة بالمشاركة، ففي طريقة الملاحظة البسيطة يستعمل

الباحث بصره وإحساسه ومداركه فقط عند عملية استقصاء المعلومات والبيانات الموجودة والمتوافرة في الميدان البحثي. إن استخدام هذه الطريقة عند عملية جمع البيانات لا تساعد الباحث الاجتماعي في الحصول على معلومات شخصية ذاتية تتعلق بالجوانب النفسية والعقلية لمجتمع الدراسة. إن أسلوب الملاحظة بالمشاركة يساعد الباحث للتعرف على جميع الظروف المحيطة، وفهم المعالم الايكولوجية والاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها أفراد المجتمع، إضافة إلى أنماط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تقع بين الأفراد المبحوثين (Moser, 1967: 180).

الملاحظة بالمشاركة(*)

هناك من يربط بين أسلوب استخدام الملاحظة بالمشاركة وبين البحث الكيفي بشكل عام، كما يصفها ادجيرتن (1984) Edgerton، حيث يعرف البحث الكيفي بأنه محاولة من الباحث لدخول حياة الأفراد، ويدرسهم بشكل كامل وطبيعي والذي يتطلب قضاء مدة طويلة حتى تكون كل مسألة طبيعية.

الملاحظة بالمشاركة هي إحدى الوسائل المهمة والأساسية التي يستخدمها الباحث في العلوم الاجتماعية والسلوكية بشكل عام، وفي الأنثروبولوجيا الثقافية بشكل خاص عند جمعه البيانات، فقد برز هذا الأسلوب بالتحديد في الدراسات الأنثروبولوجية عندما كانت الانثروبولوجيا تعنى وتهتم بدراسة المجتمعات البدائية في بداية عهدها. وكان الباحث الأنثروبولوجي يدخل الحقل أو الميدان ويقوم باستخدام هذه الوسيلة. وبدأ أسلوب الملاحظة بالمشاركة ينتشر من حيث الاستخدام في العديد من الدراسات في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية والتربوية في الوقت الراهن، ويطلق على أسلوب الملاحظة بالمشاركة أسلوب الدراسة الحقلية الوصفية، وهي تلك التي تعتمد

(*) استمد هذا الجزء بتصرف من المادة من كتاب: Bernard, H. Russell (1994) Research Methods in Anthropology: Qualitative Approaches. Thousand Oaks: Sage Publication.

على قيام الباحث بالمشاركة الفعلية داخل مجتمع البحث، وقيام الباحث أيضاً بمشاركة أفراد المجتمع في جميع أنشطتهم المتعددة، وأن يبقى قريباً منهم، ويشعرهم بالراحة التامة عند تعامله معهم. وهنا يستطيع أن يلاحظ الباحث من خلال هذه المشاركة هذه الأنشطة والعلاقات والأساليب الحياتية اليومية المختلفة التي يمارسها أفراد هذا المجتمع. وهي مسألة لا تتحقق إلا بمقدار معين من الراحة والتعاون من قبل المبحوثين مع الباحث.

ويلاحظ ويشارك الباحثون الاجتماعيون في دراستهم الميدانية داخل الحقل في أمور مختلفة وحساسة، وذلك بهدف الحصول على المعلومات المطلوبة، فهم يجمعون البيانات والوثائق الخاصة بالسجل التاريخي لحياة الأفراد (تاريخ الحياة) Life-history، وهم يحضرون وقد يشاركون في كثير من الأوقات في الأعياد الدينية والمقدمة لدى مجتمع الدراسة، كما يتحدثون مع أفراد عن مواضيع حساسة وعن أنشطة مختلفة، أي أنهم يشاركون ويلاحظون أي أمر أو مسألة تحتوي على أرقام أو أفعال أو كلمات أو أي قضية تدخل نطاق البحث وتكون قابله لأن تقاس وتبحث.

ويذكر في هذا المجال العالم الأنثروبولوجي ايفانز بريتشارد عند حديثه عن الباحث الأنثروبولوجي أنه عندما يدخل الباحث المؤسسات والجماعات السكانية ويحتك بهم ويتفاعل معهم فإنه يهدف من وراء ذلك إلى فهم مشكلاتهم وأوضاعهم اليومية، فيحاول أن يكيف نفسه مع الجماعة التي يرغب في دراستها وتحليلها. فالباحث الأنثروبولوجي الذي ينوي دراسة أي مجتمع سواء أكان بدائياً أم قبلياً يختلف عن مجتمعه الأصلي يجب عليه الدخول إلى الحقل بطريقة لا تجلب الشك أو الريبة في النفس من أفراد هذه القبيلة أو هذا المجتمع، وذلك من خلال تكييف نفسه مع القبيلة تكيفاً كاملاً؛ إذ يفترض عليه أن يتطبع بسلوك وعادات وتقاليد أهلها، ويرتدي ملابسهم ويتعلم لغتهم وذلك بهدف أن يكون مقبولاً لديهم. وهو بذلك يصبح فرداً منهم

متكيفاً مع وضعهم الاجتماعي (Evans-Pritchard, 1967: 69-70).

والملاحظ المشارك الناجح هو ذلك الشخص الذي يعرف جيداً كيف يحدد سلوكه تجاه المواقف المختلفة في مجتمع البحث، فإذا أراد الباحث الاجتماعي أن ينجح في عملية ملاحظته، فعليه أن يعرف متى يتفاعل مع الموقف بطريقة صحيحة، فيضحك مثلا عندما يرى أن ما قاله الإخباريون أو الآخرون على أنه أمر يثير الضحك، ويعرف ما يبرزه المبحوث من انفعالات وتعبيرات خاصة، وهنا تدخل عملية التلاعب في الانفعالات بما يعرضه الموقف، والذي قد يعد أمراً مطلوباً حتى يستطيع الباحث أن يستفيد من جميع الوسائل التي تمكنه من أن يحصل على المعلومة (Bernavd, H. Pussel, 1994). فالباحث الذي يستخدم هذا الأسلوب يفترض أن تكون لديه المهارة والخبرة والدراية في عملية التفاعل مع الآخرين والتعامل مع المواقف، وأن يوجه سلوكه نحو كل ما يسهل من عملية جمع المعلومات. وهي مسألة ترتبط بشكل كبير بشخصية الباحث والذي يفترض أن تكون لديه من المهارات الكافية للتعامل مع الآخرين.

الملاحظة بالمشاركة والحقل الميداني (العمل الميداني):

نستطيع أن نقول: إن كل ملاحظة بالمشاركة ما هي إلا عمل ميداني، ولكننا لا نستطيع أن نقول: إن كل عمل حقلي أو عمل ميداني هو ملاحظة بالمشاركة، فعندما يقوم الباحث بإعداد استبانة وهو جالس على مكتبه، ويدرس هذه الاستبانة، ويرسلها وينتظرها عن طريق البريد، فهذا العمل لا يعد عملاً ميدانياً. ولكن عندما يأخذ الباحث عينة عشوائية من مجتمع معين، ويقوم بطرق أبواب المنازل ويقابل وجهاً لوجه المبحوثين فهذا يعتبر عملاً ميدانياً، ولكنها لا تعتبر ملاحظة بالمشاركة، وعندما يذهب الباحث إلى جمعية أو سوق محلي في مجتمع معين لم يقم بزيارته من قبل، ويقوم بعملية مراقبة لسلوك معين خاص مثلاً للزبائن، فهي أيضاً بحث أو عمل ميداني، ولكنه لا يعتبر ملاحظة بالمشاركة إنما تعتبر ملاحظة بسيطة.

فالعمل الميداني القائم على الملاحظة بالمشاركة يشترك ويدخل ضمن إطارها ترتيب عدد من الطرق لجمع البيانات المختلفة، وتشمل هذه الطرق الملاحظة بشكلها العام، والمحادثة الطبيعية مع المبحوث، واستخدام وسائل متعددة من المقابلات (مثل المقابلة المقننة والمقابلة غير المقننة وشبه المقننة)، وقائمة المراجع، والاستبانة، وغيرها من الطرق الأخرى، فهي جامعة لكل هذه الأمور عند إجراء الملاحظة بالمشاركة.

أدوار العمل الميداني:

القائمون بالعمل الميداني يؤدون دورين مختلفين:

1- ملاحظ مشارك Participating Observer

2 - مشارك ملاحظ Observing Participant

وأغلب الأنثروبولوجيين يقومون بالدور الأول، وهو أن يكونوا ملاحظين مشاركين، أو أن يقوموا بعملية الملاحظة بالمشاركة، فعندما يعيش الباحث في مجتمع بوصفه فرد لا ينتمي إلى المجموعة المبحوثة، ويقوم هذا الباحث بالأكل من غذاء هذا المجتمع، ويعيش ملاصقاً لهم، ويسلك سلوكهم، ويشاركهم بشكل عام في حياتهم كعنصر أو كفرد خارجي، فإن الباحث هنا يعد ملاحظاً مشاركاً. ويتولد عند المبحوثين هنا رغبة عارمة في معرفة ماذا يكتب الباحث في مذكراته، ويتركونه يأخذ هذه الملاحظات، وينظم الأجندة الخاصة به، فهو هنا ملاحظ مشارك داخل هذا المجتمع.

ومن الممكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما قامت به الباحثة جين شيلي Gene Shelley في دراستها لمرضى يعانون من مرض الكلى، فقد قضت شيلي مئات الساعات في العيادة تلاحظ، تسمع، تحاور، تقابل، وتأخذ الملاحظات لجميع النواحي الخاصة بحياة هؤلاء المرضى. وهي لم تعرض نفسها بأنها ممرضة، ولم تقم بأي عملية جراحية، ولذلك فهي هنا

تقوم بدور المُلاحظة المُشاركة.

أما الدور الآخر وهو المسمى بالمشارك الملاحظ، والذي قد تفرضه بعض الظروف الخاصة التي قد تحدث فجأة، أو التي تحدث نتيجة لبعض الظروف الخاصة، والتي تجعل من الباحث مشاركاً في نشاطهم بوصفه عنصراً داخلياً وكجزء من الثقافة نفسها. فهناك بعض الباحثين في الحقل الميداني يبدأون أساساً كباحثين ملاحظين مشاركين، ومن ثم يجدون أنفسهم منسجمين تماماً لحياة الإخباريين ومعيشتهم. وقد حدث ذلك لكثير من الباحثين، ومن الأمثلة المتوفرة هنا ما حدث لكينث جود Kenneth Good عندما ذهب لدراسة مجتمع اليانومامي Yanomami في الأمازون. فقد تعلم جود اللغة اليانومامية، وتزوج من امرأة يانومامية، وعاش في الغابات الأمازونية ما يقارب 13 سنة، وهناك أمثلة عديدة من الباحثين الأنثروبولوجيين الذين أصبحوا من سكان البلد الأصليين، ونشروا روائع أدبية في مجال الحقل الميداني لمجتمعات قاموا بدراستها.

فطبيعة الممارسة داخل الحقل هي التي تحدد دور الباحث بوصفه ملاحظاً مشاركاً أو مشارك ملاحظ، فالظروف المحيطة بالعمل الميداني، والمؤثرات الخارجية قد تلعب دوراً أساسياً في تحديد دوره على أنه باحث يهدف في النهاية إلى جمع المعلومات.

مدة الملاحظة بالمشاركة:

أغلب البحوث التي يعتمد فيها الباحث على استخدام منهج الملاحظة بالمشاركة وخاصةً عند الأنثروبولوجيين يستغرق الباحث فيها بما يقارب العام، فهذا هو الأساس في البحوث والدراسات الميدانية التقليدية عند الأنثروبولوجيين بالتحديد في بداية استخدام هذا الأسلوب.، ولكن هناك كثير من الدراسات التي تعتمد على الملاحظة بالمشاركة تأخذ في مدتها أسابيع

متعددة ولا تتجاوزها. فالباحث الميداني يسعى في أحيان كثيرة بإجراء تقديرات سريعة من خلال الملاحظة بشكل عاجل كمشاركته وملاحظته للنشاطات الزراعية أو بعض الممارسات الطبية لمجتمع من المجتمعات، بمعنى آخر أن عملية التقدير السريع تعني دخول المجتمع بسرعة والخروج منه بسرعة بهدف العمل، وهذا العمل هو جمع البيانات الخاصة بموضوع الدراسة دون الحاجة للجلوس شهوراً متعددة، وتطوير الألفة مع المجتمع بشكل كبير. وهذا يعني أن الباحث يقوم بعملية تحضير الأسئلة التي يريد أن يُجيب عنها، ويُحضر قائمة بالموضوعات والمعلومات التي يرغب في الحصول عليها، ومتى انتهى من جمع هذه البيانات والإجابة عن هذه الأسئلة فإن دوره يكون قد انتهى، ويجب عليه أن يغادر مجتمعه.

وهناك حالات أخرى تجعل الباحث يبقى في مقر الدراسة لمجرد أيام فقط، فقد يكون الباحث بحاجة لأن يتنقل من مكان لآخر، وبطريقة سريعة، وذلك للحصول على المعلومات بعد أن يُخبر مجتمع الدراسة بأنه باحث، ويريد الاستفادة من المعلومات المقدمة منهم، وهنا يشترط أن يكون هذا الباحث في الأصل يعرف المجتمع جيداً، ويعرف لغته، ويعرف آداب المعاشرة والقواعد العامة له، وذلك من خلال تجارب سابقة سبق أن مرَ بها، أو قرأ أو سمع عنها.

فالوقت الذي يريد الباحث الميداني أو الملاحظ المشارك قضاءه في مجتمع الدراسة يختلف من دراسة لأخرى، ومن حالة لأخرى، وهو يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية المعلومات التي يريد هذا الباحث الحصول عليها، ولقد قام الباحث روال نارول (1962) Raoul Naroll بدراسة مرجع حاول فيها أن يقارن بين الأنثروبولوجيين القائمين بالدراسات الحقلية والمدة التي قضوها داخل الحقل، فقد قارن بين الذين قضوا سنة وأكثر والذين قضوا أقل من سنة، فوجد أن الأثنوجرافي الذي اعتمد على قضاء سنة أو أكثر في الحقل هو أكثر حظاً من غيره في تسجيل وتدوين أمور دقيقة ومشكلات حساسة خاصة،

مثل ممارسة السحر، والممارسات المتعلقة بالجنس، والمنازعات السياسية .. وغيرها من الأمور الحساسة(Naroll, 1962). إضافة إلى ذلك فإن الباحث الذي يقضي وقتاً أطول في موقع الدراسة، ويستخدم الملاحظة بالمشاركة، في دراسات ذات فترات زمنية متعددة، يجد أنه قد حصل على معلومات خاصة بعملية التغير الاجتماعي والثقافي، والتي ببساطة لا يمكن أن يتم الحصول عليها بطرق أخرى.

فالمدة ترتبط بشكل مباشر بموضوع الدراسة وهدفها. إضافة إلى أن طول المدة يكون فرصة مناسبة للحصول على معلومات دقيقة قد لا يستطيع الباحث أن يحصل عليها بطرق أخرى.

أسباب استخدام الملاحظة بالمشاركة:

هناك بعض الأسباب التي تعطي الشرعية والقانونية التي تحتم على الباحثين في بعض الأوقات استخدام وسيلة الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع البيانات، فهناك على الأقل خمسة أسباب تجعل هذه الوسيلة ضرورية عند عملية جمع بعض المعلومات من المجموعات السكانية الثقافية المختلفة من الممكن تلخيص هذه الأسباب فيما يأتي:-

(١) جمع قدر كبير من المعلومات والبيانات:-

الملاحظة بالمشاركة تجعل بالإمكان جمع قدر كبير من البيانات المختلفة والمتعددة، فالملاحظ المشارك أو الباحث الميداني، على سبيل المثال، يستطيع أن يكون حاضراً وشاهداً على عادات الولادة في مجتمع ما، وهو أيضاً يستطيع أن يكون حاضراً وشاهداً على عادات الوفاة. فهو يستطيع مقابلة رجال عنيفين ومجرمين واستخلاص بعض المعلومات منهم، وهو أيضاً يستطيع الوقوف بالحقل الزراعي ويسجل سلوك المزارعين، وكذلك يستطيع القيام برحلات مع الصيادين عبر الغابات الواسعة للبحث والصيد. كذلك فهو يستطيع أن يطلع

بإمعان على الوثائق الخاصة بالزواج، والميلاد، والوفاة في أي قرية في العالم قيد الدراسة. فهو يقوم بمجموعة من التحركات التي تساعده على استخلاص المعلومات واقتنائها. فمن الصعب أن يقوم الغريب أو الشخص الذي لا يوطد العلاقة مع المبحوثين بعملية من هذا القبيل، وأن يقوم بالاطلاع على السجلات المهمة، أو أن يراقب سلوك الأفراد عند الولادة مثلاً، أو عند الفرح أو الزواج. إن الذي يجعل ذلك ممكناً هو استخدام الباحث وسيلة الملاحظة بالمشاركة.

(2) التخفيف من حدة التفاعل مع المبحوثين:-

الملاحظة بالمشاركة تخفف من مشكلة التفاعل مع الناس، فمن المعروف أن الأفراد يغيرون من سلوكهم عندما يعرفون بأنهم محل دراسة، فعندما يكون الباحث أقل فضولية وأقل لهفة للحصول على المعلومات، يكون الناس أيضاً أقل اهتماماً لقدوم هذا الباحث أو ذهابه أو وجوده. فيذهب الناس إلى أعمالهم وأشغالهم، ويتركون الباحث حراً في تصميم المقابلات، وإعداد الاستبانة، والتجول في المجتمع قيد الدراسة حاملاً الكاميرا أو ساعة التوقيت أو أي أداة أخرى للبحث، فهناك مشكلة ترتبط بهذا الجانب وهي تلك التي تتعلق بما يسمى بالسلوك المثالي الذي يمكن أن يتحدث به المبحوث أو يظهره في الغالب، والذي يحب أن يصنف نفسه في كثير من الأوقات على أنه يختلف عما هو أساساً عليه. فعندما أخبرت لي كومت وبريسلي (1993) Le Compte and Preissle، على سبيل المثال، الأطفال في المدرسة أنها تود أن تؤلف كتاباً عنهم، بدأ هؤلاء الأطفال يفكرون في طريقة يجعلون هذا الكتاب يخرج بصورته الجيدة والحسنة، فبدأوا بتقليد الشخصيات الفنية التي تعرضها البرامج التلفزيونية حتى يكونوا في الصورة المثالية أو المفضلة التي يحبها الناس، هنا قام الأطفال بتغيير سلوكهم، فلم يظهر سلوكهم الحقيقي، إنما ظهر بدلاً منه سلوك مثالي عندما علموا أن هناك

من يقوم بدراستهم وملاحظتهم.

(3) المساعدة في صياغة أدوات بحثية أخرى:-

الملاحظة بالمشاركة تساعد على صياغة أدوات بحثية أخرى، وإعداد أسئلة وجيهة وحكيمة، تسهم في فهم اللغة الأصلية لمجتمع الدراسة، فكثيراً ما تصلنا بعض الاستبانات من بعض الباحثين العلميين بواسطة البريد، ووسائل أخرى بشكل متكرر، وكثيراً ما نجد أن هناك بعض هذه الأسئلة فيها نوع من الركاكة في الإعداد والفجاجة من حيث التعبير واللغة المستخدمة. فإذا كان ذلك يحدث من قبل من الباحثين العلميين الذين ينتمون إلى المجتمع نفسه، فماذا عن المجتمع الغريب؟ فالأسئلة تعد لمجتمع يكون الباحث غريب عليه وعلى ثقافته تماماً، ولذلك فإن الملاحظة بالمشاركة كأداة تساعد بشكل كبير على إعداد أسئلة لأداة بحثية أخرى. إضافةً إلى ذلك، يستطيع الباحث أن يطور بعض الاختبارات والمقاييس من خلال استخدامه للملاحظة بالمشاركة. فمن المعروف أن هناك العديد من المقاييس التي تتناول قضايا اجتماعية ونفسية مختلفة، وتستخدم في أبحاث متعددة في ثقافات مختلفة. فعند عملية تطبيق المقياس يجب أن يتم الأخذ بعين الاعتبار تكيف وتلاؤم المقياس مع الثقافة المراد تطبيق هذا المقياس عليها، ولا يمكن أن يتم فهم الثقافة الخاصة بأي مجتمع إلا من خلال المعايشة والمشاركة في أساليب الحياة اليومية، والتي يؤديها الملاحظ المشارك في بحثه. إضافةً إلى ذلك كله يستطيع الباحث أن يضع أسئلة خاصة بالمقابلة مثلاً، أو يعتمد على بعض الطرق الإحصائية المناسبة. كل ذلك يستطيع أن يقوم به الباحث الميداني على أنه إجراء لتطوير وسائل وأدوات بحثية أخرى.

(4) الفهم الواضح للثقافة:-

الملاحظة بالمشاركة تعطي فهماً واضحاً لما يحدث في الثقافة، وتتيح

لباحث الفرصة للتحدث بثقة عن معنى المعلومات التي قام بجمعها، وذلك لأنها نابعة من ملاحظته المباشرة ومشاركته في الأحداث اليومية في المجتمع، فالملاحظة بالمشاركة تجعل الباحث يقوم بتسجيل عبارات على درجة كبيرة من الثقة بدقتها فيما يتعلق بالحقائق والعناصر الثقافية التي قام بجمعها، فيفهم الباحث جيداً ما يحدث في الثقافة المدروسة. فالملاحظة بالمشاركة تساعد الباحث على فهم المعنى الثقافي لملاحظته.

(5) خصوصية الملاحظة بالمشاركة في دراسة بعض المشكلات البحثية:

لا يمكن دراسة كثير من المشكلات البحثية والظواهر دراسة دقيقة إلا بواسطة استخدام منهج الملاحظة بالمشاركة، فإذا أراد الباحث مثلاً أن يقوم بدراسة مسائل تتعلق ببعض العادات الاجتماعية مثل عادات الوفاة والطقوس التي يتم ممارستها، فقد يلجأ لاستخدام هذا الأسلوب؛ لأنه يعتبر الأنسب والأفضل في عملية جمع البيانات. وهناك من المشكلات البحثية التي لا يمكن أن نستخلص النتائج إلا من خلال استخدام هذا الأسلوب.

النزول إلى الميدان:

لاشك أن من أصعب الإجراءات الخاصة باستخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة هي عملية النزول إلى الميدان نفسه. فهناك خمس قواعد عامة يجب أن ينتبه لها الباحث عندما يفكر بدخول الحقل البحثي (Bernard, 1995)، ومن الممكن إبراز هذه القواعد على النحو الآتي:-

١- اختيار أفضل المجتمعات :

ليس هناك أي داع لأن يتم اختيار مجتمع ما أو حقل من حقول الدراسة يواجه فيه الباحث صعوبة بدخوله، فإذا كان هناك أي مجتمع آخر متوافر ويسهل دخوله ودراسته فيفضل اختياره، ففي كثير من الأوقات يكون

للباحث خيارات متعددة لدراسة مجتمعات أو ثقافات معينة مثل قرى، مستشفيات ، مدارس وغيرها. فيفترض على الباحث أن يختار أفضل القرى، وأفضل المدارس، وأفضل المستشفيات، التي من الممكن أن نحصل من خلالها على معلومات. ففي هذه الحالات تكون عملية اختيار الحقل أو الموقع المناسب هو الذي يوفر أسهل السبل للحصول على المعلومات.

2- الاعتماد على الوثائق الخاصة بالبحث:

يجب على الباحث أن يذهب إلى الحقل مع مجموعة من الوثائق والأوراق التي تتحدث عن نفسه، وتعرفه على مجتمع البحث، وتعرّف أيضاً موضوع البحث للمبحوثين. فعملية تعريف الباحث لنفسه ولموضوع بحثه تعتبر مسألة مهمة وضرورية. فيحتاج الباحث مثلاً أن يأخذ معه رسالة أو خطاب من الجامعة التي ينتمي لها، والمؤسسة التي تقدم الدعم المادي للبحث وغيرها من الأوراق الأخرى. ويفترض أن تحتوي الرسالة على معلومات مفصلة عن البحث، ومدته، وأهدافه، وكذلك يجب أن تكتب باللغة التي تتناسب مع المجتمع المبحوث نفسه، وأن يكون قادراً على فهمها.

3- الاعتماد على المهارة الشخصية والاتصال:

الملاحظ المشارك في العادة يدخل مجتمع الدراسة بواسطة طلب من بعض الأشخاص الذين يكونون مسؤولين عن هذا المجتمع، ويطلق على هؤلاء الأشخاص «حراس البوابة» gatekeepers (Becker, 1970) . يجب أن يستخدم الباحث مهارته في اعتماده على الاتصال الشخصي المباشر للدخول في الحقل، فيجب على الباحث أن يقوم هو شخصياً بالبحث عن الأشخاص الذين يرغب في الاتصال بهم، ومن ثم يقوم بمقابلتهم، وهنا عليه أن يبحث عن الأشخاص المناسبين، وإذا ما قرر الباحث أن يقوم بدراسة مؤسسة أو منظمة حديثة معاصرة مثل جامعة، أو مستشفى، أو أقسام شرطة مثلاً، فعليه أن يبدأ

من الأعلى إلى الأسفل، فيبحث عن الأشخاص ذوي الحيثية في مجتمع الدراسة. فيقابلهم أولاً، وقد يواجه الباحث مشكلة عند مقابلة من هم في المستويات العليا في بعض الأحيان، ففي بعض المجتمعات هناك بعض الأحزاب التي قد تكون متصارعة ومتناحرة فيما بينها، ومقابلة أحد الزعماء في أحد هذه الأحزاب قد يعطي معلومات من جانب واحد خاصةً لهذا الحزب فقط، وقد يغفل جوانب مهمة أخرى تفيد الباحث، فيحاول إخفاء بعض المعلومات التي لا يرغب في أن يمنحها للباحث، والتي قد يشكل عدم وجودها إعاقة خاصة للبحث، أو قد يعطي للباحث بعض المعلومات الخاطئة وغير الصحيحة. أيضاً هناك مشكلة في أن هذا الشخص القيادي أو رأس السلطة قد يفهم الباحث بطريقة سلبية، فقد يُعَدّ هذا الباحث جاسوساً، أو شخصاً يهمه أخذ معلومات لأغراض غير أغراض الدراسة، فهذا القيادي يصنف الباحث على أنه شخص يرغب في الحصول على معلومات تضر بالصالح العام، وبالطبع قد ينعكس هذا بدوره على المعلومات التي سوف تقدم من هذا الإخباري.

4- إعداد الإجابة عن أسئلة متوقعة:

يجب على الباحث أن يفكر في بعض من الردود على أسئلة متوقعة، وأن يقوم بالتحضير لها، وأن يفكر مقدماً في الإجابة إذا ما سأله أي من الأشخاص في المجتمع الأصلي عن ماذا تفعل هنا؟ ومن قام بإرسالك إلى هنا؟ ومن الذي قام بتحمل المصاريف الخاصة ببحثك؟ أو ما فائدة بحثك؟، أو لماذا يعتبر هذا البحث مهماً؟ ولماذا تهتم بدراسة الأشخاص هنا وهذا المجتمع بالتحديد؟ وماذا تريد أن تعرف عنهم؟ وما مدة إقامتك هنا؟ وكيف أعرف بأنك شخص لا تستغل المعلومات التي تأخذها لأغراض مشبوهة؟. إن القواعد الخاصة بكشف الباحث عن نفسه يفترض أن تكون سهلة وبسيطة، ويجب عليه أن يتسم بالأمانة والصدق، والإيجاز، والتماسك والثبات، أي أن يعرض الباحث نفسه، ولا يلعب دوراً آخر غير دوره، فيكون أميناً في نقل المعلومة الخاصة عن نفسه،

وهو دور أخلاقي مهم في البحث العلمي.

5- قضاء وقت كاف في المجتمع المدروس:

يجب على الباحث أن يقضي وقتاً حتى يعرف النسق الطبيعي والاجتماعي للحقل المدروس، فإذا أراد الباحث أن يقوم بدراسة قرية أو مدينة صغيرة أو مستشفى معين مثلاً، فإنه ينبغي أن يقوم بعملية تفحص لهذا المكان بدايةً، وأن يقوم بتخطيط هذا الموقع ورسم خريطة خاصة به، ولكن عندما يقوم الباحث بدراسة مجتمع أو منطقة كبيرة، فإنه سيجد صعوبة في عملية تخطيطها ورسم خريطة لهذه المنطقة. هنا يحاول أن يستكشف هذا الموقع بقدر الإمكان، وأن يقضي بدايته البحثية في استكشاف هذا المكان والتجول فيه. وعند دراسة المجموعات التي لا تملك موقعاً فيزيقياً معيناً، مثل دارسة الحركات الاجتماعية، فبالإمكان عمل خريطة للصورة الاجتماعية لهذه الحركة، ويقصد بالصورة الاجتماعية هي رسم للصورة الخاصة بالأدوار، والأسماء والعلاقات داخل هذه الحركة الاجتماعية.

مهارات خاصة بالباحث الميداني:

إن قوة منهج وأسلوب الملاحظة بالمشاركة يكمن في أن الباحث يصبح هو الأداة لعملية جمع البيانات وتحليلها من خلال خبرته الشخصية؛ ولذلك يجب أن يطور الباحث من خبرته من خلال مجموعة من المهارات التي ينبغي أن يُنميها قبل دخوله إلى الحقل أو الميدان، ومن الممكن إبراز أهم هذه المهارات على النحو الآتي:

(ا) تعلم اللغة:

يعتبر تعلم لغة المجتمع المدروس مسألة مهمة جداً؛ فهي المفتاح الأساسي لفهم ثقافة هذا المجتمع، فمن خلال اللغة يستطيع الباحث التعرف على دقائق

الأمور وبسائطها، وخلال ثلاثين عاماً، قام الباحث راول نارول Raoul Naroll على سبيل المثال بمسح لدراسات أثنوجرافية متعددة؛ فوجد أن الباحثين الذي يتحدثون اللغة المحلية للمجتمع المبحوث هم إحصائياً أكثر حظاً للقيام بتسجيل ملاحظاتهم الدقيقة حول السحر في المجتمعات المدروسة، فكان من أهم تفسيراته لذلك أن استخدام لغة المجتمع بطلاقة يحسّن ويطوّر من الألفة بين الباحث والمبحوثين، وبالتالي يُزيد من احتمالية قيام الأفراد بالحديث عن دقائق الأمور، ومنها ما يتعلق بموضوعات حساسة مثل السحر حسب ما جاء بهذه الدراسة (Naroll, 1962).

ولكن المشكلة تكمن في كيفية تعلم اللغة الجديدة؟، فيفترض على الباحث أن تتسم لغته بالوضوح، وأن يقوم بدراسة للقواعد العامة للغة المدروسة، والكلمات، وغيرها من الأمور الأساسية التي تجعل من الباحث يتحدث لغة السكان الأصليين بقدر المستطاع، وأن يقوم أيضاً باستخدام اللغة غير المنطوقة كاستخدامه لليدين وتعبيرات الوجه، وغيرها من الإشارات اللغوية، وفي المقابل يجب ألا يسرف الباحث في استخدام اللغة. ومن الممكن إعطاء مثال عن عدم الإسراف في استخدام اللغة بأن لا يتحدث الباحث باللكنة المحلية أو العامية الدارجة، عند بعض الفئات في المجتمع الأمريكي مثلاً، فهنا يتوقع من المبحوث أن يرد عليه بنفس اللكنة المستخدمة، والتي قد تؤثر في عملية الفهم المتبادل، وذلك لتوقع المبحوث الحالة غير الحقيقية بالنسبة لإمكانيات الباحث وقدراته اللغوية، وما هو واقعي بالنسبة للباحث ولغته. فإذا بادر الباحث مثلاً بالتحية الأمريكية باستخدامه اللكنة الخاصة بالترحيب مثلاً كأن يقول (how, hi, yodoin)، فإنه يتوقع من المبحوثين أن يقوموا برفع المستوى اللغوي الذي يتحدثون به للرد على الباحث، وهو الأمر الذي يضره، حيث إنه من الممكن جداً ألا يفهم الباحث ماذا يقصد المبحوث إذا استخدم هذا المبحوث لغته أو لكنته بطلاقة، فيجب على الباحث هنا أن يتحدث اللغة بقدراته دون

محاولة منه لرفع مستواه اللغوي حتى لا تساء عملية الرد عليه.

إن المفتاح الأساسي لفهم بعض الثقافات مثل فهم ثقافة المحامين، والنجارين، والمدرسين، والجماعات العرقية وغيرهم هو فهم كلماتهم ومصطلحاتهم الأساسية دون مبالغة في التقليد والمحاكاة، ولذلك وجب على الباحث فهم هذه المصطلحات، والتحدث بقدراته اللغوية المتاحة.

(2) إدراك دقائق الأمور في الحقل:

يجب على الباحث في الحقل أن يكون مدركاً تماماً لبسائط الأمور ودقائقها، فيجب أن يكون دقيقاً في معرفة الأمور التي تحدث بشكل اعتيادي، فالإدراك الواضح في الحقل يعني إدراك الحوادث البسيطة والقضايا الدقيقة التي تحدث داخل المجتمع، فهناك العديد من الأمور الدقيقة غير جليه بشكل واضح يحتاج الباحث لمعرفتها وإدراكها.

(3) بناء ذاكرة جيدة:

إذا كان الباحث مدركاً للأشياء التي يراها، فإن ذلك لا يعطي ضماناً للباحث في أن يتذكر كل شيء للقيام بتدوينها، ولذلك يحاول الباحث أن يبني ويطور من قدرته لتذكر الأشياء التي شاهدها أو سمع عنها، فبناء ذاكرة قوية تعتبر مسألة حاسمة لنجاح البحث القائم على الملاحظة بالمشاركة.

وهناك عدة طرق ووسائل وتمارين يستطيع من خلالها الباحث أن يطور من قدرته على الحفظ والتذكر، فعلى سبيل المثال، من الطرق والتمارين التي تساعد على الحفظ هو أن يذهب الباحث إلى نافذة أحد المحلات التجارية، وأن يشاهد ما فيها من محتويات، ومن ثم يبتعد عنها قليلاً، ويحاول أن يسجل كل ما يتذكر وما شاهده في هذه النافذة. وبتكرار هذا التمرين أو تمارين مشابهة وبشكل متكرر ودوري يستطيع أن ينمي الباحث من قدرته على بناء ذاكرة جيدة وقوية، وهناك عدة تمارين أخرى من الممكن أن يقوم الباحث بها حتى

يطور من ذاكرته وتنشيطها، فالذاكرة تحتاج إلى عملية تنشيط وبإمكان الإنسان القيام بهذه العملية.

(4) المحافظة على البساطة في طلب المعلومة:

هناك حاجة للباحث من أن يقوم بتطوير المهارة التي تتعلق بما يسمى بساطة طلب المعلومة، أي: أن يتمكن الباحث في أن يُشعر المبحوث بأنه شخص مبتدئ، وأنه يريد بشكل حقيقي وغير زائف أن يتعلم ثقافة جديدة.

(5) بناء مهارة الكتابة والتسجيل:

تعتبر مسألة الكتابة بيسر ووضوح من أهم المهارات التي يجب أن يطورها الباحث في الحقل، فالأثنوجرافيون الذين لديهم مشكلة في الكتابة بوضوح ينتجون أعمالاً قليلة عن وضع الحقل، ويقومون بنشر العدد القليل من الأبحاث، أيضاً إن مسألة الكتابة على الحاسب الآلي أصبحت مسألة ضرورية يحتاجها الباحث لتسجيل بياناته ومعلوماته. فاستخدام الحاسوب أدى إلى سهولة الكتابة وسهولة التعديل والتصحيح، وأدت إلى اختصار الوقت والجهد والتكلفة. فيفترض بالباحث أن يبني هذه المهارة، فهي ضرورية وأساسية للعملية الوصفية الأثنوغرافية، فلا يستطيع الباحث أن يوضح ما رآه وما شاهده وشعر به ما لم تكن لديه مهارة الكتابة، وفي المقابل، فإن مهارة استخدام الحاسوب تجعل بالإمكان التغيير والتعديل بشكل سهل وميسر.

(6) قضاء وقت طويل في الحقل دو عمل Hanging out:

إن قضاء وقت طويل دون عمل أو دون القيام بمهمة معينة يعتبر مهارة، فعندما يدخل الباحث حقل الدراسة، فيفترض أن يقوم بطرح أكبر عدد من الأسئلة حتى يجمع بقدر المستطاع أكبر عدد من البيانات والمعلومات عن المجتمع المدروس وبأسرع فترة زمنية ممكنة، ولكن تبقى هناك مشكلة

أساسية وهي أن هناك كثيراً من الأمور والأسئلة لا يقوم الأشخاص أو المبحوثون بالإجابة عنها، فعندما يسأل الباحث مثلاً المبحوثين عن مسألة خاصة بالثروة لديهم، فإنه بالتأكيد سوف يحصل على معلومات غامضة وغير كاملة عن هذه المعلومة بالتحديد بطريقة سريعة، أو إذا قام الباحث بالسؤال عن بعض الأمور المتعلقة بالجنس مثلاً في مجتمع محافظ فإنه سوف يواجه المشكلة نفسها، ولذلك فإن قضاء وقت طويل دون أي عمل يبني علاقة ويعززها، وهذه العلاقة تحدث سلوكاً مباشراً بين المبحوث والباحث مبنية على الثقة، وبالتالي، فإن الباحث يحاول في هذه الفترة أن ينمي علاقته مع المبحوثين ومجتمع الدراسة من أجل تعزيز هذه الثقة للحصول على المعلومات التي لا يمكن أن يحصل عليها بطرقه الاعتيادية.

(7) الموضوعية:

تعتبر الموضوعية مهارة أيضاً، فيجب أن يتعلم الباحث الموضوعية ويتقنها، وهناك من يستخدم الموضوعية بشكل كبير، وهناك من يستخدمها بدرجة أقل، ومن المؤكد أن استخدام الموضوعية بشكل كبير هو الأفضل،ولكن المشكلة تبقى أنه لا يوجد إنسان يستطيع بشكل كامل أن يستخدم الموضوعية في كل الأمور، فالآلة هي الوحيدة التي تستطيع أن تتعامل مع الظروف بعيداً عن المشاعر، فلا يستطيع الإنسان أن يتخلص من خبراته الذاتية بشكل كامل. ولكن يجب أن نعزل ونفصل خبراتنا الشخصية وآراءنا ونسقنا القيمي الذي نتمسك به عند دراسة أي مجتمع أو أي ثقافة، ويجب على الباحث أن يسأل نفسه هل قام بمشاهدة الحدث المعين وقام بتسجيله كما هو، أو أن ذلك قد ارتبط ولو بشيء بسيط مع خبراته الخاصة؟

مراحل الملاحظة بالمشاركة:

هناك من حاول أن يطور طريقه أو يضع خطوات ومراحل خاصة للعمل

الميداني باستخدام الملاحظة بالمشاركة. ولا نستطيع أن نطلق تعميماً عاماً لجميع هذه المراحل على كل الدراسات ، ولكنها مفيدة في أن ينتبه إليها الباحث عند دخوله الميدان. هذه الخطوط الرئيسة للملاحظة بالمشاركة تتمثل في عدة خطوات، ويمكن إبراز أهم هذه الخطوات على النحو الآتي:-

(1) الاتصال الأولي أو الاستهلالي:-

في خلال فترة الاتصال الأولي أو الاستهلالي، عبَر كثير من الباحثيين الميدانيين في أبحاثهم عن سعادتهم وابتهاجهم نحو انتقالهم إلى ثقافه جديدة، فالثقافة الجديدة التي يعيشها الباحث تشكل بالنسبة له حدثاً مهماً. فبداية تواصله بهذه الثقافة تتولد فرصة للالتقاء بأشخاص جدد. فهي المرحلة الأولي للباحث، والتي عادةً ما تتميز بالإثارة بالنسبة له وتشكل سعادة له في الغالب، وبطبيعة الحال، لا يعتبر هذا حالة عامة، فهناك بعض الباحثين الذين بدأوا بدراسة بعض المجتمعات وتلقوا انطباعاً سيئاً عند بداية الدراسة الميدانية، وذلك لطبيعة ما شاهدوه أو ما تلقوه من المبحوثين أنفسهم، فقد يكون الاتصال الأولي والاستهلالي سلبياً على الباحث، ولكن في الغالب، فإن الانطباع الأول يأخذ طابع السعادة والابتهاج، وذلك بحكم رغبة الباحث في دراسة هذا المجتمع واختياره أساساً له.

(2) مرحلة الصدمة:-

على الرغم من أن كثيراً من الباحثين الميدانين يجدون في بداية اتصالهم الأولي مع المجتمع المدروس التشوق والسعادة، فإن كثيراً من التقارير الخاصة بالخبرات المتعلقة بالباحثين تؤكد على مرور كثير منهم بحالات من الاكتئاب والصدمة في الفترات التالية (من الممكن أن يكون أسبوعاً أو اثنين منذ الدخول للميدان تقريباً)، فهناك بعض الأمور التي يفترض على الباحث جمعها ويسأل عنها، وقد تكون مسألة غير مرضية بأن يجمع المعلومات عنها. فغالباً

ما يتولد الاكتئاب والصدمة من موضوعات مرتبطة بالحقل نفسه، مثل أن يضطر الباحث للالتقاء مع أشخاص لا يرغب اللقاء بهم، مثل مدمن أو القيام بالتحقق من مسألة بذيئة وقبيحة يفترض أن يجمع المعلومات عنها، هناك بعض الباحثين، وخاصةً أولئك الذين يدخلون الحقل لأول مرة، من الممكن أن يتعرضوا لشعور بالقلق بخصوص قدرتهم على جمع بيانات ومعلومات جيدة، وهناك أيضاً بعض الأمور الثقافية التي من الممكن أن تتعلق بأمور ثقافية بالنسبة للباحث وتزيد من استيائه، فالصدمة الثقافية هي استمرار لاضطراب غير مريح، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

هناك بعض الأمور التي ممكن أن يشمئز منها الباحث، وتضايقه، كبعض العادات الغذائية المعينة، أو طريقة تربية الأطفال، أو نظافة الحمامات مثلاً وغيرها من الأمور، ومن الأمور الخاصة بالصدمة الثقافية والشعور بها هو إحساس الباحث بأن الأفراد في المجتمع الأم لا يرغبون في وجود الباحث، ولذلك فإن الباحث يجب أن يعد نفسه الإعداد الجيد قبل دخوله الحقل، ويهيئ نفسه لتقبل مثل هذه الأمور والمشكلات التي قد تؤثر على سير الدراسة التي يعد لها، فمرحلة الصدمة قد يتعرض لها الكثير، ويجب أن ينتبه الباحث إلى هذه المسألة ويتوقعها.

(3) اكتشاف ما هو واضح:

بعد دخول الباحث إلى الميدان، تدخل فترة الاستقرار، فيكتشف الباحث في هذه الفترة الأشياء التي تقع عينه عليها والأشياء والمعلومات التي يدلي الإخباري بها له، فيحصل على معلومات جيدة وجديدة، وكثير من هذه المعلومات الجيدة والجديدة التي قد حصل عليها تصبح بعد فترة معينة عادية، فهنا تبدأ حالة الاكتشاف، والتي يجب أن يتمتع بها الباحث، فتبدأ مرحلة اكتشاف لما هو واضح ومبين، فعلى سبيل المثال، يبدأ الباحث باكتشاف بأن المرأة تتمتع في مجتمع ما بان لها القوة في صنع القرار بشكل فعلي أكثر مما

وقعت عينه عليه في البداية، فهي مرحلة تأتي بعد عملية الاتصال الأولي، وبعد التأقلم على الأوضاع داخل الميدان. ولا شك بأن هذه الفترة هي الفترة الزمنية نفسها التي يمر بها الموظفون الجدد داخل مقار أعمالهم، فالاستقرار هو الذي يولد اكتشاف الأمور الخافية.

(4) فترة الراحة أو الانقطاع:

غالباً ما تأتي فترة الراحة أو الإجازة القصيرة بعد فترة عمل تدوم ثلاثة أو أربعة أشهر في الدراسات الميدانية الطويلة التي تمتد إلى عام، فهي مسألة وجزء حاسم في مرحلة الملاحظة بالمشاركة، فيأخذ الباحث فترة راحة فكرية وجسدية من الحقل، إضافةً إلى ذلك فهي فرصة مناسبة للقيام بالاستفادة من هذا الوقت، ومن الممكن أن يستثمر الباحث هذا الوقت في بحث بعض الأمور ومن أهمها:

1- يعرض ما توصل إليه من نتائج أولية في بحثه على زملائه في الجامعة أو المؤسسة التي يعمل بها حتى يحصل على معلومات قد تفيده.
2- التعامل مع كثير من القضايا التي لم يعالجها الباحث، ويحدد الوقت المتبقي، ويحاول وزن المسائل والأمور المختلفة والمتبقية في بحثه.
3- إضافةً إلى ذلك يحتاج الإخباريون ومجتمع البحث نفسه إلى أن يبتعدوا عن الباحث، وأن يأخذ قسطاً من الراحة، خاصةً إذا ما كان الإخباري من الأشخاص المهمين والذين يرافقون الباحث في أماكن متفرقة ويلازمونه، فالراحة في هذه المرحلة قد تكون ضرورية، وقد تكون مثمرة.

(5) مرحلة التركيز:

بعد فترة الإجازة الصغيرة، سيكون للباحث إلمام أكثر وصورة أوضح بالنسبة لأي نوع من البيانات الناقصة، وكذلك يكون هناك صورة أوضح للمشكلة التي يريد التركيز عليها، هنا قد يلجأ الباحث إلى القيام بعملية تغيير

وتعديل لمجريات البحث، وأن يركز على موضوع معين أو مشكلة محددة في مجال الدراسة، فهناك كثير من الباحثين من يقوم بعمل تغييرات كبيرة معتمدين على ما وجدوه في الحقل في المرحلة الأولى، ففترة ما بعد الراحة تعقبها فترة إنجاز وتركيز مثمر.

(6) مرحلة الإنهاك، والإجازة الثانية، والنشاط الفعال:

بعد مرور مدة طويلة للباحث داخل الحقل قد تتجاوز مثلاً سبعة أو ثمانية أشهر من العمل، يرى بأنه قد أُنهك وأتعب الإخباريين، وقد يضر ذلك بالبحث عند الإلحاح والطلب المستمر من الإخباريين المنهكين من هذا الباحث وكثرة طلبه عن المعلومات، وقد يكون ليس عند الإخباري شيء آخر يقوله، أو قد يولد أخطاء غير مقصودة أيضاً من طول المدة، ففي هذه الحالة والمرحلة فإن الإجازة القصيرة الثانية تُعد أمراً ضرورياً أيضاً. فهي تعتبر عملية تقويم ثانية للبحث ونتائجه، وماذا توصل إليه الباحث من معلومات وغيرها من الأمور، ويبدأ في عملية النشاط الفعلي الأكبر بعد ذلك؛ لأن الوقت المتبقي قد يكون قليلاً، ويجب أن ينهي هذه المهمة في وقته المحدد.

(7) مرحلة ترك الحقل:

آخر مرحلة من مراحل الملاحظة بالمشاركة هي ترك الحقل، ولكن السؤال يبقى متى يجب أن يغادر الباحث الحقل أو الميدان؟ ومتى يجب عليه أن يقول لقد انتهيت من هذا المجتمع ودراسته؟ يرى تايلور وبوقدان (1984) Tylor and Bogdan أن الباحث عليه أن يغادر الميدان عندما يشعر بالملل في متابعة الملاحظات الخاصة بالحقل. ويعرف الباحث هنا أنه قد حان وقت المغادرة وأنه وقت الانتهاء، فالشعور بالملل وعدم الرغبة في الاستمرار تعد قضية أساسية للمغادرة وترك الميدان.

ويجب هنا على الباحث أن يبدأ بمرحلة التوديع، وأن لا يهمل هذه المسألة،

فيجب أن يشكر المبحوثين، ويقدر جهدهم على ما بذلوه معه من جهد وما بذلوه من وقت، فهي مسألة ضرورية، ومن أخلاقيات العمل البحثي، وأيضاً تعطي هذه العملية فرصة أن يعود مرة أخرى للحقل أو إرسال أشخاص آخرين، فهناك كثير من الصداقات قد نشأت بين الباحثين والمبحوثين، وهناك كثير من الباحثين قضوا فترات طويلة في مجتمعات معينة رغبةً منهم في قضاء فترة طويلة في المجتمع الذي أحسوا فيه بالراحة والانتماء والشعور بالاطمئنان، فهناك من قضى 30 سنه، وهناك من استبدل معيشته ليعيش في المجتمع الضيف وترك مجتمعه الأصلي، وهناك أيضاً من ظلت علاقته وطيدة بالمجتمع المدروس، وبينهما اتصال متبادل.

هذه بشكل عام مراحل الملاحظة بالمشاركة، وهي ليست جامدة، إنما مبدأ المرونة فيها موجود، فقد لا يحتاج على سبيل المثال الباحث أن يقضي فترة الراحة الأولى أو الثانية على الرغم من أهميتها، ولكن القضية بها كثير من المرونة، فهي خطوات مثالية من الممكن أن يلتزم بها الباحث، إضافةً إلى ذلك فإن هذه الخطوات مرتبطة في الدراسات ذات المدة الطويلة التي يقضيها الباحث في الحقل. فمن الممكن كما سبقت الإشارة ألا يقضي الباحث مدة طويلة في الميدان، فقد تكون أسبوعاً أو شهراً أو غير ذلك، والذي يحدده في النهاية طبيعة موضوع البحث، ولذلك فإن هذه الخطوات قد تكون أكثر ملاءمة للدراسات التي يقضي بها الباحث مدة طويلة.

أخلاقيات القائم بالملاحظة:

يتعين أن نشير بداية إلى أن القيام بالملاحظة ليست أمراً يسيراً، بل إنه يحتاج إلى تدريب ومران كافيين، بحيث نضمن الحصول على درجة ملائمة من الثبات والصدق، خاصة إذا كنا نستخدم عدداً من الباحثين الميدانيين، كما ينبغي أيضاً أن نختار القائمين بالملاحظة من بين الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة ملحوظة من الالتزام الأخلاقي، فاستخدام الملاحظة، وخاصة الملاحظة

المشاركة، يقتضي من الباحث الإقامة الكاملة في مجتمع الدراسة والاندماج مع أعضائه، وهو في هذه الحالة يتعرف على كل ما هو «تحت السطح» Beneath the Surface، ومن ثم يواجه موقفاً مشكلاً في هذه الحالة، وخاصةً عند مرحلة كتابة تقرير البحث ونشره. هل يخضع في سلوكه لمتطلبات العلم التي تقتضي منه التزام الصدق المطلق، والصراحة التامة في الكشف عن كل المعلومات والبيانات التي حصل عليها، والتي يمكن أن تنطوي على دلالة علمية مهمة؟ أم أنه يحذف بعض الأمور التي تمثل خصوصيات المجتمع أو الجماعة التي تعرف عليها، واستطاع إدراكها واكتشافها من خلال العلاقة الوثيقة التي طورها في أثناء البحث، وربما يكون في حذف هذه المعلومات وإخفائها تشويهاً لنتائج البحث. ومن المؤكد أن الباحث قد التزم بأنه لن يحدث ضرراً لأولئك الذين حصل منهم على المعلومات. إن مواجهة هذه المعضلة يعتمد إلى حد كبير على أخلاقيات الباحث الاجتماعي القائم بالملاحظة. ويلجأ بعض الباحثين لمواجهة هذه المشكلات إلى تعريف بعض أفراد المجتمع المستنيرين بمهمته الأساسية، وما سوف تنتهي إليه هذه المهمة من كتابة تقرير علمي عن مجتمعهم، على أن يوضح لهم أن هذا التقرير لن يضر بأي فرد في المجتمع، وإنما هو يحاول أن يكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية ككل، وأنه من الممكن الاستعانة به في بعض البرامج التي تهدف إلى صالح أعضاء هذا المجتمع (محمد علي محمد، 1983 : 335–336).

ومن الممكن تحديد أبرز القضايا التي يفترض أن يراعيها الباحث من المنطلق الأخلاقي عند استخدامه لهذا الأسلوب، والتي تتمثل بما يلي:

1– الالتزام بالصدق عند التعامل مع مجتمع الدراسة، بحيث يكون صادق معهم في أي قضية يتم سؤاله عنها، ويقدم لهم المعلومات عن نفسه بكل صدق وأمانة.

2– أن يوضح لمجتمع الدراسة وأفراد عينته بشكل واضح وصريح أنه باحث

قادم لأداء مهمة محددة.

3- أن يحافظ على العادات والتقاليد والأعراف الخاصة بمجتمع الدراسة، فلا يسمح لنفسه بممارسة ما لا يفترض عليه أن يمارسه فقط في سبيل الحصول على المعلومات. وبإمكان الباحث هنا أن يدون الصعوبات الخاصة التي حالت دون الحصول على بعض المعلومات بسبب بعض العادات والتقاليد في بحثه دون محاولته للإخلال بما لا تسمح له الظروف الاجتماعية به.

4- ألا يسمح الباحث لنفسه بالدخول إلى بعض الأمور الخاصة إلا حيث يسمح له المجتمع أو أفراد عينته بذلك.

5- أن يلتزم بالاستئذان عند القيام بأي عمل يحتاج منه ذلك.

6- ألا يحاول التجسس على مجتمع الدراسة، وعلى أفراد العينة للحصول على المعلومات.

7- ألا ينقل ما يشوه صورة المجتمع، بل يقوم بنقل الوقائع كما هي والتعليق عليها بموضوعية، وأن يذكر الأسباب والعوامل التي تدفع المجتمع المدروس للتصرف بأي سلوك قد يكون مخالفاً لسلوك الباحث. بمعنى آخر، ألا يعتد الباحث بجماعته، وينظر إلى الآخرين من خلال نسقه القيمي، وإنما ينظر إلى تلك الممارسات من خلال نسق المجتمع المدروس نفسه.

8- عدم البوح بالقضايا التي يُطلب منه عدم البوح بها، أو الادلاء بمعلومات عنها.

9- أن يترك الأثر الطيب في نفوس المبحوثين عند مغادرته مكان الدراسة، وأن يقوم بتوديعهم وشكرهم على ما بذلوه من جهد معه.

إضافة إلى ذك يفترض على الباحث أن يلتزم بالأخلاقيات العامة في التعامل مع الآخرين من أدب الحوار وأدب الانصات، وعدم الخوض في أمور لا تعنيه وغيرها من القضايا الأخلاقية العامة. فالقضية هنا قضية أخلاقية

خاصة بالباحث يجب أن يلتزم بها بحذافيرها، فعملية جمع البيانات لا يفترض أن تتم إلا بعد التزام تام بأخلاقيات العمل الميداني بجميع جوانبه.

مزايا الملاحظة وعيوبها:

للملاحظة مزايا وعيوب، ومن الممكن إبراز أهم هذه المزايا والعيوب على النحو الآتي (حسين فرحان وآخرون، 1990 : 86–88):–

أولاً– مزايا الملاحظة:

(1) تمكن الباحث من الوصول إلى المعلومات الدقيقة حول حقيقة المشكلة وأسبابها، لا كما يراها المبحوث فقط، بل كما يراها أهل العلم والخبرة ممثلاً ذلك بالباحث الذي يقوم بالدراسة، والذي يسعى لجمع معلومات حول الظاهرة أو المشكلة وتحليلها فيما بعد في ظل النظريات والحقائق العلمية التي تم التوصل إليها في مجال البحث؛ لذلك تعتبر الملاحظة أداة مهمة لجمع المعلومات في الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية.

(2) تعطي الباحث الفرصة لجمع معلومات مفصلة وشاملة لجميع جوانب الموضوع، وأحيانا يستطيع الباحث جمع معلومات إضافية حول الظاهرة المدروسة، وهذا قد يتعذر عند استخدام أدوات جمع المعلومات الأخرى مثل الاستبانة.

(3) المعلومات التي يتم جمعها من خلال الملاحظة أقرب إلى الواقع، وبالتالي أكثر دقة؛ لأنها تنبع من أرض الواقع دون تكلف أو افتعال من قبل المبحوث، وحقيقة أن المبحوث كإنسان يحاول دائماً أن يظهر بالمظهر الذي يرغب أن يراه الناس فيه، وذلك من خلال أجوبته على استفسارات الباحث سواءً كانت أداة جمع المعلومات استبانة أو مقابلة أو غير ذلك، فإذا ما انتهت عملية إدلاء المعلومات للباحث فقد يعود المبحوث لسلوكياته الطبيعية التي قد تتناقض مع ما أدلى به، لكن عند استخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات

فإن الباحث يستطيع أن يجمع معلومات واقعية وصادقة أكثر من محاولة الحصول عليها من الأدوات الأخرى.

(4) الملاحظة تسمح للباحث فهم النشاط أو السلوك المدروس ساعة حدوثه، وبالتالي يتمكن الباحث من استيعاب السلوك وتحليله دون الانتظار حتى الانتهاء من تفريغ المعلومات وتصنيفها وتحليلها كما يحدث عند استخدام الأدوات الأخرى، حيث يمكن أن يمضي عدة شهور ما بين مرحلة جمع المعلومات ومرحلة تحليلها، ويفقد الباحث خلالها الكثير من ملاحظاته ومشاهداته الميدانية بسبب طول الفترة، ونسيانها.

(5) من المتفق عليه فنياً أن حجم العينة اللازمة للبحث (عند استخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات) يكون أقل بالمقارنة باستخدام الأدوات الأخرى لجمع المعلومات، كاستخدام الاستبانة على سبيل المثال، وهذه تعد سمة من السمات المميزة للملاحظة بالمشاركة بحيث يكون الباحث هو أداة البحث هنا، وهو الذي يعطي الانطباع عن المعلومات التي يجمعها من أفراد عينته مهما صغر حجمها بعد تدعيمه بما قد تم ملاحظته ومعرفته من مجتمع الدراسة، فهي تقع تحت تصرفه، وتحت إدارته المباشرة بعكس الأدوات الأخرى التي يترك فيها المبحوث بحرية التعبير وإبداء المعلومات كما هو الحال في الاستبانات والاختبارات على سبيل المثال، فدرجة الصدق ودقة المعلومات التي يجمعها من خلال الملاحظة تكون عالية، وبالتالي فقد تستخدم هذه الحقيقة مبرراً لصغر العينة اللازمة للملاحظة، فالأدوات لا بد من أن تكون صادقة وثابتة بغض النظر عن حجم العينة.

(6) تجنب الباحث الاحتكاك المباشر مع المبحوث وما قد يرافق ذلك من مصاعب ومعوقات، فقد تحدث بعض المشكلات الناتجة عن عملية التواصل بين الباحث والمبحوثين عند استخدام المقابلة مثلاً، ولكن الملاحظة بالمشاركة تترك فرصة للباحث أن يشاهد ويلاحظ ويسجل دون الاحتكاك مع آخرين إن رغب في ذلك، فهو يستطيع أن يستمد المعلومات دون الاتصال مع أحد

والتواصل معه.

(7) تمكن الباحث من جمع المعلومات في ظروف يسودها عدم تعاون المبحوثين، أو عدم رغبتهم في الإدلاء بمعلومات حول مشكلة البحث.

ثانياً - عيوب الملاحظة:

(1) إذا علم المبحوث أنه سيخضع لعملية ملاحظة لسلوكياته من قبل الباحث فإنه (أي:المبحوث) قد لا يسلك السلوك الطبيعي، ويظهر الاتجاهات الايجابية ويتجنب كل ما هو سلبي، وهذا قد يؤثر على درجة مصداقية ودقة المعلومات التي سيجمعها الباحث.

(2) من شروط الملاحظة أن تكون هناك ظروف طبيعية وعادية (أو محددة) تتطلبها طبيعة البحث، ولكن غالباً ما تتدخل عوامل خارجية قد تعيق عملية الملاحظة مثل دخول شخص مسئول، انقطاع التيار الكهربائي، أو غير ذلك من عوامل خارجية ليس للباحث أي سيطرة عليها، وبالتالي تؤثر على عملية الملاحظة.

(3) عملية الملاحظة مقيدة بوقت معين يتحتم إجرائها فيه لأن السلوك أو الظاهرة تتجلى فيه أكثر من غيره من الأوقات، وهذا قد لا يمكن الباحث سوى استغراق وقت قصير في الملاحظة يومياً، مما يعنى الحاجة لوقت أطول في عملية جمع المعلومات. أضف لذلك تعدد الأماكن اللازمة لإجراء الملاحظة فيها. هنا يجمع الباحث معلومات مقيدة بالزمان والمكان، في حين قد يكون من الأفضل إجراء عمليات الملاحظة في أوقات أو أماكن أخرى.

(4) غالبية الناس تنبذ فكرة خضوعهم أو خضوع أحد أفراد أسرهم لعمليات ملاحظة حتى ولو كان المبحوث طفلاً، هنا يجد الباحث نفسه في موقف حرج جداً، فتعاون المبحوث يُعد جزءاً أساسياً لإتمام البحث، أما إذا أجرى عملية الملاحظة دون موافقة المبحوث، فقد يجد (الباحث) نفسه أمام مسائل قانونية ومنازعات هو في غنى عنها أصلاً.

(5) لا تصلح الملاحظة لدراسة جميع الظواهر أو أنماط السلوك خاصةً تلك التي تقع في الماضي.

(6) تعدد وتضارب المعلومات والبيانات إذا كانت الدراسة مشتركة، ويوجد أكثر من باحث واحد يقوم بالملاحظة.

(7) اعتماد الباحث على الحواس في عملية جمع المعلومات تعني احتمال خطأ الإحساس، وبالتالي عدم صدق المعلومات.

(8) اعتماد الباحث على تسجيل الملاحظات أو البيانات من خلال ما يراه فقط، وذلك لأن الملاحظة بالمشاركة تعتمد عليه وحده.

(9) إمكانية اعتماد الباحث على خبرته السابقة في فهم الموضوع، وليس على ما تبدو عليه الظاهرة أو المشكلة.

الفصل الثاني عشر

الإخبـــاريـــون

الفصل الثاني عشر

الإخباريون

الإخباري:

الإخباري Informant هو ذلك الشخص الذي يسهم مع الباحث الميداني بصورة غير مباشرة في إنجاح دراسته. فيقدم مجموعة من المعلومات الأثنوجرافية المفصلة للباحث، كما يقوم بالإجابة على الأسئلة التي تقدم له (عبد الله عبد الغني غانم وزملاؤه، 1989 : 252). الإخباري بشكل بسيط هو ذلك الشخص الذي يقوم بتزويد الباحث بمعلومات عن موضوع بحثه. فهو الذي يسهل على الباحث من الحصول على كافة المعلومات التي تغني بحثه ويزوده بالمصادر المناسبة، فهو صاحب العلم والمعرفة والخبرة في مجال من المجالات الخاصة بالبحث.

الإخباريون وعينة البحث:

يعتبر الإخباريون عينة الدراسة الخاصة بالباحث في الميدان، ويستطيع الباحث أن يحدد العدد المناسب من أفراد العينة، ويتم من خلالها الاختيار. إن الدراسات الأثنوجرافية التي تعتمد على العمل الحقلي ودخول الميدان والمعايشة الميدانية لمجتمع الدراسة تعتمد في كثير من الأحيان على الإخباريين كأدوات بحثية يشكلون عينة البحث، ففي الغالب يلجأ الباحث إلى الاعتماد على الإخباريين مع استخدامه للملاحظة بالمشاركة، وفي كثير من الأوقات يتزامن استخدام أداة الملاحظة بالمشاركة مع الاعتماد على الإخباريين، وهذا ما يلاحظ في العديد من الدراسات والبحوث الأثنوجرافية. فيلجأ الباحث إلى الاعتماد على أقوال الإخباريين الذين يتم تحديدهم واختيارهم، وهو في الحقل إضافةً إلى قيامه بعملية الملاحظة والمشاركة. فملاحظة الأشياء والحوادث

وبيئة المجتمع والمواقع كفيلة بإعطاء الباحث القدرة على اختيار عدد من أفراد هذا المجتمع للإسهام في إنجاح بحثه، ودراسته من خلال ما يقدمه من معلومات وبيانات عن هذا المجتمع، فيقوم هنا الباحث باختيار عدد يقدره شخصياً ليكونوا أفراد عينته البحثية.

والسؤال المهم هنا، والذي يعتبر الأساس الذي ينطلق من خلاله الباحث الأثنوجرافي لجمع معلوماته: هل هذا العدد المحدد من الإخباريين يستطيع أن يزوده بمعلومات كافية ووافية عن ثقافة المجتمع المدروس؟ هل اختيار عدد محدد قليل بخلاف البحوث المسحية التي تتطلب أعداداً كبيرةً قادرةً على إغناء البحث بالمعلومات ويحقق هدف الدراسة وتساؤلاتها؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل هي نعم بكل تأكيد، فيستطيع عدد محدد وقليل من الإخباريين أن يقوم بتزويد الباحث بمعلومات عن المجتمع ولكن ذلك يعتمد على أمرين أساسيين:-

1 - اختيار إخباريين جيدين. أي أن يتم اختيار إخباريين على أساس الكفاءة والدراية وحسب مواصفات محددة كما سيتم التطرق لها لاحقاً، إن خير الإخباريين هم الذين يحتلون مراكز بارزة في المجتمع المحلي مثل شيوخ القبائل والقضاة والعواقل من الحرفيين المهرة ورجال الدين (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 254).

2- السؤال عن أشياء يعرفونها ولهم علم بها، وهي قضية مهمة جداً، فقد يكون هناك العديد من المعلومات التي يحتاجها الباحث، أو التي تجيب عن تساؤلات بحثه، ولذلك يجب على الباحث أن يسأل الإخباري عن شيء يعرفه ولديه علم به.

فوفقاً لهذين الشرطين، فإن عملية التمثيل العددي قد لا تدخل ضمن أهمية العمل الميداني الحقلي، وبمعنى آخر، يجب أن نقوم باختيار إخباريين أكفاء بدلاً من اختيارهم على أساس التمثيل، فهم الذين سوف يجيبون عن

تساؤلات الباحث ويحققون هدف الدراسة.

أهمية استخدام الأخباريين:

لا شك أن استخدام هذه الوسيلة من وسائل جمع البيانات تعد ضرورية ولازمة للكشف عن البيانات الخاصة بحياة الإنسان التي اندثرت، أو اختفت ولم تعد موجودة، أو لظواهر اجتماعية قديمة أخذت أشكال جديدة، إضافةً إلى ذلك، فليس كل ما يحدث في المجتمع يمكن ملاحظته، فقد يستطيع الباحث أن يلاحظ الطقوس والشعائر الدينية وبعض الظواهر الاجتماعية، ولكنه قد يفشل في ملاحظة الممارسات المحددة معينة مثل العلاقة الجنسية، والمشاكل داخل الأسرة، والمعتقدات الدينية. فهي قضايا من الصعب إخضاعها للملاحظة المباشرة، والتي يتم الاستعاضة عنها بما يمده الإخباريون من معلومات عنها (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 252). ومن الأمثلة على ذلك الدراسات الخاصة بالسكان الأصليين الأمريكيين والهنود الحمر. فالثقافة الخاصة بالهنود الحمر قد أعيد بناؤها من خلال تقارير الإخباريين عن طبيعة الحياة في الماضي، والتي لم تعد موجودة وقت إجراء الدراسة عليهم، فالملاحظة بالمشاركة لم تكن الوسيلة المجدية، ولذلك جاءت وسيلة استشارة الناس الذين شاركوا في تلك الثقافة (عبد الله عبد الغني غانم وزملاؤه، 1989 : 231).

ولذلك فإن تداخلاً كثيراً يحدث في الأبحاث التي تعتمد على الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع البيانات مع استخدام الإخباريين كوسيلة أخرى لإثراء البحث بالمعلومات، فلا يكتفي الباحث في الغالب بالملاحظة بالمشاركة حتى تتكامل لديه المعرفة حول مجتمع الدراسة، فيجمع بين هاتين الوسيلتين.

ولا شك أن الإخباريين من الممكن أن يدلوا بمعلومات مهمة عن أمور متعددة مثل:-

1 - الجغرافيا الطبيعية للمنطقة.

2 – المباني العامة الموجودة في المجتمع.
3 – النظم الاجتماعية والأدوار الاجتماعية.
4 – التواريخ المهمة للأحداث في المجتمع (عبد الله عبد الغني غانم وزملاؤه، 1989 : 231).
5– العديد من المشكلات التي تحدث داخل المجتمع.
6– الآراء والأفكار والمعتقدات والقوانين والعادات والأعراف.
7– طرق الحياة وجميع الوسائل الخاصة بالفرد داخل المجتمع.

وقد لا تكون هناك وسيلة أخرى مناسبة من الممكن أن تكشف عن هذه المعلومات وطبيعتها بالدقة التي يقدمها الإخباري.

الإخباري الرئيسي:

كما سبقت الإشارة، يجب أن يقوم الباحث باختيار دقيق للإخباري الذي سوف يقوم بتقديم المعلومات له وتزويده بها، فهو هنا يبحث عن إخباري يشكل له المفتاح للحصول على المعلومات، فمقابلة الباحث الميداني للإخباري الذي زوده بالمعلومات هي جزء متمم للبحث الإثنوجرافي، ونستطيع أن نصف الإخباري الجيد بالشخص الذي يتميز بالسمات التالية:

1 – إن الإخباري الجيد هو ذلك الشخص الذي يملك ما يسمى بمهارة الاتصال مع الآخرين. فهناك من الأفراد من يمتلك هذه المهارة، والتي تجعله شخصاً ناجحاً في حياته المهنية والعملية، وتجعله قادراً على أداء أي مهمة من الممكن أن يتم إسنادها إليه، ومن سمات مهارة الاتصال مع الآخرين الذي يفترض أن يتميز بها الإخباري تتمثل فيما يلي:

أ– يستطيع أن يتحدث مع الباحث بسهولة؛ فلديه قدرة مناسبة على التعبير ببساطة عن الأفكار التي يحملها في عقله، أي: أن تكون رسالته واضحة.

ب- يفهم المعلومات التي يريدها الباحث، أي: أنه يكون مستقبلاً للرسالة التي يريدها الباحث بشكل جيد، فعملية الاستقبال هي قضية مهمة وأساسية لإعطاء معلومة صحيحة وسليمة.

ج- يكون متعاوناً بأن يدلي بالمعلومات التي يطلبها الباحث، وهي جزء أساسي من نجاح عملية نقل المعلومات، فإن كان الإخباري مرغماً على إعطاء المعلومة، فإن المعلومات قد يشوبها كثير من النقص والشك أيضاً.

فهذه تعتبر من السمات الرئيسة للاتصال والمتمثلة بحسن الإرسال والاستقبال، إضافة إلى الرغبة والارتياح من هذا التواصل، فالإخباري الجيد هو الذي يملك هذه المهارات.

2- إن الإخباري الجيد هو ذلك الشخص صاحب شبكة العلاقات الاجتماعية الواسعة الذي يستطيع من خلال هذه الشبكة من العلاقات أن يقدم الدعم للباحث، وهو ذلك الشخص الذي يقوم بتقديمه لأكبر قدر من الأشخاص الذي يرغب في الالتقاء بهم الباحث أو التعرف على سلوكهم، وتسجيل ملاحظاته عليهم، فالإخباري الجيد هو الذي يملك المعلومات، ويفيد بها الباحث وهو المنفتح على الآخرين، إن جميع الأثنوجرافين الناجحين هم الذين يعتمدون في دراستهم على إخباريين ذوي خبرة واسعة لمداخل بحثيه خاصة بموضوع الدراسة.

3- إضافةً إلى ذلك فإن الشخصية البارزة في المجتمع تعد سمة من سمات الإخباري الجيد. فهو يعرف تفاصيل كثيرة عن ثقافة المجتمع، فعملية تطوير العلاقة مع الشخصيات البارزة داخل المجتمع يعتبر أمراً في غاية الأهمية للحصول على تفاصيل وثيقة الصلة بموضوع الدراسة، وحتى تكون هذه الشخصية أيضاً مدخلاً فعالاً لولوج كثير من الأماكن وزيارتها والالتقاء بكثير من الأشخاص والأفراد داخل المجتمع الذين يمكن أن يكونوا مهمين بارزين في إعداد الباحث بالمعلومات.

وهناك من يعتمد على ما يسمى بالإخباري المتدرب أو المتعلم، فهناك كثير من الحالات التي قد يحاول فيها الباحث بأن يعلّم أو يدّرب الإخباري حول الأدوات التحليلية التي يسعى الباحث لتطويرها، إضافةً إلى ذلك قد يسأل الباحث الإخباري ما إذا كانت الأداة التي يستخدمها في بحثه صحيحة أم لا، أو هي دقيقة لعملية القياس في هذا المجتمع من عدمه. فإذا ما جعل الباحث من نفسه طالباً، فإن الإخباري الجيد سوف يقوم بتعليمه.

ولكن السؤال الذي يبقى هو كيفية العثور على الإخباري الجيد؟ لعل ذلك يعد مسألة في غاية الأهمية، فالإخباري هو السبيل والطريق للحصول على المعلومات المهمة، فهناك من الأشخاص من يقوم بالإدلاء بمعلومات بسيطة وسطحية عن مسألة معينة، وهناك من الأشخاص أيضاً من لا تربطه علاقات شخصية كبيرة مع أفراد مجتمعه، فشبكة العلاقات الخاصة به محدودة شيئاً ما، وهناك أيضاً من الأشخاص الذين لا يدلون بتصريحات لا تهم الباحث أو من الأشخاص من هم من طبيعتهم الانطواء، فهؤلاء لا يفيدون الباحث، ولا يصلحون لأن يكونوا إخباريين.

بعض الاعتبارات الهامة في اختيار الإخباريين:

ولا شك أن هناك بعض الاعتبارات والأمور التي ينبغي على الباحث مراعاتها عند اختيار الإخباريين. وأبرز ما يجب أن يلتفت إليه الباحث، ويأخذه بعين الاعتبار عند اختيار الإخباريين يمكن تلخيصه فيما يأتي:-

1- عدم اختيار الإخباري بسرعة، فيحاول الباحث أن يعطي نفسه فرصه داخل الحقل للبحث عن الإخباري الذي يتوقع أن يقدم معلومات مفيدة، إن السرعة في اختيار الإخباري من الممكن أن توجه معلومات الدراسة إلى اتجاه مختلف.

2- اختيار الأنسب من الإخباريين، فعندما يكون هناك خيارات متعددة لاختيار

الإخباريين، يجب التدقيق أولاً على دورهم وحالتهم ووضعهم الاجتماعي في المجتمع، ومن ثم يتم اختيار الأنسب منهم، فقد يكون هناك خيارات متعددة من الإخباريين، ولا يسع المجال لاختيارهم كافة، فيحاول الباحث الاختيار من ضمن ما هو متاح.

3 – يجب أن يتحقق الباحث عند اختياره الإخباري بأن لا يكون هذا الإخباري سبباً في أن يمنعه من التوصل إلى أشخاص أو إخباريين آخرين قد يكونون مهمين لدراسته. فمسألة العداء الشخصي والمنافسة غير المشروعة التي تحدث بين الأشخاص قد تكون سبباً في المنع للوصول إلى أشخاص قد يكونون مهمين للباحث.

4 – لأن العمل الأثنوجرافي يميل أن يكون عملاً قصصياً يسرد من خلالها المبحوث القضايا المختلفة التي تخصه، فيجب على الباحث أن يقوم باختيار الإخباريين الثقاة أو من هم موثوق بهم ومشهود لهم، ومن الذين يتصفون ببعض الصفات مثل قوة الملاحظة ومن لديه بُعد في التفكير، وبليغ وواضح يستطيع من خلال هذه الصفات أن يخبر قصصاً جيدة.

5 – يجب على الباحث أن يقوم ببناء علاقة متبادلة مدعومة مع عدد من الأشخاص المفاتيح داخل المجتمع، فزيادة حجم العلاقة المتبادلة مع عدد أكبر من الإخباريين يستطيع من خلالها الباحث الحصول على كم من المعلومات المهمة، وكذلك يستطيع أن يتحقق من المعلومات وصدقها ودقتها.

مصداقية الإخباري:

تعتبر المصداقية في إدلاء المعلومات مسألة مهمة، فالمعلومات الخاطئة من الممكن أن تعطي نتائج عكسية للبحث، ويجب ألا نُفاجأ عندما نعرف بأن بعض الإخباريين يمكن أن يكذب ويعطي معلومات مغلوطة، فهي مسألة يجب أن يحذر منها الباحث، أيضاً من الممكن أن يعطي الإخباري بعض المعلومات المبالغ فيها، وفي بعض الأوقات من الممكن أن يدلي الإخباري بمعلومات مثالية عن

مجتمعه وعن طريق معيشة أهل بلدته أو مجتمعه ويرسم صورة مثالية لثقافته التي يعيش فيها بشكل عام، أو يرسم الصورة المثالية لمسألة معينة قد يسأل عنها الباحث.

فقد يواجه الباحث بعض الأقوال والأفعال المبالغ فيها من الإخباريين أو المثالية أو الكذب في بعض الأوقات، ولذلك يجب على الباحث الحذر الشديد عند أخذ المعلومات من الإخباري بمقدار من الثقة حتى يتسنى له التحقق والتأكد من دقتها، ومن الممكن أن يتحقق الباحث من دقة المعلومات بعدة طرق أهمها استخدام وسيلة جمع بيانات أخرى مثل الملاحظة بالمشاركة والتي سبق الإشارة إليها وعن استخدامها بشكل مفصل مع الاعتماد على الإخباريين، إضافة إلى ذلك بالإمكان أن يعتمد الباحث على أقوال إخباريين آخرين حتى يتحقق من صدق المعلومات، فتوافق الرأي من قبل إخباريين اثنين أو أكثر حول مسألة معينة يؤكد صحتها ودقتها، وبالتالي يمكن الاعتماد عليها، وكذلك فعلى الباحث التحقق من صدق الإخباري لأنها تعد قضية مهمة جداً تؤثر بشكل مباشر على نتائج الدراسة، إضافةً إلى ذلك، يجب أن يتم ذكر ذلك في منهجية الباحث حتى تجعل القارئ يطمئن من دقة المعلومات التي حصل عليها وبنى عليها بحثه.

عملية الاختيار للإخباريين:

إن عملية اختيار الإخباري الجيد مسألة تتطلب وقتاً، فهناك استراتيجية معينة لاختيار الإخباري، هذه الإستراتيجية ترتبط بطبيعة المجتمع المدروس نفسه، وبطبيعة المعلومات المراد الحصول عليها، فعند اختيار الإخباريين للمساعدة في دراسة معينة، فإننا لا نقوم بعملية اختيار عشوائي لهؤلاء الإخباريين من المجتمع، ولا نقوم باختيار غير منظم لهم، إنما يقوم الباحث بعملية اختيار محدد لشخصيات معينة بذاتها، وهي تلك التي تتسم بالمعرفة،

والتي تفيد الباحث في مجال بحثه وتزوده بالمعلومات التي يرغب في الحصول عليها.

وغالباً ما يكون الإخباريون الذين يتم اختيارهم متخصصون في موضوعات معينة، كأن يكونوا رواة أدب شعبي مثلاً أو متخصصين في السحر، أو الطب الشعبي، أو الصناعات التقليدية وغيرهم من المتخصصين (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 252). فالاختيار هنا يخضع لمعايير مهمة وأساسية، فالمعرفة والعلم يجب أن تكون المحك الرئيسي في عملية الاختيار.

ومن المفيد جداً أن يقوم الباحث باختيار مجموعة من الأشخاص وقد يكونون شخصين أو ثلاثة ممن يتصفون ببعض الصفات سابقة الذكر، ويقوم بتدريبهم على إعطاء معلومات دقيقة عن الأسئلة التي يوجهها لهم ليصبحوا إخباريين دائمين، كما أنه من الضروري أن يحصل الباحث أيضاً على مخبرة أو إخبارية دائمة من بين نساء المجتمع لتجيب عن جميع الأسئلة المتعلقة بشؤون المرأة ووظائفها الاجتماعية داخل المجتمع، وعن السلوك الخاص والمرتبط بها مثل العلاقات الجنسية قبل الزواج وبعده، وعن الحمل والولادة والرضاعة والفطام ومثل ذلك من الشؤون التي لا يمكن أن يفهمها فهماً عميقاً، ولا يجيب عنها بصراحة ودقة المخبرون الرجال. ويُستحسن أن تكون المخبرة ممن يقمن بأعمال تقتضي الاتصال بنساء المجتمع، وبعد أن يصبح وجود الباحث في المجتمع مألوفاً وعمله معروفاً، يقوم الكثير من أفراد المجتمع بدور الإخباريين تطوعاً، أو قد يقحمون أنفسهم في عمل الباحث مع إخبارييه الدائمين، وعلى الباحث أن يشجع مثل هذه المبادرات ويبدي ترحيبه بها، ولهذا النوع من الإخباريين أهمية خاصة من حيث إنه يعطي الباحث فرصة للتأكد من صحة المعلومات التي يدلي بها إخباريون الدائمون، ومن مستوى ثقافتهم ومعرفتهم بالموضوعات التي يجيبون عنها (شاكر مصطفى سليم، 1975: 134).

وهناك نقطة مهمة يجب أن يدركها الباحث، وهي أن يستخدم جميع

الوسائل الكفيلة التي تجعله يتحقق من المعلومات التي يأخذها من الإخباريين، وذلك من خلال الأفراد المتاحين في مجتمع الدراسة، إضافة إلى أن الاعتماد على جميع شرائح المجتمع في بعض الأوقات يعد مهماً حسب طبيعة وموضوع الدراسة فالاعتماد على النساء، وكبار السن، والشيوخ وصغار السن من المسائل التي تكشف كثيراً من الأمور التي تتضح للباحث، وتكون معلومات قيمة ودقيقة قد تفيده في بحثه، ولابد من الإشارة إلى أن نجاح الدراسة الحقلية يتوقف على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم.

فقدان الإخباري لصلاحيته البحثية:

في كثير من الأحيان يضطر الباحث أن يبتعد عن الإخباري ويستغني عنه، فهناك بعض الظروف التي تجعل من الباحث مضطراً أن يترك الإخباري، ولكن متى يفترض على الباحث أن يستغني عن الإخباري؟ لابد من الإشارة إلى أن الإخباري من الممكن أن يفقد ما يسمى بصلاحيته في مواقف متعددة لعل أهمها (فاروق إسماعيل، 1987 : 240-241):-

الأول: حين يتخذ من مساعدته للباحث في تقديم المادة المتاحة وثيقة الصلة بتساؤلاته ذريعة للحصول على الهدايا أو المقابل، هنا يجب على الباحث أن يبتعد على الفور، وأن يضع المادة التي حصل عليها منه- خاصةً في الفترة الأخيرة- موضع المزيد من الاختبار.

الثاني: قد يتحول الإخباري مع مرور الوقت إلى الإدلاء بآرائه الذاتية أو الشخصية ويدافع عنها ويحاول تبريرها، ومن ثم ينبغي أن يكون لدى الباحث القدرة على التفرقة بين الآراء الشخصية للإخباريين، وتلك التي تمثل الاتجاه العام للجماعة، لقد أثبتت التجربة الميدانية أن الكثيرين من الإخباريين يحاولون دوماً تقديم كل ما هو مثالي ونموذجي عن الجماعة، وقد يكون هذا بعيداً عن الواقع في كثير من الأحيان.

الثالث: عندما يحاول أن يرضي الباحث بطريقة غير موضوعية. ففي بعض الأوقات، ينبغي على الباحث ألا يبدي حماسة مبالغاً فيها لما يدلي به الإخباري، حتى لا يتكون لديه الإحساس مع مرور الوقت بأن تلك النوعية من المادة هي التي يتلهف عليها الباحث دوماً، ومن ثم يحاول إرضاء الباحث بتقديم المزيد في الاتجاه نفسه، وقد يكون هذا على حساب كفاءة المادة الاثنوجرافية وجدواها.

الإخباري وسيلة مهمة في عملية جمع البيانات، ويقوم بعض الباحثين في بعض الأوقات باختيار الإخباريين حتى يقوموا بمساعدته بتطوير أداة أخرى مثل الاستبانة، فهي في بعض الأوقات ليست وسيلة لجمع المعلومات مباشرة فحسب، إنما هي وسيلة تستخدم لتطوير أداة بحثية أخرى، فيأخذ الباحث من الإخباري المفاهيم الثقافية التي تساعده على صياغة الاستبانة. فهدف الباحث من اختيار الإخباري هو مساعدته على تطوير أداة من خلال استخلاص معلومات ثقافية مهمة انطلاقاً من عدم إمكانية الاعتماد على الأدوات البحثية دون أن تكون متكيفة مع الجوانب الثقافية.

نموذج الاتفاق الثقافي لكفاءة الإخباري:

في أي حقل أو إقليم ثقافي، يكون لدى أشخاص معينين كفاءة أكثر من آخرين، فهناك مجموعة من الناس لديهم معرفة وإلمام خاص بلعبة كرة القدم وتاريخها مثلاً، وهناك أشخاص آخرون لديهم معرفة وإلمام بالممثلين والفنانين، وهناك من هو خبير في شؤون الأعشاب الطبية، وآخرون يعتبرون خبراء في مجال السيارات والشاحنات، فمقدار الكفاءة يختلف من شخص لآخر ومن موضوع لآخر. فقد يملك الفرد معلومات في مكان أو مهنة محددة ولا يملك أي معلومة خاصة بمجتمعه في مكان آخر، فيحاول الباحث هنا أن يلجأ للإخباريين الذين يفيدون موضوع بحثه وهدف دراسته.

لقد طور رومني وزملاؤه (1986) Romney, et al . طريقة يستطيع من خلالها الباحث أن يختبر كفاءة الإخباريين وقدرتهم داخل إقليم أو حقل ثقافي محدد، هذا النموذج لا يختبر كفاءة عامة، إنما يختبر كفاءة خاصة لموضوع معين، ففكرة رومني وزملاؤه بسيطة وسهلة، وهي تعتمد على أن الإخباريين الذين يوافقون بعضهم البعض، ويوحدون رأيهم بخصوص بعض العناصر الخاصة بثقافة المجتمع، هم أكثر معرفة وإلماماً من هؤلاء الإخباريين الذين لا تتوافق وجهات نظرهم تجاه هذه العناصر، فعلى سبيل المثال إذا أعطيت اختبار بخصوص قوانين كرة القدم لمجموعتين من الأفراد: المجموعة الأولى هم من أنصار أو مشجعي أحد الفرق والمتابعين للمباريات، والمجموعة الثانية هم أشخاص لا يحرصون على مشاهدة المباريات، فسوف يكون من المتوقع أن المجموعة الأولى سوف تقوم بالإجابة بطريقة متوافقة مع بعضهم البعض بخصوص الأسئلة المطروحة مقارنة مع المجموعة الثانية. فالأشخاص المتوافقون مع بعضهم البعض في الإجابة على هذه الأسئلة هم الذين يصلحون أن يكونوا إخباريين، وذلك بحكم معرفتهم وإلمامهم بالموضوع.

الإخباريون والأجر المدفوع:

السؤال الذي يحير بعض الباحثين هو هل يجب أن يقوموا بدفع أجر للإخباريين؟ هل يقبل الإخباري المبلغ أو الأجر المقدم؟ إن غالبية البحوث الميدانية يتم تخصيص ميزانية معينة لها، وكثيراً ما يكون جزءًا من هذه الميزانية مخصصاً للأشخاص الذين يساعدون الباحث في عملية جمع البيانات ومن هؤلاء الأشخاص الإخباريين، ولكن هل كل أخباري يقوم الباحث بمنح المبحوث قدراً من المال نتيجة لمساعدته في الدراسة؟ فإذا أراد الباحث مثلاً دراسة الصفوة أو النخبة في مجتمع محلي في دول المنطقة مثلاً، فإن الأجر مقابل المعلومات المستمدة هنا تصبح غير مناسبة وغير مألوفة، ولكن عندما تكون هذه الصفوة أو النخبة في مجتمعاً أفريقياً مثلاً، فبالإمكان القيام بمنح

الإخباري أجراً مالياً نتيجة لهذه المعلومات التي مد الباحث بها، وقد تكون في بعض الأوقات ضرورية. وهنا يجب على الباحث أن يتوخى الحذر في عملية منح المقابل المادي نظير المعلومات المقدمة، فهي قد تكون هذه العملية حساسة في بعض الأوقات. وهي مسألة تعتمد على الباحث وقدرته على فهم الطبيعة الخاصة بالإخباريين.

وهناك من الباحثين من يلجأ إلى استخدام أسلوب تقديم الهدايا بدلاً من المنحة المالية، وذلك تقديراً للدور الذي بذله الإخباري طوال مدة البحث مع الباحث. فيقدم الباحث، للإخباري هدية قد تختلف في قيمتها المادية والمعنوية من شخص لآخر والذي يحدده وضع الإخباري من جهة وتقدير الباحث من جهة أخرى، ولعل الهدية هي أفضل طريقة للتخلص من الحرج الذي من الممكن أن يتسببه الموقف، ولكن هذا لا يعني أن الأجر المدفوع في بعض الحالات لا يكون مهماً. فتقدير الباحث وذكائه وإدراكه هي المحك في هذه القضية. إضافة إلى ذلك فإنه يجب الحذر من ربط الأجر بالمعلومات، أي: يجب أن يحذر الباحث من أن الإخباري يقوم بإعطاء هذه المعلومات البحثية، وذلك لأنه سوف يتلقى من خلالها أجراً، إن ذلك قد يجر الإخباري إلى إظهار قدرته على امتلاك المعلومات، والتي قد تكون أكبر من الحجم الحقيقي الذي يملكه فعلياً، وذلك تحاشياً من أن يفقد الأجر مقابل هذه المعلومات، وقد يلجأ الإخباري إلى المماطلة في تقديم المعلومات، ويقوم بتمديد الوقت المخصص، وذلك حتى يكسب أكبر قدر من الوقت الذي يمكنه من الوقوف مع الباحث بهدف زيادة في الأجر، أو أن يبين للباحث أنه يبذل جهداً إضافياً من خلال الأوقات المتباعدة، إن ذلك كله يرجع بالدرجة الأولى إلى ذكاء الباحث في التعامل مع هذه الأمور والمشاكل.

أخلاقيات جمع البيانات مع الإخباريين:

إن المسؤولية الأساسية للباحث تتمثل في واجبه نحو الأفراد الذين

يجـري دراسـتـه عليـهـم، بحـيث إذا حدث تـعـارض في المصـالح فـينبـغي أن تتـقـدم مـصلحـتـهـم أولاً، وعليــه أن يقـوم بكل مـا في اسـتطاعـتـه من أجل حمايتهـم بدنيـاً ونفسياً واجتماعياً، وأن يحافظ على كرامتهم وخصوصياتهم عن طـريـق الالتــزام فـيـمــا يــأتـي: (فـتـحـيـة مـحـمـد إبراهيم ومـصطفى الشنواي، 1988: 180-181):

1 - إذا حصل الباحث على بياناته على أساس الثقة به فعليه أن يؤمن حقوق واهتمامات وحساسيات الأشخاص الذين حصل عليها منهم.

2 - توضيح أهداف البحث للإخباريين بأفضل صورة ممكنة.

3 - من حق الإخبـاريين أن تغفل أسـمـاؤهم. فـإذا طلب الإخـبـاري في بعض الحالات التي يذكر فيها بعض المسائل الشخصية، ألا يتخذها الباحث مادة للنشر فعليه أن يحترم رغبته. فعلى الباحث أن يحترم هذا الحق سواء وعد به صـراحـة أو لـم يعد. ويسـري هذا الإلزام على اسـتـخدام آلات التصـوير وأجهزة التسجيل وغير ذلك من وسائل جمع البيانات كما من حق المبحوث رفض استخدام هذه الأدوات.

4 - لا يصح أن يُسْتغَل الإخباريون من أجل المكسب الشخصي، ويجب أن يُؤدَّى لهم المقابل المناسب لقاء كل ما يقدمونه من خدمات.

5 - على الباحث أن يفكر في كل الانعكاسات المستقبلية التي تترتب على نشر دراسته بالنسبة للأفراد الذين خضعوا للدراسة.

6 - ينبـغي أن توضـح النتـائج المتـوقـعـة للبـحث للأفـراد والجـمـاعـات الذين سيتأثرون بها بصورة كافية.

7 - يتم بذل كل جـهد ممكن من أجل التعاون مع أعضاء من مـجتمع البـحث في تخطيط وتنفيذ مشروعات الدراسة.

8 - توضع في الاعتبـار جميع النقاط السـابقة في ضوء ما هو معروف عن الاخـتـلاف الثـقـافي بين المجـتـمـعـات الإنسـانيـة من حـيث اخـتـلاف القـيم والاهتمامات والمطالب.

المقابلة والإخباريون:

كما سبقت الإشارة في الجزء الخاص بالمقابلة، بأن هناك أنواعاً متعددة من المقابلات، ومنها تلك المقابلات التي يجريها الباحث مع الإخباريين في مجتمع دراسته. ولاشك أن الباحث يحتاج بشكل مباشر أن يستقي معلوماته من الإخباريين من خلال المقابلة. فيعقد العديد من المقابلات المطولة مع الإخباريين حتى يستخلص المعلومات، ومن هنا يكمن الخلاف في إجراء المقابلة مع الإخباريين عنها في العديد من المقابلات الأخرى.

لابد من الإشارة هنا إلى أن ما يميز الباحث الميداني الذي يقابل الإخباريين يختلف عن غيره من الباحثين الذين يقومون بإجراء مقابلات، وذلك من خلال عدة محاور، لعل من أهمها هو أنه عندما يوجه الباحث أسئلته إلى الإخباري فإنه لا يخاطبه بصفته الشخصية، وإنما كممثل لجماعة معينة من الناس يود التعرف على جوانب معينة من حياتهم وثقافتهم. فكلمة «أنت» هنا ليست ضميراً شخصياً للمخاطب كما هي في حالة المريض الذي يصف ما يشكو منه، أو المبحوث الذي يتحدث عن مشكلته الخاصة في إطار أسرته المحدودة، وإنما هي مدخل لعدد من الخصائص الجمعية التي يشارك فيها الإخباري، ولا يختص بها وحده. وحتى إذا كان الإخباري يمثل «حالة» يدرسها الباحث بكل تفصيلاتها الخاصة، فإن البيانات الشخصية التي يقدمها تصبح وسيلة لاستخلاص ما هو أكثر عمومية منها (فتحية محمد إبراهيم وسلوى عبد الحميد الخطيب، 1995 : 153). فهي حالة خاصة بالمجتمع وليست للمبحوث بحد ذاته. وهذه بطبيعة الحال هي التي تميز المقابلة مع الإخباريين عن المقابلة الخاصة مع بعض الشخصيات كدراسة الحالة أو دراسة السيرة الذاتية.

ويمكن ذكر بعض الإجراءات التي يمكن مراعاتها في أثناء عقد المقابلة مع الإخباري على النحو الآتي (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى

السنواني، 1988: 186–194):-

1 – المقابلة غير الموجهة:

لعل المقابلة غير الموجهة هي الأنسب من المقابلة الموجهة، وذلك لأنها تشتمل على الحديث العادي وتوجيه أسئلة ذات نهايات مفتوحة تتيح للفرد أن يبدي رأيه في كل الموضوعات المطروحة، كما يمكن أن يأخذ الحوار في بعض مراحله صورة جديدة يوجه فيه الفرد أسئلة إلى الباحث الذي يرحب بها لأنه يجد فيها دلالات أخرى ذات فائدة له. فمقابلة الباحث مع الإخباري لابد أن تتميز بالمرونة.

2 – الإلمام بعناصر موضوع المقابلة:

لابد أن يلم الباحث جيداً بعناصر الموضوع الذي سيطرحه كالعمل الزراعي مثلاً، وأن يعرف المصطلحات المستخدمة فيه، ويصبح هذا الاستعداد أكثر ضرورة عندما يتم البحث الحقلي في مجتمع لم يألفه الباحث من قبل؛ لأنه سيساعده على فهم المعنى الثقافي لما يرويه الإخباري ومعاني المصطلحات التي يستخدمها.

3 – معرفة معلومات عن الإخباري:

كما ينبغي أن يستعد الباحث للمقابلة بمعرفة البيانات الممكنة عن الإخباري ذاته حتى يستطيع أن يحدد مدخله للمناقشة معه وأسلوبه في توجيهها بالطريقة الأنسب لهذا الإخباري بالذات، وأن يهيئ الظرف المناسب لإيجاد علاقة طيبة معه تسمح له بأن يمده بمعلومات صحيحة، ويواصل المقابلة معه دون إظهار الضيق أو الملل.

4 – استخدام مهارات الاتصال أثناء المقابلة:

خلال المقابلة يتلخص موقف الباحث في أن يكون مستمعاً وملاحظاً

جيداً، فهو يستمع لكل كلمة تقال وفي الوقت نفسه يلاحظ كل الإيماءات والإشارات وحركات الأيدي وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث، والاستماع يعني ألا يوجه الباحث أفكار الإخباري بل يساعده فقط على أن يعبر عنها بالصورة التي تفيد الدراسة، فينتبه جيداً إلى ما يقول وعندما يتوقف يساعده على الاسترسال بإعادة آخر جملة ذكرها في صيغة سؤال، أو إثارة سؤال حول آخر ملاحظة أبداها، أو الربط بين الملاحظة الأخيرة وملاحظة أو واقعة أخرى سابقة، أو إدخال عنصر جديد في المناقشة ليكون نقطة انطلاق جديدة لمزيد من الأسئلة، وفي كل هذه الحالات ينبغي أن تظل المناقشة تحت سيطرة الباحث دون أن يشعر الإخباري بذلك.

5 – استخدام طرق متعددة لإدارة الحوار:

ومن الطبيعي أن يختلف دور الباحث من حيث مدى الإيجابية في إجراء الحوار بحسب نوع الإخباري الذي يتحدث معه، فبعض الإخباريين لا يجيد الاسترسال، ويحتاج إلى الأسئلة التي تحفزه إلى التحدث في كل النقاط المطلوبة. كما أن مستوى التعليم يمثل نقطة هامة في هذه الناحية، ومن جهة أخرى قد ينساق بعض الباحثين في بداية المقابلة وراء الأسئلة ذات الاختبارات المحددة، فيجد أن الإجابات عليها تكون بالطبع سريعة ومقتضبة، ويشكل هذا عبئاً عليه لأنه لا يتمكن من صياغة أسئلته الجديدة بنفس السرعة، وهذا يقتضي منه أن يتدرب على توجيه الأسئلة ذات النهايات المفتوحة. ومعروف أن طبيعة الأسئلة التي يوجهها الباحث خلال المقابلة تختلف ما بين أسئلة موضوعية تتناول ذكر الأشخاص أو الأشياء أو الوقائع بصفة محددة وأسئلة ذاتية تفسح المجال للتعبير عن المشاعر والآراء، وما بين أسئلة وصفية تهتم بما هو موجود بالفعل، وأسئلة تقويمية تهتم بما ينبغي أن يكون، وعلى الباحث أن يوظف هذه الأنواع بالصورة التي يراها مناسبة لموضوع البحث.

6- عدم الاستعجال في استخلاص المعلومات:

ولكي تتولد الثقة بين الباحث والإخباري لا يصح أن يتعجل في استخلاص البيانات من المقابلة؛ لأنها غالباً ما تبدأ بالأسئلة التي تتناول البيانات الشخصية، ويتيح له الفرصة لأن يتحدث عن نفسه وعن أسرته وعمله، ولا يتعجل في توجيه الأسئلة التي تكشف عن المشاعر أو الآراء وخاصة بالنسبة للموضوعات ذات الأهمية الخاصة، ومع تكرار المقابلات سوف يجد الباحث أن الإخباري مستعد للإفضاء إليه بكل ما يطلبه من معلومات.

7- الحذر من كذب الإخباري ومبالغته:

كما سبقت الإشارة، فإن من المحاذير التي يخشاها الباحثون الحقليون أن يكون الإخباري من النوع الكاذب نتيجة ولائه لثقافته ورغبته في إخفاء أمور معينة أو التهوين من شأنها، والمبالغة في إظهار المزايا، أو نتيجة لحاجته لإثارة اهتمام الباحث من خلال سرد المعلومات، أو الرغبة في عدم الظهور أمامه بمظهر الشخص الذي لا يعرف ما يدور حوله، أو لضعف قدرته على التذكر ومحاولة تعويض ذلك، أو لمراعاته وجود أفراد آخرين منتمين لنفس الثقافة، وفي هذه الحالة سيكون على الباحث الحذر عند استقصاء المعلومات منه أو إيقاف التعامل معه أو اعتبار ظاهرة الكذب ذاتها مادة جديرة للدراسة، وبوجه عام ينبغي أن يتحقق الباحث من موضوعية البيانات التي يستمدها خلال المقابلات عن طريق مقارنتها بعضها ببعض لدى عدد من الإخباريين، أو ملاحظة مدى الاتساق الداخلي في بيانات الإخباري الواحد، أو توجيه نفس الأسئلة إليه في فترة زمنية أخرى، أو بمقارنة ما يذكره الإخباري عن نفسه مع ما تكشف عنه ملاحظة سلوكه الفعلي بالنسبة لنفس الموضوع، أو اختيار بعض ما يرويه من وقائع بمعلومات مؤكدة لدى الباحث، أو إخضاعها للملاحظة بعد روايتها، وعلى الباحث أن يكوّن فكرة واضحة عن أسلوب كل

إخباري في إدراك المحيط الذي يعيش فيه، وأن يضع هذه الفكرة في اعتباره عندما يستمع إليه. كما يضع في اعتباره التفرقة بين الوصف الذي يقدمه أحد الإخباريين للواقعة وبين التقويم الذي يقدمه آخر عن الواقعة نفسها، ومن الخطأ أن يواجه الباحث أحد الإخباريين بما يناقض أقواله وأقوال غيره لأن المفروض أن هذه الأقوال والمقابلات سرية بين الطرفين.

8- تسجيل الملاحظات:

وبالنسبة لعملية تسجيل البيانات الخاصة بالمقابلات توجد عدة بدائل، فإما أن يسجل الباحث ملاحظات سريعة خلال المقابلة ثم يقوم بالكتابة التفصيلية بعد انتهائها، وإما أن ينتظر، ويقوم بالتدوين الكامل بعد انتهائها مباشرةً، وإما أن يعتمد على جهاز التسجيل في ذلك. ووجود هذه الآلة يوفر بالطبع كثيراً من عناء التسجيل ويمكن الباحث من أن يستفيد من كل التفصيلات وخاصة إذا كانت عبارات الإخباري وألفاظه مطلوبة في البحث كما هو الحال في الدراسات ذات المنظور المعرفي، ولكنها من ناحية أخرى يمكن أن تثير ارتياب الإخباري وخاصة في المقابلة الأولى، أو تجعله يأخذ موقعاً معيناً خلال التعبير عن رأيه، أو تجعل جو المقابلة غير طبيعي أو تلقائي، ولكن هذه الصعوبات يمكن التغلب عليها بالتدريج مع زيادة الثقة بين الطرفين، ولهذا لا يصح أن يلجأ الباحث إطلاقاً إلى إخفاء جهاز التسجيل لأن هذا العمل كفيل بتدمير هذه الثقة إذا اكتشف بطريقة ما، بالإضافة إلى ما يتضمنه من جانب غير أخلاقي.

وبالنسبة لتسجيل الملاحظات خلال المقابلة توجد جوانب إيجابية تتمثل في عدم اعتماد الباحث على الذاكرة بالنسبة للتفصيلات التي سيحتاجها عند كتابة تقريره عن المقابلة، وشعور بعض الإخباريين بأنه موضع اهتمام الباحث وهم يرونه يسجل أقوالهم مما يشجعهم على إنجاح المقابلة، ولكن توجد أيضاً جوانب سلبية تبدو في ضيق البعض الآخر من الإخباريين من

عملية التسجيل، وانشغال الباحث عن متابعة تفصيلات الحديث بدقة، وكذلك الجانب الحركي والانفعالي لدى الإخباري، بالإضافة إلى أن المفروض أن يدير الباحث الحوار ويكون مستعداً بسؤال أو تعليق جديد كلما أنهى الإخباري حديثه في نقطة معينة.

وبالنسبة للأسلوب الثالث الذي يلجأ فيه الباحث إلى التسجيل بعد انتهاء المقابلة، فإن الأمر قد يبدو صعباً في البداية بالنسبة للباحث المبتدئ، ولكن مع زيادة التدريب سوف يتمكن من إتقانه، ومن المفيد في هذا المجال أن يجري بعض المقابلات مع أشخاص يعرفهم ويسجل المقابلة بآلة التسجيل، ويقوم بتدوين بياناته عنها بعد انتهائها، ثم يجري عملية مضاهاة مع شريط التسجيل ليعرف ما فاته تسجيله من نقاط، وبهذه المناسبة لا يصح أن يقوم الباحث بتسجيل بيانات المقابلة على أساس شعوره بأهميتها وقت إجراء المقابلة فقط، فربما عاد إليها بعد ذلك واحتاج إليها بصورة ملحة.

الفصل الثالث عشر

وسائل وأدوات أخرى لجمع البيانات

الفصل الثالث عشر

وسائل وأدوات أخرى لجمع البيانات

إن أدوات جمع البيانات ووسائلها عديدة، وسوف يتم الاقتصار في هذا الجزء على عرض بعض هذه الأدوات التي تخص مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، والتي سوف يتم التطرق إليها بإيجاز، وهي تاريخ الحياة أو السيرة الذاتية، ودراسة الحالة، وطريقة التتبع النسبي، إضافة إلى تحليل المضمون، وهي أدوات ووسائل بحثية تعتمد بشكل مباشر على التحليل الكيفي بشكل عام، وبعضها يعتمد على التحليل الكمي أيضاً مثل تحليل المضمون، ويعتمد عليها الباحث- حسب الحاجة- إلى استخدام هذه الوسائل في سبيل الحصول على معلومات يقوم فيما بعد بتحليلها واستنباط النتائج الخاصة بها.

تاريخ الحياة Life History:

يسمى أحياناً بالسيرة الذاتية، وهي أداة من الأدوات البحثية التي يستخدمها العديد من الباحثين الاجتماعيين الميدانيين الذين يتخذون مجتمع الدراسة وأفراده حقلاً لهم، فيعمد العديد من الباحثين إلى دراسة بعض الشخصيات عن قرب، وذلك لأهميتها في أبحاثهم ولتقديمها معلومات مهمة تحقق هدف الدراسة.

وتعرف السيرة الذاتية بأنها تسجيل لتاريخ حياة الأفراد، أو الأحداث المهمة التي حصلت لهم في الماضي، فهي دراسة عن قرب لسيرة ذاتية لفرد من أفراد المجتمع (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 225). وهي من الممكن أن تكون رواية لأحد الإخباريين لقصة حياة للباحث بدءاً من فترة طفولته وذكرياته عنها حتى مرحلة النضج، ويسجل الباحث تفصيلاتها

ثم يقدمها مصحوبة بتحليله لوقائعها وعناصرها مما يكشف عن الروابط الوثيقة بين الثقافة والشخصية (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني،1988 : 199). فالهدف هنا ليس الحصول على السيرة الذاتية للشخص ذاته، ولكن الوصول إلى وصف طريقة حياته في علاقتها بالجماعات الاجتماعية والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية المحيطة به (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 256). فهي عملية تحليل لوقائع بعض الشخصيات، والتي من خلالها تكشف العلاقة بين أسلوب وطريقة حياته وشخصيته وبين الثقافة التي ينتمي لها، وهي عملية ربط بين شخصية الفرد وثقافته.

يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة قبل البدء في اختيار الشخص الذي يريد مقابلته في السيرة الذاتية، فيقول: هل هذا الشخص لديه ذاكرة جيدة يستطيع من خلالها التذكر لما يريد أن يقوله؟ هل له من الخبرة، أو الانضمام إلى منظمات أو عاش من الأحداث ما يساعده على أن يدلي بمعلومات مهمة عن موضوع البحث؟ هل هذا الشخص يملك الوقت الكافي لأن يدلي بالمعلومات (Bogdan and Biklen, 1998: 29-57).

ويميل الباحث في عمله الميداني أن يجمع مادة مكثفة عن أشخاص يتسمون بأنهم ذوو فصاحة طبيعية، ولديهم حس ثقافي في تقديم البيانات، فتاريخ الحياة يمثل الأشخاص غير العاديين في المجتمع، والتي تتكامل فيه معلومات ثقافية لها أهميتها في فهم طرق الحياة الخاصة (عبد الله عبد الغني غانم وزملاؤه، 1989 : 234).

ولقد ظهر الاهتمام بالأسس النظرية لتواريخ الحياة مع دراسة دولارد عام 1935 (أنظر: Dollard, 1935: pp 1-36) التي صاغ فيها عدداً من المعايير التي تسمح بالاستفادة من المادة التي تتضمنها، وهي تركز في أغلبها على ضرورة الربط بين فهم ما يرويه الإخباري عن نفسه وبين السياق الاجتماعي

والثقافي الذي يعيش في إطاره، وعلى أهمية تنظيم المادة واستخلاص التصورات منها، فقد أظهر أهمية ما تلعبه هذه الأداة في دراسة التغير الاجتماعي والملامح الكامنة للثقافة والأدوار والتنشئة الاجتماعية وعملية التشابه والملامح المشتركة بين الأفراد إلى جانب مظاهر التباين (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني، 1988 : 199). فهي تكشف عن مظاهر حياتية متعددة في حياة الإنسان.

ومن أبرز من عمل في استخدام تاريخ الحياة هو أوسكار لويس (Lewis, 1961) في دراسته الخاصة عن المكسيك والذي أبرزها في كتابه «أطفال سانشيز: دراسة في السيرة الذاتية للعائلة المكسيكية». فقد درس الأطفال في إحدى الأسر المكسيكية وهم أطفال سانشيز، وقدم صورة تاريخية لحياتهم عن طريق روايتهم الخاصة بعدما اعتمد على التسجيل على أشرطة وتفريغها، فقد تابع لويس كل فرد في الأسرة ودرجة علاقته مع الآخرين. فتحدث الجميع عن واقعة محددة مركزاً على شعوره عن الحدث الذي أصابه وما هي مشاعره تجاه الآخرين للحدث نفسه.

وفي دراسة أخرى رائدة قام بها لويس للأسر الفقيرة في بورتوريكو، حاول من خلالها التعرف على نمط الحياة الخاصة بهذه الأسر، وفهمها، وذلك، من خلال التسجيل لحياتهم. فقد حاول من خلال الكشف عن تاريخ الحياة لهذه الأسر معرفة ثقافة المجتمع بجميع أجزائه، وذلك من خلال عملية تفاعل هذه الأسر مع سائر أفراد وطبقات المجتمع، فقد توصل إلى فهم العديد من العلاقات الاجتماعية السائدة، إضافة إلى معرفة وتسجيل العديد من العادات والتقاليد المتعددة وعن الأنساق الخاصة بالمجتمع مثل النسق القرابي، والتربوي التعليمي، والمهني، والاقتصادي وغيرها. فمن خلال معيشة هذه الأسر التي اتسمت بالفقر، كشف عن عمليات التغير الاجتماعي والثقافي السائدة. فاعتمد لويس في هذه الدراسة أسلوب تاريخ الحياة بالإضافة إلى

استخدامه إلى العديد من الأدوات البحثية الأخرى في هذه الدراسة مثل استخدام الملاحظة بالمشاركة، واختبار روشاخ النفسي، وبعض من الاختبارات الاسقاطية. فقد جمع عدة طرق كانت أهمها استخدام تاريخ الحياة في تسجيل مادته العلمية (Lewis, 1965).

ومن الدراسات الأخرى المشهورة هي التي قامت بها كورا دبوا Cora DuBois عن شعب الالور (أنظر، DuBois, 1960) حيث جمعت سير ذاتية لمجموعة من الأفراد استطاعت من خلالها أن تكشف عن بعض دقائق الأمور الثقافية التي لم تستطع الحصول عليها عن طريق الوسائل الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنها استطاعت بالتعاون مع عالم النفس ابراهام كاردنر Abraham Gardiner من اختبار بعض حياة الأفراد والوصول إلى رسم خاص لشخصية كل فرد من هذه الجماعة، كما استطاعت أن تصل إلى تعميم خاص لشخصية الأفراد داخل المجتمع. فقد استطاعت دبوا أن تكشف لنا أهمية الوسيلة في الحصول على البيانات المطلوبة ليس عن الأشخاص فقط، بل عن الثقافة والمؤسسات الاجتماعية فيها (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 256). فلا تستطيع أي أداة أخرى من أدوات البحث العلمي أن تستخلص مثل هذه النتائج التي استخلصتها دبوا. وهذا يدلل على تكامل أدوات البحث في سبيل الحصول على المعلومات.

أنواع تاريخ الحياة:

ويمكن تقسيم تاريخ الحياة إلى نوعين (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت: 255):-

1- السيرة الذاتية (أوتوبيوجرافي) Autobiography: وهي تعني سرد المبحوث لتاريخ حياته بنفسه دون تدخل الباحث في ذلك.
2- السيرة أو التراجم للسير الشخصية (بيوجرافي) Biography: وهنا

يتدخل الباحث في أن يسأل أسئلة مباشرة ومحددة ويوجه مسار حديث المبحوث.

ولا شك أن عملية التوجيه تعد قضية مهمة، وذلك حتى يستطيع أن يحصل الباحث على معلومات مركزة وأساسية خاصة ببحثه من جهة، وأن يختصر الوقت الذي من الممكن أن يستغرقه الباحث في تحليل المادة من جهة أخرى، ولكن عدم تدخل الباحث وترك المبحوث يتحدث عن حياته تعني أن المبحوث لديه القدرة القصصية الفائقة في الحديث وسرد حياته بطريقة منظمة.

المشكلات التي تواجه استخدام تاريخ الحياة:

هناك عدة مشكلات من الممكن أن تواجه الباحث في استخدام هذه الأداة تتلخص هذه المشكلات فيما يأتي (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني، 1988 : 200–202):-

1 – تحليل البيانات:

من المشكلات التي تواجه الباحث في استخدامه لهذا الأسلوب هو عملية تحليل البيانات التي قام بجمعها، فقد يلجأ البعض إلى الاكتفاء بنشر قصة الحياة كما يرويها صاحبها فقط على أساس أنها وثيقة تاريخية توضح نفسها، ولكن في الدراسات الخاصة بالثقافة والشخصية لابد من إجراء عملية تحليل البيانات، فوصف وتحليل البيانات عملية مركبة، لا تقتصر على العرض فقط، إنما التحليل أيضا.

2 – مشكلة اختيار العينة:

لعل عملية البحث عن أفراد العينة هي بطبيعة الحال مشكلة بحد ذاتها، ويفترض في هذه الطريقة وهذا الأسلوب أن تكون معظم الشخصيات المختارة

من الأفراد ذوي المكانة، أو الذين يتميزون بقدر معين من الثقافة والعلم والدراية فلا يفترض أن يكونوا من الأشخاص العاديين في المجتمع، والمفترض أيضا أن يقدم الباحث عينات من الشرائح الاجتماعية المختلفة، وذلك بهدف الوقوف على الجوانب الثقافية المتعددة للمجتمع، والتي تكشف عناصر مختلفة فيه.

3 – المبالغة والكذب:

من المشكلات الجوهرية أيضاً في هذا الأسلوب هو المبالغة أو الكذب في رواية الشخص عن تاريخ حياته، وهو احتمال قائم دائماً.

إن هذه المشكلات لا تنفي بأي حال من الأحوال القيمة الثقافية والاجتماعية والنفسية للمعلومات التي من الممكن أن يحصل عليها الباحث من الذين يلتقي معهم، ويكونوا ضمن أفراد عينته البحثية. فالمعلومات المقدمة من هؤلاء تعد مصدراً مهماً في معرفة الثقافة في المجتمع المدروس، وقد عمد العديد من الأنثروبولوجيين إلى استخدام هذه الأداة بالتزامن مع استخدامهم للملاحظة بالمشاركة.

دراسة الحالة Case Study :

تتشابه أداة دراسة الحالة مع السيرة الذاتية في عملية التركيز على وحدات بحثية قليلة تشكل العينة، وقد تصل إلى مفردة واحدة في بعض الأحيان، إضافة إلى كونها تحصل على معلومات متعمقة من هذه العينة، ولعل ذلك يعد من أحد ابرز الجوانب النقدية الذي تعرضت له هذه الطريقة، ولكن يشير ين Yin (1993) في هذا الجانب إلى أن هذا الأسلوب وهذه الطريقة تعد بمثابة ميكروسكوب للحالة قيد الدراسة، حيث إنها تعرض كافة الجوانب الثقافية المتعددة. فعينة واحدة فقط من الممكن أن تغني عن عينة مقدارها 100 شخص، وذلك لكونها مركزة وميكروسكوبية– إن صح التعبير، ولكن تختلف

طريقة تاريخ الحياة عن دراسة الحالة في أن تاريخ الحياة يحاول الباحث أن يكشف من خلال هذه الطريقة عن الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتمي له الفرد أو الوحدة المدروسة، في حين أن دراسة الحالة من الممكن أن تختص بدراسة مشكلة محددة خاصة قد تكون حالة طبية مرضية، أو مشكلة اجتماعية نفسية محددة، وفي الغالب يتم استخدام السيرة الذاتية في الدراسات الأنثروبولوجية بينما تستخدم دراسة الحالة في الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع وعلم النفس والخدمة الاجتماعية.

وتعرف أداة دراسة الحالة على أنها الوسيلة للحصول على تفاصيل ومعلومات متعمقة تتعلق بحالة واحدة أو عدد من الحالات المترابطة، والتي من خلالها تتم عملية التشخيص أو تحليل حالات محددة بشكل مكثف ودقيقة في الوقت نفسه (صلاح العلي، 1998 : 53). فمنهج دراسة الحالة هي دراسة متعمقة لمرحلة محددة في تاريخ الفرد أو المؤسسة أو الأنظمة الاجتماعية المتعددة، والهدف من هذا المنهج هو الوصول إلى تعميمات خاصة بالوحدات المدروسة سواء أكانت الفرد أو المؤسسة أو النظام الاجتماعي (Goode and Scates, 1945).

ويرى البعض أن دراسة الحالة تعتبر وسيلة من وسائل جمع البيانات، وليست منهجاً من مناهج البحث، حيث يرد ذلك إلى طريقة تصنيف البحوث التي يقسمونها إلى قسمين رئيسيين تتمثل بالدراسات الاستطلاعية الوصفية من جانب، والدراسات التي تختبر الفروض السببية من جانب آخر. وبما أنها –أي دراسة الحالة– ليست من هذين التصنيفين، فهم يعتبرونها من الوسائل والأدوات، وليست من المناهج، ولذلك، فإن دراسة الحالة من الممكن أن تستخدم وسيلة لدراسة استطلاعية أو وصفية، أو حتى استخدامها لدراسة لاختبار الفروض السببية. فهي وسيلة وليست منهجاً (جمال زكي والسيد يس، 1962)، وإن كان البعض يختلف مع هذا الرأي (انظر، عبدالباسط

محمد حسن، 1977).

ويشيع استخدام دراسة الحالة في مجالات مختلفة، مثل الطب حيث يوجه الاهتمام إلى دراسة بعض الحالات المرضية والمستعصية بهدف معرفة كيفية علاجها، كأن يتم دراسة تأثير بعض العقاقير الطبية في معالجة حالات معينة من مرض الايدز، أو محاولة معرفة تأثير التدخين على المرأة الحامل، خصوصاً التأثيرات الصحية والجسمانية التي قد تصيب الجنين في بطن أمه، وهناك أيضاً من يوجه مثل هذه الاستراتيجية إلى النواحي الاجتماعية كأن يوجه الاهتمام إلى محاولة دراسة بعض حالات الطلاق، بهدف معرفة الأسباب الفعلية وراء ذلك، وتجنباً لارتفاع نسبها خصوصاً بين حديثي الزواج (صلاح العلي، 1998 : 53). إضافة إلى ذلك يقوم الباحث الاجتماعي بدراسة حالة الأسر الفقيرة التي تحتاج إلى مساعدة ، أو الطفل المنحرف الذي يحتاج إلى رعاية وتوجيه، فيدرس أسرته وطفولته ومدرسته، والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الطبيب النفسي الذي يقوم بدراسة حالة المريض الذي يتعامل معه، ويجمع معلومات عن تطور حالته النفسية والعوامل المهمة التي أثرت عليه، إضافة إلى ذلك تعد هذه الوسيلة الأسلوب المناسب لدراسة الأسرة وظروف العمل ومستوى الأجور ونفقات المعيشة والبطالة وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية (عمار بو حوش ومحمد محمود الذنيبات، 1989 : 121)، فتستخدم دراسة الحالة في بعض الموضوعات البحثية التي تتلاءم مع الحاجة إلى تحليل البيانات الشخصية للفرد أو الوحدة. ولقد وردت العديد من الدراسات التي أثرت الميدان البحثي بالمعلومات التي لا يمكن استخلاصها عبر وسائل بحثية أخرى.

خطوات دراسة الحالة:

ويمكن إيجاز خطوات دراسة الحالة إذا كان الهدف التشخيص والعلاج فيما يلي (عمار بو حوش ومحمد محمود الذنيبات، 1989 : 121):-

1 – اختيار الحالات التي تمثل المشكلة المدروسة:

وهذه الخطوة، تقتضي التركيز على حالات نموذجية أو عينات عشوائية من المشكلة (ولا تقتضي عينات أو حالات عشوائية من الحالات العامة). كما يجب أن تكون العينة كافية وأن يقتصر الباحث على حالات قليلة ودقيقة، مما يؤدي إلى دراستها بدقة وشمول في آن واحد.

2 – جمع المعلومات وتدقيقها:

ويتم ذلك على ضوء فرضية أولية، وبعض المعلومات يمكن الحصول عليها من سجلات الأفراد، وبعد أن تجمع المعلومات يجب التأكد من صحتها وصدقها، ثم بعد ذلك يتم تنظيمها والتنسيق بين عناصرها.

3 – وضع الفرضيات أو التشخيص الأولي لعوامل المشكلة:

بعد جمع المعلومات وتدقيقها وتنظيمها يبدأ الباحث بوضع الفرضيات التي تواجه الدراسة، وتقود إلى استنتاج دقيق، والفرضيات تأتي نتيجة التشخيص الأولي للعوامل التي تسبب المشكلة المدروسة.

4 – تقديم نوع المعاملة أو العلاج:

يجب أن يفكر الباحث في نوع المعالجة أو المعاملة في ضوء شدة الحالة وقسوتها على ضوء ظروف بيئة تساعد على نجاح العلاج، وهذه المرحلة تتطلب تبصراً وفهماً لديناميكية السلوك الإنساني الخاص بالوضع الاجتماعي الذي تعمل فيه. ولكي تكون دراسة الحالة فعالة يجب أن يكون الباحث قد تدرب تدريباً جيداً في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع، ومن المرغوب فيه أن تتصف دراسة الحالة بالسرية التامة، فلا يطلع على المعلومات الخاصة بالفرد إلا الشخص القائم بدراسة الحالة والاختصاصي.

5 – المتابعة والاستمرار:

وهذه تعتبر الخطوة الأخيرة، والمقصود بالمتابعة والاستمرار أن يراقب الباحث استجابة الفرد للعلاج، وهذه الخطوة بمثابة اختبار لصدق التشخيص.

وهناك من يقسم مراحل خطوات دراسة الحالة في القيام بالأنشطة والمهام التالية (محمد محمد الهادي، 1995 : 119–120) :–

1 – تحديد الحالة أو الظاهرة أو الخاصية المطلوب دراستها.

2 – تقرير نقاط أو جوانب الحالة. وعندما يكون موضوع الحالة جديداً يجب أن يسبق دراسة الحالة دراسة تشخيصية للتعرف على الظاهرة المدروسة.

3 – التعرف على المفاهيم والفروض العلمية الواجب أن تتضمن في إطار الحالة.

4 – اختيار العينة المصاحبة للحالة وفقاً لأساليب علمية محددة.

5 – تحديد وتطوير وسائل جمع البيانات من الملاحظة والمقابلة وتحليل الوثائق.

6 – جمع البيانات وتسجيلها.

7 – تحليل البيانات.

8 – الوصول للنتائج وعرضها.

وتعتمد كل هذه المراحل والخطوات على ضرورة التأكد من أن الحالة تتسم بالمعايير التالية:

– كفاية البيانات المجمعة وتعمقها من مختلف النواحي.

– صدق البيانات ورجوعها إلى المصادر الأصيلة الموثوق من صحتها.

– ضمان سرية تسجيل البيانات وعدم تسربها.

– ضمان صحة البيانات وارتباط التعميمات المستخلصة مع النتائج المتوصل إليها.

خصائص أداة دراسة الحالة:

يمكن تلخيص أبرز خصائص أداة دراسة الحالة فيما يأتي (محمد علي محمد، 1983، نقلاً عن عمار بو حوش ومحمد محمود الذنيبات، 1989 : 123-124):-

1 - أنها طريقة للحصول على معلومات شاملة عن الحالات المدروسة.

2 - أنها طريقة للتحليل الكيفي للظواهر والحالات.

3 - إنها طريقة تهتم بالموقف الكلي، وبمختلف العوامل المؤثرة فيه والعمليات التي يشهدها.

4 - أنها طريقة تتبعية أي أنها تعتمد اعتماداً كبيراً على عنصر الزمن، ومن ثم فهي تهتم بالدراسة التاريخية.

5 - أنها أداة ديناميكية لا يقتصر على بحث الحالة الراهنة.

6 - أنها أداة تسعى إلى تكامل المعرفة؛ لأنه يعتمد على أكثر من أداة للحصول على المعلومات.

مزايا أداة دراسة الحالة وعيوبها:

هناك مزايا متعددة لاستخدام أداة دراسة الحالة، وفي المقابل هناك بعض العيوب لاستخدام هذا الأسلوب، ومن الممكن أن نبرز أهم هذه المزايا أو العيوب كما أشار إليها عمار بو حوش ومحمد محمود الذنيبات، (1989 : 124-126). فقد أشارا إلى أن أهم ما يميز هذه الأداة أنه يمكن الباحث من النفاذ إلى أعماق الظواهر أو المواقف التي يقوم بدراستها بدلاً من الاكتفاء بالجوانب السطحية العابرة التي قد تكون ذات دلالة غير حقيقية، وتعد دراسة الحالة أحد أساليب البحث الوصفي، ولذلك يمكن إدراك الطابع الكلي من خلال التحليل الاجتماعي للظاهرة المدروسة، وبعبارة أخرى، فإن دراسة الحالة هي مدخل ينظر إلى أي وحدة اجتماعية نظرة كلية شاملة تستوعب هذه الوحدة وتنميتها.

كما تعد دراسة الحالة مصدراً للفرضيات التي تستدعي التحقيق والاختبار عن طريق المزيد من المشاهدات والملاحظات، ولكي تتمكن أداة دراسة الحالة من اختبار الفرضيات ونتائج البحث فيها، يجب أن تكون الحالات المدروسة، تعطي مؤشراً للمجتمع الذي يراد التعميم عليه وتعكس ثقافته؛ لذلك يجب استخدام الطرق والوسائل الموضوعية والدقيقة في جمع المعلومات وتفسيرها.

وتبرز أهمية استخدام أداة دراسة الحالة بشكل خاص باعتبار أنه يساعد الباحث في الحصول على المعلومات الأساسية التي يمكن الاستفادة منها في تخطيط الدراسات الرئيسة في العلوم الاجتماعية؛ لأنها توفر معلومات متعمقة وتبين المتغيرات والتفاعلات التي يتطلب دراستها شمولية أكثر، وأكثر من ذلك فإن المعلومات المتوافرة عن الموضوع تقود في معظم الأحيان إلى التوسع في مجال البحوث وخلق الرغبة في التطرق إلى بحوث جديدة وفي تكوين فرضيات لدراسات أخرى في المستقبل، وتوضح التأثيرات المختلفة للمتغيرات بصورة أكثر وضوحاً من مجرد التحليل الكمي لها بإعطاء تفسير واضح للنتائج الاجتماعية، وربطها بالعوامل المختلفة التي أدت إلى النتائج الحالية.

أما عيوب أداة دراسة الحالة فيتمثل في الآتي:-

1 - التشكيك في مدى الثقة التي تعوّل على البيانات التي تأتي بها عن طريق استخدام هذه الطريقة، ومرد هذا الهجوم ينحصر في عدم استطاعة هؤلاء العلماء التفرقة بين دراسة الحالة منهجاً أو أداة.

2 - صعوبات ترجع إلى الباحث نفسه فقد يلجأ الباحث إلى تفسير الحالة من وجهة نظره وفقاً لمشاعره الخاصة، أو لجهله بأسس تصميم البحث العلمي أو صعوبة تحديد مدى صدق المعطيات وتفسيرها.

3 - يؤخذ على دراسة الحالة التعميم من حالات لا تمثل الواقع وقد يرد على هذا النقد بأنه بإمكان الباحث استخدام أدوات جمع بيانات مقننة على درجة

من الثبات والصدق.

4 - وجود بعض الحالات الشاذة التي لا يمكن تعميمها ويمكن تفادي هذا النقد عن طريق المقابلات المضبوطة والتسجيل الموحد من جانب موحد.

5 - تكاليف باهظة لعملية إجراء المقابلات واستيفاء البيانات.

وبالإضافة إلى هذه العيوب في أداة دراسة الحالة، توجد عدة جوانب سلبية في هذا المنهج تتمثل فيما يلي:

1 - الحالة التي تختارها كعينة للدراسة قد لا تمثل المجتمع كله أو الحالات الأخرى.

2 - تقوم هذه الدراسة على دراسة حالة مفردة أو حالات قليلة، وعليه فإنها قد تكون مكلفة جداً سواءً من الناحية المادية أو ناحية الوقت.

3 - قد لا تعد هذه الطريقة علمية بشكل كامل.

4 - قد تبرز بعض الشكوك في صحة البيانات المعممة، وخاصةً إذا كانت البيانات غامضة ومبهمة، وحاول الباحث أن يستغلها لأهداف وميول شخصية، أو قام بالتهويل لبعض جوانب الدراسة، والتقليل من أهمية بعض الجوانب تبعاً لنظرية أو سلوكه حيث يلجأ إلى التركيز على الجوانب التي تهمه، ويمهل الجوانب التي تتناقض ومعتقداته.

ومن المآخذ الأخرى على أداة دراسة الحالة عدم توافر المعلومات بدقة حيث لا يكشف المبحوث أو المفحوص عنها عمداً أو عن طريق النسيان، وبذلك قد تضيع بعض التفاصيل المهمة.

طريقة التتبع النسبي (الطريقة الجينيالوجية): (*)

وهي من الطرق والأساليب التي يستخدمها الأنثرولوجيون في الميدان البحثي.

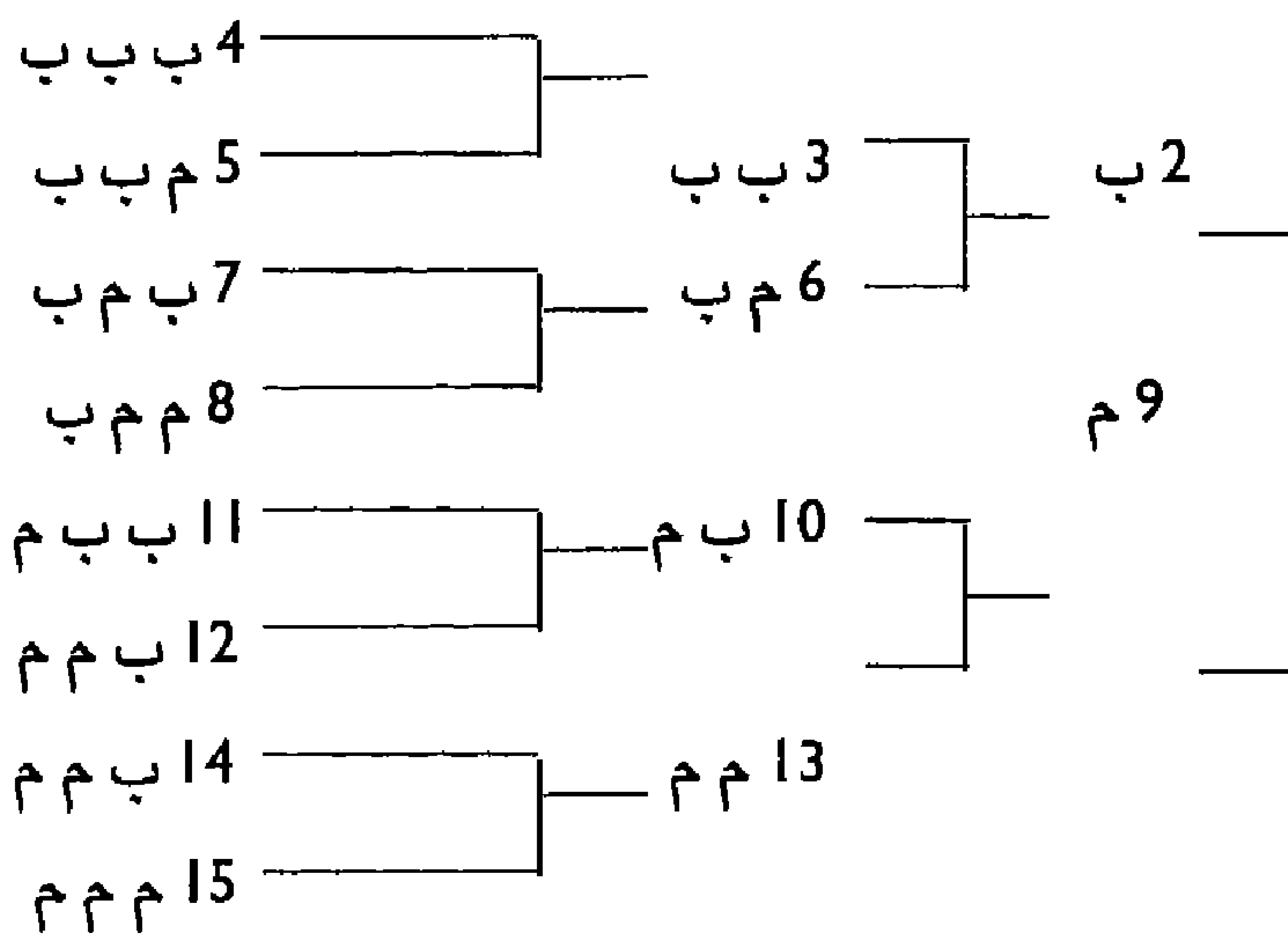
(*) استمدت هذه المادة بشكل كامل من كتاب: فتحية محمد ابراهيم ومصطفى حمدي الشنواني. مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان. ص ص 203-208، وذلك لشمولية عرض المؤلفان في هذا المبحث.

وقد وضع ريفرز (Rivers, 1910) أسس هذه الطريقة وهو يعمل ضمن بعثة جامعة كمبردج في عام 1898م، وهي تقوم على أساس تتبع العلاقات بين الإخباري وسائر المرتبطين به قرابياً، وتسجيل ما يراه مناسباً من بيانات تشمل الأسماء والأنواع وتواريخ الميلاد والزواج والطلاق والوفاة والإقامة وأنواع الروابط الزواجية والعمل، وغير ذلك من البيانات التي تفيد موضوع الدراسة. ويقوم الباحث باستخلاص هذه المعلومات في مذكراته خلال العمل الحقلي، ثم يقوم بعد ذلك بتفريغها في أية صورة تساعد على فهم العلاقات وإلقاء الضوء على التنظيم الاجتماعي القائم. وعندما توضع هذه البيانات في صورة تخطيط هندسي فإنها تعبر تعبيراً سريعاً وواضحاً عن العلاقات والارتباطات، وفي بعض الأحيان يقوم الباحث بعمل تخطيط جزئي لكل قطاع قرابي على حده قبل أن يضمها في تخطيط كبير واحد يجمعها كلها، وينبغي أن ينتبه الباحث منذ البداية إلى أهمية الحرص على تفهم معاني المصطلحات من وجهة نظر الأهالي كمعنى الأبوة الاجتماعية والبيولوجية، ومعنى البنوة المستمدة من الميلاد أو الرضاعة أو التبني أو غيرها، وكذلك طريقتهم في تقدير الأعمار وحساب التواريخ.

وتبدأ عملية التتبع النسبي بالإخباري فتسجل جميع البيانات المتعلقة به وخاصة الزوجة في حالة وجودها، أو الزوجات، والأولاد، والأحفاد، والأشقاء، والشقيقات، ثم ينتقل البحث إلى الجيل الأول من الأبناء فتسجل بياناتهم إذا كانت هناك زوجة واحدة، وإذا كانت هناك أكثر من زوجة يسجل أبناء كل واحدة على حدة، كما يسجل الأبناء عن طريق التبني أو أي طريق آخر ويميزون بعلامات خاصة، وبعد ذلك يتم السؤال عن الأبناء المتزوجين وعن بيانات زوجاتهم وعن البنات المتزوجات وعن بيانات أزواجهن، وينتقل البحث بعد ذلك إلى جيل الأحفاد فيسأل الباحث عن أبناء أكبر أبناء الإخباري من زوجته الأولى وعن بياناتهم، وخاصة إذا كان أحدهم متزوجاً، ويستمر البحث

بهذه الصورة في كل نوع قرابي حتى تكتمل بيانات جيل الأحفاد من سائر زوجات الإخباري، وبعد ذلك تبدأ عملية تتبع صاعدة تبدأ بوالد الإخباري من حيث بياناته وبيانات زوجته أو زوجاته وأبنائه وبناته من كل واحدة منهن، ثم الصعود إلى جيل الجد من ناحية الأب ومن ناحية الأم، ثم إلى والد الجد وجد الجد إذا استطاعت ذاكرة الإخباري أن تصل إلى تحديده، ويستمر هذا التتبع الصاعد حتى يغطي كل العلاقات القرابية من ناحية الإخباري ثم ينتقل إلى زوجته أو زوجاته بعد ذلك.

ويصور الشكل التالي الخط الذي يمكن أن تسير فيه عملية التتبع النسبي لأجيال الآباء والأجداد للإخباري من ناحية الأب (ب) والأم (م)، ويشار إلى تسلسل وحدات المتابعة بالأرقام.



ويلاحظ أن هذا الشكل يشمل ثلاثة أجيال صاعدة، ويمكن أن يستمر بهذا التسلسل إلى الجيل الرابع أيضاً، كما أن الأرقام تشير إلى التسلسل في النسب عبر خط الأب، ويمكن أن يتم عبر خط الأم في المجتمعات التي تأخذ بهذا النظام، ومثل هذا التخطيط يساعد الباحث على أن يغطي كل علاقات القرابة، وأن يذكر الإخباري بها حتى يصبح التتبع النسبي كاملاً، ويمكن للباحث أن يوسع أو يضيق نطاق هذا التخطيط أو يعدل في نظامه بحسب حاجة البحث

وطبيعة العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع الدراسة، كما يمكن أن يشكل الباحث تخطيطاً نسبياً لأكثر من إخباري واحد، ومن المحتمل في هذه الحالة أن تتداخل التخطيطات في بعض أجزائها فتشكل تأييداً لبعضها البعض أو تكشف عن التناقض لدى بعض الإخباريين وتساعد على تصحيح الأخطاء، بالإضافة إلى أنها تكشف عن شبكة العلاقات القرابية على نطاق أوسع، ويستطيع الباحث أن يسجل عليها البيانات التي يختارها بعد أن يحولها إلى صورة رمزية حتى لا يزدحم التخطيط بها، وإذا تبين له أن عمل تخطيط واحد يضم كل علاقات الإخباري وزوجته سوف يؤدي إلى هذا الازدحام فإن بإمكانه أن يقسمه إلى عدة تخطيطات حتى تكون أوضح وأقدر على استيعاب البيانات وأوفى بالغرض منها.

وكان ريفرز (Rivers, 1910: 227-234) حريصاً على أن يتضمن تخطيط التتبع النسبي أكبر عدد من البيانات معتبراً إياه وسيلة لجمع الإحصاءات الاجتماعية والحيوية، ولهذا كان يهتم بصفة خاصة بمتابعة الجيل الحالي والأجيال القريبة منه، وابتكر عدداً من الرموز التي تشير إلى المعاني كوضع خط تحت الاسم للإشارة إلى أنه مازال حيا وكتابة أسماء الذكور بالحروف الكبيرة، ومازال بعض الباحثين يتابعه في ذلك ولكن البعض الآخر يعدل فيها ويبتكر رموزاً جديدة للعلاقات وإن كان هناك شبه اتفاق على أن يرمز للذكر بالمثلث△، وللأنثى بالدائرة O، وللموتي منهم بالرمزين نفسهما بعد تغميقهما وتعليمها باللون الداكن. وإذا حدثت الوفاة قبل الزواج والإنجاب يضاف الرمز الدائري وبداخله نقطة سوداء⊙بعد الاسم، وتكتب تواريخ الميلاد والوفاة بجانب أسماء الأحياء والموتى، ويرمز للزوج بالرمز H وللزوجة بالرمز W وإذا كانت الزوجة الثانية تكتب W2، وللطلاق بالرمز VA (بشكل متلاصق) ويسجل تاريخ الزواج بجانب الرمز H 1950 مثلاً، وعندما يوضع خط تحت اسم المكان فإنه يرمز إلى الإقامة الحالية، وإذا وضع بين

قوسين يرمز للإقامة السابقة، وإذا ورد اسم في الشكل التخطيطي لم تدون علاقاته القرابية يوضع أمامه رقم الشكل الفرعي الذي وضعت فيه هذه العلاقات .

ومن الطبيعي أن يضيف الباحث أو يعدل الرموز التي يراها مناسبة مع ذكر ما ترمز إليه في الجدول المخصص لذلك، وسوف تساعد هذه الرموز في جملتها على إلقاء الضوء على كثير من الخصائص الاجتماعية كأنماط الزواج والإقامة والهجرة مثلاً، كما تفيد المقارنة بين هذه الخصائص في الأجيال المختلفة في استخلاص بعض النتائج المتصلة بالتغير الاجتماعي، بالإضافة إلى أن البيانات المسجلة على التخطيط تمثل مادة واقعية تصلح لإثارة العديد من التساؤلات التي تشكل نقاط بحث جديدة مع الإخباريين أو بأية وسيلة أخرى، كما أن الباحث نفسه وبعد معرفته بكل هذه العلاقات القرابية سوف ينظر إلى الأشخاص المشاركين في أي نشاط كبناء منزل مثلاً نظرة جديدة أساسها شبكة الروابط القرابية التي تجمع بينهم، وما تفرضه عليهم من قواعد والتزامات تجعلهم يتصرفون تجاه بعضهم البعض بطرق معينة، وعندما يشعر هؤلاء الأشخاص بمدى رغبة الباحث في فهم الروابط التي تجمعهم فإن هذا سيساعد على زيادة اقترابهم منه.

ويشير ريفرز (Rivers, 1910) إلى أن الباحث الحقلي يمكن أن يستفيد من عمليات التتبع النسبي في النواحي التالية:

1 – تعد الاختبار الأساسي الذي يمكن أن يكشف للباحث عن مدى استحقاق الإخباري للثقة.

2 – تكشف عن نوع العلاقات القائمة في المجتمع سواء منها ما يقوم على أساس رابطة الدم أو الزواج أو التقسيم الاجتماعي أو أية روابط أخرى.

3 – توضح الأحكام الخاصة بتنظيم الزواج والوراثة وتطورها عبر الأجيال.

4 – تساعد على التقليل من فترة العمل الحقلي بما توفره من معلومات غزيرة

وبصورة سريعة.

5 – تتيح الفرصة لعمل استبصارات عن النواحي الاجتماعية المجردة من خلال الربط بين العناصر الواقعية المكونة لها.

6 – تمثل الوسيلة الرئيسة التي تكشف للباحث عن وجود حالات لتعدد الزوجات أو تعدد الأزواج أو الزواج من أرملة الأخ، أو الزواج المتقاطع بين أبناء العمومة، أو الخؤولة، أو غيرها.

7 – تساعد على التعبير الكمي عن مدى تكرار الأنواع المختلفة من الزواج أو التحريمات.

8 – تكشف عن وجود حالات للهجرة مما يساعد على دراسة مدى انتشار هذه الظاهرة في المجتمع.

9 – تساعد على عمل التقديرات الخاصة بعدد سكان المجتمع موضع الدراسة، ونسبة الذكور إلى الإناث وحجم العائلة، ونسبة الأطفال الذين يبقون على قيد الحياة بالنسبة للعدد الإجمالي لهم.

ومن الدراسات التي استخدمت الطريقة النسبية كوسيلة أساسية في الدراسة الحقلية دراسة بيترز Peters (1977) عن مظاهر المكانة والمنزلة الاجتماعية بين السكان المسلمين في إحدى القري اللبنانية، فهو يوضح انقسام سكان القرية الشيعية إلى أربع فئات، هي فئة الأسر المتعلمة وفئة التجار وفئة المزارعين وفئة المسيحيين. وعلى الرغم من أن الفئة الأولى لا تمثل إلا حوالي خمس مجموع السكان إلا أنها تمثل الفئة ذات النفوذ الديني والسياسي والاقتصادي في القرية. ويحب أفرادها أن يطلقوا على أنفسهم اسم الأسر المتعلمة حتى يتميزوا عن باقي الفئات، ولابد أن يسبق اسم كل فرد من كبارهم إما لفظ الشيخ أو السيد كما يرتدون زياً معيناً لا يرتديه أفراد الفئات الأخرى، فهم من ثم يمثلون فئة الصفوة التي تحتفظ بمنابع القوة في القرية وتحتفظ بنوع من التوازن الدقيق بينها وبين الفئات الأخرى. وقد كشفت عمليات التتبع

النسبي عن كثير من هذه المظاهر، فقد كان من السهل على فئة الأسر المتعلمة أن ترجع في تسجيل الأجداد إلى أجيال عديدة في الماضي، مع الحرص على تأكيد أهمية كل واحد من الذين تذكر أسماؤهم، كما تنحصر عمليات المصاهرة بين عدد محدود من الأسر التي تتميز بالثراء نتيجة امتلاك مساحات كبيرة من الأراضي. وتتجمع العلاقات النسبية في كل أسرة حول أحد الأسلاف المحوريين، ويكون لهذا الانتساب دخل كبير في تنظيم عمليات المصاهرة.

أما بالنسبة للتتبع النسبي للفئات الأخرى فإنها تكشف عن عدم القدرة على العودة بالأنساب إلى الماضي، وعلى تجميع هذه الأنساب حول سلف محوري فهي تكتفي بنسبة الرجل إلى الأب والجد ووالد الجد، كما تعجز عن الربط بين البيانات الخاصة بالأسر المختلفة في شبكة توضح علاقات المصاهرة بينها. ويعود قسط كبير من عدم القدرة إلى أن الأفراد في هذه الفئات لا يُذكرون بأسمائهم الحقيقية وإنما بنسبتهم إلى أكبر أبنائهم.

تحليل المضمون Content Analysis:

يحتل تحليل المضمون أو تحليل المحتوى كطريقة للبحث العلمي مكانة مهمة بين طرق وأدوات ووسائل جمع البيانات الأخرى، وترجع تلك الأهمية لارتباط تحليل المضمون بطرق ووسائل الاتصال المختلفة التي يتم من خلالها انتقال الأفكار والمعاني والقيم من وإلى الأفراد والجماعات والمجتمعات، وبخاصة ما تعلق منها بالكلمة أو الصور أو كليهما معاً، سواء أكانت مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة، وهذا يعني أن طريقة تحليل المضمون وثيقة الصلة بمحتوى ومضمون الاتصال Communication بما تتضمنه من أطراف وأهداف ومعان ورموز وقيم (سعيد ناصف، 1997 : 95).

ولعل تحليل المضمون يرتبط ارتباطا وثيقا بالبحوث التاريخية والمنهج التاريخي، بل يعتبر الأداة الحديثة التي يمكن بواسطتها التعبير الكمي والدقيق

عن الأحداث والكتابات التاريخية، بخاصة مع استخدام الحاسبات الإلكترونية في عملية معالجة وتجهيز وتحليل الوثائق (رجاء وحيد دويدري، 2000). وقد أشار برلسون Berelson (1952) إلى معنى تحليل المضمون في مؤلفه تحليل المحتوى في البحث الاتصالي بأنها عبارة عن أسلوب البحث الذي يستهدف الوصف الموضوعي المنظم الكمي لمحتويات الاتصال للظاهرة. ومن ثم، فان الوصف الكمي لمضمون مادة الاتصال يحتل أهمية خاصة لدى الباحث الذي يستخدم هذه الطريقة. فالأرقام لها مدلولات محددة، بمعنى أن تكرار خواص فئات معينة في مادة الاتصال هي في حد ذاتها تمثل عاملاً مهماً من عوامل الاتصال؛ ولذلك يصبح تحليل المضمون صحيحاً عندما تتساوي أوزان وحدات المحتويات التي يستخدمها الباحث، ويرى سمير نعيم أن تحليل المضمون هو إحدى طرق البحث التي تستخدم من أجل الوصول إلى وصف منظم وموضوعي لمختلف تسجيلات التعبيرات الرمزية (سعيد ناصف، 1997: 96).

فتستخدم هذه الطريقة لوصف محتوى مادة الاتصال لما لهذه المادة من أهمية في مجال البحث الاجتماعي. وقد اقتصر استخدام هذا الأسلوب في بداية على الأبحاث الصحفية، ثم اتسع المجال استخدامه بحيث شمل الكتب والرسائل والخطب والمحادثات والصور وأفلام السينما وبرامج التلفزيون، أما في الوقت الحاضر فإنه يستخدم في كثير من أبحاث علم النفس والاجتماع، والأنثروبولوجيا والتربية، فيهتم هذا الأسلوب بدراسة المضمون الظاهر للاتصال، وليس من الضروري أن يشغل الباحث نفسه بمحاولة التعرف على نوايا ومقاصد الكتاب أو المتحدث (عبدالباسط محمد حسن، 1977: 402)

وإذا كان اختيار الباحث الاجتماعي للاستبانة أو المقابلة كأدوات لجمع البيانات يتوقف على طبيعة وخصائص جمهور البحث (أفراداً أو

جماعات)، فإن اختيار الباحث لطريقة تحليل المضمون يتوقف أيضاً على طبيعة مشكلة البحث من جانب، وخصائص العينة ومصادر جمع البيانات من جانب آخر، حيث يلجأ الباحث إلى استخدام تحليل المضمون في حالة ما إذا كان جمهور بحثه ليس أفراداً أو جماعات، كما هو الحال في استخدامات الاستبانة أو المقابلة. وإنما تستخدم هذه الطريقة إذا كانت المصادر التي يعتمد عليها الباحث تتمثل في: الأعمال الفنية على اختلاف أشكالها وطبيعتها (أفلام سينمائية، مسرحيات، أغان، مسلسلات... إلخ)، إلى جانب الأعمال الأدبية (الروايات والقصص والمقالات... وغيرها، فضلا عن الأعمال الصحفية بأنواعها المختلفة)، وعلى ذلك، فإن استخدام تحليل المضمون في البحث الاجتماعي يفرض على الباحث الالتزام بخطوات محددة، حيث تختلف المادة المراد تحليل مضمونها حسب طبيعة مشكلة البحث. فقد يختار الباحث مجموعة من الصحف، أو الكتب، أو الخطابات أو المقالات، أو الأفلام، أو السير الشخصية ليقوم بتحليلها. ويتم هذا التحليل وفق خطة البحث في العلوم الاجتماعية، كما أنها لا تختلف كثيراً عن الخطوات العامة التي يتبعها الباحث في استخدامه للطرق والأدوات الأخرى كالمقابلة أو الاستبانة أو الملاحظة (سعيد ناصف، 1997).

ويمكننا أن نعطي مثالاً لمشكلة بحث تصلح طريقة تحليل المضمون لجمع البيانات اللازمة لها، ثم نوضح الخطوات التي يجب أن يلتزم بها الباحث في استخدامه لهذه الطريقة في جمع البيانات، ولنفرض أن مشكلة البحث يمكن صياغتها على النحو الآتي:

«ما طبيعة القيم التي يعالجها أحد الأفلام السينمائية»:

إذا أمعنا النظر في هذه المشكلة، سوف نجد أن المادة التي سيقوم الباحث بتحليل مضمونها تتمثل في هذا الفيلم كأحد الأعمال الفنية، ومن ثم فإن طبيعة هذه المشكلة تفرض على الباحث أن يحدد ما يطلق عليه «الفئات الكبرى لتحليل

المضمون»، أي الأسئلة أو الجوانب الفرعية للمشكلة الأساسية على النحو التالي:-

– القيم العاطفية – القيم السياسية
– القيم الدينية – القيم الثقافية
– القيم الوطنية – القيم الاجتماعية
– القيم الفنية .... إلخ.

ويجب على الباحث بعد أن يحدد طبيعة القيم المراد تحليلها أن يقدم تعريفاً إجرائياً واضحاً ومحدداً لكل فئة من هذه الفئات الكبرى، ثم يحدد التساؤلات الفرعية التي يمكن أن تتضمنها كل فئة من هذه الفئات الكبرى، ثم يقوم الباحث بعد ذلك بإعداد وتصميم استمارة تحليل المضمون بحيث تحتوى على البيانات الأساسية عن الفيلم المراد تحليله (عنوانه ومؤلفه ومخرجه وتاريخ عرضه ومدته .. إلخ). وكذلك الأسئلة التي تندرج تحت كل فئة من الفئات الكبرى للتحليل، وبعد ذلك يقوم الباحث بعملية ترميز لفئات التحليل الكبرى والفرعية تمهيداً للقيام بعملية تفريغ البيانات ومعالجتها إحصائياً، ثم كتابة التقرير النهائي للبحث من واقع التحليل الإحصائي للبيانات التي حصل عليها من تحليل مضمون الفيلم (سعيد ناصف، 1997).

خطوات تحليل المضمون:

ومن ممكن تحديد أبرز خطوات تحليل المضمون في الآتي (عبدالباسط محمد حسن، 1977: 404–413):

١– اختيار عينة المصادر:

فلو افترضا أن الباحث يرغب في تحديد اتجاهات الصحف الأمريكية في موضوع محدد، فمجتمع البحث هنا هو مجموعة الصحف الأمريكية باختلاف توزيعها. فيتم تحديد حجم هذه الصحف ومن ثم اختيار عينة عشوائية منها

مع مراعاة توزيعها الجغرافي والزمني في الإصدار.

2- اختيار العينة الزمنية:

فيحتاج الباحث هنا إلى تحديد المجال الزمني للدراسة، أي الفترة التي يقوم فيها الباحث بجمع البيانات من الميدان، فيفترض على الباحث تحديد الفترة التي تمثل فيها الدراسة للموضوع الذي يتم اختياره، ويفترض أن يكون مغطياً للفترة الزمنية بشكل كامل، وهو أمر مرتبط بهدف الدراسة.

3- اختيار عينة الوحدات:

يقصد بعينة الوحدات هو جوانب الاتصال التي يمكن إخضاعها للتحليل، وتستخدم لتحليل محتوى مادة الاتصال خمس وحدات أساسية:

أ- الكلمة: وتستخدم الكلمة حينما يراد الكشف عن المفاهيم التي استقرت في دولة ما كالحرية، والعدالة الاجتماعية، والاشتراكية، والديمقراطية، وفي هذه الحالة يحاول الباحث أن يسجل الكلمات والتكرارات المختلفة لكل كلمة.

ب- الموضوع: وهو من أهم وحدات التحليل في دراسة المضمون؛ لأنه يكشف عن الآراء والاتجاهات الرئيسة في مادة الاتصال، فقد يكون الموضوع في مادة الاتصال مثلا أن أهل البلد يؤمنون بالخرافات، أو سياسة الولايات المتحدة تؤيد سياسة التميز العنصري أو أي موضوع من المواضيع التي تتناولها مادة الاتصال.

ت- الشخصيات: تستخدم الشخصية في تحليل القصص والدراما وتواريخ الحياة. فتحلل الشخصيات لمعرفة ما إذا كانت شخصيات خيالية أو تاريخية.

ث- المفردة Item: فقد تكون كتابا أو مقالا أو قصة أو حديثا أو خطابا أو برنامجا إذاعيا..إلخ. وتستخدم المفردة وحدة للتحليل إذا وجدت عدة مفردات دون أن توجد بينها فروق جوهرية. وفي هذه الحالة يمكن

تصنيف القصص حسب موضوعاتها مثلا إلى سياسية، أو خلقية، أو اجتماعية... إلخ.

ج - مقاييس المساحة والزمن Space and time measures: تستخدم كوحدة للتحليل وذلك عن طريق حساب عدد السطور أو الأعمدة أو الصفحات، أو الزمن الذي استغرقته أحاديث إذاعية من نوع معين أو وحدات الطول في الأفلام السينيمائية.

4- تحديد فئات التحليل:

ينبغي أن تتناول الدراسة التحليلية لمحتوى الاتصال المادة التي تتضمنها وسيلة الاتصال، وكذلك النواحي الشكلية التي صيغت بها المادة. وهناك فئات مقترحة لكل مادة للاتصال وشكل الاتصال تتمثل في الآتي:

أ- فئات مادة الاتصال، وتشمل على الآتي:

1- موضوع الاتصال: وعادة ينقسم الموضوع الأصلي الذي تدور حوله مادة الاتصال إلى عدد من الموضوعات الفرعية؛ ولذا ينبغي أن يتجه الباحث وهو بصدد التحليل إلى تحديد الفئات الرئيسة والفرعية التي يتضمنها الموضوع ومدى الأهمية التي توليها مادة الاتصال إلى كل فئة من الفئات.

2- اتجاه محتوى الاتصال: فهل هو اتجاه مؤيد أو معارض أو محايد، إضافة إلى تحديد الفئات وتصنيف الاتجاهات.

3- المعايير التي تنطبق على محتوى الاتصال: ويفضل وضع معايير ثابتة يرجع إليها في تصنيف اتجاه مضمون الاتصال.

4- القيم التي يعتنقها الاشخاص: من الضروري في تحليل مادة التصال وخاصة إذا كانت رواية أدبية أو سيرة حياة، وضع فئات لتحليل القيم الفردية والجماعية وتقديرها تقديراً صحيحاً.

5- طرق تحقيق الأهداف والغايات: يختلف الناس فيما يسلكونه من سبل

لتحقيق أهدافهم وغاياتهم. فمن الممكن أن يحصل البعض على الثروة بطريقة شريفة، ومن الممكن العكس؛ ولذلك ينبغي تحديد الفئات التي تستخدم التحليل الكشف عن الطريق التي يسلكها الأفراد أو الجماعات تحقيق أهدافهم وغاياتهم.

6- تحديد السمات: وهي تحديد السمات الشخصية للأفراد مثل السن، والجنس، والخصائص السيكولوجية وكذلك السمات المتعلقة بالجماعات والمجتمعات مثل الجماعات الأولية والثانوية والمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية...إلخ.

7- تحديد الفاعل: وذلك بتحديد الفئات التي تساعد على الكشف عن الشخص أو الجماعة التي تبدو في محتوى الاتصال على أنها تقوم بفعل معين أياً كان هذا الفعل.

8- تحديد السلطة: وذلك للتعرف على المصدر أو المرجع الذي تنسب إليه مادة الاتصال.

9- تحديد المكان الذي تصدر منه مادة الاتصال: وتستخدم هذه الفئة للتعرف على نوع البيئة التي تصدر منها هذه المادة. هل هي قرية، أو مدينة، صغيرة أو كبيرة، عاصمة، أو محافظة؟

10 – تحديد الهدف: تستخدم هذه الفئة للتعرف على نوع الأفراد أو الجماعات التي توجه إليها مادة الاتصال.

ب- فئات شكل الاتصال، وتشمل على الفئات التالية:

1- نوع الاتصال: للتفرقة بين الأشكال المختلفة للاتصال مثل تحليل برامج الإذاعة إلى أحاديث ، وأخبار وموسيقا وأغاني ومتنوعات وتحليل الكتب إلى روائية وغير روائية..إلخ.

2- شكل الموضوع: قد يعبر الموضع عن بعض الحقائق أو الأماني أو كليهما.

3- شدة التعبير: تستخدم لقياس مدى الانفعال الذي يظهر في محتوى

الاتصال: هل العبارات محايدة أو حماسية؟ هل كان الخطيب، أو المحاضر أو المذيع كان متحمسا عند إلقائه الكلمات أو هادئا؟

4- الوسيلة: وهي الطريقة التي تتبع في الإقناع. هل يتم عن طريق الاستشهاد بعدد من المصادر؟ أو عن طريق تزييف الحقائق..إلخ؟

5- تصنيف المواد المناسبة في العينة:

بعد تحديد فئات التحليل، ينبغي تصنيف محتوى الاتصال بطريقة منظمة، فلا يصنف الباحث المواد التي تسترعي انتباهه فحسب، أو التي تخدم فكرة معينة يأخذ بها، وإنما يصنف جميع المواد الماسبة في العينة في ضوء جميع الفئات التي سبق تحديدها حتى يمكن الوصول إلى تعميمات علمية سليمة.

6- تحليل البيانات المصنفة:

يستلزم استخدام أسلوب تحليل المحتوى ترجمة الفئات إلى أرقام، وذلك عن طريق رصد تكرار الفئات المختلفة، وتحديد درجات لانتشار وسيلة الاتصال وشدة تأثيرها في جمهور القراء أو المشاهدين أو المستمعين، ويفترض أن يراعى في الترجمة الكمية للاتجاهات النظرية التي تتضمنها الوسائل الإعلامية المختلفة الشروط الآتية:

1- أن يقدر لمضمون المادة الإعلامية درجة واحدة.

2- أن يضاف لمضمون المادة الإعلامية درجة ثانية لانتشار الوسيلة الإعلامية مثل التوزيع في حالة الصحف.

3- أن يضاف لمضمون المادة الإعلامية درجة ثالثة لشدة تأثير ونفوذ الوسيلة الإعلامية.

4- أن يضاف لمضمون المادة الإعلامية درجة رابعة لمكان النشر ودرجة الظهور في الصحف، كما ينطبق ذلك مكان الخبر بالنسبة للنشرة الإذاعية

أو التلفزيونية، أو السينمائية.

وباتباع هذا المعيار يصير تقويم كل مقال بين درجة وأربع درجات بحسب الشروط السابقة، ولا يفترض إهمال الكيف أيضاً لأن له أهميته في البحوث الاجتماعية.

7- التأكد من ثبات التحليل:

لا بد من توفر عنصر الثبات لهذه الأداة. أي لا بد أن يحصل الباحث على نفس النتائج لنفس التحليل حتى ولو اختلف المحلل أو تفاوت الزمن الذي تم فيه التحليل. وهناك نوعان من الاتفاق لا بد أن يتوافرا في الاستخدام السليم لأسلوب تحليل المحتوى وهما:

1- الاتفاق بين المحللين المختلفين بمعنى أن يصل المحللون المختلفون لنفس النتائج عندما يستخدمون نفس وحدات التحليل.
2- الاتفاق بين المحلل ونفسه في فترتين زمنيتين متفاوتتين، بمعنى أن المحلل أو مجموعة من المحللين-كل على انفراد- يحصل على نفس النتائج عند استخدام نفس الوحدات لنفس المحتويات في فترات زمنية متفاوتة.

وعلى الرغم من أهمية تحليل المضمون كطريقة من طرق البحث الاجتماعي، فإن استخدامها يتطلب مهارة وإعداداً خاصاً للباحث الذي يعتمد عليها، نظراً لما تتضمنه من إجراءات وخطوات تتمثل في تحديد الفئات الكبرى والفئات الصغرى للتحليل من ناحية، ووضع تعريفات إجرائية محددة وواضحة لهذه الفئات من ناحية أخرى، وصياغة تساؤلات استمارة تحليل المضمون، فضلاً عن عمليات التحليل الإحصائي المركزة من ناحية ثالثة (سعيد ناصف، 1997).

التقرير الذاتي Self-Report :-

التقرير الذاتي هو أحد الطرق التي يستخدمها بعض الباحثين حتى

يقوموا بتحديد بعض الأعراض أو الأحداث الخاصة بأفراد العينة بواسطة تسجيلهم الذاتي عن حالتهم الشخصية، وذلك بهدف الوصول إلى معلومات خاصة بهم، فهناك من الحالات ما يقوم الباحث أو المقابل بالقيام بعملية تسجيل المعلومات التي يحصل عليها من المبحوث، وبالمقابل هناك حالات أخرى يطلبه الباحث من المبحوث القيام بهذه المهمة، وهي التي تسمى بالتقرير الذاتي للمبحوث. فتعطي مجموعة من الأسئلة التي يقوم بتدوينها المبحوث بنفسه وهي ما سميت في بعض الأوقات بالاستبانة ذاتية الإدارة Self-administrated questionnaire (Babbie, 1995).

ولعل هذه الطريقة أو الأسلوب البحثي لا يختلف كثيراً عن أدوات أخرى مثل المقابلة أو الاستبانة، إلا أنه عبارة عن عرض وشرح لحالة قيد الدراسة، ويمكن تقسيم التقرير الذاتي إلى قسمين:-

1- التقرير الذاتي المفتوح Open Self Report:-

وهو الذي يسمح الباحث للمبحوث بالاسترسال في عرض حالته عن طريق القيام بوضع أسئلة مفتوحة وغير مغلقة، ولا تحمل إجابتها إجابة محددة، والتي من الممكن أن يسترسل بها المبحوث وفقاً لقدراته والمعلومات التي يمتلكها.

2- التقرير الذاتي المحدد Ended Self Report:-

وهو التقرير محدد الأسئلة ومحدد الإجابة، والتي قد تقيد المبحوث بالإجابة. فيذكر المبحوث في تقريره الذاتي عن معلومات محددة تخضع للسؤال وصيغته دون قدرة المبحوث على الزيادة. وهي بطبيعة الحال تنحصر بمجموعة من الأسئلة المحددة ذات الطابع المغلق.

والتقرير الذاتي بطبيعة الحال يقوم بقياس الأعراض التي يحاول الباحث أن يفحصها في المبحوثين بعد أن يتم اختيار عينة بحثية، وعلى سبيل المثال،

قام هيرسجي Hirschi (1969) بقياس انحراف الأحداث، فوضع مجموعة من الأسئلة المحددة التي صبت في النهاية قياس متغير انحراف الأحداث. فقد وضع ستة عناصر لعينة من الأبناء لقياس سلوكهم الانحرافي تمثلت فيما يأتي :-

1- هل قمت بحياتك بأخذ أشياء صغيرة (أقل من دولارين) وهي ليست من ممتلكاتك؟

2- هل قمت بحياتك بأخذ أشياء تحمل قيمة بسيطة تقع بين دولارين وخمسة، وهي ليست من ممتلكاتك؟

3- هل قمت بحياتك بأخذ أشياء تحمل قيمة كبيرة أكثر من خمسين دولاراً، وهي ليست من ممتلكاتك؟

4- هل قمت بحياتك بأخذ سيارة لقيادتها بدون إذن صاحبها؟

5- هل قمت بحياتك بأخذ شيء ما عنوة لهدف ما، وهو ليس لك؟

6- دون الرجوع إلى الصراع بينك وبين إخوتك، هل قمت بحياتك بضرب أو جرح أي شخص لأي سبب؟

في هذا التقرير الذاتي المحدود الذي يتطلب من الأبناء أن يقوموا بالإجابة عن الأسئلة التي من خلالها سوف تقوم بتحديد سلوكهم الانحرافي. فهو نموذج من نماذج التقرير الذاتي الذي تم استخدامه لهذه الفئة، والذي يستخدمه العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية والسلوكية.

الفصل الرابع عشر

الصدق والثبات لأدوات البحث

الفصل الرابع عشر

الصدق والثبات لأدوات البحث

المفهوم:

الصدق والثبات هما سمتان أساسيان لابد من توافرهما في أدوات جمع البيانات. ويجب على الباحث أن يكون ملماً بأساليب تحقيق صدق وثبات الأداة التي يريد استخدامها حتى تكون هذه الأدوات أدوات صالحة لقياس المتغيرات المتعددة داخل بحثه.

وقبل كل شيء لابد من التميز بين مفهومي الصدق والثبات بشكل عام، فيشير مفهوم الصدق Validity إلى ما إذا كان السؤال أو البند يقيس بالفعل ما يفترض قياسه (علي عبد الرزاق جلبي، د.ت: 29). فهو يشير كما أوضحته رابطة علم النفس الأمريكية APA (1985) إلى الاستدلالات الخاصة التي نخرج بها من درجات القياس من حيث مناسبتها ومعناها وفائدتها، وتحقيق صدق القياس معناه تجميع الأدلة التي توجد مثل هذه الاستدلالات (رجاء محمود أبو علام، 1999)، فصدق الاختبار يدلنا على أمرين: ما الذي يقيسه الاختبار؟ وكيف ينجح في قياسه؟ (أحمد عبد الخالق، 1996: 51).

أما الثبات Reliability فيشير إلى الاتساق والحصول على نفس النتائج في المرة الثانية (علي عبد الرزاق جلبي، 19؟: 290). فيقصد بالثبات دقة المقياس أو اتساقه. فإذا حصل نفس الفرد على نفس الدرجة (أو درجة قريبة منها) في نفس الاختبار (أو مجموعات من الأسئلة المتكافئة أو المتماثلة) عند تطبيقه أكثر من مرة، فإننا نصف الاختبار أو المقياس في هذه الحالة بأنه على درجة عالية من الثبات (رجاء محمود أبو علام، 1999: 426).

ومن الممكن توضيح الفرق بين الصدق والثبات بمثال الساعة؛ إذ إن

الساعة يفترض أن تقيس الوقت، وتفعل ذلك باستمرار، وإذا حدث وأخطأت الساعة في الوقت، نقول إنها غير صادقة، وإذا تباطأت في بعض الأحيان وأسرعت في أحيان أخرى، نقول بأنها غير ثابتة، ويحتمل أن يتوافر لنا مقياساً على درجة عالية من الثبات ولكنه فقير من حيث الصدق، ومثال ذلك الساعة التي يحدث أن تزيد عن 8 دقيقة في سرعتها بطريقة متسقة، وتضع درجة الثبات حدوداً أمام درجة الصدق الممكنة؛ إذ لا يمكن أن تزيد درجة الصدق إلى درجة معينة إذا كان المقياس غير متسقاً بدرجة ما، ولكن إذا كان لدينا مقياس قد حقق مستوى عال من الصدق فنتوقع أن يكون نفس المقياس ثابتاً (علي عبد الرزاق جلبي، 19؟: 290–291).

حساب الثبات والصدق (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998، ورجاء محمود أبو علام، 1999):

أولاً– حساب الثبات:

يمكن القيام بإجراء حساب الثبات الخاصة بالاختبار من خلال عدة طرق. وأبرز هذه الطرق يمكن تحديدها على النحو الآتي:

1 – إعادة الاختبار Test - Retest

يطبق الباحث اختباره على عدد محدود من المفحوصين، ثم يكرر تطبيق نفس الاختبار على نفس المفحوصين بعد فترة زمنية محددة، وتحسب درجات المفحوصين على الاختبار في المرة الأولى ودرجاتهم في المرة الثانية، ثم يحسب معامل الارتباط بين درجاتهم في المرتين، فإذا كان معامل الارتباط عالياً أمكن القول بأن الاختبار يتمتع بدرجة ثبات مناسبة.

ويؤخذ على هذه الطريقة ما يلي:

أ– أن المبحوثين قد يتعلمون من الاختبار في المرة الأولى ويألفونه، وبذلك يستفيدون في أثناء إعادتهم للاختبار في المرة الثانية، كما أن درجات

المبحوثين في المرة الثانية تتأثر بعوامل متعددة مثل ألفة الاختبار وانخفاض التوتر وانتقال أثر التدريب مما يؤثر على النتائج.

ب – إذا طالت الفترة بين تطبيق الاختبار في المرة الأولى والمرة الثانية فإن من المتوقع أن يكون المبحوثين أكثر نمواً ونضجاً خاصةً إذا كانوا أطفالاً صغاراً، وبذلك يزدادون فهماً ومعرفة، وبالتالي تتحسن نتائجهم.

ج – كما أن الفترة بين تطبيق الاختبار في المرتين إذا كانت قصيرة فإن المبحوثين سيتذكرون بعضا من أجزاء الاختبار وبذلك تتحسن نتائجهم في المرة الثانية، ولذلك يفترض أن لا تكون الفترة بين تطبيق الاختبار في المرتين طويلة بحيث يزداد المفحوصون نضجاً، أو قصيرة بحيث يتذكر المبحوثين بعض أجزاء الاختبار، ويفضل أن لا تقل الفترة عن أسبوع.

2 – الثبات بطريقة التجزئة النصفية Split - Half Method

يقسم الاختبار إلى نصفين دون معرفة المبحوث، ويقدم إلى المفحوصين على أنه اختبار واحد، ثم يضع المصحح درجتين لكل مبحوث درجة عن النصف الأول ودرجة عن النصف الثاني، ثم يحسب معامل الارتباط بين درجات المبحوثين على نصفي الاختبار، ويكون الاختبار ثابتاً إذا كان معامل الارتباط عالياً.

وأفضل أساس للتقسيم في هذه الطريقة هي أن يحتوى القسم الأول على الفقرات الفردية (1 ، 3 ، 5 ...)، والقسم الثاني على الفقرات الزوجية (2 ، 4 ، 6،...) حتى نقلل ما أمكن من العوامل المؤثرة في أداء الأفراد مثل الوقت، الجهد، والتعب، والملل، وغيرها، إن ميزة هذه الطريقة هي أن الباحث يتمكن من تطبيق الاختبار (بنصفيه) في وقت واحد، وتكون ظروف أجراء الاختبار موحدة تماماً.

3 – الثبات عن طريق الصور المتكافئة:

يعد الباحث اختباراً مكافئاً للاختبار الذي يريد أن يستخدمه بحيث تتوفر فيه نفس المواصفات ونفس العدد من الأسئلة ونفس الصياغة، ونفس المحتوى، ونفس مستوى الصعوبة، ونفس الأهداف، ونفس الدرجات، كما يضع تعليمات متشابهة للاختبارين تتضمن زمناً موحداً وأمثلة توضيحية. ثم يطبق الباحث الاختبار الأول، ويطبق الاختبار الثاني المكافئ للأول بعد مرور فترة زمنية ثم يحسب معامل الارتباط (Coefficient of Correlation) بين درجات المفحوصين على الاختبارين، إن على الباحث أن يتأكد من تكافؤ صورتي الاختبار، ويؤخذ على هذه الطريقة أنها تتطلب جهداً كبيراً من الباحث حين يعد اختبارين متكافئين.

4 – قياس الاتساق الداخلي:

يفترض في هذا القياس تساوى الفقرات فيه، فيفترض تساوي الفقرات في المقياس مع بعضها البعض، وتستخدم عندما يكون تقدير الفقرات صفر، 1، 2، ... ويعتبر معامل ألفا أنسب طريقة لحساب ثبات الأوزان المستخدمة في البحوث المسحية كالاستبانات أو مقاييس الاتجاه، حيث يوجد مدى من الدرجات المحتملة لكل فقرة.

عوامل تؤثر على ثبات الاختبار:

يتأثر ثبات الاختبار بالعوامل التالية:

1 – طول الاختبار:

يزداد ثبات الاختبار بزيادة طول الاختبار، ويقل ثباته إذا كان الاختبار قصيراً، ولذلك يمكن رفع درجة الثبات عن طريق زيادة عدد الأسئلة في الاختبار، بشرط أن لا يؤدي طول الاختبار إلى إثارة الملل عند المبحوثين، إن

زيادة طول الاختبار يعني أن قدرته على تمثيل السلوك الذي يقيسه أصبحت كبيرة؛ لأنه يقيس عينة واسعة من السلوك.

2- زمن الاختبار:

يزداد ثبات الاختبار بزيادة الوقت الذي يستغرقه المبحوث في أداء الاختبار، ويقل الثبات بانخفاض مدة الاختبار.

3- تجانس المبحوثين:

يزداد ثبات الاختبار إذا كان المبحوثين أقل تجانساً ومن مستويات مختلفة، أما إذا كان المبحوثون متجانسين ومتقاربين في المستوى من السلوك الذي يقيسه الاختبار فإن درجة الثبات ستقل؛ وذلك لأن المبحوثين المتجانسين يحصلون على درجة متقاربة يمكن أن يتغير ترتيبها عند إعادة تطبيق الاختبار.

4- مستوى صعوبة الاختبار:

يقل ثبات الاختبار كلما ازدادت سهولته لأن ذلك يفقده القدرة على التمييز، كما يقل الثبات إذا ازدادت صعوبة الاختبار؛ لأن ذلك سيدفع المبحوثين إلى التخمين، فالأسئلة السهلة والأسئلة الصعبة عادةً يأخذ عليها المبحوثين علامات متقاربة، ومن السهل عند إعادة الاختبار أن يتغير ترتيب درجات المبحوثين لأنها متقاربة وبذلك تقل نسبة الثبات.

ثانياً- الصدق وأنواعه:

يعد صدق الاختبار بالبحث عن العلاقة بين أداء المبحوث عن الاختبار وبين الوظيفة السلوكية للاختبار، ويمكن الحصول على صدق الاختبار بطرق متعددة كأن نقارن درجات المبحوثين في الاختبار بدرجاتهم على اختبار آخر صادق، أو من خلال تحليل فقرات الاختبار ومعرفة مدى ارتباطها بالسلوك

الذي يقيسه الاختبار، أو بقدرة الاختبار على التنبؤ، ويمكن التحدث عن أنواع الصدق الآتية:

1 – صدق المضمون أو صدق المحتوي Content Validity

ويسمى هذا النوع من الصدق بالصدق المنطقي، ويحسب هذا الصدق على فحص محتوى الاختبار وتحليل أسئلته لمعرفة مدى تمثيلها للسلوك الذي يقيسه الاختبار، وللتأكد من أن الأسئلة تغطي جميع جوانب السلوك.

وتحقيق صدق المقياس بطريقة المحتوى يتطلب القيام بالخطوات التالية:–

1 – تحديد المجال الذي نريد قياسه تحديداً واضحاً، مع تحديد عناصره.
2 – بناء مجموعة من الفقرات أو الأسئلة الممثلة لهذا المجال.

أي أن تحديد الصدق بالطريقة المرتبطة بالمحتوى تعكس مدى تمثيل فقرات المقياس للمجال الذي نريد قياسه، ولا يعبر عن الأدلة على الصدق المرتبط بالمحتوى في صيغة رقمية، فإن وافق المحكمون على أن الاختبار عينة ممثلة لموضوع المراد اختياره ويحقق أهدافه، يمكن اعتبار محتوى الاختبار صادقاً لقياس القدرة على العمل، فإذا حصل العمال المتفوقون على درجات عالية وحصل العمال الآخرون على درجات منخفضة فإننا نستطيع القول بأن الاختبار صادق، ويتضح من الصدق التنبؤي والصدق التلازمي أنهما يعتمدان على التجريب، وبذلك يطلق عليهما الصدق التجريبي Empirical Validity.

2 – الصدق الظاهري Face Validity

يكون الاختبار صادقاً إذا كان مظهره يشير إلى أنه اختبار صادق، كأن يكون شكله معقولاً وأن تشير فقراته إلى ارتباطها بالسلوك المقاس. إن الصدق

الظاهري ليس صدقاً حقيقياً، فلابد من اللجوء إلى طريقة أخرى لحساب الصدق، والاختبار الصادق ظاهرياً يكسب عادةً ثقة المبحوثين، ويضمن تعاونهم مع الباحث.

3 - الصدق العاملي:

يعتمد الصدق العاملي على استخدام منهج التحليل العاملي Factor Analysis، وهو منهج إحصائي لقياس العلاقة بين مجموعة من العوامل، ويمكن حساب الصدق العاملي وفقاً لما يلي:-

يطبق الباحث مجموعة من الاختبارات على عدد من المبحوثين، ثم يحسب معامل الارتباط بين كل اختبار وسائر الاختبارات الأخرى، فإذا وجد الباحث أن هناك معامل ارتباط عال بين اختبارين منها فإن ذلك يعني أن هناك سمات مشتركة بين الاختبارين، ويمكن وضعهما تحت عامل مشترك واحد يشملها معاً.

ويمكن حساب الصدق العاملي عن طريق حساب معامل الارتباط بين فقرات الاختبار الواحد، كما يمكن حساب الصدق العاملي عن طريق حساب معامل الارتباط بين كل فقرة وبين الاختبار ككل، ومن الواضح أن الفقرة تكون صادقة إذا كان معامل الارتباط بينها وبين الاختبار الكلي عالياً.

4 - الصدق التجريبي أو الإحصائي (الطريقة المرتبطة بمحك):-

تستخدم هذه الطريقة معامل الارتباط بين المقياس ومقياس آخر يطلق عليه «المحك» (Criterion)، وكلما كان معامل الارتباط مرتفعاً (موجباً أو سالباً) كان معامل الصدق مرتفعاً. والطريقة المرتبطة بمحك على نوعين:

أ- **الصدق التنبؤي**: ويقوم على أساس حساب القيمة التنبؤية للمقياس، أي معرفة مدى صحة التنبؤات التي نقوم بها من درجات المقياس، والتنبؤ هنا

يقوم على التنبؤ من استجابات الفرد بالنسبة لسمة معينة (كالقدرة اللفظية، أو التحصيل الدراسي) بأدائه في مجال معين بعد فترة من الوقت قد تكون سنة أو عدة سنوات، أي: أننا بقياس استجابات الفرد في مواقف معينة يمكن استنتاج كيف يسلك في مواقف مشابهة فيما بعد.

فإذا قسنا وظائف معينة تبين أن النجاح في مهنة أو دراسة معينة يعتمد عليها، ثم جمعنا معلومات عن مدى نجاح من حصلوا على درجات مرتفعة ومدى نجاح من حصلوا على درجات منخفضة، أمكننا أن نعرف إلى أي مدى سينجح الفرد الذي يحصل على درجات معينة، أو ما هو مقدار احتمال نجاح من يحصل على درجات معينة. وفي التنبؤ نحتاج إلى فترة زمنية بين الإجراء وجمع البيانات عن مقياس موضوعي آخر (المحك) للنجاح في العمل أو الدراسة، أي: أن علينا أن ننتظر إلى أن ينهي الطالب دراسته أو العامل تدريبه مثلاً، ثم نقيس درجة الارتباط بين درجات الفرد في الاختبار ودرجاته في المحك، ويكون معامل الارتباط مرتفعاً كلما كانت القيمة التنبؤية للاختبار عالية، مما يدل على أن الصدق التنبؤي للاختبار مرتفع.

ب – **الصدق التلازمي**: تعنى هذه الطريقة في تحقيق الصدق مدى ارتباط درجات المقياس بالدرجات أو البيانات التي تجمع من محك آخر وقت إجراء الاختبار، أي: أننا نقارن بين درجات الأفراد في المقياس ودرجاتهم على مقياس موضوعي آخر يقيس السمة نفسها تقريبا التي يقيسها المقياس، وذلك بأن يعطي الأفراد درجات على المحك في نفس الوقت الذي نطبق فيه المقياس أو قبلها بقليل، فإذا كان لدينا اختبار ذكاء فإننا نختار المحك من بين اختبارات الذكاء المقننة الثابتة الصادقة وهكذا.

صدق وثبات البحوث الكيفية:

ولعل قياس صدق وثبات البحوث الكيفية يختلف قليلاً عن البحوث

الكمية، وعلى الرغم من ذلك فإن الهدف هنا واحد، ولعل هذا الاختلاف يكمن في أن الباحث في بعض البحوث الكيفية يكون جزءًا من الدراسة، والباحث يكون هو الأداة الخاصة بالدراسة وبالتحديد عندما يستخدم وسيلة الملاحظة بالمشاركة داخل مجتمع الدراسة، فهنا الباحث يعد هو الأداة باستخدامه للملاحظة بالمشاركة، والتي يفترض أن تتم وفقاً لإجراءات محددة تضمن صدق المعلومات التي يأخذها من الميدان وثباتها.

ويشير رجاء محمود أبو علام (1999) في هذا الجانب إلى أن الباحثين يستخدمون في الدراسات الكيفية إجراءات عديدة لمراجعة صدق البيانات التي جمعت، وللتأكد من تحقق الفروض التي وضعوها. ومن هذه الإجراءات الارتباط الممتد في الموقع، والملاحظة المستمرة فيه للحصول على ملاحظات كافية ذات عمق كبير، وتعتبر الإجراءات المثلثة التي تشمل:-

1 – استخدام مصادر متعددة للبيانات .

2 – واستخدام ملاحظين متعددين .

3 – واستخدام طرق متعددة .

من الأساليب المستخدمة في البحوث الكيفية لزيادة احتمال صدق التفسيرات والفروض، ويقوم الباحث عند استخدام الطريقة المثلثة من التأكد أن ما جمعه من بيانات باستخدام أداة معينة يتفق مع البيانات التي يجمعها باستخدام أداة أخرى، فالباحث يريد أن يحصل على ما يدعم ما توصل إليه من بيانات أو ما حصل عليه من ملاحظات بأكثر من طريقة واحدة، ومن الإجراءات الأخرى المهمة أن يقوم الباحث بتسليم ما توصل إليه من خلاصات إلى أفراد الموقع والمشاركين فيه حتى يحصل منهم على ما يؤكد صدق هذه البيانات.

ولزيادة الثقة في البيانات، (وهو ما يمكن اعتباره مساوياً للثبات) أن يقوم الباحث في الدراسات الكيفية بالحصول على سلسلة طويلة من توثيق

طريقة إجراء الدراسة، ويتضمن هذا التوثيق ما تم عمله، ومتى، ولماذا. ويتضمن التوثيق كذلك المادة الخام التي جمعت في المقابلات وفي أثناء الملاحظات، وسجلات الباحثين الخاصة بالقرارات التي تم اتخاذها عمن تم مقابلتهم وما تجرى ملاحظته، والملفات التي توثق، وكيف تم بناء الفروض من البيانات الخام، وكيف تم مراجعتها وبلورتها، والنتائج النهائية للدراسة، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالبحث، ويقوم الباحث باستخدام طرق أخرى لفحص نتائج الدراسة باستخدام البيانات السابقة حتى يختبر مدى الثقة في البيانات، أي لكي يقرر ما إذا كان من الممكن الوصول إلى النتائج بشكل منطقي من البيانات التي حصل عليها الباحث.

وفي البحوث التربوية، فإن ثبات الملاحظة تقاس بعد أن يحدد الباحث ثبات التقديرات، ودرجة الاتفاق في الأحكام بين الملاحظين المختلفين، كما يذكر ذلك رجاء محمود أبو علام (1999). فإن أبسط طريقة لتحديد ثبات التقديرات هو أن يقوم ملاحظان أو أكثر بتقدير نفس السلوك تقديراً مستقلاً عن بعضهم البعض، ثم نقوم بحساب معامل الارتباط بين تقديرات الملاحظين، ويطلق على معامل الارتباط الناتج ثبات تقديرات الملاحظين، وإذا كان السلوك الملاحظ محدداً تحديداً إجرائياً، وكان الملاحظون مدربين تدريباً عالياً على الملاحظة فإننا نتوقع أن يكون معامل الثبات مرتفعاً جداً.

فإذا قام مثلاً ملاحظان بتقويم أداء عدد من الطلبة باستخدام مقياس تقدير تتراوح درجاته بين 1 (ضعيف جدا) و 10 (ممتاز)، يمكن تقويم الثبات باستخدام معامل الارتباط بنفس الطريقة التي يستخدم فيها إعادة الإجراء أو تطبيق الصور المتكافئة، فالملاحظ الثاني يؤدي وظيفة الإجراء الثاني، أو الصورة المتكافئة للاختبار. وإذا كانت التقديرات 1 أو صفراً (حدوث السلوك أو عدم حدوثه)، كما هو الحال في قوائم المراجعة، فإننا نستخدم معادلة معامل الاتفاق.

معامل الاتفاق:

يتم باستخدام هذه المعادلة تقويم درجة اتساق تقديرات الملاحظين، فإذا قام الملاحظون بتقدير أداء 50 طالباً فإننا يمكن أن نحصل على نتيجة كالمبينة في الجدول (رجاء محمود أبو علام، 1999):

جدول يبين ثبات تقديرات الملاحظين باستخدام معامل الاتفاق

الملاحظ الأول

	التقديرات	1	صفر	المجموع
الملاحظ الثاني	1	35 (أ)	5 (ب)	40
	صفر	3 (ج)	7 (د)	10
	المجموع	38	12	50 (ن)

يلاحظ في الجدول أن الملاحظين أعطيا 35 طالباً تقدير 1، كما أنهما أعطيا 7 طلاب تقدير صفر. في حين أن الملاحظ الأول أعطى ثلاثة طلاب تقدير 1، وهؤلاء أعطاهم الملاحظ الثاني تقدير صفر، كما أن الملاحظ الأول أعطى خمسة طلاب تقدير صفر وهؤلاء أعطاهم الملاحظ الثاني 1، ومعامل الاتفاق هو نسبة الطلاب الذي حصلوا على نفس التقدير من الملاحظين، أي أن معامل الاتفاق:

$$\text{م ن} = \frac{\text{أ} + \text{د}}{\text{ن}} = \frac{35 + 7}{50} = \frac{42}{50} = 0,84$$

حيث م ت معامل الاتفاق

أ عدد الأفراد الذين حصلوا على تقدير 1 من الملاحظين

د عدد الأفراد الذين حصلوا على تقدير صفر من الملاحظين.

ن   مجموع عدد الأفراد الذين تمت ملاحظتهم .

وتشير هذه النتيجة إلى أن نسبة الاتفاق 0,84 (أي 84٪)، وهي في هذه الحالة مؤشر ثبات الملاحظات. وإذا اتفق الملاحظان في جميع الحالات تكون نسبة الاتفاق 1,00 (100٪)، وهو الحد الأقصى لمعامل الاتفاق.

الفصل الخامس عشر

تحليل البيانات الكيفية والكمية

الفصل الخامس عشر

تحليل البيانات الكيفية والكمية

مفهوم البيانات:

هناك نوعان رئيسيان من البيانات يتعامل معهما الباحث: الأول يسمى البيانات الكمية، والنوع الآخر يسمى البيانات الكيفية. أي أن الباحث يتعامل مع نوعين من البيانات أو المعلومات إحداهما يرتبط بالأرقام والرموز، والآخر يعتمد على اللفظ والكلمة. وإذا صنفنا البحوث بشكل عام إلى قسمين كأحد التقسيمات المتعارف عليها، فإنه يمكن القول بأن البحوث أما أن تكون:

1 - مكتبية وثائقية: وهي تلك التي تعتمد على المخزون العلمي من المعرفة التي يحاول الباحث الحصول عليها من المكتبة العلمية باختلاف أنواعها وتصنيفاتها، فيتم استخلاص البيانات والمعلومات من هذه المكتبة ومحتوياتها، وقد تدخل ضمن هذه النوعية من البحوث تلك البحوث التاريخية، والأدبية، والنقدية، والتحليلية وغيرها والتي تعتمد على اطلاع الباحث على ما يعرض في الموضوع الذي يدور البحث عنه.

2 - ميدانية حقلية: وهي تلك البحوث التي يعتمد فيها الباحث على الحقل أو الميدان مجالاً لاستخلاص المعلومات والبيانات، فتكون من مهام الباحث الدخول إلى الميدان أو مجتمع الدراسة ويأخذ هذه المعلومات والبيانات من هذا المجتمع.

هذا بالإضافة إلى أن البعض يجمع بين الأسلوبين في آن واحد، بحيث يحتوي بحثه أو دراسته في مادتها على بعض التحليلات الكمية والكيفية معاً، ويمكن إعطاء أمثلة عن هذه التقسيمات للبيانات الكمية والكيفية في هذا التقسيم من البحوث على النحو الآتي:

أولا– البيانات المكتبية الوثائقية:

يحاول الباحث التاريخي أو السياسي ،على سبيل المثال، في هذا النوع من الدراسات البحث عن المعلومات التي تدعم بحثه عن موضوع محدد، ولنقل على سبيل المثال تاريخ الكويت السياسي. فيحاول الباحث الكشف عن هذا التاريخ من خلال ما تعرضه المكتبة العلمية من معلومات وبيانات فيجمع كل ما تقع عينه عليه، وكل ما كُتب في هذا المجال، وذلك بهدف الوصول إلى تحليل لهذه البيانات والاستنتاج منها، فهدف الباحث هنا من خلال الورقة أو التقرير العلمي الذي يريد كتابته هو استخلاص وتحليل أبرز النتائج التي تخص موضوع بحثه. ونعتمد هنا على التحليل والاستنتاج من خلال البيانات التي يستخلصها، ويمكن أن يكون هذا التحليل تحليلاً علمياً معتمداً على مادة لفظية.

إضافة إلى ذلك كله، فإن الباحث هنا– وحسب هدف البحث – من الممكن أن يعتمد على التحليل الكمي للبيانات، فمن الممكن أن تكون هناك مجموعة من البيانات الرقمية والإحصاءات التي يمكن أن يستخلصها الباحث، ويقوم بعملية تحليلها، فهو هنا يعتمد على البيانات الكمية في عملية التحليل.

ثانيا – البيانات الحقلية الميدانية:

يعتمد هذا التصنيف على الدراسة الحقلية الميدانية، فيمكن للباحث هنا أن يستخلص– وحسب هدف البحث أيضاً– كلا النوعين من البيانات الكمية والكيفية. فبإمكان الباحث الاجتماعي الذي يقيس مثلاً درجات الاغتراب الاجتماعي من خلال استخدام مقياس محدد أن يقوم باستخلاص معلومات كمية من قبل المستفيدين بعد أن يقوم بإجراء دراسة ميدانية عليهم. ويقوم الباحث هنا بعملية تحليل لهذه البيانات الكمية التي حصل عليها وفقاً لدراسته التي قام بها بعد دخوله الميدان والاتصال المباشر مع جمهور المستفيدين.

إضافةً إلى ذلك، فإنه بالإمكان استخلاص العديد من البيانات الكيفية من الدراسات الميدانية. فعندما يعتمد الباحث على استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة، ويستخلص المعلومات والبيانات من خلال استخدامه لهذه الطريقة، فإنه هنا قد اعتمد على البيانات الكيفية، والتي يضعها بشكل ألفاظ وعبارات وجمل، فهذه الألفاظ والعبارات والجمل ما هي إلا معلومات وبيانات تم استخلاصها من الميدان وتحتاج في النهاية إلى عملية تحليل، فالباحث هنا قد اعتمد على العمل الميداني، واستخلص نتائج هي في واقعها لفظية كيفية وتحتاج في نهاية المطاف إلى عملية تحليل واستخلاص أبرز الاستنتاجات الخاصة بها، فالبحث الميداني قد يعتمد على استخلاص نتائج رقمية كمية أو نوعية كيفية وهي ترتبط بشكل مباشر وأساسي بهدف الدراسة وتساؤلاتها كما سبقت الإشارة.

ثالثا – الدراسات المكتبية الوثائقية والميدانية الحقلية:

لابد من الإشارة إلى أنه من الممكن أن تتم عملية الدمج بين النوعين من عملية جمع البيانات في الدراسة الواحدة أو البحث الواحد، فبالإمكان على سبيل المثال أن تكون هناك دراسة واحدة تعتمد في تحليلها على المعلومات الكمية والكيفية في آن واحد. فقد يلجأ الباحث في مجال التاريخ السياسي كما هو بالمثال السابق إلى الاعتماد على البيانات والمعلومات الكيفية والنوعية التي يحصل عليها من المصادر المختلفة في المكتبة العلمية، ويقوم بعملية تحليلها وفقاً لطبيعة هذه المعلومات، وبإمكانه أيضاً أن يقوم بالاعتماد على الإحصاءات والسجلات الرقمية المتوفرة ويقوم بعملية تحليلها، فهنا قد اعتمد الباحث على استخدام المعلومات بشقيها النوعي والكمي عند عملية تحليلها، وفي المقابل، بالإمكان أن يعتمد الباحث على استخدام البحث المكتبي والميداني في آن واحد حسب هدف الدراسة، فإذا كان هدف الدراسة يرتبط بالكشف عن ظواهر من الممكن أن يتم استخلاصها بالطريقتين، فإن الباحث لا يتوانى عن

استخدام البحث المكتبي والبحث الميداني للإجابة عن تساؤلات الدراسة المنبثقة من هدفها وتساؤلاتها العامة.

فعلى سبيل المثال، إذا كان الباحث قد حدد هدف دراسته على سبيل المثال بتاريخ الديوانيات الكويتية القديمة ودورها وتأثيرها على الحياة السياسية في الماضي والحاضر، فإنه يحتاج إلى البحث المكتبي لمعرفة كل ما كتب عن الديوانية الكويتية في الماضي، وربما يحتاج في المقابل أن يقوم باستطلاع رأي خاص لاستخلاص معلومات عن دورها وتأثيرها الحالي في الحياة السياسية، وهنا يكون الباحث قد جمع بين الأسلوبين: أسلوب الدراسة الميداني، والدراسة المكتبية، والمعلومات التي سيستخلصها، ويقوم بتحليلها تعتمد على الأسلوبين.

ومن هنا يمكن القول بأن هدف الدراسة هو الذي يحدد بشكل كبير أسلوبها، ويحدد في الوقت نفسه أي نوع من المعلومات والبيانات التي من الممكن الحصول عليها ويتم تحليلها. ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن الباحث نفسه قد يُفضل أسلوباً على آخر، فيعتمد عليه دون سواه، فهناك العديد من الباحثين من يفضل ويستخدم دائماً في دراساته أسلوب الدراسات المكتبية، ولا يعتمد على الدراسات الميدانية أو العكس، وهناك من الباحثين أيضا من يعتمد على الدراسات الميدانية الكمية، ولا يلجأ إلى الدراسات الكيفية أو العكس، وهكذا، فالباحث وميوله البحثية تلعب دوراً مهماً في أسلوب البحث ونوعية المعلومات والبيانات المستخلصة، إضافة إلى هدف البحث وتساؤلاته التي تلعب دوراً جوهرياً أيضاً في تحديد طبيعة هذه المعلومات والبيانات وبالتالي طبيعة تحليلها.

تحليل البيانات الكيفية:

كما سبقت الإشارة، فهناك نوعان من البيانات الكيفية أو النوعية التي

يحصل عليها الباحث: أولها هي تلك التي يستمدها الباحث من المكتبة العلمية ومن الوثائق باختلاف أشكالها وصورها، ويقوم ببناء منهج محدد يسمح له بتحليلها وينطلق من الخطة المنهجية التي صممها ورسمها، وقد سبق أن تم التطرق عن الخطة الخاصة بهذا الجانب، وهنا يجمع الباحث المعلومات والبيانات الكيفية ويقوم بتحليلها. أما النوع الثاني من البيانات التي يحصل عليها الباحث، فهي تلك البيانات التي يستمدها الباحث من خلال الدراسة الميدانية والحقلية، ولعل في هذا الجانب بعض النواحي التي تحتاج إلى تفصيل وتحليل.

فعند تحليل البيانات الكيفية المستمدة من الحقل، فإن هذه العملية لا تبدأ بعد انتهاء العمل الحقلي، وإنما مع بداية هذا العمل، فجمع البيانات الكيفية من العمل الميداني يرتبط عضوياً بعملية التحليل، فالباحث هنا لا يتعامل مع بيانات عددية لا يتم تفريغها أو تحليلها إلا عند انتهاء تجميعها، وإنما يتعامل مع ملاحظات يستمدها هو بنفسه من الواقع المحيط به أو يسمعها من الإخباريين، وهذه الملاحظات عرضه دائماً للتباين والتغير، فقد يعبر بعض الإخباريين عن وجهة نظر معينة ثم يعبر في وقت لاحق عن وجهة نظر أخرى، وقد يتضح للباحث أن ما عّبر عنه البعض على أنه اتجاه لموقف معين يختلف عما تظهره الملاحظة المباشرة من سلوكه الفعلي في الواقع، أو أن يدلي به الإخباري كوجهة نظر، وهو منفرد مع الباحث، يختلف عما يعبر عنه حول الموضوع نفسه، وهو يتحدث عن حضور الآخرين. فمثل هذه البيانات تدفع الباحث إلى أن يعيد الملاحظات والمقابلات في ضوء استبصارات جديدة وهو يعالج المادة المجمعة، ولذلك فإن عملية التحليل تكون عملية ممتدة خلال وبعد العمل الحقلي (فتحية محمد إبراهيم، ومصطفى حمدي الشنواني، 1988 : 215).

ولذلك فإن عملية تحليل البيانات الكيفية المستمدة من الدراسة الميدانية لها طبيعة خاصة ومختلفة عن المادة النوعية والوثائقية التي يحصل عليها الباحث

من المكتبة العلمية، وعن المعلومات والبيانات الرقمية الكمية التي يحصل عليها أيضاً من الميدان والحقل.

مثال لتحليل المواد المكتبية:

ولنأخذ مثالاً خاصاً يوضح طريقة تحليل البيانات الكيفية وفقاً للإجراءات العلمية المتبعة ووفقاً لخطوات البحث العلمي، ففي دراسة ميدانية أثنوجرافية قام بها يعقوب الكندري (2002) عن العادات الاجتماعية لدورة الحياة في المجتمع الكويتي– مرحلة الوفاة، قام الباحث بالانطلاق من خطوات البحث العلمي بدءًا من طرح التساؤل العام والانتهاء بعملية تحليل البيانات بعد عملية جمعها، ويمكن عرض هذه الخطوات باختصار حتى يتم توضيح عملية تحليل البيانات الكيفية في الدراسة المذكورة، فالخطوات البحثية جاءت على النحو الآتي:–

لخطوة الأولى – التساؤل العام:

ما هي أبرز العادات الخاصة بمرحلة الوفاة التي يتم ممارستها في لمجتمع الكويتي.

لخطوة الثانية – تحديد تساؤلات الدراسة:

صممت تساؤلات الدراسة من خلال السؤال العام، فقد وردت على سبيل لمثال أسئلة خاصة مثل:–

- ما الاستعدادات التي تم ممارستها استعداداً للموت في المجتمع المحلي؟
- كيف يتم الإعلان عن الوفاة؟
- ما مراسم التشييع؟
- ما الممارسات والطقوس التي تتم بعد عملية الدفن؟

وغيرها من التساؤلات الفرعية التي تحاول مجتمعة في النهاية الإجابة

عن التساؤل الرئيس للدراسة.

الخطوة الثالثة – منهج الدراسة:

وقد تم استخدام المنهج الأثنوجرافي بهدف جمع البيانات والمعلومات وفقاً لما يأتي:–

أ– **الأداة**: يفترض أن يتم إعداد مجموعة من الأسئلة تختص كل منها بالإجابة عن التساؤلات الخاصة المنبثقة من التساؤل العام، فيتم إعداد مجموعة من الأسئلة الخاصة بالسؤال الأول، ومجموعة أخرى تجيب عن التساؤل الثاني، ومجموعة أخرى للسؤال الثالث وهكذا. وفي المثال المذكور، فقد تم إعداد دليل خاص بالعمل الميداني يشتمل هذا الدليل على مجموعة من الأسئلة خاصة بالإجابة عن الأسئلة المطروحة، ويعتمد هنا الباحث على المقابلة أداة للبحث.

ب – **العينة**: مجموعة من الرواة الذين يقابلهم الباحث من أجل الحصول على البيانات الكيفية.

جـ – **الإجراءات الخاصة بالدراسة**: ويذكر فيها كيف قام الباحث بالتوصل إلى هؤلاء الرواة، وطرقه المنهجية المتعددة للحصول على المعلومات والبيانات المهمة عن هذا الموضوع. ويتم جمع البيانات والمعلومات من خلال الرواة الذين تتم مقابلتهم، فيتكون لدى الباحث كمٌّ كبير من المعلومات والبيانات عن هذا الموضوع، ويلجأ الباحث بعد ذلك إلى المرحلة الأخرى والأساسية، وهي عملية استخلاص النتائج وتحليلها.

الخطوة الرابعة – استخلاص النتائج وتحليلها:

وهي المرحلة المهمة والأكثر صعوبة، فاستخلاص النتائج تختلف هنا عن طبيعة استخلاص النتائج في الدراسات الكمية التي تعتمد على الأرقام، والذي يقوم جهاز الحاسب الآلي الآن بعملية جمعها وتنظيمها وتحليلها، والمسألة هنا

تحتاج إلى جهد الباحث العقلي الذهني في عملية استخلاص أبرز النتائج، ففي المثال السابق يحاول الباحث أن يستخلص أبرز النتائج التي تفيد وتوضح أبرز الممارسات الثقافية والعادات الخاصة بمرحلة الوفاة في المجتمع الكويتي، فبعد عملية جمع البيانات والمعلومات، يحاول الباحث بدايةً تجميع المعلومات الخاصة عن موضوع فرعي محدد. ويحاول على سبيل المثال أن يجمع البيانات الخاصة بالممارسات التي تفيد الاستعداد للموت جميعها، فيوضح من خلال ما قاله الرواة أبرز هذه الاستعدادات، فيجمعها في قالب كيفي نوعي وتحت عنوان محدد، ويبرز هنا أهم الأفكار الرئيسة الخاصة بالموضوع مستشهداً في كثير من الأحيان بما يقوله الراوي نصاً، وذلك على سبيل تدعيم الفكرة التي انطلق منها الباحث بشكل عام، ويتم إجراء ذلك على جميع الأسئلة الأخرى الفرعية للدراسة.

فالبيانات الكيفية هنا تُجمّع في قوالب أو مجموعات عامة، ويتم وضعها وتنظيمها في الجزء الخاص بنتائج الدراسة، والذي لا يكون تحت هذا العنوان الفرعي، حيث إن الدراسات الكيفية تعتمد على التسلسل في سرد خطوات البحث العلمي دون تحديد لعناوين خاصة بها في الغالب.

وعملية التحليل هنا تعتمد على النمط الكيفي من خلال ما قاله نصاً مصدر البيانات، والمعلومات، وهم في هذا المثال الرواة، وهي بشكل عام تختلف عن التحليل الكمي الرقمي إذا حصل الباحث على معلومات رقمية، فالطريقة والأسلوب مختلفة بشكل تام، فيحاول الباحث من خلال هذا التحليل الوصول إلى استنتاجات خاصة بهذه الدراسة من واقع البيانات والمعلومات الكيفية التي حصل عليها.

تحويل البيانات الكيفية إلى كمية:

في كثير من الأحيان يقوم الباحثون بعملية تحويل البيانات الكيفية إلى

بيانات كمية، وذلك بهدف تحليلها تحليلاً إحصائياً أو إعطاء أرقام خاصة للحالات أو التكرارات التي يمكن الحصول عليها من المبحوثين، ففي بعض الدراسات الأثنوجرافية مثلاً يحاول بعض الباحثين قياس تردد أو تكرار فعل معين في المجتمع، فيتم الاعتماد على الأرقام بدلاً من الألفاظ، وفي أحيان أخرى يتم سؤال المبحوثين عن أمر محدد، فيحاول الباحث في النهاية أن يستخلص عدد وتكرار من أجاب سلباً عن السؤال المطروح أو إيجاباً، على سبيل المثال، فيقوم بحصر المبحوثين، ويحول بياناتهم الكيفية إلى بيانات كمية.

إضافةً إلى ذلك، من الممكن أن يسأل الباحث مجموعة من الأسئلة عن اتجاهات أو أسباب وجود ظاهرة معينة، ويدلي بها المبحوثين بإجابات لفظية محددة، فيقوم الباحث في النهاية بعملية تحويل البيانات الكيفية إلى بيانات رقمية عن هذه الاتجاهات والأسباب.

وعلى سبيل المثال، إذا قام الباحث بسؤال المبحوثين عن أسباب انتشار ظاهرة الطلاق في المجتمعات المحلية، وترك هذا السؤال مفتوحاً للمبحوث للإجابة عليه، فإنه من الممكن أن يحدد ويبرز المبحوث مجموعة من الأسباب، فقد يقول مثلاً: إن الجانب التعليمي، أو الاقتصادي أو نقص الوازع الديني أو الأمور المتعلقة بحرية المرأة وتحريرها وغيرها من العوامل هي من أسباب تفشي ظاهرة الطلاق، ويقوم الباحث بجمع هذه الآراء، ويحولها إلى أرقام بحيث يقول: إن عدداً معيناً من المبحوثين أشاروا إلى أهمية العامل التعليمي في حدوث الطلاق، وبلغت نسبتهم كذا من إجمالي العينة، والذين أشاروا إلى ضعف الوازع الديني تبلغ نسبتهم كذا. وهنا يمكن تحويل هذه البيانات الكيفية التي حصل عليها من خلال سؤالهم وإجابتهم بشكل لفظي إلى بيانات كمية يمكن تحليلها على هذا الأساس.

ولابد من الإشارة إلى أن من أبرز أدوات البحث التي من الممكن

استخلاص بيانات كمية منها هي أداة الاستبانة، والتي في الغالب تحتوي على معلومات يُطلب الإجابة عليها بإحدى الطريقتين: أما رقمياً أو كيفياً. فيعمد الباحث في كثير من الأحيان إلى الاعتماد على الأرقام بدلاً من الكلمات في عملية التحليل. فيتم تحويل البيانات الموجودة داخل الاستبانة إلى أرقام يتم التعامل معها من خلال وسائل إحصائية سيتم التطرق إليها لاحقاً، ويتم عملية ترميز البيانات الموجودة في الاستبانة. فيعطى مثلاً «الذكر» رمز (1)، والأنثى رمز (2). والمتزوج رمز (1)، والمطلق رمز (2)، والأرمل رمز (3)، والمنفصل رمز (4)، وكذلك الحال بالنسبة لبقية المتغيرات التي يتم تحويلها إلى أرقام بغية معالجتها إحصائياً كما سوف نراه لاحقاً من عملية التحليل الكمي للبيانات.

وسائل تحليل البيانات الكمية(*):

يلجأ كثير من الباحثين إلى استخدام الأساليب الإحصائية عند تحليلهم للبيانات المستخلصة. فيتم التعامل مع المتغيرات باستخدام هذه الأساليب المتعددة للإحصاء. وقبل الدخول إلى تحديد أبرز الوسائل الإحصائية في عملية تحليل البيانات في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، لابد من الإشارة إلى أن الباحث يحاول أن يقوم بعملية تحويله للبيانات التي يحصل عليها إلى بيانات رقمية، ومن ثم يتم التعامل معها في أسلوب إحصائي معين يحدده الباحث، لذلك يلجأ الباحث إلى الإحصاء أداة رئيسة في عملية التحليل للبيانات الكمية، ولابد من معرفة ماذا يُعنى بالإحصاء.

فالإحصاء هو ذلك العلم الذي يتعامل مع المتغيرات بهدف الحصول على نتائج يمكن الاعتماد عليها، (علي النفيلي، 1997) فهو علم يبحث في دراسة

(*) لمزيد من التفاصيل عن ترميز البيانات وتبويبها يمكن الرجوع إلى: يعقوب يوسف الكندري (2005). الاستبانة: تصميمه، وطرق المعالجة الإحصائية في العلوم الاجتماعية والسلوكية. بيروت: دار الأحباب.

علاقات واتجاهات الظواهر ووصفها بصورة يسهل معها فهم الظواهر المراد دراستها (عبدالله الكندري، 1985). وهو ذلك العلم الذي يساعد راسمي السياسات لاتخاذ القرار في القضايا العامة والخاصة على حد سواء، فهو وسيلة من وسائل اتخاذ القرار (Hopkins et al.; 1996). ومن هنا يحتاج الباحث إلى منهج واضح ومحدد حتى يستطيع أن يتجنب الأخطاء التي قد تؤثر في نتيجة تحليله الإحصائي.

الباحث الاجتماعي والإحصاء

ماذا يتطلب ويحتاج الباحث أن يعرفه عن الإحصاء؟ وهل يجب عليه أن يعرف ويتقن المعادلات والأسس الرياضية الخاصة بالإحصاء؟

للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نميز بين أمرين أساسيين، وهما:-

أ- الأسس الرياضية.

ب- التفكير الإحصائي.

هناك بعض الأسس والمعادلات الرياضية الخاصة بعلم الإحصاء، والتي على أساسها تم بناء هذا العلم، وفي المقابل، فهناك ما يسمى بالتفكير الإحصائي، وتعني أن يعرف الباحث ماذا تشير إليه العمليات الإحصائية، وكيف يقرأ النتائج الخاصة بهذه العمليات.

ليس المطلوب من الباحث الاجتماعي بكل الأحوال أن يعرف كيف يقوم بحل العمليات الإحصائية يدوياً، وكيفية استخدام المعادلات وخطواتها وأسس بنائها، فهي بلا شك مسؤولية المتخصصين في علم الإحصاء، وإن كانت عملية فهم هذه المعادلات قد تساعد في كثير من الأوقات على استيعاب العملية الإحصائية بشكل عام، إن المطلوب من الباحث الاجتماعي هو الوصول إلى الاستنتاجات الإحصائية وقدرته على قراءة النتائج العامة، إن مهمة الباحث الاجتماعي أن يستطيع استخدام العمليات الإحصائية ومعرفة أيها ينطبق على

موضوع دراسته، وماذا يجب أن يستخدم من هذه العمليات ومدى تناسبها مع بحثه وفرضياته الخاصة.

استخدامات الإحصاء:-

يستخدم الإحصاء في أمرين أساسيين هما:

1 - اختصار وتلخيص المعلومات.

2 - وسيلة لاتخاذ قرار.

لذلك من الممكن أن ينقسم الإحصاء وفقاً لذلك إلى نوعين هما:

1 - الإحصاء الوصفي Descriptive Statistics:

وهو الجزء الذي يتعلق باختصار وتلخيص المعلومات والبيانات، وتحويلها إلى أرقام محددة تعكس كمية البيانات والمعلومات، ولعل الهدف من هذا النوع هو وصف وتحليل البيانات والمعلومات الخاصة بمجموعة معينة وهي العينة دون أن يتم التوصل إلى نتائج أو استدلالات عن المجتمع الأكبر.

2 - الإحصاء الاستدلالي Inferential Statistics:

وهي الوسيلة التي تعطى القدرة على الاستدلال العام واتخاذ القرار الخاص بالمجتمع، فيستخدم هذا النوع بهدف الوصول إلى استدلال عام للمجتمع الأكبر من خلال العينة المتاحة الذي يقوم باختيارها الباحث.

فالإحصاء الاستدلالي:

- يقوم أساساً على العينة العشوائية من المجتمع المدروس.
- يتم الاستدلال من العينة العشوائية على المجتمع الكامل للدراسة من خلال أخذ الجزء للاستدلال والتعميم على الكل.
- ينطلق من نظرية قانون الاحتمالات، والذي يعطي الفرصة لجميع أفراد العينة أن يتم اختيارها أو أن يكونوا ضمن قائمة الاختيار.

المتغيـرات:

المتغير هو الشيء الذي يأخذ أكثر من قيمة، والقيمة من الممكن أن تكون كلمات أو أرقاماً. فإذا قمت بسؤال أي شخص من الأشخاص عن عمره، فإن الإجابة ستكون 18، 25، 40 .. إلخ، وإذا قمت بسؤال آخر عن ديانته، فالإجابة ستكون إما مسلم، مسيحي .. إلخ. فالمتغيرات إما لفظية أو رقمية. ومن أشهر وأكثر المتغيرات المتداولة في البحوث الاجتماعية هي التي تتعلق بالعمر، والجنس، والمستوى التعليمي، والدخل، والحالة الزواجية، والوظيفة. وممكن اعتبار كثير من الأمور أيضاً من المتغيرات وكثيراً ما نجدها في هذه البحوث المختلفة مثل: ضغط الدم، وعدد الأولاد، وعدد مرات الحمل، وعدد مرات الزواج، والمسافة المقطوعة للمطار... إلخ. (Bernard,1994).

تحاول البحوث أن تجد العلاقة ما بين المتغيرات أو إذا كان المتغيرُ قد سبب في حدوث متغير آخر؛ ولذلك ممكن القول أن البحوث الاجتماعية تدور حول المتغيرات وعلاقتها وليس بين الأشخاص والأفراد.

أنواع المتغيرات:

يمكن تقسيم المتغيرات إلى ما يلي:

1 - متغير مستقل (Independent Variable): وهو ما يسمى بالمتغير أو بالعامل المسبب، ضغط الدم مثلاً يعتبر عاملاً مستقلاً أو مسبباً إذا وضع في الاعتبار العمر عند الوفاة كمتغير آخر، كما إذا افترضنا أن يعيش الطفل في طبقة اجتماعية رفيعة المستوى فهنا نعتبر الطبقة الاجتماعية عامل مستقل والمسبب في تحديد مستوى تحصيله الدراسي إذا ما أردنا أن نجد العلاقة بين الطبقة الاجتماعية ومستوى التحصيل الدراسي للطالب.

2 - متغير تابع (Dependent Variable): وهو المتغير المعتمد الذي يعتمد علي العامل المسبب ويكون متعلقاً به وناتجاً عنه ففي المثال السابق نرى أن

التحصيل الدراسي يعتمد ويتعلق في معيشته في الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وبالإمكان أن يكون المتغير الواحد مستقلاً أو تابعاً حسب الدراسة والغرض من الاختبار، فعلى سبيل المثال، ضغط الدم كما في المثال السابق قد يكون من العوامل المسببة لحدوث الوفيات، أما إذا أرادت دراسة معينة مثلاً، اختبار تأثير الضغوط الاجتماعية والنفسية على ضغط الدم، فالمسألة هنا مختلفة، فضغط الدم هنا لا يعد عاملاً مسبباً إنما يعد عاملاً معتمداً متأثراً بهذه الضغوط الاجتماعية والنفسية. ومن هنا يمكن القول بأن المتغيرات من الممكن أن تلعب دوراً مستقلاً في دراسة معينة، وقد تكون متغيراً معتمداً في دراسة أخرى حسب ما يريد الباحث، وحسب هدف الباحث في دراسته؛ ومن الممكن أيضاً أن يكون هناك متغير واحد مستقل يؤثر في عدة متغيرات تابعة يمكن اختبارها، كما هو الحال بالنسبة للسمنة وتأثيرها على العديد من الأمراض (المتغيرات).

وهناك ما يسمى أيضاً بالمتغير الضابط، وهو المتغير الذي يتم استخدامه في بعض الأوقات حتى يوضح من خلالها الباحث بأن العلاقة التي تحدث بين متغيرين (التابع والمستقبل) هي علاقة ليست عرضية، أي: أن المتغير الضابط يخدم الباحث في معرفة مدى صدق الملاحظة الناجمة من علاقة المتغير المستقبل بالتابع. وإذا أخذنا مثالاً يشرح ذلك، فإن الباحث قد يستخدم على سبيل المثال متغير السن كمتغير ضابط عند عملية اختبار العلاقة بين ضغط الدم والضغوط النفسية؛ إذ إن العمر يلعب دوراً مهماً في التأثير على ارتفاع ضغط الدم، وإذا أراد الباحث اختبار العلاقة بين ضغط الدم وهذه الضغوط، فإنه يقوم بوضع العمر كمتغير ضابط حتى يلاحظ العلاقة بين المتغير المستقل والتابع دون تأثير المتغير الضابط (العمر). وهناك من يطلق المتغير الثالث باسم المتغير المتداخل Intervening variable.

ويمكن أن يقسم المتغير حسب نوع القياس المستخدم في قيم المتغير

فيكون متغيراً متصلاً أو متغيراً منفصلاً أو ذا ترتيب فئوي، فيكون المتغير المتصل مقيماً حسب مقياس ذي مسافة متساوية مثل المسطرة، والعمر، والمتر وهو مقسم إلى فرعين كما سنعرضهما فيما بعد عند الحديث عن وسائل التحليل الإحصائي، والمتغير المنفصل هو الذي يأخذ الجانب الاستقلالي في القيم، ويسمى أيضاً المتغير الاسمي التي لا تقبل الانقسام مثل الاسم ، والديانة، والجنس، وغيرها. إضافةً إلى ذلك فإن هناك متغيراً يخضع إلى ترتيب محدد، كالتعليم، وتقسيم الطبقات الاجتماعية، ودرجات السمنة وهكذا. وسوف يتم التفصيل لهذه المتغيرات عند الحديث عن المعالجة الإحصائية حيث إن هذا التقسيم يخدم المنطلقات الإحصائية للبحوث. (كوكب كامل خير، د.ت: 44–45).

ولابد أيضا من الإشارة إلى قضية أساسية عند كتاب البحث العلمي وترتبط بالمتغيرات، وهي تلك التي تتعلق بالضرورة التي تحتم على الباحث تعريف المتغيرات الخاصة بدراسته. فالتعريف بالمتغيرات مسألة مهمة جداً، ولاسيما في العلوم الاجتماعية بالتحديد، حيث إن وجود تعريف جامع مانع للمفاهيم الاجتماعية قد يكاد يكون أمراً صعباً. ولذلك، وجب على الباحث تحديد أبرز المفاهيم والمتغيرات التي يتم تناولها في البحث ويوضح ماذا يقصد بهذه المفاهيم المستخدمة.

وهناك نوعان من التعريفات، وهما ما يسميان بالتعريف المفهومي والتعريف الإجرائي. وممكن أن نوضحها بالآتي:

1 – التعريف المفهومي: وهو الذي يتضمن مفاهيم تستخدم لشرح مفاهيم أخرى مثل التعريف المفهومي للذكاء، وهو القدرة على التفكير بطريقة مجردة، أو القدرة على حل المشكلات. فهذه التعريفات تقوم بتعريف مفهوم الذكاء بواسطة مفاهيم أخرى (القدرة على التفكير، والقدرة على حل المشكلات) أكثر بساطة وأكثر وضوحاً أو أكثر شيوعاً في معظم الأحيان.

2- التعريف الإجرائي: وهو التعريف الذي يغطي أو يصل الفجوة بين المستوى النظري والفكري، والمستوى العملي (الأمبيريقي) الذي تتم ملاحظته، ومفهوم الإجراءات يتضمن سلسلة من التعليمات التي تشرح العمليات التي يجب أن يقوم بها الباحث ليظهر وجود أو درجة وجود حدث عملي تطبيقي معين معبر عنه بأحد المفاهيم. فعلى سبيل المثال، فإن التعريف الإجرائي للذكاء يتضمن بياناً بالعمليات التي يقوم بها الباحث ليكشف عن وجود الصفة التي تمثل المفهوم. وفي هذه الحالة فإن الباحث على سبيل المثال يعطى عدداً من الأطفال فصلاً من كتاب ليقوموا بقراءته وتلخيصه، والذين يقومون بهذا العمل بنجاح يمكن وصفهم بالأذكياء، والذين يفشلون في تحقيق ذلك ليسوا أذكياء، وهكذا نجد أن التكوين الإجرائي يستخدم كثيراً في بحوث العلوم الاجتماعية.

وهناك مشكلات تتعلق بدرجة توافق كلاً من التعريفين (المفهومي والإجرائي) مع بعضهما، ويلجأ الباحثون في تقويم ذلك باختبارات الصدق للبحث، كما أن هناك العديد من المفاهيم كالمجال الذي لا يستطيع الباحث تعريفه إجرائياً. (كوكب كامل خير، 1998: 44-45).

وهكذا نجد أن الباحثين غالباً يلجأون إلى عرضهم إلى التعريف المفهومي في البداية، ومن ثم يبدأون بعرض للتعريف الإجرائي الذي تنطبق عليه الدراسة، حتى يوضح ماذا يريد أو يقصد من هذا المفهوم في بحثه، وإذا أخذنا مثالاً أخراً على ذلك، فإننا نجد أن تعريف الشباب يختلف من بحث لآخر، ومن باحث لغيره، فنجد أن الباحث يقوم بعرض لبعض التعريفات الخاصة بالشباب، والتي تختلف في تحديد حتى الفترة الزمنية، ومن ثم يقوم بعرض ماذا يقصد بهذا المفهوم في بحثه، وممكن القياس على ذلك بجميع المتغيرات الاجتماعية الأخرى كدرجة التدين، والاغتراب الاجتماعي، والدعم الاجتماعي، والذكاء، والقلق، والاكتئاب، وغيرها من المفاهيم الاجتماعية والسلوكية

المتعددة. فيعمد الباحث إلى استخدام المتغيرات الاجتماعية في بحثه، ويحاول أن يقوم بتحديد هذه المتغيرات.

قياس المتغيرات:-

كما سبقت الإشارة، فإن البحث يتعامل مع المتغيرات؛ ولذلك لابد من معرفة المتغيرات وأنواعها. فالمتغيرات أربعة يمكن تقسيمها على النحو التالي:-

١ - بيانات اسمية (غير رقمية، صماء) Nominal Data:-

ويمكن أن تكون أرقام تستخدم لتعريف المفردات،. فهي عبارة عن تصنيفات مختلفة تأخذ أرقاماً محددة. (أمثلة: ذكر ١، والأنثى 2. مرضى ١، غير مرضى ,2 مسلم ١، غير مسلم 2، الجنسية، الديانة، الجنس، التخصص...). فهي عبارة عن أرقام، وهذه الأرقام لا تحمل أهمية نسبية.

2 - بيانات ترتيبية Ordinal Data:

وهي عبارة عن متغيرات أرقام تخضع إلى ترتيب معين وتم تحويلها إلى أرقام، فهذه الأرقام لها مدلول معين، وتعني مكاناً واضحاً في اختلافها مع الأرقام الأخرى من حيث الترتيب.

أمثلة: الطبقة الاجتماعية (* عليا * وسطى * دنيا)

١ 2 3

* مستوى السمنة (درجة أولى درجة ثانية درجة ثالثة)

١ 2 3

* مستوى الكفاءة لأي منتج (ممتاز معتدل قليل)

١ 2 3

* المستوى الفعلي (فوق جامعي–جامعي– ثانوي – متوسط– ابتدائي)

5 4 3 2 1

إن الفروق بين رقم وآخر ليس لها مدلول وليس لها معنى.

3 – البيانات الفترية (الزمنية) Interval Data:

وهي بيانات وأرقام بينها مسافات متساوية في الطول، ولكن ليس للنسبة بين هذه الفترات (أو المسافات) أية مدلول أو معنى ولا تعكس أي درجة تفضيل، وهذا يعني أن لا نستطيع أن نقول: إن هذه القيمة أفضل من تلك، حيث إن حدود تلك الفترات تبدأ من أي رقم اختياري وليس بالضرورة الصفر، ومثال ذلك درجة الحرارة بداية القياس تبدأ من درجة تجمد المياه تمثل 0,01 (0,01) ولا يعنى الصفر في هذه الحالة فقدان الحرارة، وأيضاً لا تعني درجة 20 إلى 40 أن الإحساس بدرجة الحرارة يكون الضعف (حسنى حمدي، د.ت). ومثال على البيانات الفترية السنوات، درجات الحرارة، المسطرة .. إلخ.

4 – البيانات النسبية Ratio Data:

وهي مشابهة للبيانات الفترية، ولكن للصفر هنا قيمة ذات معنى، فهي بيانات كمية يمكن ترتيبها حسب قيمتها، حيث يعكس الترتيب أهمية نسبية لهذه البيانات، ويقبل هذا النوع من البيانات جميع العمليات الحسابية، والتي لها معنى أو مدلول، ومثال على ذلك المرتبات 260 و 680 و 560 و ,500 فالفروق بين القيم السابقة لها معنى، ويمكن إجراء جميع العمليات الحسابية على القيم السابقة ويظل لنتائج العمليات الحسابية معنى أيضاً (حسن حسني، د.ت) ومن الأمثلة على هذه البيانات الوقت، والوزن.

*** مقاييس النزعة المركزية Scales Central Tendency**

من أبرز العمليات الإحصائية وأشهرها هي تلك المسماة بمقاييس النزعة

المركزية، وتعني مقاييس النزعة المركزية وفكرتها من أن كثيراً من البيانات (الأرقام) تتراكم عند قيمة متوسطة، ثم تبدأ هذه الأرقام بالتناقص بشكل تدريجي كلما بعدت عن القيمة المتوسطة على أي من الجانبين، وهذا التراكم يسمى بالنزعة المركزية، أي: أن المفردات والأرقام تتركز غالبتها في مكان واحد. ومقاييس النزعة المركزية ثلاثة:-

1- الوسط الحسابي (المتوسط الحسابي) Mean

2- الوسيط Median

3- المنوال Mode

1- الوسط الحسابي (المتوسط الحسابي) Mean:

الوسط الحسابي هو ببساطة قسمة مجموعة القيم (الأرقام) على عددها.

مثال:

فإذا كانت الأرقام الآتية تشكل أعمار المستجيبين (35، 20، 40، 25). فإن المتوسط الحسابي سوف يكون:

$$م = \frac{40 + 25 + 20 + 35}{4} = \frac{120}{4} = 30$$

إذا متوسط الأعمار لهؤلاء الأشخاص هو 30 سنة. ويعتبر الوسط الحسابي من أكثر مقاييس النزعة المركزية استخداماً.

2- الوسيط Median:

وهو ببساطة الفئة (أو الرقم) التي يقع في منتصف البيانات، ولمعرفة قيمة الوسيط فإنه ينبغي علينا أن نقوم بعملية ترتيب القيم، ومن ثم يتم اختيار منتصف القيم على أنه هو الوسيط.

مثال:

لدينا مجموعة من القيم وهي: 6 ، 17 ، 5 ، 27 ، 50 ، 60 ، 17

فترتب القيم تصاعدياً: 5 ، 6 ، 7 ، 17 ، 27 ، 50 ، 60

أو تنازلياً : 60 ، 50 ، 27 ، 17 ، 7 ، 6 ، 5

فالقيمة الوسطية هنا هي القيمة الرابعة من حيث الترتيب، وهي في هذا المثال رقم (17).

وإذا كان العدد الخاص بالقيم زوجياً، كأن تكون 6 فإن ذلك يلزم علينا استخدام العملية الحسابية التالية لاستخراج الوسيط:-

$$\text{الوسيط} = \frac{\text{العدد} + 1}{2}$$

مثال: 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 6 ، 6

$$\text{الوسيط} = \frac{6+1}{2} = \frac{7}{2} = 3,5$$

أي أن الوسيط يقع بين العددين 3 ، 4

3 – المنوال Mode:

وهي القيمة التي تحدث أكثر من غيرها، أو الفئة أو القيمة أكثر شيوعاً.

مثال:

فإذا كان هناك قيماً مثل:

5 ، 3 ، 7 ، 9 ، 5 ، 16 ، 20 ، 5 ، 35

فإن المنوال هنا رقم 5 حيث تكرر أكثر من غيره بواقع 3 مرات.

وقد يكون هناك في العينة أكثر من منوال عندما يتشابه تكرار فئتين مثلاً.

مثال:

4، 18، 4، 6، 14، 13، 6

فنجد أن القيمة 6 ، 4 قد تكررت لمرتين وبعدد المرات نفسها. فالمنوال هنا هو: 4 و6

*** مقاييس التشتت Measures of Variability**

التشتت يقصد به التباعد أو الاختلاف ما بين المفردات، فقد يكون مقياس التشتت صغيراً عندما يكون الاختلاف بين المفردات صغيراً ، وقد يكون التشتت كبيراً إذا كان الاختلاف بينهما كبيراً.

مثال:-

المجموعة الأولى : 13 ، 15 ، 22 ، 32 ، 43

المجموعة الثانية : 6 ، 16 ، 22 ، 29 ، 52

ما الوسط الحسابي؟ وما الوسيط؟

الوسط هو 25 في المجموعتين $\frac{125}{5} = 25$ والوسيط 22

ولكن درجات المجموعة الأولى موزعة بين (13 ، 43) بينما المجموعة الثانية موزعة بين (6 ، 52). مدى المجموعة الثانية أوسع من مدى المجموعة الأولى،

وهذا يدل على أن التباعد بين مفردات المجموعة الثانية أكبر منه بين مفردات المجموعة الأولى (وزارة التربية ، 1982).

هناك مقاييس متعددة لقياس التشتت وهي :-

1 - المدى Range:

المدى لمجموعة من القيم هو الفرق بين أكبر قيمة وأصغر قيمة، وهو أبسط مقاييس التشتت لسهولة إيجاده حسابياً.

مثال:

المجموعة 5 ، 7 ، 40 ، 11 ، 12 ، 10 ، 15

المدى هنا 40 – 5 = 35

2 - نصف المدى الربعي (الانحراف الربعي) Interquartile Range:

وهي عملية تحديد المدى بحيث لا تؤثر القيم المتطرفة في المجموعة، فيتم ترتيب القيم إما تصاعدياً أو تنازلياً، ثم يتم حذف القيم من كل من الطرفين، ويتم تقسيم القيم إلى أربعة أرباع في نقاط ثلاث وتسمى بالربيعات.

1 – الربع الأول (الأدنى): وهي قيمة يسبقها ربع القيم ويزيد عنها ثلاثة أرباع القيم.

2 – الربع الثاني: القيمة المتوسطة بين الربيعيين.

3 – الربع الثالث (الأعلى): قيمة يسبقها ثلاثة أرباع القيم وعليها ربع القيم.

3 - الانحراف المعياري Standard Deviation:

يعتبر الانحراف المعياري من أهم مقاييس التشتت وأكثرها استخداماً، ويهدف إلى إيجاد مدى تباعد القيم عن المتوسط، وذلك عن طريق عملية حسابية يتم حساب التباين بين المتغيرات أولاً ويتم حسابه طبقاً للخطوات

التالية (صالح العساف، 1995):-

ا- ترتيب القيم (تصاعدياً أو تنازلياً).

2- حساب المتوسط الحسابي للقيم.

3- حساب الفرق (الانحراف) بين كل قيمة وبين المتوسط الحسابي.

4- تربيع كل قيمة (ضربها بنفسه).

5- جمع حاصل التربيع.

6- حساب التباين Varianceأي قسمة مجموع حاصل التربيع على عدد الحالات.

7- حساب الانحراف المعياري وهو الجذر التربيعي للتباين.

مثال:

لحساب الانحراف المعياري من القيم التالية:

8، 14، 6، 12، 10

ا- 6، 8، 10، 12، 14

2- المتوسط الحسابي = 50 / 5= 10

3- فرق (انحراف) كل قيمة عن المتوسط = 4، -2، 0، +2، +4

4- تربيع القيم = 16، 4، 0، 4، 16

5- مجموع حاصل التربيع = 16+ 4+ 0+ 4+ 16= 40

6- التباين 40 = Variance- 5= 8

7- الانحراف المعياري= 8 = 2,8

ويمكن تلخيص معنى التباين والانحراف المعياري بالتالي: «التباين Variance يعرف بأنه حاصل قسمة مجموعة مربعات الفروق بين القيم ووسطها الحسابي على عدد القيم». إذا كانت قيمة التباين كبيرة فهذا يدل على تباعد قيم المتغير عن وسطها، وصغر قيمة التباين تدل على تقارب قيم المتغير

من وسطها. ويؤخذ على التباين أنه يعكس صورة عن مربعات الانحرافات، فمثلاً إذا كان المتغير محل الدراسة يقاس بالدينار فإن التباين لهذا المتغير يقاس بالدينار تربيع. وللتغلب على هذا المأخذ يتم حساب ما يسمى بالانحراف المعياري Standard Deviation وهو عبارة عن الجذر التربيعي للتباين.

*** مقاييس العلاقة Measures of Relationship (Correlation)**

- مقاييس العلاقة هي وصف لقوة واتجاه (طبيعة) العلاقة بين المتغيرات. فهي تحاول أن تجد علاقة بين متغيرين أو أكثر، فيحاول الباحث مثلاً أن يجد العلاقة بين متغير الذكاء والتحصيل الدراسي ويكتشف فيما لو هناك علاقة من عدمه، إضافةً إلى البحث في اتجاه هذه العلاقة سلباً أم ايجاباً.

- درجة الارتباط:

ويمكن تحديد قوة درجات الارتباط بالآتي (Davis, 1971):-

	العلاقة	وصفها	
1-	0,70 أو أكثر	علاقة قوية جداً	Very Strong association
2-	0,69-0,50	علاقة متينة	Substantial association
3-	0,49-0,30	علاقة معتدلة	Moderate association
4-	0,29-0,10	علاقة ضعيفة	Low association
5-	0,09-0,01	علاقة زهيدة	Negligible association

وأكبر قيمة لدرجة الارتباط تساوي (1) صحيح، ويعني هذا أن العلاقة تامة وكاملة بين متغيرين.

- **أنواع الارتباط:**

يمكن تحديد أنواع الارتباط على النحو الآتي:-

1- **ارتباط طردي:** وهي زيادة في المتغير الأول تصاحبها زيادة في المتغير الثاني. وإذا حدث نقص في المتغير الأول يصاحبه نقص في المتغير الآخر. وعلى سبيل المثال إذا كان هناك زيادة في الطول تقابلها زيادة في الوزن.

2- **ارتباط عكسي:** وهو إذا زاد المتغير الأول يصاحبه نقصان في المتغير الثاني، أو إذا حدث نقص في المتغير الأول يصاحبه زيادة في المتغير الآخر، وعلى سبيل المثال إذا كان هنا زيادة في مستوى الذكاء يقابلها نقصان في معدلات الرسوب.

ويمكن تقسيم الارتباط على أساس أنه أيضاً:-

1- **ارتباط موجب:** يعنى أن جميع القيم في مجموعة المتغير الأول تتبعها جميع القيم في المجموعة الخاصة المتغير الثاني، فكلما زادت قيمة القيم في مجموعة المتغير الأول زادت قيمة القيمة في مجموعة المتغير الثاني.

2- **ارتباط سالب:** وهي على العكس من الارتباط الموجب، فكلما قلت قيم مجموعة المتغير الأول قلت معه قيم مجموعة المتغير الثاني.

مقاييس الارتباط (العلاقة)

هناك مقاييس خاصة للعلاقة تستخدم كلٌ منها حسب المتغيرات المستخدمة. ويمكن تحديد المقاييس المستخدمة على النحو التالي:-

1- معامل ارتباط بيرسون Pearson

2- معامل ارتباط سبيرمان Spearman

3- معامل ارتباط كيندال Kendal tau

وهذه المقاييس الثلاثة تستخدم حسب المتغيرات ونوعها، فنوع المتغيرات يحكم أي معامل من هذه المعاملات يتم استخدامها، فإذا كانت هناك رغبة في

إيجاد:

- علاقة بيانات ترتيبية في مقابل بيانات ترتيبة فيفترض أن يستخدم الباحث معامل سبيرمان أو كيندال.
- علاقة بيانات ترتيبية أو بيانات فترية في مقابل بيانات نسبية، فيفترض أن يستخدم الباحث معامل سبيرمان أو كيندال.
- علاقة بيانات فترية أو نسبية في مقابل بيانات ترتيبية، فيفترض أن يستخدم الباحث معامل سبيرمان أو كيندال.
- علاقة بيانات فترية أو نسبية في مقابل بيانات فترية أو نسبية، فيفترض أن يستخدم الباحث معامل بيرسون Pearson.

مثال:

يريد الباحث أن يختبر وجود علاقة بين مقياس العزلة الاجتماعية وبين بعض المتغيرات المرتبطة بزمن ومدة استخدام الإنترنت، والمتمثلة بمتغيرات متوسط عدد الساعات التي يقضيها الفرد باستخدام الإنترنت بشكل عام، وفي الأيام العادية، وفي عطلة نهاية الأسبوع، ومدة استخدامه للإنترنت.

المتغيرات	معامل الارتباط
عدد ساعات استخدام الإنترنت	*,30
عدد ساعات استخدام الإنترنت في الأيام العادية	*,41
عدد ساعات استخدام الإنترنت في عطلة نهاية الأسبوع	*,07
مدة استخدام الإنترنت	*–,12

من خلال الجدول يمكن توضيح الآتي:

- علامة النجمة (*) الموجودة على القيمة هي عبارة عن الدلالة الإحصائية كما سنراها لاحقاً، بمعنى أن هناك علاقة، عدا في البند الثالث.
- القيمة الموجودة توضح أمرين:
  - طبيعة العلاقة (سالبة أو موجبة، بمعنى عكسية أو طردية).

- درجة العلاقة وقوتها كما هي موضحة بالجدول السابق (قوية أو معتدلة أو ضعيفة..).

*** اختبار (ت) T - test:**

وهو اختبار يستخدمه الباحث عندما يريد أن يقوم بقياس الفروق في المعدل أو المتوسط الحسابي بين متغيرين، فالهدف من وراء هذا الاختبار هو معرفة وقياس الفرق بين متوسطين أو معدلين حتى يتم الكشف من خلاله على مستوى الدلالة الإحصائية بين هذين المتوسطين، فينطلق الباحث من الفرضية التي تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متغير (س) ومتغير (ص).

مثال:

عندما يهدف الباحث لمعرفة ما إذا كانت عناك فروق ذات دلالة إحصائية بين العمر بين الجنسين في أحد المؤسسات مثلاً، فإن اختبار (ت) T - test يحاول الإجابة عن هذا التساؤل. ونلاحظ الجدول المرفق الذي يوضح النتائج لهذا الاختبار:

المؤسسة	العدد	العمر بالسنوات		
		المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت
مؤسسة 1	450	34,5	4,04	*2,09
مؤسسة 2	147	38,4	6,81	

من خلال الجدول، يمكن توضيح الآتي:

- عدد أفراد المؤسسة الأولى التي طبقت عليهم الدراسة بلغ 450 فرداً، ومتوسط العمر 34,5 بانحراف معياري (4,04).

- عدد أفراد المؤسسة الثانية التي طبقت عليهم الدراسة بلغ 147 فرداً، ومتوسط العمر 38,4 بانحراف معياري (6,51).
- ذلك يعني أن هناك فروقاً بين المتوسطين (بين معدلات الأعمار). والفروق دالة إحصائياً.
- علامة النجمة (×) الموجودة على قيمة ت هي عبارة عن الدلالة الإحصائية كما سنراها لاحقا.

اختبار تحليل التباين Analysis of Variance (ANOVA)

وهو يراد به أن يختبر الباحث ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين ثلاثة متوسطات أو أكثر. فهو اختبار شبيه لاختبار (ت)، ولكن إذا كانت هناك ثلاثة متغيرات أو أكثر فيحاول أن يختبر الباحث وجود هذه الفروق فإنه يلجأ إلى هذا الاختبار بدلاً من اختبار (ت).

مثال:

إذا أراد الباحث اختبار ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية ما بين الأزواج من الأقارب من الدرجة الأولى، ومن الدرجة الثانية، ومن غير الأقارب وما بين قيمة المهر المقدم، فيلجأ الباحث إلى استخدام اختبار تحليل التباين، وذلك للحاجة إلى معرفة قيمة معدل المهر لثلاثة أنواع من الزواج.

*** اختبار مربع كاى Chi - Square**

هدف هذا الاختبار هو مقارنة التكرارات الملاحظة (وهي تلك التكرارات التي يتم الحصول عليها بواسطة البحث نفسه) وبين التكرارات المتوقعة (وهي التكرارات المتوقعة إذا كانت المجموعات متساوية).

فهذا الاختبار يحاول قياس هل الفرق بين التكرارات الملاحظة والتكرارات المتوقعة في المعلومات فرق ذو دلالة إحصائية أم أنه حصل مصادفة. وهو

أسلوب يتناسب مع البيانات من المستوى الاسمي والتي توضع في صورة تكرارات لفئات أو أقسام مستقلة.

مثال:

ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك فيما يلي (رجاء محمود أبو علام، 1999: 597):-

لنفرض أن باحثاً استوقف 90 مشترياً في أحد الأسواق المركزية، وسألهم تذوق ثلاثة أنواع من الحلوى مجهولة للمشترين، وعلى كل منهم أن يذكر للباحث أي الأنواع الثلاثة يفضل. ولنفرض أن 40 من المشترين اختاروا الصنف «أ»، و 30 اختاروا الصنف «ب» و20 اختاروا الصنف «ج». فإذا كان الفرض الصفري صحيحاً أي: أن مذاق الأنواع الثلاثة من الحلوى واحد، فإننا نتوقع أن تكون تكراراتها 30، 30، ,30 ولاختبار أن التكرارات الفعلية (40، 30، 20) تختلف اختلافا دالاً إحصائياً عن التكرارات المتوقعة (30، 30، 30) فإننا نستخدم اختبار مربع كاي، فإذا كانت قيمة مربع كاي دالة نرفض الفرض الصفري، ونستنتج أن الأنواع الثلاثة من الحلوى مختلفة المذاق.

*** الانحدار Regression**

يستخدم تحليل الانحدار أداة إحصائية لقياس العلاقة بين متغيرين كميين أو أكثر، وذلك بهدف التنبؤ بقيم أحد المتغيرات عند تغير الآخر.

لو افترضنا وجود متغيرين، ورمزنا للمتغير لأول بالرمز (X) بحيث إنه متغير مستقل و(Y) متغير تابع، فإن لكل قيمة من قيم (X) قيمة مناظرة لها من قيم (Y) وخير وسيلة للتعرف على طبيعة الدلالة من حيث هل هي دلالة خطية أو غير خطية هي رسم وشكل الانتشاري Scatter Diagram لأزواج القيم الخاصة بـ(X)، (Y).

فلو افترضنا أن لدينا بيانات عن أطوال وأوزان مجموعة من البالغين الذكور أو الإناث في مجتمع الدراسة. فإذا رمزنا للطول بالرمز (X) وللوزن بالرمز (Y) فإنه يوجد لكل مفردة قراءتين (X، Y)..

هناك عند كل طول معين عدة قراءات مختلفة من الأوزان، وهذا الاختلاف يرجع إلى مصدرين إما خطأ القياس أو يرجع إلى اختلاف بين الأشخاص من حيث نحافتهم أو سمنتهم.

ولذا فإن العلاقة ليست تامة بين المتغيرين، بمعنى أن التغير في الطول يتبعه تغير في الوزن في الاتجاه نفسه، ويساعدنا تقدير خط الانحدار في نواح ثلاث هي:-

1- وصف العلاقة بين المتغيرين.

2 - المراقبة.

3 - التنبؤ. (ربيع زكي عامر، 1989)

*** مستوى الدلالة الإحصائية Level of Significance**

السؤال الذي يظل عالقاً في الأذهان عند استخدام الوسائل الإحصائية، وخاصة أساليب الإحصاء الاستدلالي هو هل ما توصلنا إليه من نتائج يعد معبراً عن رأي المجتمع كله؟ هل النتائج التي توصل إليها الباحث باستخدام الأسلوب الإحصائي يمثل المجتمع إحصائياً وأن هذا الرقم يعكس دلالة إحصائية صحيحة؟

يفترض على الباحث أن يبرهن في بعض الأوقات على صحة ما يتخذه من حكم، ويؤكد بأنه لم يقع في خطأ، فهنا يحدد الباحث ما يسمى بمستوى الدلالة الإحصائية، والذي يؤكد نية الباحث أعلى احتمال للخطأ يمكن أن يقع فيه مصادفة. فهنا نستطيع تعريف مستوى الدلالة الإحصائية Level of Statistical Significance بأنه القيمة التي تدل على أعلى

احتمال للوقوع في الخطأ مصادفة (صالح العساف، 1995).

إن مستوى الدلالة يحدده الباحث. فهناك من يضع ١٪ (0,01) ،أو 5٪ (0,05) أو 10٪ (0,10)، وكثيراً ما يستخدم مستوى الدلالة 5٪ (0,05) في كثير من الدراسات الاجتماعية، وهذا يعنى أن الباحث يؤكد بنسبة 95٪ بأن ما توصل إليه من حكم يتمشى مع الواقع تماماً، ولكن لا يزال هناك احتمال بنسبة 5٪ بأنه لا يتمشى مع الواقع، وإنما قد يكون حدث بمحض المصادفة (صالح العساف: 140).

فإذا قلنا مثلاً في أحد الفروض بأن:

«هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين عند طلبة الجامعة حول اتجاهاتهم نحو قانون الاختلاط»

فإذا حدد الباحث مستوى الدلالة بـ 5٪ فإن ذلك يعني أن الباحث يؤكد بنسبة 95٪ أن هناك فرقاً بين الجنسين في اتجاهاتهم نحو قانون الاختلاط، وبأن النتيجة التي توصل إليها صحيحة، وتتمشى مع الواقع، وأن هناك احتمال 5٪ فقط بأن ليس هناك فرق في الاتجاه.

الباب الثالث

كتابة البحث العلمي

الفصل السادس عشر
كتـابـة تقـريـر البحـث

الفصل السادس عشر

كتابة تقرير البحث

تقرير البحث:

يختلف تقرير البحث من حيث حجمه ونوعه وشكله باختلاف الهدف الأساسي للبحث نفسه، فإن كان هدف تقرير البحث تسليمه كمادة لرسالة الماجستير والدكتوراه مثلاً، فإنه بلا شك يختلف في حجمه عن تقرير البحث الذي يقوم الباحث بتسليمه بهدف نشره في مجلة علمية، فالهدف من رسالة الماجستير والدكتوراه هو إعداد الطالب للمرحلة البحثية، ولذلك فإن سرد الباحث أو الطالب بجميع التفاصيل في تقريره يعد أمراً مهماً كما يراه البعض، وإن كان هناك اتجاه عام في بعض المدارس الغربية للتقليل من حجم هذا التقرير ليصل إلى حجم التقرير المعد للنشر في مجلة علمية في كثير من الأحيان، ولكن على الرغم من ذلك، يحافظ العديد من المرشدين الأكاديميين على أن يلتزم طلابهم بحجم المادة الكبير بالنسبة لرسائل الماجستير والدكتوراه على وجه التحديد، وقد يكون عاملاً آخراً يؤدي إلى كبر حجم الرسالة الخاصة بالماجستير والدكتوراه، والذي يتمثل بتناولها لمواضيع مختلفة، وتختبر فرضيات أكثر من الورقة التي يتم نشرها في مجلة علمية، ولكن على الرغم من ذلك، فإن هناك توجهاً في عملية الاعتماد على التقرير صغير الحجم.

وتختلف التقارير من حيث نوعها أيضاً من حيث إنها- كما سبقت الإشارة- رسالة ماجستير أو دكتوراه أو بعض التقارير المستفيضة لدراسات كبيرة، أو كتقارير تعد للنشر في مجلات علمية، أو تقارير تطلبها بعض الجهات الحكومية أو الأهلية وغيرها من التقارير. فهناك عدة أنواع من التقارير

البحثية والتي يفترض أن تكون جميعها مبنية على أسس علمية وواضحة. ولعل التقارير الخاصة بالدراسات العليا تقوم وفقاً لهدف معين وخطة علمية محددة، وكذلك الحال بالنسبة لبقية التقارير البحثية الأخرى.

إن نشر البحث من عدمه، أو رغبة الباحث لنشره أم لا هي قضية مهمة، إضافة إلى طريقة نشره أيضا تؤثر بشكل مباشر في شكل التقرير وترتيبه، فلو أن البحث سوف لن يتم نشره، وسيقدم للمختصين كما في الرسائل الجامعية، فإن الباحث يحاول إبراز نقاط متعددة ويسهب فيها كما سبقت الإشارة، أما إذا كان التقرير سيتم نشره، فلابد من أن يوضع في الاعتبار طريقة النشر، فالتقرير الذي ينشر للطلاب يهتم ببعض التفصيلات النظرية والمنهجية، والتقرير الذي سوف ينشر في مجلة علمية متخصصة لابد أن يكون على درجة من الإيجاز والعمق والتغاضي عن كثير من التفصيلات، إلا إذا تطلب الأمر غير ذلك، أما إذا كان سينشر للقارئ غير المتخصص، فيكون الاهتمام بالنتائج والاستخلاصات ذات الصبغة التوضيحية والتطبيقية، وإذا كان سيقدم لأحد المسؤولين، فالمرغوب فيه الإيجاز الشديد، والعرض الكمي البسيط والواضح وإبراز التوصيات التطبيقية، وهذه الأمور تبرز إمكانية كتابة أكثر من تقرير للبحث الواحد تختلف في حجمها، وأسلوبها وتفصيلاتها باختلاف القارئ وطريقة النشر. وفي بعض الأحيان يحاول التقرير أن يوازن بين حاجة المختصين، والقارئ غير المتخصص أو رجل التخطيط والتنفيذ، وهو ما يستخدم في الغالب لنيل الدرجة العلمية من ماجستير ودكتوراه (عبد الباسط عبد المعطي، 1995 : 424).

ووفقاً لهذا السياق نجد أن العديد من الباحثين الذين ينالون درجة الدكتوراه، يقومون بنشر أبحاثهم عبر عدة طرق، فمن الممكن أن ينشروها ككتاب بشكل كامل، أو ينشروها كبحث يقدم إلى مجلة علمية بعد أن يقوموا بعملية تلخيص المادة، فالهدف هنا قد غير من شكل وحجم التقرير.

أما فيما يتعلق بالتقارير البحثية التي تنشرها المجلات العلمية فمن الممكن ذكر ثلاثة أنواع منها (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 602-603):-

1 - تقارير الدراسات الأمبيريقية:

وهي التقارير الأولية الأصيلة للبحوث والتي تتكون من عناصر محددة تشمل المقدمة التي تضم موضوع البحث والغرض من دراسة المشكلة، ومنهج البحث، والنتائج والمناقشة. (سوف يتم التعرض لها بإسهاب خلال السطور القادمة).

2 - مراجعات البحوث:

وهذه تشمل أيضاً بحوث التحليل البعدي، وهذه المراجعات هي في الواقع تقويم دقيق للمواد التي نشرت بالفعل، إذ تتناول بالتنظيم، والتكامل، والتقويم البحوث السابق نشرها، ويحاول الكاتب في هذه المراجعات أن يبين مدى تقدم البحث نحو توضيح مشكلة معينة، وفي هذه المراجعات يحاول الكاتب أن يعرف القارئ بالجوانب الآتية:

أ - تحديد المشكلة وتوضيحها.
ب - تلخيص البحوث السابقة لتعريف القارئ بالوضع الحالي للبحث.
ج - التعريف بالعلاقات، والتناقضات والفجوات التي قد توجد في البحوث السابقة.
د - اقتراح الخطوة أو الخطوات التالية لحل ما قد يكون هناك من مشكلات.

وتنظم عناصر المراجعة وفقاً للعلاقات بين هذه العناصر، وليس وفقاً للتابع الزمني كما هو الحال في تقارير البحوث الأمبيريقية.

3 - المقالات النظرية:

التي يحاول الكاتب فيها أن يستمدها من البحوث السابقة ليؤكد على

نظرية من النظريات الاجتماعية أو التربوية أو النفسية، وتتشابه مراجعات البحوث والمقالات النظرية من حيث بنائها، إلا أن المقالات النظرية لا تتعرض للبحوث الأمبيريقية إلا إذا كان لها تأثيرها على القضايا النظرية التي يتناولها المقال، ويحاول كاتب المقال النظري تتبع تطور النظرية ليحاول توسيع معنى المفاهيم النظرية وبلورتها، ويقوم عادةً الكاتب بتقديم نظرية جديدة، إلا أنه قد يقوم بتحليل نظرية قائمة، ليبرز ما بها نواحي القوة أو الضعف، أو يحاول أن يقارن بين عدة نظريات مبرزاً أفضلها، ويحاول الكاتب في المقالات النظرية فحص التناسق الداخلي والخارجي للنظرية، ليبين ما قد يكون هناك من تناقضات داخلية في النظرية، أو تناقضات بين النظرية والملاحظات الأمبيريقية، وتنظم أقسام المقال النظري وفقاً للعلاقات بين عناصر المقال، كما هو الحال في مراجعات البحوث.

فيجب على الباحث في جميع هذه البحوث وأنواعها أن يكون قد قام بالعديد من القراءات والإطلاع على المصادر المختلفة، وأن يكون قد لاحظ وقام بالتجريب، وهو في النهاية غير مطالب بأن يقوم بتدوين كل ما قام بقراءته. ما هو مطلوب منه هو أن يقوم بتدوين وتسجيل المهم، والذي يرتبط بصورة مباشرة بموضوع بحثه، ولذلك نستطيع أن نقول: إن تقرير البحث ما هو إلا نهاية مطاف الباحث في دراسته وتجاربه وقراءاته، فيقدم بصورة واضحة ودقيقة ما قد قام به وما بذله من جهد. ويقدم في صورة ورقية ملخصاً لما بذله من جهد وما توصل إليه. ولذلك، فإن تقرير البحث يفترض أن يكون:

1 – وصفاً واضحاً للجهد الذي بذله الباحث.

2 – الخطوات والأساليب التي اتبعها الباحث في هذا البحث.

3 – النتائج التي توصل إليها ومناقشتها.

وثمة نقطة أساسية في هذا الجانب ترتبط بطريقة كتابة تقرير البحث، وهي تلك التي تتمثل بالجمهور المستفيد من التقرير، فالسؤال الذي يُطرح هو

من الجمهور الذي سيقرأ هذا التقرير ويستفيد منه. فجمهور المستفيدين من التقرير يحددون مشكلته وأسلوبه ومحتوياته. فلو طُلب من الباحث كتابة تقرير لمختصين، يتطلب منه إبراز عدد من الأمور على مستوى التفصيل، ومحاولة الإيجاز في مرة أخرى. وحتى بالنسبة للباحثين المختصين فمنهم من ينتمي إلى تخصص الباحث المباشر، ومنهم من ينتمي إلى تخصصات أخرى قريبة من تخصص الباحث، وهو الأمر الذي يقتضي من الباحث أن يوضح بعض الأمور المتعلقة بتخصص الباحث في الوقت التي توجز فيه جوانب أخرى متعلقة بالمنهج (عبد الباسط عبد المعطي، 1995 : 421).

وبالإمكان أن يصور تقرير البحث ويوجه إلى مجموعة واسعة من الجمهور، ابتداءً من العلماء المهتمين بالبحث العلمي حتى عامة الناس، فبالإمكان تصنيف الجمهور إلى الفئات الآتية (علي عبد الرزاق جلبي، دار المعرفة الجامعية،1996، الإسكندرية : 398) :-

1 – العلماء المهتمون بالبحث الأساسي.
2 – العلماء المنشغلون بالبحث التطبيقي.
3 – الممارسون والعاملون في هيئات الخدمات.
4 – صانعو السياسة.
5 – المشرفون على البحوث.
6 – عامة الناس.

فكل من هؤلاء يمكن استخدام طريقة معينة لكتابة تقرير خاص بهم، والذي يجب أن يتصف بشكل عام– كما سبقت الإشارة– إلى أنه وصف للجهد المبذول، والخطوات والأساليب المستخدمة، والنتائج المستخلصة. فالقاعدة العامة لكتابة التقرير تقول أنه ليس من المهم أن تقوم بالتفكير بموضوع بحثي مهم فحسب، إنما من المهم أيضاً أن يكون تقرير البحث الذي يقوم الباحث بكتابته قادر على توصيل الرسالة.

أسلوب كتابة تقرير البحث:

لا شك أن كتابة تقرير البحث تختلف بشكل كبير عن الأنماط الأخرى من الكتابة في مجالات أخرى، فهو أسلوب يختلف عن كتابة القصة، ويختلف عن كتابة المقالة الصحفية، ويختلف أيضاً عن كتابة الأفكار والمذكرات الخاصة وحتى كتابة الكتب. فللتقرير العلمي البحثي أسلوب وطريقة محددة يفترض أن يلتزم بها الباحث، ولعل هناك مجموعة من القواعد حول أسلوب كتابة تقرير البحث والتي من الممكن إيجازها فيما يأتي (محمود رجاء أبو علام، 1999: 612–616؛ American Psychological Association, 1994: pp:32-31) :–

1 – عرض الأفكار بشكل منتظم:

من المهم جداً تنظيم الأفكار والمفاهيم ووحدات البحث تنظيماً متماسكاً، يساعد على تتابع فقرات البحث في سهولة وانسياب وبشكل معقول، ويجب أن تعرض الأفكار سواء كانت مادة هذه الأفكار كلمة أو جملة، أو فقرة أو أكبر من ذلك عرضاً منظماً، ويجب على الباحث أن يحقق الاستمرار في الكلمات والمفاهيم، وفي تتابع العناصر من بداية التقرير حتى نهايته، حتى يفهم القارئ ما يعرضه الباحث، ويرتبك القراء إذا اختلفت الكلمات أو العبارات في الجمل، أو إذا ابتعد الباحث عن اللغة العادية المألوفة، أو ازدحم تتابع الأفكار بفيض غير ضروري من الكلمات، والأمور غير المرتبطة بالموضوع.

2 – استخدام الكلمة بدقة:

من المهم استخدام الكلمات بطريقة تجعل معنى الكلمة واحداً في التقرير، وتوصل بالضبط ما يريده الباحث، مثال ذلك استخدام كلمة يشعر لتعني يفكر، أو استخدام بعض الكلمات العامية، أو استخدام الكلمة الأجنبية في الوقت الذي يستطيع فيه الباحث اختيار كلمة عربية تعطي المعنى نفسه.

3- سلامة التعبير:

تتصف الكتابة العلمية بتجنب أساليب التعبير الإنشائي مع الالتزام بالوضوح والكتابة المنطقية، فالاهتمام بجمال التعبير تعد أمراً غريباً على الكتابة العلمية، إضافةً إلى ذلك قد يغيب أحياناً على الباحث بعض المشكلات فيما يكتب، مثال على ذلك ما قد يوجد بتقريره من تناقضات يسهل على القارئ اكتشافها، ويرجع ذلك إلى أنه قد قضى وقتاً طويلاً جداً من مادته مما قد يفقده الموضوعية، ولذلك فإن أعطاء النسخة الأولى من التقرير لأحد الزملاء لقراءته قد يكشف مثل هذه التناقضات، ويمكن للباحث نفسه اكتشاف ما قد يوجد بالتقرير من غموض، أو بعد عن الموضوع، أو حدة في التعبير وذلك بأن يضع التقرير بعد الانتهاء منه حالياً، ثم يعود إليه بعد فترة، وفي هذه الحالة سوف يقرأه غالباً بنظره جديدة، ويكون قادراً على اكتشاف ما به من عيوب فيصلحها. فبالإمكان التعديل وإضافة بعض الفقرات أو العبارات إذا شعر أنه انتقل بشكل مفاجئ من فقرة إلى أخرى أو إذا اكتشف أنه قد ترك فكره قبل مناقشتها.

4- تجنب الغموض:

ينتج الغموض من ألفة الباحث الشديدة بدراسته لدرجة أنه قد لا ينتبه لبعض الجمل غير الواضحة. والباحثون يفهمون المعنى المقصود مما يكتبون، لا لوضوح معناه، ولكن لانهماكهم في البحث، ومعرفتهم بكل دخائله، ولذلك قد تجد في التقارير كثيراً من الجمل المركبة المتتابعة التي تربك القارئ دون أن ينتبه الكاتب إليها، وكذلك استخدام الصفات والنعوت بكثرة، مما يجعل المعنى معقداً، ومما يقلل من وضوح المعنى استخدام الأرقام والرموز لتعبر عن المجموعات الفرعية، والأفضل استخدام كلمة تعبر عن المجموعة، فبدلاً من استخدام رقم (1) يمكن كتابة المجموعة التجريبية، وبدلاً من المجموعة رقم (2) يمكن كتابة المجموعة الضابطة، وهكذا.

5 – **الاقتصاد في التعبير:**

الكتابة الجيدة تنساب في سلاسة، وهناك عدة مبادئ للكتابة تساعد على ضمان حسن التعبير. منها استخدام الانتقال المناسب من فكرة إلى فكرة، وتجنب الكتابة بأزمنة فعلية مختلفة في وقت واحد، كما يجب أن يتناسب الفعل والفاعل لغوياً، ولعل أصعب هذه القواعد هو الانتقال من فكرة إلى أخرى؛ إذ كثيراً ما نجد موضوعات تقدم فجأة، وموضوعات أخرى تنتهي قبل أن يكتمل نموها، ويجب أن يكون زمن الفعل واحداً في كل فقرة، ولكن يمكن استخدام أزمنة مختلفة خلال التقرير كله، فأحيانا يكون من المناسب استخدام الفعل في زمن معين. فالنتائج مثلاً يجب عرضها في الزمن الماضي، أما التعميمات والفروض فيجب صياغتها في الزمن الحاضر. ويترتب على ذلك كتابة البحوث السابقة في الفعل الماضي. أما عند مناقشة النتائج فمن الأفضل كتابتها في الزمن الحاضر على شكل محاورة بين الكاتب والقارئ، ومن النادر استخدام الأفعال في الزمن المستقبل.

6 – **الحصول على تغذية راجعة:**

من الأفضل أن يطلب الشخص المساعدة والنقد من الآخرين حول ما يكتبه، وبخاصة خارج الحقل الأكاديمي، وذلك للحصول على تغذية راجعه فيما يكتب بأسلوب الكتابة. وقد يصعب على الفرد أن يطلب من الآخرين قراءة ما يكتب. ولكن إذا كان الباحثون يهتمون بأن تكون كتابتهم جيدة بما يمكنهم من إيصال المعلومات بسهولة إلى الآخرين، فمن الضروري لهم طلب المساعدة من الآخرين بعرض ما كتبوا عليهم والحصول على تغذية راجعه منهم حول ما كتبوه.

ولذلك فإن هذه النقاط هي التي من الممكن أن تميز التقرير العلمي عن بقية أنواع الكتابات الأخرى، ولاشك أن المقدرة على الكتابة وترابط العبارات

والقدرة على تحويل الأفكار إلى ألفاظ تكتب على الورق تحتاج إلى مهارة وتدريب يستطيع أن ينميها الباحث بالممارسة، وهي بطبيعة الحال كتابة تعد أسهل نسبياً من الكتابة الأدبية أو حتى كتابة المقال الصحفي الذي يركز على العديد من المحاور حتى تستكمل جوانب المقالة.

وفي هذا الصدد من الممكن التمييز بين تقرير البحث والمقالة الشخصية أو الصحفية في الفروق التالية (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):-

1 - يمر البحث بخطوات واضحة، فهو يبدأ بتسجيل المشكلة، والفروض، والمنهج المستخدم، ومن ثم النتائج التي تم التوصل إليها، فهو يكشف عن إضافة علمية جديدة. أما المقالة فهي تبرز مشكلة أو رأي للكاتب في هذه المشكلة، وقد تكون تلخيص لآراء الآخرين حول مشكلة معينة.

2 - للبحث قواعد علمية محددة لا يمكن أن يخرج عنها الباحث، فهو يوثق المعلومات والمراجع والكتب التي استند عليها وهو عكس المقالة التي ليس ملزماً أن يدون المراجع والمصادر فيها.

3 - يبتعد الباحث في البحث عن الكلمات المتطرفة مثل يدل/ يؤكد/ دائماً/ إطلاقاً، فهو يستخدم لغة لا يدلل من خلالها على حقائق مطلقة إنما مع مؤشرات وأدلة/ وذلك عكس المقالة وكاتبها الذي قد يلجأ إلى استخدام هذه العبارات.

4 - يستخدم الباحث في البحث ضمير الغائب أو الشخص الثالث وليس ضمير المتكلم، أما كاتب المقالة فهو يعبر عن شخصه، ويتحدث عن ضمير المتكلم كأن يقول: برأيي، رأيي، أعتقد، أذهب إلى.. إلخ. والباحث يؤكد على ضمير الغائب، وذلك تأكيداً منه على الحقيقة والمنهج، وليس على شخصية الباحث، وهي إشارة على الموضوعين، وإبعاد العنصر الشخصي.

5 - المقالة بصفة عامة مشوقة، فيحرص كاتبها على إدخال عنصر التشويق واللعب بالمفردات وإضافة المحسنات والبديعات اللغوية، وهو الأمر غير

المهم بالنسبة للبحث الذي يركز على التسلسل في عرض المشكلة والفروض ثم النتائج.

6 - هناك إلزام للباحث بأن يخرج بحثه بشكل تنظيمي معين، فعلي الرغم من عدم وجود بحث مثالي عام واحد في تنظيمه وإعداده، إلا أن الباحث لزاماً عليه أن يكتب مقدمة، وفروض، وتساؤلات، وهوامش، ومراجع، ويقوم بترتيبها ... إلخ، ولا يلتزم كاتب المقالة بذلك.

هذه هي أبرز الفروق بين أسلوبين خاصين بالكتابة، فقد ينجح الكثير في أن يكون كاتب مقالة صحفية جيداً، ولكنه يفشل في أن يكون كاتب تقرير بحثي، علمي لعدم إدراكه وإلمامه بأساسيات البحث العلمي، والعكس صحيح. فقد يكون هناك باحث جيد ولديه القدرة على الكتابة العلمية التي تراعي أصول وقواعد البحث العلمي، ولكنه غير قادر على كتابة مقالة صحفية بشكل جيد، ومطلوب إضافةً إلى ذلك كله، انه يفترض على الباحث في كتابته للتقرير أن يكون معتدلاً في عرضه للمادة، حيث يقوم بتقديم وصف لما توصل إليه، ويعرض النتائج بموضوعية بعيداً عن التحيز. فهي سمة الباحث الذي لا يطلب من البحث إلا الوصول إلى الحقيقة، وليس أغراضاً أخرى من الممكن أن تكون أو تتولد عند كتابة المقالة، ويجب على الباحث أيضاً عدم المبالغة في عرضه لما توصل إليه من نتائج، لأن المبالغة في عرض النتائج تقلل من مصداقية الباحث، وتثير كثيراً من الشك حول النتائج المعروضة، فمطلوب منه تقديم وصف واضح وجلي دون أي مبالغة أو تهويل للمعلومة.

محتويات تقرير البحث:

يتكون كل تقرير من عناصر رئيسة تجعله يخرج في إطاره المقبول للتقديم في أي من أشكاله التي سبقت الإشارة إليها، فكل تقرير له بعض الخصوصيات، ولكنه في الإطار العام يجب ألا يخرج عن أنه يحتوي على عناصر أساسية ورئيسة.

فمن الممكن أن يكون تقرير البحث عبارة عن فصول متعددة، وقد تمتد لأن تدمج بعض الفصول في أبواب كما هو الحال في الأطروحات والدراسات الكبيرة، وقد يكون بشكل واحد كامل دون وجود قواطع أو فصول، وهكذا، فيختلف التقرير وقواعده باختلاف الغرض منه.

إضافةً إلى ذلك لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد تقرير بحث محدد في صورة مثالية، أي ليست كل التقارير البحثية تأخذ ترتيباً واحداً، فمن الممكن أن تكون الدراسات السابقة متضمنة كجزء أساسي من البحث أو موجودة في المقدمة في أحد التقارير، بينما نجد هذه الدراسات موجودة كجزء مستقل أو تحت عنوان فرعي محدد خاص تحت مسمى الدراسات السابقة، ومن الممكن أن تدخل الدراسات السابقة أيضاً ضمن الإطار النظري للدراسة دون أن تكون تحت عنوان فرعي، وقد تكون الدراسات السابقة في رسائل الماجستير والدكتوراه فصلاً كاملاً قائماً بحد ذاته، وهكذا. ولذلك، لا يوجد تخطيط وهيكل واحد لجميع التقارير العلمية. ولكن ما هو مهم وأساسي أن يكون التقرير العلمي شاملاً على الأجزاء الرئيسة والأساسية.

ومن الممكن تقسيم الإجراءات الرئيسة للتقرير إلى العناصر الآتية مع اختلاف شكلها:

أولاً- الصفحات التمهيدية أو الابتدائية:

تشمل هذه الصفحات التي تكون في مقدمة التقرير على بعض الأجزاء، ولابد من الإشارة إلى أن هذه الأجزاء قد تختلف من تقرير لآخر من حيث شكلها ومحتواها، ومن الممكن أن نبرز أهم الصفحات التي يمكن أن يحتوي عليها التقرير بصفحاته الابتدائية على النحو الآتي:

ا - صفحة العنوان:

وهي الصفحة الأولى، وقد تم التفصيل عن كيفية اختيار عنوان مناسب

للدراسة في مكان آخر من هذا الكتاب، ويفترض أن تشمل هذه الصفحة على المحتويات الآتية:-

1 - اسم المؤسسة (اسم الجامعة والكلية).

2 - عنوان الدراسة.

3 - الدرجة التي سيحصل عليها الباحث. إذا كانت لدرجة الماجستير أو الدكتوراه، أو يعد البحث على أنه جزء من متطلبات العمل أو غيره من المتطلبات.

4 - اسم الباحث.

5 - اسم الأستاذ المشرف، واللجنة المشرفة إن كانت رسالة الماجستير أو دكتوراه، أو كان البحث تحت أشراف أحد المختصين.

6 - السنة، وهنا يذكر الباحث السنة التي انتهى فيها من البحث، وأخرجه بالشكل الحالي، وليس عند البدء في كتابته.

ولا شك أن صفحة العنوان يراعى فيها تقليد معين في الجامعات التي تمنح درجتي الماجستير والدكتوراه، بحيث تلزم الطالب بأسلوب محدد من حيث المحتوى والترتيب، لما تتضمنه هذه الصفحة. ومثال ذلك.

جامعة القاهرة
معهد الدراسات والبحوث التربوية
قسم المناهج وطرق التدريس

فعالية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تنمية التذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة في دولة الكويت

بحث مقدم من الطالب
وليد أحمد محمد مراد الكندري
للحصول على درجة دكتور الفلسفة في التربية
تخصص مناهج وطرق تدريس اللغة العربية
2003

إشراف

الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبد السميع محمد
أستاذ المناهج وطرق التدريس
وعميد معهد الدراسات والبحوث التربوية
جامعة القاهرة

الأستاذ الدكتور/ علي أحمد مدكور
أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة القاهرة
وعميد كلية التربية والعلوم الإسلامية
جامعة السلطان قابوس

الدكتور/ محمد لطفي جاد
مدرس المناهج وطرق التدريس
جامعة القاهرة

2 – الشكر والتقدير:

وهي الصفحة الثانية التي تلي صفحة العنوان. وتحتوى على شكر وتقدير لكل من أسهم في البحث بأي شكل من الأشكال، فمن الأمانة العلمية الإشارة إلى الأشخاص الذين ساعدوا الباحث في بحثه حتى يخرج بالشكل المطلوب، وفي رسائل الماجستير والدكتوراه قد تطول قائمة الأسماء الذين ساعدوا الباحث أو الطالب؛ وذلك لكونه في مرحلة التعليم لإعداد البحث، ويحتاج إلى الكثيرين لمساعدته، فيوجه الشكر لجميع من قاموا بمساعدته بمن فيهم من قام بإرشاده وتوجيهه، ومن قدم له العون مثل مرشده الأكاديمي لأطروحته. ويجب أن يكون الشكر خاضعاً لبعض المعايير مثل:

أ – أن يكون غير مبالغ فيه.

ب – مختصراً.

ج – لا يوجه إلا للأشخاص الفعليين الذين قدموا المساعدة للباحث.

د – لا يذكر فيه الأشخاص الذين من واجبهم خدمة الباحث، كالقائمين على تسجيل الأطروحة أو طباعتها على سبيل المثال، إلا إذا كان لهم دور مختلف.

3 – الفهارس:

الفهرس ومحتوى البحث من الأمور الضرورية في الأبحاث كبيرة الحجم بالتحديد، فيلجأ الباحث إلى كتابة الفهرس، وذلك بهدف تسهيل الوصول إلى المعلومة المرادة والمطلوبة. فهو يقدم صورة إجمالية للتقرير وفصوله وأقسامه وأبوابه وذلك من خلال تحديد أرقام الصفحات لسهولة الوصول إلى الجزء المطلوب، فكثيراً ما يحاول القارئ أن يستعلم أو يرغب في الحصول على معلومة محددة دون غيرها في التقرير، ولذلك، فإنه يرجع إلى الفهرس حتى يختصر الوقت في حصوله على المعلومة، هذا بالإضافة إلى أنه يعد إشارة إعلامية لمحتويات التقرير وما به من أفكار وآراء بصورة مختصرة

وميسرة. ولاشك أن الفهرس يعد ضرورياً في التقارير البحثية كبيرة الحجم، ولا يلجأ الباحث إلى استخدام هذا الفهرس في التقارير صغيرة الحجم في الغالب، والتي يقدمها الباحث إلى المجلات العلمية المحكمة بهدف النشر، فالتقارير التي تعد للنشر في مجلات علمية مثلاً لا يوجد بها فهرس في الغالب، وذلك لصغر حجمها، والتي تمكن القارئ من الاسترشاد عن ما يريده من معلومات من خلال التصفح الفوري والسريع لمحتواها؛ ولذلك يكون الفهرس دون جدوى لوضعه في التقارير البحثية صغيرة الحجم.

والفهرس يوضح إضافة إلى الأقسام والفصول العناوين الرئيسة والعناوين الفرعية، ويجب أن تُراعى مسألة وضع الأبواب والفصول والعناوين الرئيسة والعناوين الفرعية ببعض من الإشارات التي تميز كلاً منها عن الآخر، كاستخدام خط مختلف أو تعميق معين للخط.

وتنقسم الفهارس إلى ثلاثة أقسام:

1 – فهرس الموضوعات أو المحتوى.

2 – فهرس الجداول.

3 – فهرس الأشكال والرسوم.

ويجب أن تكون هذه الفهارس مستقلة عن بعضها البعض، وقد لا تحتوي كثير من التقارير على بعض الفهارس الخاصة بالجداول والأشكال والرسوم.

لا شك أن هناك اختلافاً كما سبقت الإشارة بين التقارير البحثية في الصفحات التمهيدية، ولكن ما تم عرضه يعد أسلوباً عاماً مستخدماً بوجود التقارير كبيرة الحجم مثل الأطروحات أو التقارير المفصلة، وهناك أيضاً من يضع في هذه التقارير بعض الصفحات الأخرى التمهيدية مثل الإهداء على سبيل المثال، والذي قد لا تقبله بعض المؤسسات العلمية والجامعات مثلاً في الأطروحات، ولكن تقبله مؤسسات علمية أخرى، فمن غير الشائع أن يكون الإهداء موجوداً في أحد صفحات الرسالة الخاصة بالدكتوراه والماجستير في

بعض الجامعات، ولكنه قد يكون مقبولاً في جامعات أخرى، وهذا ما يتم ملاحظته من خلال مراجعة بعض الرسائل العلمية والأطروحات، ومن الممكن أن تحوي بعض أجزاء التقرير التمهيدية ذكر لآية قرآنية كريمة، أو صفحة فيها شعراً أو مثل وغيره من الأمور التي من الممكن أن يستخدمها الباحث، ولكنها بطبيعة الحال لا تدخل جميعها كأجزاء أساسية في التقرير العلمي.

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أنه في الرسائل والتقارير والأطروحات العلمية لا يتم إعطاء هذه الصفحات التمهيدية أرقاماً عربية متسلسلة. إنما تعطي حروفاً أبجدية، وحروفاً يونانية. مثل (I = 1)، (II = 2)، (III = 3)، (IV= 4)، (V = 5)، (IX = 9)، (XX = 20)، (XXI = 21) وهكذا.

ثانياً - المقدمة:

المقدمة الخاصة بالتقرير هنا تعني جميع العناصر الأساسية الممهدة قبل استخدام منهج البحث والتوصل إلى النتائج والخاتمة. فكما سبقت الإشارة، من الممكن أن يكون كل جزء من المقدمة، التي سوف يتم الإشارة إليها، بعنوان مستقل بحد ذاته، ومن الممكن أن يدخل جميعه ضمن نطاق المقدمة الخاصة بالبحث، فالمهم هنا ليس الشكل بقدر أهمية العناصر الموجودة داخله، والتي من الممكن أن يتم استخدامها وفقاً لتفضيلات الباحث مع مراعاة عدم الإخلال في عملية الترتيب الخاصة بهذه العناصر.

ويجب هنا التمييز بين أمرين يتعلقان في المقدمة، وهي تلك المقدمة التي يستخدمها الباحث كمدخل لمشروعه أو تقريره، والتي تكون كجزء مستقل بحد ذاته، وبين المقدمة التي يمكن أن تحتوى على العناصر الأساسية والرئيسة في البحث، فالمقدمة الأولى هي مقدمة عامة للموضوع، ومن الممكن أن تحتوي على بعض من عناصر التقرير الأساسية في بعض الأوقات. أما المقدمة التي من الممكن أن تستخدم في بعض التقارير البحثية صغيرة الحجم

نسبياً فهي تشتمل في الغالب على عناصر البحث الرئيسة، مع العلم بأنه بالإمكان إفراد كل عنصر بعنوان فرعي مستقل كما سبقت الإشارة.

ففي المقدمة العامة والتي تتليها عدة فصول من الممكن أن يبدأ الباحث بتناوله عدد من الموضوعات مثل (محمد الغريب عبد الكريم، 1994 : 206):

- كيفية اختيار المشكلة.
- من أين استمد الفكرة البحثية.
- سبب اهتمامه بالموضوع.
- المنطلقات النظرية التي استعان بها في تفسير النتائج.
- انتماء المقدمة لأي فرع من فروع المعرفة.
- الصعوبات التي واجهت الباحث في أثناء القيام بالبحث وكيف تغلب عليها.
- عرض لأبواب وفصول الدراسة وما تحتويه من موضوعات رئيسة.
- عرض موجز لجوانب الدراسة.
- في النهاية من الممكن كتابة الشكر والعرفان للذين اسهموا بمساعدته.

هذه البنود غالباً ما يلتزم بها الباحثون في الدراسات المطولة في المقدمة العامة التي يبادرون بكتابتها، فهي من الممكن أن تكون البنود الرئيسة في مقدمة للرسائل الجامعية والأطروحات، ومن الممكن أن تكون أيضاً في الدراسات أو الأبحاث أو التقارير البحثية صغيرة الحجم، ولكن يترك المجال بأن توضع بعض العناوين الفرعية بعد هذه المقدمة. بمعنى آخر، إذا أراد الباحث اختيار هذا الأسلوب من كتابته للتقرير العلمي البحثي الصغير، فعليه أن يستمد بعض العناوين الفرعية الأخرى، التي يفترض أن يشتمل بحثه عليها، فالعناصر الأخرى يجب أن يتم تغطيتها بشكل مناسب لاحقاً بعد المقدمة العامة، وهذه العناصر هي التي سوف يتم التطرق إليها خلال السطور القادمة.

ونستطيع أن نصف المقدمة بأنها تحتوى على ثلاثة أقسام فرعية، وهي

(رجاء محمود أبو علام، 1999: 606–608):

أ – الغرض من البحث أو المشكلة:

هناك أربعة معايير لكتابة هذا القسم من التقرير، وهي:-

1 – أن يكتب الغرض من البحث في وضوح دون أي غموض في معناه أو صياغته.

2 – أن يبين الغرض من البحث (أو المشكلة) علاقة بين متغيرين أو أكثر مع ذكر مجتمع الدراسة.

3 – أن تتفق المتغيرات المذكورة في المشكلة مع المتغيرات المعروفة إجرائياً في منهج الدراسة، وكذلك مع الأدوات المستخدمة في البحث، ومن هنا تنطلق أهمية التعريف بمتغيرات الدراسة وتحديدها بشكل واضح.

4 – أن يتفق المجتمع المذكور في المشكلة مع عينة البحث في الجزء الخاص بمنهج الدراسة.

ب – مراجعة البحوث السابقة:

هناك معياران لما يضمه التقرير من مراجعات للبحوث السابقة المرتبطة بمشكلة البحث هما:

1 – سبب اختيار المشكلة التي يدرسها الباحث.

2 – ما هي مبررات النتائج المتوقعة كما تعرضها فروض البحث.

ومعنى هذا أن مراجعة البحوث السابقة يجب أن تبرز بشكل واضح مدى أهمية المشكلة المطروحة للدراسة، كما تبين الأسس المنطقية للفروض، فأهمية الدراسة تبرز من خلال استعراض النتائج للدراسات السابقة، وماذا سوف يقوم الباحث بإضافته من خلال فروضه.

ج - الفروض (أو الأسئلة):

يجب الالتزام بالمعايير الأربعة الآتية عند كتابة هذا القسم من تقرير البحث. وهذه المعايير هي:

1 - صياغة الفرض أو السؤال في وضوح وإيجاز.

2 - أن يحدد الفرض علاقة بين متغيرين.

3 - صياغة الفروض بحيث يمكن اختبارها.

4 - تدعيم الفروض بأساس منطقي مستمد من نظرية معينة أو دراسات سابقة أو من الخبرة الشخصية.

ويجب أن تتكامل هذه الأقسام في المقدمة بحيث تتابع عناصر المقدمة في انسياب بادئة بالعموميات ومنتهية بالخصوصيات.

ومن الممكن استخلاص ما سبق في تحديد عناصر المقدمة بالآتي:

- عنوان البحث محدداً فيه مجال الدراسة وطبيعتها ومتغيرات الدراسة.
- مشكلة الدراسة.
- سبب اختيارها.
- أهمية الدراسة.
- الدراسات السابقة وعلاقتها بالدراسة المعدة.
- فروض الدراسة أو أسئلتها وإجراءاتها.
- مصطلحات الدراسة.

ثالثاً - منهجية البحث:

هذا القسم يعد وصفاً واضحاً للإجراءات المنهجية التي استخدمها الباحث، والتي قام بها وأداها في دراسته، فيقدم في هذا الجزء الإجراءات المنهجية التي من خلالها استطاع أن يستخلص نتائج الدراسة، فمنهج الدراسة يشكل بلا شك محكاً أساسياً في قبول نتائج الدراسة والثقة بها، فإذا كانت

الدراسة مبنية على منهج صحيح وسليم وقويم، كانت نتائج الدراسة صادقة، ولذلك فإن الباحث يحاول بقدر الإمكان في هذا الجزء أن يقنع القارئ بطريقته السليمة التي استخدمها والتي من خلالها شكلت نتائج دقيقة، فدقة النتائج ترتبط بشكل مباشر بدقة الإجراءات المنهجية المستخدمة.

وهناك أربعة أقسام يستخدمها الباحث في هذا الجزء، والتي تشكل بمضمونها منهج الدراسة، وهذه الأقسام هي: العينة المستخدمة في البحث، والأدوات، والإجراءات، الأساليب الإحصائية المستخدمة. وهذه الأقسام الأربعة بطبيعة الحال خاصة بالدراسة الأمبيريقية التطبيقية، وهي تختلف عن التقرير البحثي في الدراسات الكيفية التي سنتطرق إليها لاحقاً. ومن الممكن إيجاز هذه الأقسام كالآتي:-

1 – العينة:

وهي العينة التي استخدمها الباحث في بحثه. وعند كتابة هذا الجزء في تقرير البحث، فلابد من ذكر بيانات خاصة تتعلق بالجوانب الآتية (رجاء محمود أبو علام، 1999: 607–608):-

1 – الأفراد الذين شاركوا في الدراسة وطبيعتهم، هل جميعهم من التلاميذ أو المدرسين أو المدمنين أو الأزواج، أو عمال شركات، أم من فئات أخرى؟ وما خصائصهم من حيث الجنس والجنسية إلى غير ذلك من الخصائص؟
2 – عدد أفراد العينة بشكل عام وعدد الأفراد في كل مجموعة فرعية.
3 – كيفية اختيار أفراد العينة.
4 – عدد الأفراد الذين لم تطبق عليهم الدراسة وأسباب ذلك؟
5 – في حالة إعطاء أجور أو وعود معينة أو هدايا لأفراد العينة يجب ذكرها.
6 – تحديد موقع أو مواقع الدراسة من حيث المنطقة الجغرافية، والهيئات والمؤسسات التي ينتمي إليها أفراد العينة، كالمدارس، أو الكليات، أو غير ذلك. وهو يشمل بذلك المجال الجغرافي للدراسة.

فهذا القسم يحتوى على الخصائص العامة لعينة البحث، ومن الواجب أيضاً الحديث عن مجتمع الدراسة التي أخذت منه العينة، فيتم التطرق والحديث عن مجتمع الدراسة بشكل عام وتوضيح خصائصه العامة.

2 – إجراءات البحث:

يجب أن يحتوى هذا القسم الفرعي من التقرير على خطوات واضحة ومحددة لإجراءات البحث، وذلك لتمكين الباحثين إذا رغبوا في تكرار هذه الإجراءات. وهناك عدة معايير يجب استيفاؤها:

1 – وصف وتلخيص كل خطوة من خطوات البحث وصفاً واضحاً ودقيقاً.
2 – تعريف كل متغير مستقل (أو تصنيفي) تعريفاً إجرائياً. (ممكن أن يكون في المقدمة).
3 – تكوين مجموعات الدراسة والتعليمات التي أعطيت لكل مجموعة.
4 – الإجراءات الخاصة لاستبعاد أثر المتغيرات الخارجية.
5 – تدريب الباحثين والطرق التي استخدمها الباحث في هذا التدريب.

3 – أدوات البحث:

في هذا القسم يتم وصف نوع الأداة المستخدمة في البحث ، وتحديد طريقة استخدامها واختيارها. هل هي استبانة، أم إجراء ملاحظة بالمشاركة، أم مقابلة ، أم استخدام مقاييس محددة، فيتم الحديث عن الأداة وكيفية بناءها لبعض الأدوات، وما الطرق التي استخدمها الباحث حتى يتأكد من صلاحية استخدام مثل هذه الأدوات، فهي محاولة من الباحث لتوضيح وتبرير دقة الأدوات المستخدمة في بحثه، فإذا كانت الأداة المستخدمة مثلاً مقياساً فيفترض أن يحدد مثلاً (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 608):

1 – المجتمع الذي بنى عليه المقياس.
2 – درجة المقياس.

3 – ثبات كل مقياس وأسلوب الثبات المستخدمة، وإذا كانت في المقياس بعض المقاييس الفرعية، فإنه يجب على الباحث أن يعطي درجة الثبات لكل مقياس فرعي على حده.

4 – الأدلة المتعلقة بصدق كل مقياس.

5 – إعطاء أمثلة كافية للفقرات أو الأسئلة المستخدمة في المقياس.

فمنهج البحث إذا كتب بطريقة سليمة متكاملة وواضحة بخطواته الثلاثة الماضية فإنه يجيب على الأسئلة التالية:

1 – من ←——— أفراد العينة ؟

2 – كيف ←——— إجراءات البحث ؟

3 – ماذا ←——— الأدوات المستخدمة؟ (رجاء أبو علام،1999 : 609)

4 – الوسائل الإحصائية المستخدمة:

في خطة البحث يفترض على الباحث أن يوضح ما هي الطرق والأساليب التحليلية المستخدمة، فيقدم وصفاً واضحاً عن كيفية قيامه بالإجابة على الأسئلة من خلال الطريقة التي يستخدمها في التحليل، فقد يعمد الباحث إلى استخدام الوسائل الإحصائية من خلال برنامج إحصائي محدد مثل برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، فيذكر ذلك صراحة مع تحديد نوع الوسائل الإحصائية المستخدمة في عملية التحليل مثل إذا كان يعتمد على التكرارات أو النسب المئوية أو الانحرافات المعيارية أو اختبار (ت)، أو اختبار العلاقة أو الانحدار وغيرها من التحليلات الإحصائية المتعددة، فيذكر الباحث في هذا الجزء نوع الاختبار المستخدم مشيراً إلى أنه سيجيب عن تساؤل أو فرض من تساؤلات أو فرضيات الدراسة، فيعمد الباحث في هذا الجزء في الأبحاث الكمية إلى الإشارة إلى وسائل التحليل الإحصائي بشقيه: الوصفي والاستدلالي، ومن المفضل أن يقول: إنه سوف يستخدم الاختبار (س) مثلاً لفحص الفرض (ص) والاختبار (أ) لفحص الفرض (ب) وهكذا.

رابعاً – نتائج البحث وتحليل النتائج:

في هذا الجزء يحاول الباحث أن يبين ما إذا كانت الفرضيات الخاصة بالدراسة قد تم إثباتها أم لا، أو يحاول أن يقوم بالإجابة الملخصة لكل سؤال من أسئلة الدراسة. فيبدأ بطريقة متسلسلة لكل فرضية أو سؤال من أسئلة الدراسة، فيحاول الباحث في هذا الجزء أن يقدم عرضاً للأداة التي توصل إليها، ويتحدث مثلاً عن أسباب الظاهرة أو المشكلة، وما آثارها، وعلاقتها بالمتغيرات الأخرى، فيقدم في هذا الجزء الاستنتاجات، والتحليل، والتلخيص، والمناقشة.

ومن الممكن أن يتم تضمين هذا الجزء بالتوصيات، ومن الممكن إفرادها في جزء خاص. ولكن لا تعد التوصيات ركناً أساسياً، وإن كان يفضل ذكرها في البحوث والدراسات خاصة إذا أدركنا أن أهمية البحوث تكمن في مساعدة راسمي السياسية ومتخذي القرار. فالتوصيات هي عصارة جهد خاصة للهدف العام للدراسة.

وبشكل عام من الممكن أن يتم تلخيص أربعة أنواع من المعلومات من الممكن أن يتضمنها هذا الجزء على النحو الآتي (رجاء محمود أبو علام، 1999 : 609):-

1 – إعادة صياغة المشكلة والفروض والتأكد من مدى تأييد النتائج أو رفضها للتنبؤات التي توقعتها الفروض.

2 – شرح المضمون والمعني والنظرية للنتائج، وهو جزء مهم، وحتى إذا كانت نتائج الدراسة لم تتفق مع الفروض أو الأسئلة أو النتائج المتوقعة التي ذكرها الباحث في بداية بحثه، فإن الباحث يجب عليه أن يشرح الأسباب في عدم اتفاق النتائج مع الفرضيات. ويجب أن يقوم بعملية الشرح في هذه المسألة والتي تعد الجزء الأهم في هذا القسم.

3 – مناقشة حدود النتائج، ومن الممكن أن يكون ذلك بجزء مختصر جداً، وقد

لا يتجاوز فقرة واحدة.

4- اقتراح بعض البحوث المستقبلية التي قد يكون في مقدورها الإجابة على بعض التساؤلات التي لم يتيسر للباحث الإجابة عنها في البحث، ويراعي الاختصار في هذا الجزء قدر الإمكان مع التركيز على الأفكار المستقبلية.

خامساً - ملخص البحث:

يلتزم العديد من الباحثين في كتابة ملخص خاص بالتقرير الذي قاموا بإعداده، وملخص البحث هو عبارة عن تقرير قصير يعرض كل شيء بشكل مختصر عن الدراسة. ويفترض أن يحتوى على:

- مختصر للمشكلة.
- فروض الدراسة أو تساؤلاتها.
- نبذة بسيطة عن المنهجية.
- أهم النتائج التي توصل إليها.

ولا يحتاج ملخص الدراسة إلى توثيق المراجع، ولعل الفائدة العلمية التي تكمن من وراء وجود ملخص للبحث أنها تعطي وصفاً سريعاً لنتائج البحث وتسهل مهمة الباحثين الذين يريدون الإطلاع على الدراسة فيطلعون على نبذة مختصرة عن الدراسة قبل طلبها إذا كانت لها حاجة. وكثير من المجلات العلمية العربية بدأت تطلب بصورة أساسية ملخصات الأبحاث باللغتين العربية والأجنبية، وذلك لتسهيل مهمة الباحثين للإطلاع على هذه الملخصات التي تعتبر أكثر قدرة على الانتشار من التقارير البحثية الكاملة، والتي تنتشر أيضاً على قواعد البيانات المتخصصة.

سادساً - مراجع البحث:

هناك طرق متعددة لكتابة مراجع البحث، ولكن بشكل عام من الممكن أن يلتزم الباحث ببعض المعايير الخاصة بكتابة المراجع مثل:

- التسلسل الأبجدي للمؤلفين.
- وضع قائمة للمراجع العربية وأخرى للأجنبية.
- بالإمكان القيام بعملية فصل الكتب عن المجلات والنشرات.

لا يوجد أسلوب واحد بالنسبة لكتابة المراجع، والذي سنعرض لها بشيء من التفصيل لاحقاً، ولكن بشكل عام البحث الجيد هو الذي يعتمد على تنوع المراجع وحداثتها، فبالمراجع يظهر جهد الباحث على الإطلاع على نفس الموضوع.

سابعاً - ملاحق البحث:

لا يعد ملحق البحث جزءاً من البحث، فبالإمكان الاستغناء عنه، ولكن يرجح كثير من الباحثين استخدام ملاحق البحث كجزء من التوضيح لبعض المسائل والقضايا التي من الممكن أن تحتاج إلى شرح مسهب ليس له مكان في البحث، إضافة إلى أنه من الممكن أن تكون الملاحق إشارة إلى دقة المعلومات المقتبسة داخل متن البحث، وبشكل عام يلحق بملحق البحث كل أمر لم يتمكن الباحث من إدراجه داخل المتن مثل:

- صور.
- مراسلات.
- مواد تدريبية مستخدمة.
- إحصائيات.
- أشعار.
- أداة الدراسة.

وكل ما لا يمكن وضعه داخل متن البحث.

تقرير البحث في الدراسات الأثنوجرافية:

لاشك أن تقرير البحث العلمي ومحتوياته وعناصره واحدة سواءً كانت

في البحث الميداني أو البحث النظري، أو البحث الذي يعتمد على الجوانب الكمية أو الكيفية في التحليل، أو البحث الذي يعتمد على منهج المسح الاجتماعي أو المنهج الوصفي أو التاريخي أو غيره. فعناصر البحث واحدة، ويفترض أن يشتمل التقرير العلمي على العناصر الرئيسة من تحديد للمشكلة وأهميتها، وتساؤلات أو فروض الدراسة، والإجراءات المنهجية المتبعة، ثم ينتهي بالنتائج والمناقشة. فهي عناصر رئيسة في البحث العلمي لا يمكن الاستغناء عن أي منها.

ولكن قد تبرز بعض الفروق الخاصة في الأساليب وطرق العرض للدراسات الميدانية الحقلية والتي تعتمد على الوصف الأثنوجرافي، وبين الدراسات الميدانية التي تعتمد على جمع المادة الرقمية أو التي تحتوي على الأرقام، فالأولى تعتمد على الألفاظ، والثانية على الأرقام. ففي عرض هذه الدراسات يختلف الأسلوب في الكتابة، مثل الاختلاف في صورة البحث بشكله العام. فصور هذه الأبحاث مختلفة، ولكن العناصر البحثية واحدة ولا تتغير بتغير الصور بحيث يجب ذكر العناصر الرئيسة للبحث العلمي.

وقد يميز البحوث الأثنوجرافية الحقلية أن الباحث قد يذكر بعض الأمور والحقائق التي من المكن ألا تكون موجودة في البحوث الأخرى، كأن يصف مثلاً دخوله الميدان أول مرة، وكيف قام بمقابلة الأهالي، وشعوره نحو المجتمع المدروس. فقد يعرض بعض من المشاعر والأحاسيس الخاصة بعمله الميداني، إضافة إلى ذلك، يحاول أن يشرح الباحث كيف استعان بالإخباريين وطرق اختياره لهم، والمدة التي قضاها معهم، ونمط الأسئلة الموجه لهم، وهل كانوا إخباريين ملازمين له طوال رحلته، وغيرها من الأمور التي يفترض أن تؤكد بأن المعلومات التي حصل عليها تعتبر معلومات صحيحة، كذلك يشير إلى الأسلوب المستخدم في ملاحظته، والأداة التي استخدمها، وكيفية التحقق من أن ما قد قام به من ملاحظة يمثل الثقافة وسلوكيات أفرادها.

وكثيراً ما يعتمد الباحث الأثنوجرافي على السرد القصصي في عرضه لهذه القضايا، وخاصةً عند دخوله للميدان وطبيعة علاقته مع أفراد المجتمع، فقد يصف بعض من الشخصيات المحددة، وقد يصف طبيعة العلاقات داخل المجتمع، وقد يصف العادات والتقاليد وطرق الحياة، وشكل البناء والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية، والسياسية والأدوار الاجتماعية وكافة الأمور المتعلقة بالحياة العامة. كل ذلك يمكن أن يعرضه بأسلوب يحتاج من خلاله إلى مهارة قد تكون مختلفة عن مهارة الكتابة في البحوث الكمية.

فالباحث هنا يجب ألا يغفل هذه القضايا في تقريره العلمي، فهي بمثابة الإجراءات البحثية المتبعة في منهجية الدراسة. ولعل من أبرز الانتقادات التي توجه إلى البحث الاثنوجرافي هو عدم التزام الباحث بالقواعد المنهجية الصحيحة في كتابة التقرير كأن لا يتحدث عن هذه الأمور في بحثه (محمد الحداد ومحمود النجار، د.ت). فقد يكون التزم بها فعلياً، ولكنه قد لا يكون قد التزم بكتابتها نصاً في تقريره. وهو الأمر الذي قد يفقد التقرير أساسياته، ومن ثم قيمته العلمية. فالالتزام بالمنهج وكتابته مسألة مهمة حتى يبنى عليها الآخرون نتائجهم ودراساتهم. ولا يستطيعون بناء أبحاثهم ونتائجهم من خلال أبحاث لم تحدد كيف استطاع الباحث أن يحصل على المعلومات بطريقة سليمة. فقد يكون قد قام بمثل ذلك ولكنه افتقد إلى مهارة التدوين.

وقد يكون عرض التقرير الأثنوجرافي أو حتى المكتبي على شكل عناوين رئيسة وفرعية للموضوعات تحدد النتائج التي توصل إليها الباحث أو استنتجها، فذكر العناوين الرئيسة والفرعية مهم وذلك لأنها توجه انتباه القارئ نحو المعلومات المطلوبة، فيندرج تحت كل عنوان خلاصة ما تم التوصل إليه من نتائج، فيتم تجميع المعلومات سواء الأثنوجرافية أو المكتبية ذات الطبيعة الواحدة والمشتركة، ومن ثم يتم وضعها تحت قالب واحد وتحت عنوان محدد، وتدخل مجموعة من هذه العناوين كعناوين فرعية وسط عنوان

رئيسي وأساسي.

ولنأخذ مثالاً على أحد الدراسات الكيفية وكيفية بناء العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية. ففي دراسة العادات والتقاليد لدورة الحياة اليومية في المجتمع الكويتي- مرحلة الوفاة (يعقوب يوسف الكندري، 2002) تكون التقرير النهائي من بعض العناوين الرئيسة وفقاً لما جاء في الدليل الخاص المعد لعملية جمع البيانات والذي جاء بالمحتوى الآتي:-

1 - مرحلة ما قبل الوفاة:

1 - استعداد الأحياء للموت.

2 - العلامات التي تنبئ بوقوع الموت.

3 - سلوك المحتضر قبيل الموت.

4 - سلوك المحيطين بالمحتضر قبيل الموت وبعده.

2 - مرحلة الوفاة:

1 - إعلان الوفاة .

2 - تجهيز الميت للدفن.

3 - المغسل.

4 - عملية الغسل.

5 - متخلفات الغسل.

6 - الكفن.

7 - تجهيز وإعداد القبر للدفن.

8 - النعش.

9 - الجنازة.

10 - صلاة الجنازة.

11 - المقابر (المدافن).

12 – الدفن.

3 – مرحلة ما بعد الموت:

1 – التجهيز لتلقي العزاء.

2 – قيود الحداد.

3 – زيارة القبر.

4 – الصدقات (الثواب).

5 – مناسبات أخرى لتقبل العزاء.

فقد احتوى كل عنوان رئيسي على مجموعة من العناوين الفرعية، والتي وقعت هذه العناوين بحجمها تحت موضوع واحد جمعها في عنوان رئيسي، وكل عنوان فرعي جاءت فيه محتويات تعلقت بموضوعه تم استيفاؤها من أقوال الرواة الذين شكلوا عينة الدراسة، والذين شكلوا أيضاً موضوع هذا العنوان. فتم تجميع أقوال الرواة في شكل عناوين فرعية محددة دخلت تحت العنوان الرئيسي. فوردت الاستخلاصات والنتائج من هذه الأقوال تحت هذا العنوان، وهكذا يستطيع الباحث أن يولد العناوين الفرعية ويستخلص النتائج منها، والذي يرتبط بشكل مؤكد مع هدف الدراسة وأسئلتها، وهذا القول أيضاً ينطبق على الدراسات المكتبية التي يجمع بها الباحث المعلومات حول موضوع معين ويعرضه بشكل تنظيمي من خلال العناوين الفرعية.

القضية المهمة هنا هي كيفية عرض الباحث للمادة التي جمعها ومعالجته لها والنتائج التي توصل إليها خلال هذه المعالجة، فهو يختار الأسلوب الأنسب والأمثل لهذا العرض، وفي بعض الأحوال من الممكن أن يفضل الباحث أن يعرض المادة العلمية أولاً، ثم يعرض التحليل والنتائج بعد ذلك، وهذا ما فعله الأنثروبولوجي راد كليف براون في دراسته عن الاندامان (أنظر: Radcliffe-Brown, 1933). أو أن يعرض المادة العلمية مصحوبة بالتحليل في صورة موضوعات فرعية ثم تقديم النتائج العامة في النهاية كما في المثال

السابق، وهو ما فعله الانثروبولوجي مالينوفسكي في دراسته عن التروبرياند. وفي بعض الحالات تفرض موضوعات الدراسة والمادة العلمية نوع الطريقة التي يلتزم بها الباحث في العرض. ومن الممكن أن يسترشد الباحث بالخطة التي كان قد أعدها للدراسة في عرض التقرير مع ملاحظة أن هذه الخطة قد وُضعت كإطار مبدئي لإنجاز الدراسة وأن التقرير يعرض بعد هذا الإنجاز (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني1988 : 254).

ولعل هناك بعض النقاط المميزة التي يجب مراعاتها بشكل محدد في هذه النوعية من التقارير يستخلص منها الآتي (فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني، 1988 : 254-255):

1 - تحاشي الأوصاف التقويمية للموضوعات التي تتناولها الدراسة إلا إذا كانت واردة ضمن أقوال الإخباريين، فلا يوصف فرد ما بأنه طيب أو شرير، وإنما تقدم الشواهد التي تعرف القارئ بهذه الدلالة.
2 - الحرص على أن يتم نسب الكلام الخاص بالإخباريين والرواة إليهم مباشرة سواءً أكان رأياً أو فكرة أو نصاً التزاماً بالأمانة العلمية، ولإتاحة الفرصة للقارئ الرجوع إلى المصدر الأصلي إذا أراد.
3 - الاهتمام بالهوامش خلال العرض لتوضيح المراجع والمصطلحات الجديدة والتعريف بالشخصيات التي يرد ذكرها، واستكمال العرض بمعلومات إضافية لا مجال لذكرها ضمن المادة الأساسية. ولا شك أن هذا الموضوع تتشابه فيه التقارير البحثية العلمية، ولكن في البحث الأثنوجرافي قد تزداد هذه المصطلحات والتعبيرات والمفردات التي تحتاج إلى بعض التوضيحات والتي لا تندرج في متن التقرير.
4 - استخدام اللوحات التوضيحية والجداول والرسوم والأشكال الهندسية والبيانات والصور، والتي قد تزيد بشكل أكبر في البحوث الاثنوجرافية.

وتقرير البحث العلمي مهما كانت مشكلته أو حجمه يجب أن يحتوي على

عناصر أساسية بطبيعته، وإذا لم تتوافر هذه العناصر لأي سبب من الأسباب لا يغلب عليه الطابع العلمي، أو لا يسمى بهذا المسمى. فقد يكون تقريراً عاماً أو ورقة محددة، أو أي مسمى آخر غير مسمى تقرير البحث العلمي.

الفصل السابع عشر

كتابة مراجع البحث

الفصل السابع عشر

كتابة مراجع البحث

المراجع وأهميتها:

تعد كتابة المراجع مسألة في غاية الأهمية، فهي إشارة إلى أن الباحث قد قام بالاطلاع على مجموعة من أفكار وآراء ومفاهيم ومصطلحات الآخرين، وقام بتدعيمها في بحثه واعتمد عليها، فيقوم الباحث بجمع معارف الآخرين والاعتماد عليها عند كتابة بحثه أو دراسته أو حتى مقالته الشخصية، ولذلك يجب أن يحرص الباحث على أن يميز بين أفكاره وأفكار الباحثين، ويميز بين ما قد قاله وقام بكتابته من فكر ورأي ، وبين ما قاله وما كتبه الآخرون. فعند كتابته بحثه أو مشروعه أياً كان، لابد أن يحدد ويميز بين فكره وفكر الآخرين، ومن هنا تكمن أهمية التوثيق لهذه الأفكار والآراء التي قدمها الباحثين.

ولعل هناك قواعد عامة لأصول البحث العلمي ترتبط باتجاهين في كتابة المراجع وهي (ذوقان عبيدات وزملاؤه، 1998):

1 – الأمانة: ويقصد بالأمانة أمران رئيسيان :

أ– نسب المعرفة أو المعلومة إلى صاحبها الأصلي .

ب – عدم تسجيل أو الاستشهاد بالمراجع إلا التي استخدمها الباحث فعلاً.

2 – الدقة : وهي الإشارة بوضوح بالغ إلى المصدر الذي أخذت المعلومات منه.

فعند كتابة المراجع يجب أن يتسم الباحث بالأمانة والدقة في عملية نقله. ولعل هناك صوراً متعددة للمراجع، فكلمة المرجع تعني كل شيء رجع إليه الباحث في أثناء بحثه، والتي من الممكن أن تكون كتاباً، أو بحثاً، أو محاضرة، أو فيلماً، أو تسجيلاً سينمائياً، أو أطروحة ماجستير أو دكتوراه ، أو مجلة أو منشوراً أو من خلال الإنترنت، أو غيرها من المطبوعات والمرئيات. وحتى

عملية أخذ المعلومة من شخص ليس بواسطة كتابة أو تسجيل، إنما من خلال لقاء عام معه من الممكن أن يعد من المراجع التي تسمى الاتصال الشخصي Personal Communication. فالمرجع الذي يجب أن يتم ذكره في البحث يشمل جميع هذه الآراء المأخوذة من أماكن مختلفة ومن مصادر متعددة .

المصدر والمرجع :

هناك من يقوم بالتفريق بين ما يسمى بالمصدر، والمرجع. فهناك من يقسم مصادر المعرفة وفروعها إلى ما يسمى بمصادر أولية، وإلى مصادر «ثانوية»، ويطلقون على الأول اسم مصادر أصلية، أو أصول، أو مصادر فقط. فالمصادر أما أن تكون:

1- **مصادر أصلية :-** وهي أول مادة مباشرة متصلة بالحقيقة المدروسة، أو أقدم ما يحوي مادة موضوع ما، وهي الدراسات الأولى عنه، وتشمل المخطوطات القديمة التي لم يسبق نشرها والوثائق، ومذكرات القادة والساسة وحيثيات الحكم المسببة للأحكام القضائية والخطابات الخاصة واليوميات، والدراسات الشخصية للأمكنة واللوحات التاريخية والكتب التي يكون مؤلفوها شاهدوا الفترة التي هي موضوع البحث والإحصائيات.

2- **مصادر مشتقة أو ثانوية :-** وهي تلك المقتبسة من المصادر الأولى، وهناك من يسميها بالمراجع التي تعتمد في مادتها العلمية على المصادر الأصلية والأولى(رجاء وحيد دويدري، 2000: 758-359).

ولعل هذين المفهومين فيهما كثير من اللبس، فالكثير لا يميز بين المصطلحين، والعديد يدمج الاثنين تحت مسمى واحد عند الاستشهاد بما أخذه من الآخرين، بل البعض ما يسمى المصدر بالمرجع. فكثيراً ما نجد في المكتبات العامة مكاناً مخصصاً لبعض المصادر بمفهومها السابق ويطلق عليها باسم

المراجع. فنجد على سبيل المثال عبارة: «مرجع لا يعار» وذلك للإشارة إلى المصدر الأول الذي يعد ذا قيمة معينة تخشى المكتبات من فقدانه، فلا تسمح له بالاستعارة الخارجية، فهناك مزج بين المفهومين وخلط عند البعض.

فالعديد من الباحثين لا يميز بين هذين المفهومين، ويسمي جميع ما يستخدمه من مادة ومعلومات باسم المراجع، ويدونها في نهاية بحثه أو مشروعه عند الكتابة. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية غالباً ما يقومون بدمج المصادر والمراجع تحت مسمى واحد . فجميع هذه المصادر والمراجع سواء أكانت وثائق أو أبحاثاً أو كتباً، أو أطروحات ماجستير أو دكتوراه أو رسائل شخصية أو وثائق أو معلومات مأخوذة من الإنترنت أو غيرها من مجالات المعرفة تصنف تحت مسمى واحد وهي المراجع، وتوضع في نهاية البحث.

فالمراجع هي وسيلة الكاتب في توثيق ما يرجع إليه من بحوث ودراسات سابقة، وجميع المصادر أو المراجع التي يذكرها الباحث في النص أو متن البحث يجب أن تظهر في قائمة المراجع في نهاية التقرير ، كما يجب أن تظهر جميع المراجع التي تذكر في القائمة النهائية في النص المكتوب (رجاء محمود أبوعلام، 1999: 610-611).

ولابد من الإشارة أيضاً إلى نقطة مهمة وأساسية في هذا الجانب، وهي تلك التي توضح بأنه لا يوجد طريقة واحدة متفق عليها في كيفية كتابة المراجع، فكل مؤسسة أو مجلة علمية تستخدم طريقتها الخاصة، فكل فرع من فروع المعرفة له أسلوبه الخاص في كتابة المراجع ، والتي اعتمدت عليها المجلات العلمية التي تنشر الأبحاث، وسواء كان المرجع يذكر في أي مكان من المشروع الكتابي سواء أكان بحثاً أو كتاباً أو وثيقة أو أي وسيلة أخرى، فإن هناك اتفاقاً عاماً على أن المرجع لابد أن يشتمل على بعض المعلومات المهمة كحد أقصى مثل اسم المؤلف ، عنوان موضوع الكتاب أو البحث، بلد النشر،

سنة النشر، وتختلف المعلومات الإضافية باختلاف طبيعة المرجع ونوعه. فإن كان تقريراً علمياً منشوراً في مجلة علمية، يجب ذكر اسم هذه المجلة مثلاً، أما إذا كانت ورقة علمية مأخوذة من مؤتمر، فيجب أن يتم ذكر اسم المؤتمر ومدة انعقاده، وهكذا كما سنرى فيما بعد.

فالأساليب متعددة ومتنوعة في كتابة المراجع سواء في متن البحث أو في نهايته، وليس هنا متسع ومجال أن نشير إلى جميع هذه الأساليب، إلا أنه من الممكن الاعتماد على أسلوب واحد يتم استخدامه بصورة كبيرة في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية وهو المسمى بطريقة (APA) والذي يتبع رابطة علم النفس الأمريكية American Psychological Association ومن الممكن توضيح أبرز ما جاء فيه من قواعد عامة لكتابة المرجع كما جاء في إصدارهم الخاص لكتابة المراجع وبدعم من الأمثلة المتعددة من واقع المراجع العربية وفقاً للتالي:(*)

قواعد عامة لكتابة المراجع:-

ويمكن استخلاص قواعد عامة لكتابة وترتيب المراجع على النحو الآتي:-

* يتم الترتيب الأبجدي للمؤلفين، ويتم أيضاً وضع اسم العائلة أولاً، ومن ثم الاسم الأول ثانياً بعد وجود فاصلة.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً في كتابة الاسم بين اللغتين، الإنجليزية والعربية، ففي اللغة الإنجليزية يتم الاكتفاء بذكر الرمز الخاص بالاسم بدلاً من ذكره كاملاً، بينما يتم الالتزام بالاسم الأول في المراجع العربية. إضافة إلى ذلك، ذهبت العديد من المؤسسات والمجلات العلمية التي تعتمد على هذا النظام باعتماد الترتيب الهجائي دون تغيير ترتيب الاسم الأول

(*) استمدت هذه المادة بتصرف من http://owl.english.purdue.edu/handouts/research On Line Writing lab (on line)، إضافة إلى التعليمات الخاصة والواردة بمجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت—مجلس النشر العلمي.

والأخير، وذلك بحكم طبيعة الاستخدام الشائع للأسماء العربية التي تعتمد على الاسم الأول ثم الأخير في تعريف الشخص، فيتم ترتيب أسماء المؤلفين حسب الاسم الأول وليس الأخير في بعض الأبحاث والتقارير العلمية، وهذا ما قام بتنفيذه البعض واستخدامه، وهذا هو الوضع المفضل.

* إذا كان هناك أكثر من مرجع لنفس المؤلف يتم الترتيب وفقاً للسنوات من الأحدث إلى الأقدم.

مثال باللغة العربية :

- يعقوب يوسف الكندري (2003). الثقافة والصحة والمرض: رؤية جديدة في الأنثروبولوجيا المعاصرة. الكويت: مجلس النشر العلمي-جامعة الكويت.
- يعقوب يوسف الكندري (2002). الديوانية الكويتية: دورها الاجتماعي والسياسي. الكويت : دار البلاغ.

مثال باللغة الإنجليزية :

Berndt, T.J. (1996). Exploring the effects of friendship quality on social development. In W.M. Murkowski, A.F. Newcomb, & W.W. Hardtop, (Eds.), The company they heap: Friendship in childhood and adolescence. (pp. 346-365). Cambridge, UX: Cambridge University Press.

Berndt, T.J. (2002). Friendship quality and social development. Current Directions in Psychological Science, 11, 7-10.

Wequener, D.T., & Petty, R.E. (1994). Mood management across affective states: The hedonic contingency hypothesis. Journal of personality & Social Psychology, 66, 1034-1048.

Wegener, D.T., & Petty, R.E. (1995). Flexible correction processes in social judgment: The role of naive theories in correction processes in social judgment: The role of naïve theories in corrections for perceived bias. Journal of personality & Social psychology, 68, 36-51.

* عندما يكون هناك مرجع لمؤلف واحد، ومرجع آخر يكون فيه هذا المؤلف هو المؤلف الأول، فإن الترتيب يبدأ بالمؤلف الواحد، ومن ثم المرجع الآخر دون النظر للسنوات.

مثال(*):

- يعقوب يوسف الكندري (2001). الصحة الجسمية وعلاقتها ببعض المتغيرات الاجتماعية الثقافية عند المسنين في المجتمع الكويتي. مجلة بحوث كلية الآداب، 47: 1-26,
- يعقوب يوسف الكندري وحمود فهد القشعان (2001). علاقة استخدام شبكة الإنترنت بالعزلة الاجتماعية لدى طلاب جامعة الكويت. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 17 (1): 1-45,

Berndt, T.J. (1999). Friends influence on students adjustment to school, Educational Psychologist, 34, 15-28.

Berndt, T.J., & Keefe, K. (1995). Friends influence on adolescents adjustment to school, Child Development, 66, 1312-1329.

* المراجع التي لها مؤلف أول واحد، ومؤلف ثان وثالث أو آخرون مختلفون، يتم ترتيبهم حسب الأحرف الأبجدية للمؤلفين الآخرين. (مع الأخذ بعين الاعتبار بأن المرجع الأجنبي يبدأ باسم العائلة وليس الاسم الأول).

(*) تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك اختلافاً في النموذجين العربي والأجنبي في عملية التنقيط. ويوجد هذا الاختلاف في عدد المجلة ورقمها، حيث في المرجع العربي، يكون التنقيط بالشكل التالي: «:»، بينما في اللغة الإنجليزية تكون الفاصلة بدلاً عن النقطتين «,»، وهو أسلوب تم الاعتماد عليه في هذا الفصل. إضافة إلى ذلك، يلاحظ الخط المائل في اسم المجلة. وهو للإشارة للمصدر الرئيس.

مثال:

- يعقوب يوسف الكندري - حمود فهد القشعان (2001) علاقة استخدام شبكة الإنترنت بالعزلة الاجتماعية لدى طلاب جامعة الكويت. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. 17 (1) : 1-45 .
- يعقوب يوسف الكندري وعبد الوهاب الظفيري (2004) الرعاية الاجتماعية لذوي الشهداء في الكويت : دراسة مقارنة بين فئات من المستفيدين والأسر الخارجية في درجة الاستقرار الأسري. مجلة العلوم الاجتماعية. 16 (1): 26-48 .

Wegener, D.T., Kerr, N.L., Fieming, M.A., & Petty, R.E. (2000). Flexible corrections of juror judgments: Implications for hurry instructions, Psychology, Public Policy, & Law, 6, 629-654.

Wegener, D.T., Petty, R.E., & Klein, D.J. (1994). Effects of mood on high elaboration attitude change: The mediating role of likelihood judgments, European Journal of Social Psychology, 24, 25-43.

* إذا تم استخدام أكثر من مرجع لمؤلف واحد (أو مجموعة من المؤلفين) وتاريخ النشر واحد، يتم ترتيبهم حسب العناوين. ومن ثم يتم وضع حروف أبجدية مرتبة تشير إلى هذا الترتيب.

مثال:

أحمد عبد الخالق (1993 أ). أصول الصحة النفسية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

أحمد عبد الخالق (1993ب). اضطراب الضغوط التالية للصدمة بوصفه أهم الآثار السلبية للعدوان العراقي على الكويت. عالم الفكر، 22 (1).

Berndt, T.H. (1981a). Age changes and changes over time in prosocial intentions and behavior between friends. Developmental Psychology, 17 408-416.

Berndt, T.J. (1981b). Effects of friendship on prosocial intentions and behavior, Child Development, 52, 636-643.

ويستخدم ذلك أيضاً في متن التقرير حيث يتم وضع المؤلف (المؤلفين) مع السنة بالإضافة إلى الحروف، مثال على استخدام السنة في المتن لمؤلف واحد لديه أكثر من إنتاج في السنة الواحدة، وتم استخدامه في متن البحث من الممكن عرضه في النص الآتي:

وفي دراسة محلية عن الاستقرار الأسري في المجتمع الحالي، قام هادي مختار (1999أ) بتطوير مقياس خاص بعدم الاستقرار الأسري معتمداً في هذا المقياس على تحديد العلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته الذين يعيشون في بيئة معيشية واحدة، ولقد حدد الباحث تسعة أبعاد رئيسة تتعلق بهذا المقياس، والتي تمثلت في مشاركة الأدوار بين الزوجين، المصاحبة بين الزوجين، الاحترام بين الزوجين، مدى تدخل الأهل في شؤون الزوجين، المشاجرات بين الزوجين، التفكير في الطلاق ، أو التحدث عنه ، الانفصال بين الزوجين، وأخيراً وجود مشاكل واضطرابات بين الزوجين، فقد اقتصر مفهوم الاستقرار على العلاقة الزواجية بين الزوجين. وقد قام هادي مختار (1999ب) في دراسة أخرى باختبار الاستقرار الأسري وعلاقته ببعض المتغيرات الديموجرافية والاجتماعية مثل مكان السكن، ومستوى الدخل، عمر الزوجين، وعدد سنوات الزواج، وعدد الأبناء ووجود خادمة بالمنزل ، ونمط الزواج، وطريقة اختيار الزوج.

* يتم استخدام حرف العطف « و » إذا كان هناك أكثر من مؤلف ، وفي التقارير الأجنبية يستخدم الرمز «&» بدلاً من "and"، ويستخدم هذا الرمز في آخر المؤلفين مع وضع الفواصل بين المؤلفين إذا كانوا أكثر من اثنين.

* إذا لم يكن هناك مؤلف لأي مصدر من المصادر، فإنه يتم الترتيب وفقاً للعنوان الخاص بالعمل أو بالتقرير. ومن الممكن استخدام الاختصارات داخل متن البحث مثل (APA(على سبيل المثال للإشارة على اختصار عبارة American Psychological Association.

مثال :

- المجموعة الإحصائية للتأمينات الاجتماعية (2000). الكويت: التأمينات الاجتماعية.

–Department of Preventive Medicine and Epidemiology (1991). Manual of operational procedure. Maywood, Il: Author.

* لا توضع مراجع الاتصال الشخصي في القائمة الخاصة بالمراجع مثل رسالة شخصية عن طريق الإنترنت ، أو مقابلة شخصية، وذلك لأنها لا تعد مرجعاً من الممكن الرجوع إليه من قبل الآخرين، فهي تعد اتصالاً شخصياً لا يملكه إلا الباحث، ولكن من المهم أن يتم الإشارة إلى ذلك في متن البحث.

* في المراجع الأجنبية إذا كان المرجع ليس مجلة علمية (كعنوان رئيسي)، مثل كتاب ، مقالة ، أو صفحة إنترنت أو غيره يجب أن نضع الأحرف الكبيرة لأول حرف من الكلمة الأولى، ومن العنوان الفرعي. (العنوان الفرعي الذي دائماً يأتي بعد النقطتين أو الخط الأفقي).

* في المراجع الأجنبية يتم وضع عناوين الكتب ، وعناوين المجلات العلمية بخط مائل (انظر مثال الكتب والمجلات العلمية باللغة الإنجليزية).

* جميع المراجع سواء أكانت مقالات علمية ، أو كتباً ، أو مواضيع إنترنت ، أو

منشورات أو إحصائيات أو غيرها توضع وتدمج مع بعضها البعض بترتيب أبجدي.

قواعد عامة للمواد المطبوعة :

هناك مجموعة من القواعد العامة للمواد المطبوعة أقرتها رابطة علم النفس الأمريكية APA، ومن الممكن تلخيص أبرز هذه المواد المطبوعة والأكثر انتشاراً كالآتي:

ا - المقالة العلمية في المجلات العلمية والحوليات :

يتم ترتيب المقالة العلمية المنشورة في المجلات العلمية أو الحوليات على النحو الآتي:

أ - المؤلف الواحد:

المؤلف (السنة). عنوان المقالة أو البحث. عنوان المجلة أو الحولية، العدد: أرقام الصفحات.

* تجدر الإشارة هنا إلى أنه من الممكن أن يتم ذكر المجلد والعدد معاً بحيث يوضح رقم المجلد أولاً ثم العدد. مثال 17(ا). وهذا يعنى أنه رقم المجلد (17) عدد (ا) ومن ثم يتم استكمال أرقام الصفحات.

مثال :

فهد الناصر (2001) أسرى الحرب كضحايا للصراعات المسلحة في المجتمع المعاصر، الأبعاد الاجتماعية والنفسية. المجلة التربوية، 60 (10): 125-161 .

Hariow, H.F. (1983). Fundamentals for preparing psychology journal articles. Journal of Cooperative and Physiological Psychology, 55, 893-896.

ب - المقالة المكونة من مؤلفين إلى ستة مؤلفين:

- إذا كانت المقالة مكونة من مؤلفين إلى ستة مؤلفين يتم ذكرهم جميعاً ويوضع بينهم فواصل.
- في اللغة الإنجليزية يتم وضع الإشارة «&» اختصاراً لكلمة "and"، والتي ترمز إلى حرف العطف «و» بين المؤلف الأول والثاني إذا كانت المقالة تتكون من مؤلفين اثنين. وتوضع قبل الاسم الأخير إذا كانت المقالة تتكون من أكثر من مؤلفين اثنين.

* ما يتم ملاحظته أن المراجع العربية أقل من الأجنبية في أعداد المؤلفين للمقالة الواحدة بشكل عام.

مثال :

Kernis, M.H., Cornell, D.P., Sun, C.R., Berry, A., & Harlow, T. (1993). There's more to self-esteem than whether it is high or low: The importance of stability of self-esteem. Journal of Personality and Social Psychology, 65, 1190-1204.

ج - أكثر من ستة مؤلفين :

إذا وردت مقالة أو بحث لأكثر من ستة مؤلفين، يتم ذكر أول ستة فقط، ويتم الإشارة إلى الباقي بكلمة آخرين. وفي اللغة الإنجليزية يتم الإشارة إلى الرمز (et al). والتي تعني (and others) أي وآخرين.

Harris, M., Karper, E., Stacks, G., Hoffman, D., Deniro, R., Cruz, P., et al. (2001). Writing labs and the Hollywood connection. Journal of Film and Writing, 44(3), 213-245.

2 - المقالات في المجلات والجرائد :

هناك بعض المقالات التي تنشر في المجلات المختلفة، أو بعض المنشورات

المتعددة، ولها أيضاً طريقة في الترتيب تتمثل بالآتي :-

اسم صاحب المقال (السنة ، اليوم والشهر). عنوان المقالة. اسم المجلة، العدد: الصفحات.

مثال :

خالد عبد اللطيف (1994، 6 أبريل). العنصرية في الدول الغربية. مجلة العربي، 18: 90-,106

Henry, W. A., III. (1990, April 9). Making the grade in today's schools. Time, 135, 28-31.

3 – الكتب :

يتم ترتيب العناصر في الكتب على النحو الآتي :

المؤلف (السنة). عنوان الكتاب: العنوان الفرعي. بلد النشر: مكان النشر.

مثال :

يعقوب يوسف الكندري (2002). الديوانية الكويتية: دورها الاجتماعي والسياسي. الكويت: دار البلاغ.

Calfee, R.C., Valencia, R. R. (1991). APA guide to preparing manuscripts for journal publication. Washington, Dc: American Psychological Association.

* يلاحظ هنا أنه لا تذكر أرقام الصفحات مثل المقالة عند كتابة المرجع.

4 - **مقالة أو فصل من كتاب:**

في بعض الأوقات هناك مقالات أو فصول لمؤلفين محددين يتم نشرها داخل كتاب. فيضم الكتاب عدداً من المقالات والأبحاث. أو في بعض الأحيان يشترك مجموعة من الباحثين في كتابة فصول داخل الكتاب، وينسب كل فصل إلى صاحبه ، ويتم بعد ذلك جمع هذا الإنتاج بواسطة المحرر الذي يتولى عملية إخراج هذا الكتاب، ويذهب كثير من الباحثين إلى أخذ المعلومات من هذه الفصول، ويفترض أن يشيروا إلى هذا المصدر بالطريقة التالية :

مؤلف الفصل أو المقالة (سنة الكتاب). عنوان المقالة: العنوان الفرعي. في: اسم محرر الكتاب (محرر)، اسم الكتاب. (الصفحات). بلد النشر: الناشر.

مثال :

بشير مخلوف (1998). ضغط الدم المرتفع. أسبابه وطرق معالجته. في: أحمد مراد (محرر). الأمراض العصرية المزمنة (ص ص: 118-140). الكويت: دار القلم.

O' Neil, J. M., & Egan, J. (1992). Men's and women's gender role journeys: Metaphor for healing , transition , and transformation. In B. R. Wainrib (Ed.), Gender issues across the life cycle (pp. 107-123). New York: Springer.

5 - **الكتاب المترجم :**

يجب أن يتم ذكر من قام بعملية الترجمة ضمن عناصر المرجع فيتم ذكر المرجع المترجم بالطريقة الآتية :-

اسم المؤلف (السنة). عنوان الكتاب (اسم المترجم، مترجم). بلد النشر: الناشر.

مثال:

أحمد فيصل (1999). أمراض العصر (حسين فاضل، مترجم). الكويت: دار القلم.

Laplace, P.S. (1951). A Philosophical essay on probabilities (F.W. Truscott & F. L., Emory. Trans.). New York: Dever. (original work published 1814).

* من الممكن إضافة تاريخ نشر العمل الأصلي كما هو واضح في المثال.

6 – الأعمال التي لا مؤلف لها:

عندما يكون المؤلف غير معروف أو مجهول أو لا يوجد أساساً مؤلف محدد لهذا العمل يتم التعامل مع العناصر الموجودة في المرجع بالآتي :

عنوان المرجع. (الطبعة أن وجد). (السنة). بلد النشر: الناشر.

مثال:

ضغط الدم المرتفع (2000). بيروت: الدار العربية للعلوم.

Merriam-Webster's collegiate dictionary (10th ed.) (1993). Springfield, MA: Merriam-Webster.

7 – النشرات :

هناك العديد من الجهات الحكومية والأهلية التي تصدر بعض النشرات، والتي قد تكون مادة غنية بالمعلومات يستفيد منها القارئ والباحث، ويتم كتابة العناصر الخاصة بهذا النوع بالمراجع على النحو الآتي:

اسم الموضوع. (السنة). اسم النشرة (الطبعة إن وجدت)]نشرة.[بلد النشر: الناشر.

مثال:

أمراض القلب (2001). الصحة والمجتمع (الطبعة الأولى) [نشرة] الكويت: وزارة الصحة.

Research and Training Center on Independent Living. (1993). Guidelines for reporting and writing about people with disabilities (4th ed). {Brochure}. Lawrence, Ks: Author.

8 - الإصدارات الحكومية:

هناك العديد من الإصدارات التي تنشرها الدولة عن طريق مؤسساتها المتعددة، كالإحصائيات السنوية، والتقارير العامة وغيرها من هذا الإصدارات. ويتم التعامل معها بالطريقة الآتية:

اسم الموضوع. (السنة). اسم الإصدار (رقمه). بلد النشر: الناشر.

مثال :

الرضاعة الطبيعية (1998). الأمانة العامة للأوقاف (نشرة رقم 7). الكويت: الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.

National Institute of Mental Health. (1990). Clinical training in serious mental illness (DHHS Publication No. ADM 90-1679). Washington, DC: U.S. Government Printing Office.

9 - مراجعة كتاب:

هناك العديد من المجلات العلمية تجعل جزءاً خاصاً بمراجعات الكتب، فمراجعات الكتب هي معلومات من الممكن أن يستعين بها الباحث، إضافة إلى

ذلك هناك العديد من المراجعات العلمية الخاصة بالأفلام، وبرامج التلفزيون، وهي تأخذ الشروط نفسها بالنسبة للكتاب عند كتابته في المرجع، ومن الممكن تحديد طريقة كتابة العناصر في المرجع الخاص بمراجعة الكتاب أو مراجعة التلفزيون أو البرنامج بالآتي:

اسم المُراجع (السنة). عنوان الموضوع الذي تمت مراجعته (مراجعة كتاب). اسم المجلة العلمية، العدد: الصفحات.

مثال:

على الزعبي (2003) الثقافة والصحة والمرض: رؤية جديدة في الأنثروبولوجيا المعاصرة. (مراجعة كتاب). مجلة العلوم الاجتماعية، 40: 217-221 .

Baumeister, R.F. (1993). Exposing the self-knowledge myth {Review of the book The sekf-Knower : A hero under control}. Contemporary Psychology, 38, 466-467.

* يلاحظ في المرجع الأجنبي أن هناك عنواناً للمراجعة قام بوضعه المُراجع للكتاب الذي قام بمراجعته، وبالمثال العربي تم استخدام عنوان الكتاب الذي تمت مراجعته نفسه، وذلك لأن المُراجع لم يقم بإضافة أي عنوان على مراجعته واكتفى بوضع مراجعة كتاب.

10 - **معلومة من موسوعة:**

تعتبر الموسوعة من المصادر المهمة جداً، والتي تزود الباحث بالعديد من المعلومات عن أمور وقضايا مختلفة، وأن أهم ما تتميز به بعض الموسوعات

هي أنها تتكون من عدة مداخل أو موضوعات، هذه المداخل تشكل بحد ذاتها عناوين رئيسة لموضوع محدد، يتم كتابتها بطريقة أبجدية. وكثير من الباحثين يقتبس المعلومات من هذه المداخل الموجودة في الموسوعات، والتي يفترض أن يتم الإشارة إلى المرجع بهذه الطريقة :

اسم المؤلف (السنة). اسم الموضوع في المدخل. في: اسم الموسوعة (جزء، الصفحات). بلد النشر: الناشر.

مثال:

خالد عبد السلام (1994). الديوانية. في: الموسوعة العربية (جزء 2، ص ص: 66 – 67). بيروت: دار البيضاء.

Bergmann, P.G. (1993). Relativity, In The New Encyclopedia Britannica (vol. 26, pp. 501-508). Chicago: Encyclopedia Britannica.

11 – مقالة من الانترنت :

أصبح الانترنت واحدة من أبرز مصادر المعلومات التي من الممكن أن يبحث فيها الباحث، وهناك العديد من المواقع المتعددة تعرض مقالات وأبحاثاً كاملة Full text يستطيع أن يحصل من خلالها الباحث على المعلومة المطلوبة، وهناك أيضاً مواقع تعرض بعض المعلومات المفيدة، والتي قد تكون من خلال صفحات شخصية أو تابعة لهيئات ومؤسسات متعددة، وهناك قواعد بيانات كاملة من الممكن أن تعرض مقالات وأبحاثاً متعددة، فيمكن الأخذ منها مباشرة، ويتم التعامل معها مثل التعامل مع المقالات في المجلات الورقية ، ولكن يتم ذكر اسم قاعدة البيانات التي تم أخذ المعلومات منها ووقت أخذ هذه المعلومات.

مثال :

Smyth, A.M., Parker, A. L., & Pease, D.L, (2002). A study of enjoyment of peas. Journal of Abnormal Eating, 8(3), 77-88. Retrieved February 20, 2003, from Psycarticles database.

أما إذا تم الحصول على معلومة معينة من موقع محدد ، فإن الموقع يجب أن يتم ذكره بعد نهاية المقالة إضافة إلى وقت أخذ هذه المعلومة . فمن الممكن أن تكون كالآتي:

اسم المؤلف (السنة). الموضوع. المجلة ، المجلد (العدد). أخذت في تاريخ ، من اسم الموقع //:Http

مثال:

أحمد عبد الله (2002). الصحة والمرض. الصحة النفسية، 6(2).
أخذت في 7 مارس 2003، من http:\\www.ahmed.abdullah

Kenneth, I. A. (2000). A Buddhist response to the nature of human rights. Journal of Buddhist Ethics, 8 (4). Retrieved February 20, 2001, from . http//www.cac.psu.edu/jbe/twocont,html

* يلاحظ أن:

1 – هناك ثورة في الدراسة الغربية التي تعرض إنتاجها العلمي من خلال قواعد البيانات.

2 – لا يتم ذكر الصفحات ، وذلك لأن العديد مما يذكر في الإنترنت لا يتم اكتشاف أرقام الصفحات الأصلية كما وردت في المقالة الورقية، وإن كان في قواعد البيانات يظهر ذلك.

3 – هناك بعض المقالات أو الأبحاث أو المنشورات التي لا يوجد فيها اسم مؤلف ، فيتم التعامل معها كما هو الحال في المراجع مجهولة المؤلف ،

ويضاف عليها الوقت الذي أخذت منه المعلومة إضافة إلى الموقع.

4 – بعض المعلومات لا تكون لمؤلف ولا تكون مأخوذة من مجلة ، وقد لا يكون فيها سنة . فهنا يتم التعامل معها برفع هذه العناصر من الطريقة المكتوبة للمقالة. فتكون كالتالي:

اسم الموضوع (السنة إن وجدت). أخذت بتاريخ، عنوان الموقع.

مثال :

ضغط الدم. أخذت بتاريخ 20 فبراير 2003، من http://www.bloodpressure.blood

5 – يتم التعامل مع الكتب أو فصول من الكتب بالطريقة نفسها للكتب أو الفصول الورقية مع إضافة التاريخ الذي أخذت منه المعلومة إضافة إلى الموقع.

The Foundation for a Better world. (2000). Pollution and banana cream pie. In Great chief cook with chlorofluorocarbons and carbon monoxide (chap. 3). Retrieved July 13, 2001, from http://www.bamm.com/cream/pollution/bananas.htm.

12 – معلومات من رسالة إلكترونية:

كما سبقت الإشارة ، الرسالة الإلكترونية الشخصية لا يتم ذكرها في قائمة المراجع، ولكن يتم كتابة الرسالة الإلكترونية إذا كانت رسالة مأخوذة من مجموعات ذات الاهتمام المشترك News groups، أو المنتديات Discussion group أو مواقع اتصال أخرى، والسبب في ذكر هذا النوع من المصادر وعدم القدرة على استخدام الرسالة الإلكترونية الشخصية هو أن المعلومة في الأولى يمكن الرجوع إليها، أما في الثانية الشخصية لا يمكن للقارئ أن يعثر عليها، وذلك بحكم كونها شخصية، ومثال على الرسالة الإلكترونية يمكن إيضاحه

كالآتي:

Frook, B. D. (1999, July 23). New inventions in the cyberworld of toylandia {Msg 25}. Message posted to http://groups.earthlink.com/forum/messages/0025.html

13 - بث تلفزيوني:

هناك العديد من المعلومات المهمة تعرض في جهاز التلفاز من المحطات المتعددة التي من الممكن أن يرجع إليها الباحث، وتعد مصدراً مهماً من مصادر المعلومات ، ولا سيما تلك البرامج الثقافية والعلمية، والمقابلات الشخصية والتاريخية وغيرها، فتزخر هذه الأنشطة التلفزيونية بمعلومات غنية من الممكن أن يلجأ إليها الباحث، ومن الممكن أن يتم ترتيب عناصر المرجع بالآتي:

المنتج . (السنة ، التاريخ). عنوان الموضوع (بث تلفزيوني أو حلقة تلفزيونية). بلد المنتج: الاستديو أو الموزع.

مثال:

بيتك (برنامج) . (2003، 4 مارس). الديوانية (بث تلفزيوني). الكويت: تلفزيون دولة الكويت. البرنامج الأول.

إذا كان المنتج حلقة خاصة يقدمها مذيع محدد وبشكل دوري ، يتم كتابتها كما في المثال الآتي:

مثال:

أحمد شوقي الفنجري (1994، 12 أكتوبر). العلم والحياة. (حلقة تلفزيونية). الكويت: تلفزيون دولة الكويت: البرنامج الأول.

أما إذا كانت مقابلة تلفزيونية ونقلت المعلومة من الشخص الذي أجريت

معه المقابلة ، فيمكن كتابتها بالطريقة الآتية :

يعقوب يوسف الكندري (2004 ، 6 مايو). الكويت في عيون الباحثين (برنامج تلفزيوني). الكويت : تلفزيون دولة الكويت: البرنامج الأول.

Important, I.M. (Producer). (1990, November 1). The Nightly News Hour. {Television broadcast}. New York: Central Broadcasting Service.

14 - الأطروحات الجامعية:

تعد الأطروحات الجامعية أيضا من مصادر الحصول على المعلومات ، فيفترض على الباحث أن يقوم بالاطلاع على الدراسات التي سبقته في مجال بحثه . ومن هذه الدراسات الأطروحات الجامعية، ويتم ترتيب عناصر المرجع الخاص بالاطروحات على النحو الآتي:

اسم الطالب (السنة). عنوان الأطروحة. نوع الأطروحة (غير منشورة) الجامعة المصدرة للدرجة: القسم، البلد.

مثال :

يعقوب يوسف الكندري (1995). الوظائف الاجتماعية للديوانية في المجتمع الكويتي. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ولاية أوهايو: قسم الأنثروبولوجيا ، الولايات المتحدة.

Alkandari, Y. (1999). Consanguineous marriage and its effect on Spousal concordance among the "Al-Kandari" in Kuwait. Unpublished Ph.D. Dissertation, The Ohio state University: Department of Anthropology, USA.

لإشارة إلى مراجع البحث داخل المتن :

تجدر الإشارة هنا إلى أنه يجب أن يتم ذكر المراجع الذي اعتمد عليها الباحث داخل متن البحث أيضاً، فيمكن كتابة هذه المراجع داخل البحث نفسه، وهناك العديد من الطرق التي يستطيع أن يعتمد عليها الباحث عند الإشارة إلى مراجع البحث داخل المتن، فهناك من يعتمد على ذكر هذه المراجع عن طريق ما يسمى بالهوامش سواء أكانت أسفل الصفحة أو آخر الفصل، وهناك من يعتمد على ذكر الهوامش في نهاية التقرير أو البحث، ويكتفي بذلك، وتكون هي الهوامش، وهي المراجع نفسها كما هو متبع في بعض المجلات العلمية مثل مجلة العلوم الإنسانية التي تصدر عن مجلس النشر العلمي لجامعة الكويت وغيرها، ولعل النظام المستخدم في رابطة علم النفس الأمريكية (APA) تختلف عن هذا النظام؛ فلا يتم الإشارة إلى المراجع داخل المتن على طريقة عرض الهوامش، إنما توضع داخل المتن بالتحديد، وتستخدم الهوامش أسفل الصفحة لأغراض أخرى.

ويمكن إبراز أهم القواعد المتبعة في عملية كتابة المراجع داخل متن البحث أو التقرير كما أوردها وفصلها رجاء أبو علام (1999 : 613-616)، فقد أشار أبو علام على أنه على الرغم من عدم وجود اختلافات أساسية في أسلوب الإشارة للمراجع في النص بين المراجع العربية والمراجع الأجنبية ، فان هناك اختلافاً في طريقة ذكر اسم المؤلف، إذ يجب على الباحث أن يستخدم الأسلوب المتعارف عليه في الإشارة لأسماء في العربية حين يذكر اسم المؤلف الأول ثم الاسم الثاني، وقد درج بعض الباحثين على ذكر الاسم الأخير كما هو متبع في البحوث الأجنبية إلا أن هذه الطريقة تبدو غريبة على القارئ العربي، الذي تعود على ذكر الاسم كاملا، بادئاً بالاسم الأول. وعلى هذا تكون الإشارة إلى المرجع في المتن كما يلي :

* ويذكر عبد العزيز القوصي (1970) أن ....

* ويعرف الذكاء إجرائياً بأنه .... (أحمد زكي صالح، 1973).

ويجب توثيق التقرير من بدايته إلى نهايته وذلك بذكر المؤلف وتاريخ نشر المرجع الذي رجع إليه الباحث، ويساعد هذا الأسلوب القارئ في التعرف على المراجع ويمكنه من تحديد المرجع في القائمة الأبجدية في نهاية التقرير، وفيما يلي أنواع الإشارة للمراجع في المتن:

1 - **ذكر مرجع واحد لمؤلف واحد** : يذكر اسم المؤلف والسنة على النحو الآتي:

* وقد قارن روجرز (Rogers, 1994)زمن الرجع. ..
* وفي دراسة حديثة عن زمن الرجع (. Rogers, 1994)
* ويعرف أحمد زكي صالح (1973) الذكاء إجرائيا...
* وترجع أسباب التأخر الدراسي إلى ... (عبد العزيز القوصي، 1970).

ويلاحظ أن اسم المؤلف يظهر كجزء من النص كما هو الحال في المثال الأول عن روجرز ، والمثال عن أحمد زكي صالح، وفي هذه الحالة تذكر سنة النشر فقط بين قوسين بعد اسم المؤلف الوارد في النص، وإذا ذكر اسم المؤلف لاحقاً كما في المثال الثاني لروجرز ، والمثال الثالث عن عبد العزيز القوصي، يذكر اسم المؤلف والسنة وبينهما فاصلة.

وضمن الفقرة الواحدة لا يحتاج الأمر إلى ذكر السنة مرة أخرى إذا لم يكن هناك احتمال بخلط هذه الدراسة بدراسة أخرى.

مثال:

وفي دراسة حديثة عن زمن الرجع وصف روجرز (1994) طريقة... كما وجد روجز أيضاً.

2 - **عمل واحد لعدة مؤلفين** : إذا كان هناك مؤلفان للعمل نفسه يجب ذكر اسم المؤلفين باستمرار في كل مرة يشار فيها المصدر في المتن. وإذا كان هناك ثلاثة أو أربعة أو خمسة مؤلفين فإنه يجب ذكر الأسماء كلها في أول مرة

يشار فيها إلى المصدر، وفي كل إشارة تالية لنفس المصدر يذكر اسم المؤلف الأول فقط يعقبه «وآخرون».

وقد وجد واسرستين وزابولا وروزن وجرستمان وروك

(Wasserstein, Zapplla, Rosen, Gerstman, and Rock, 1994)

وذلك إذا كانت الإشارة للمرة الأولى، أما إذا كانت الإشارة للمرجع بعد ذلك فيكفي ذكر اسم المؤلف الأول على النحو الآتي :

* وقد وجد واسرستين وآخرون (Wassertein et al., 1994)

3 – **عمل واحدة لستة مؤلفين أو أكثر** : في هذه الحالة يشار للمؤلف الأول فقط يعقبه «وآخرون» في اللغة العربية ، وفي اللغة الأجنبية، "et al.,"

* (Kosslyn, Koenig, Barrett, et al., 1992)

4 – **جماعة المؤلفين** : إذا كان المؤلفون جماعة (مؤسسة ، أو رابطة، أو هيئات حكومية، أو مجموعة دراسية) يجب ذكر اسم الجماعة في كل مرة يشار فيها إلى المرجع، وعند ذكر اسم الجماعة لأول مرة يذكر الاسم كاملاً للجماعة، وإذا كان هناك اختصار لهذا الاسم ، يذكر الاختصار عقب الاسم في أول مرة يشار فيها للمرجع، ثم يذكر الاختصار بعد ذلك فقط ، مثال ذلك عند ذكر مرجع لرابطة علم النفس الأمريكية ففي أول مرة يشار فيها للمصدر:

* (American Psychological Association (APA), 1994)

وفي المرات التالية (APA, 1994) *

5 – **الأعمال التي لا مؤلف لها أو مجهولة المؤلف** : عندما يكون المؤلف مجهولاً أو غير معروف يذكر اسم العمل مقروناً بسنة النشر بين أقواس مزدوجة مثال ذلك :

(«تقرير تطور التعليم» 1965)

وتعامل التقارير الشرعية معاملة التقارير التي لا مؤلف ، مثال ذلك حالات المحاكم ، والتشريعات الحكومية.

6- **ذكر أكثر من مرجع داخل مجموعة واحدة من الأقواس :** ترتب المصادر المتعددة التي تذكر داخل نفس القوسين بنفس ترتيبها في قائمة المراجع في نهاية التقرير، وإذا كان هناك عملان لمؤلف واحد ترتب حسب تاريخ النشر. أما المراجع التي مازالت تحت الطبع فتذكر كآخر مصدر داخل القوسين.

وإذا كان هناك أكثر من مصدر لنفس المؤلف أو المؤلفين نشرت في سنة واحدة فيضاف الحروف الأبجدية أ ، ب ، ج ، بعد السنة . مثال ذلك 1994 أ ، 1994 ب، وهكذا.

ولابد من الإشارة إلى أنه يتم ذكر المؤلف والسنة إذا قام الباحث بنقل المعلومات ضمناً، أما إذا كانت اقتباساً حرفياً فإنه يفترض أن يتم ذكر المؤلف والسنة، ورقم الصفحة أو الصفحات. مثال:

- يشير رجاء محمود أبو علام (1999 : ص 613) إلى ...
- وترون الأداة على أنها ... (رجاء محمود أبو علام، 1999 ، ص. 381).

ففي المثال الأول تكون داخل بين الكلمات ، والمثال الثاني في نهاية الفقرة، وإذا كانت أكثر من صفحة تم الاقتباس منها فيشار إليها بـ ص ص باللغة العربية أو .PP للغة الإنجليزية ويذكر عدد الصفحات من – إلى مثل : 15–20 . هذا ويتم عادة استخدام الحرف (ص) أو (P) في كثير من الأحيان كما هو الحال في هذا الكتاب، فيتم وضع علامة «:» (نقطتين على بعضهما البعض)، ومن ثم أرقام الصفحات مباشرة. مثال: (رجاء محمود أبوعلام، 1999 : 381).

الأعمال ذات المصدر الثاني:

ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك العديد من الأعمال التي من الممكن أن

يستعين بها الباحث ، ولكن لا يستطيع الحصول على هذه الأعمال من مرجعها أو مصدرها الأصلي، فقد يجدها موجودة ضمن عمل آخر ، أي: أن أحد الباحثين قام باستخدام هذا المرجع وقام بتدوينه واعتمد على المرجع الأصلي، فهذا المرجع الأصلي لم يستطع أن يصل إليه الباحث ويريد أن يقوم بنقله في بحثه.

هنا لابد من مراعاة جانب مهم عند عملية النقل الحرفي أو الضمني، فيجب أن يشير الباحث إلى أن الحديث أو الكلام الذي أخذه من المصدر لا يعتبر أصلياً، أي: أنه قد قام بنقله من مصدر آخر، وليس هو الذي قام بنقله من المصدر الأصلي. فيوضح المصدرين بالطريقة التالية داخل متن البحث .

ويرى أحمد عبد الله (1999) أنه (نقلا عن خالد فيصل ، 2001).

In Seidenberg and McClellan's study (as cited in Coltheart, Curtils, Atkins, & Haller, 1993),...

فهنا يشير إلى أنه قد رجع إلى كتاب خالد فيصل المنشور في سنة 2001 وليس كتاب أحمد عبد الله المنشور في سنة 1999، إن ذلك يضفي الأمانة في عملية النقل، ويحمل الباحث مسؤولية كاملة للباحث الثاني وليس الأصلي، وفي المراجع يفترض أن يتم نقل المرجع الثاني وليس الأصلي، أي: المرجع الذي أطلع عليه الباحث ، وليس المرجع الأصلي.

الهوامش:

لابد من الإشارة إلى أن النظام المتبع الخاص بـ APA لا يستخدم الهوامش سواء أكانت أسفل الصفحة Footnote أو آخر الفصل أو التقرير أو البحث Endnotes عند عملية الإشارة إلى المراجع والمصادر، بل يتم استخدام

الهوامش فقط عند عملية شرح وضع أو محتوى معين لا يكون مجاله داخل المتن ، أو الإشارة إلى ما يتعلق بحقوق النقل، ففي المسألة الأولى من الممكن أن يقوم الباحث بكتابة شرح لمفهوم معين من غير المهم أن يذكر شرح هذا المفهوم داخل المتن، ولا يؤثر فيه عند عدم ذكر هذا الشرح، وفي الحالة الثانية عندما يقوم الباحث بالنقل الحرفي أو الضمني لمحتوي كتاب أو فصل من كتاب أو موضوع محدد من عمل الآخرين، فيضطر للإشارة في أسفل الصفحة حتى يشير إلى المرجع الأصلي الذي نقل منه اقتباساً أو تضميناً، وذلك بدلاً من أن يرجع إلى كل فقرة من الفقرات، ويضع الأقواس بعد كل فقرة. أو من الممكن أن يشير إلى المرجع الأصلي للاستزادة لقراءات إضافية.

وضع الجداول:

يستخدم نظام ((APAآلية محددة للجدول من الممكن إبرازها في النقاط الآتية:

ا – لا يتم وضع جميع الأرقام في جداول ، بل يتم الاعتماد على الجداول إذا كان هناك عدد كبير من المعلومات الرقمية التي تحتاج إلى تنظيم.

2 – كل جدول يجب أن يذكر رقمه، جدول (ا) ، جدول (2)... ويجب أن يتم الإشارة إلى الجدول داخل متن البحث.

3 – يجب ألا يتم التطرق إلى كل جزئية خاصة بالجدول عند التحليل، بمعنى ألا يتم تحليل جميع الأرقام، بل يتم الاكتفاء فقط بما يبرز الأرقام المهمة.

4 – يجب أن يتم ذكر معنى الاختصارات في حال ورودها بالجدول، إما بالمتن أو في عنوان الجدول. مثل (ت) يعني اختبار، (م) يعني المعدل أو المتوسط، و(ع) وتعني الانحراف المعياري وهكذا. والشيء نفسه بالنسبة للاختصارات الإنجليزية مثال (M) يعني (Mean) وهكذا .

5 – الجداول يتم وضع عناوين خاصة بها تشرحها باختصار.

المـــراجع

المراجع

أولاً- المراجع الأجنبية:

- Abdullah (Al-Kandari), Y. (1999). Consanguineous marriage and its effect on spousal concordance among the "Al-Kandari" in Kuwait. Unpublished Dissertation. The Ohio State University. Department of Anthropology, USA.

- Al-Isa, A. Prevalence of Obesity Among Adult Kuwaitis: A Cross-Sectional Study. International Journal of Obesity. 1995; 19:431-433.

- American Psychological Association APA, (1994). Publication Manual (4th ed.). Washugtion, D.C.

- Armstrong, J. Sand Lusk, EJ. (1987). Return Postage in mail survey: A meta-analysis. Public Opinion Quarterly, 51: 233-248.

- Babbie, Earl (1995). The Practice of Social Research. Belmont: Wadsworth Publishing Company, An International Thomson Publishing Company.

- Badger, Steve (1999). The Method of Natural Science. (online). http://steve-badger.net/cfns/method.html

- Baker, Therese (1999) Doing Social Research. Boston: McGraw-Hill College.

- Bates, Daniel and Plog, Fred (1990). Cultural anthropology. New York: McGraw-Hill Publishing Company.

- Becker, H. S. (1970). Sociological work: method and substance. Chicago: Aldine.

- Berelson, B (1952). Content analysis in communication research. Free Press.

- Bernard, H. Russell (1994). Research methods in Anthropology: qualitative and quantitative approaches. Thousand Oaks: Sage publication.

- Best, John W. (1981). Research in Education. New Jersey: Prentice-Hall, INC., Englewood Cliffs.

- Bogdan, Robert C. and Biklen, Sari K. (1998). Qualitative research for education: An introduction to theory and methods. Boston: Allyn and Bacon.

- Cutler, Alan (2003). The seashell on the mountain top. London: Heinemann.

- Davies, Paul (1992). The Mind of God. New york: Touchstone.

- Davis, (1971). Elementary Survey Analysis. Anglewood Cliffs, N.J. Prentice Hall.

- Dollard, John (1935). Criteria for the Life History. New Haven: Yale University Press.

- DuBois, Cora (1960) The People of Alor. Cambridge Mass.: Harvard University Press.

- Edgerton, R. (1984) The participant-observer approach to research in

mental retardation. American Journal of Mental Deficiency, 88, 498-505.

- Evans-Pritchard, E. (1967) Social Anthropology. London: Routledge Paperback.

- Glass, G.V. (1976) Primary, Secondary, and Meta-analysis. Educational Researcher,5: 3-8.

- Goode, C. and Scates, D. (1945). Methods of research, educational, Pysciaological , sociological. New York.

- Greenhaigh, T.(1997). How to read a paper: Papers that summarize other papers (Systematic reviews and meta-analyses). BMJ, 315: 672-675.

- Hague, R.; Martin, Harrop; and Shaun, Breslin (1998). Comparative government and politics: An introduction. Macmillan.

- Hammond, Peter (1972). Cultural and social anthropology. New York: The Macmillan Company.

- Harvey, Paul and Pagel, Mark (1991). The comparative method in evolutionary biology. Oxford: Oxford University Press.

- Haviland, W. (1994). Anthropology. Fort Worth: Harcourt Bvace College Publishers.

- Hestenes, David (1987). Toward a modeling theory of physics instruction. American Journal of Physics. 55: 440-54.

- Hirschi, Travis (1969) Causes of Delinquency. Berkeley, CA:

University of California.

- Hopkins, KD. Hopkins, BR. And Glass, G. (1996). Basic Statistics for the behavioral sciences. Boston: Allyn and Bacon.

- Krathwohi, D. R(1988). How to prepare a research proposal. Syracuse, NY: Syracuse University Press.

- Le Compte, MD. and Preissle, J (1993). Ethnography and qualitative design in educational research. San Diego: Academic Press.

- Lewis, Oscar (1961). Children of Sanchez: Auto-biography of a Mexican family. New York: Random House.

- Lewis, Oscar (1965). La Vida: A Puerto Rican Family in the Culture of Poverty--San Juan and New York. New York: Random House.

- Moore, G.W. (1983). Developing and Evaluating Educational Research. Boston: Little, Brown, and Company.

- Moser, C.A. (1967). Survey methods in social investigation. London: Heinemann.

- Mosher, William (2001) National Survey of Family Growth. Hyattsville: National Center for Health Statistics.

- Murdock, George (1981a). Atlas of world cultures. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.

- Murdock, George (1981b). Ethnographic Atlas. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press.

- Naroll, N. (1962). Data quality control. New York: Free Press.

- Neuman, W. Lawrence (1997). Social Research Methods: Qualitative and Quantitative Approaches. Boston: Allyn and Bacon.

- Pederson, Holger (1962). The Discovery of Language. Bloomington: Indiana University Press.

- Peters, E (1977). Aspects of rank and status among Muslims in Lebanese village. In: Mediterranean Countrymen. J. pitt-Rivers (ed.) Wesport: Greenwood Press.

- Radcliffe-Brown, AR. (1933). The Andaman Islanders. Cambridge: Cambridge U.P.

- Rivers, WH. (1910). The genealogical method of anthropological enquiry. Sociological Review. 3:227-234.

- Robinson, William (online). Differences between natural and social sciences. Http://webiutk.edu/~wrobinso/531_lec_SSgen.html

- Romney, A.K., Weller, S.C., and Batchelder, W.H(1986). Culture as consensus: A theory of culture and informant accuracy. American Anthropologist. 88:313-338.

- Rynkiewich, M. and Spradley, J. (1976). Ethics and Anthropology. New York: John Wiley.

- Sagor, Richard (1992). How to conduct collaborative action research. Alexandria Virginia: Association for Supervision and Curriculum Development.

- Scupin, Raymond 91992). Cultural anthropology: A global perspective. New Jerse: PRENTICE HALL, Englewood Cliffs.

- Stainback, Susan and Stainback, William (1988). Understanding and conducting qualitative research. Dubuque, Iow: Kendall/ Hunt publishing company.

- Swedner, H. (1968). Observation as- a method of social research. Paper Submitted to the 2nd Unesco Seminar on Social Research Methodology, Denmark.

- Taylor, Steven and Bogdan, Robert (1984). Introduction to qualitative research methods: the search for meaning. New York: John Wiley and Sons.

- Westgard, James (2000). Method validation: The comparison of methods experiment. Madison: Westgard QC, Inc.

- Wikipedia encyclopedia (on line). http://en.wikipedia.org

- Yin, R. (1993). Applications of case study research. Beverly Hills, CA: Sage Publishing.

ثانيا - المراجع العربية:

- أحمد بدر (1975). أصول البحث العلمي وأهدافه ومناهجه. الكويت: وكالة المطبوعات.

- أحمد زكي بدوي (1986). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: إنجليزي-فرنسي-عربي). بيروت: مكتبة لبنان.

- أحمد محمد عبد الخالق (1996). قياس الشخصية. الكويت: مجلس النشر العلمي-جامعة الكويت.

- إخلاص محمد عبد الحفيظ ومصطفى حسين باهي (2000). طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية.

القاهرة: مركز الكتاب للنشر.
- اعتماد علام ويسري رسلان (1991). أساسيات الإحصاء الاجتماعي. الدوحة: دار قطري ابن الفجاءة.
- جمال زكي والسيد يس (1962). أسس البحث الاجتماعي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- جودت عزت عطوي (2000) أساليب البحث العلمي: مفاهيمه - أدواته - طرقه الإحصائية. عمان: مدينة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- جون و. بست (1988). مناهج البحث التربوي. ترجمة: عبدالعزيز غانم الغانم. الكويت: سلسلة الكتب الترجمة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر.
- حسنى حمدي (د.ت). مقدمة في التحليل الإحصائي. مذكرة غير منشورة.
- حسين فرحان رمزون (1994). قراءات في أساليب البحث العلمي. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله (1992). المرشد في كتابة الأبحاث. جدة: دار الشروق.
- خليل عبد المقصود، محمود عرفان، رضا سلامة، أحمد عبد الفتاح، مجدى عبد ربه (1999). أصول البحث الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية. القاهرة: مكتبة الصفوة.
- خير الدين على أحمد عويس (1997). دليل البحث العلمي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ذوقان عبيدات، عبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق (1998). البحث العلمي: مفهومه، وأدواته، وأساليبه. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- رجاء محمود أبو علام (1999). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- رجاء وحيد دويدري (2000). البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارساته

العملية. دمشق: دار الفكر.
- سامي عريفج، خالد حسين مصلح، ومفيد نجيب خواشين. علم النفس التطوري. عمان: دار مجدلاوي.
- سعيد ناصف (1997). محاضرات في تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها: نماذج لدراسات وبحوث ميدانية. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- سليمان خلف (1995). طرق ووسائل البحث في علم الإنسان. في: علم الإنسان: مدخل عام. دبي: الإمارات العربية للنشر والتوزيع.
- سمير نعيم أحمد (د.ت): محاضرات في المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية. القاهرة: جامعة عين شمس (د.ن).
- شاكر مصطفى سليم (1975). المدخل إلى الأنثروبولوجيا. بغداد: مطبعة العاني.
- صلاح العلي (1998). البحث العلمي. الكويت: شركة المكتبات الكويتية.
- طاهر مرسي عطية (1994). إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه في العلوم الإدارية: إدارة الأعمال، المحاسبة، الاقتصاد. القاهرة: دار النهضة العربية.
- طلال المجذوب (1993). منهج البحث وإعداده. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- عادل مختار الهواري (1993) مناهج البحث الاجتماعي. الكويت: مكتبة الفلاح.
- عبد الباسط عبد المعطي (1995). البحث الاجتماعي: محاولة نحو رؤية تقديمه لمنهجه وأبعاده. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الباسط محمد حسن (1977). أصول البحث الاجتماعي. القاهرة: مكتبة وهبة.
- عبدالرحمن بن خلدون (د.ت) مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الجيل.
- عبد الرحمن عميره (1981). أضواء على البحث والمصادر. بيروت: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع. (مكتبة حولي العامة).

- عبد الفتاح إبراهيم القرشي (2001). تصميم البحوث في العلوم السلوكية. الكويت :دار القلم.
- عبد الله الكندري (1985). مبادئ الإحصاء وأساليب التحليل الإحصائي. الكويت: ذات السلاسل.
- عبد الله عامر الهمالي (1993). أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
- عبد الله عبد الغني غانم، سعيد فالح الغامدي، حسن محمد صالح (1989). المدخل إلى علم الإنسان. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- عبد الوهاب إبراهيم (1985). أسس البحث الاجتماعي. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.
- عبد الوهاب إبراهيم أبو سلمان (1987). كتابة البحث العلمي: صياغة جديدة. جدة: دار الشروق.
- عقيل حسين عقيل (1999). فلسفة مناهج البحث العلمي. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- على عبد الرازق جلبي (1996) تصميم البحث الاجتماعي: الأسس والاستراتيجيات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- على عبد العزيز النفيلي (1997) مدخل إلى الأنثروبولوجيا البيولوجية. الكويت: المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية.
- علي عبد المعطى محمد ومحمد السرياقوسي (1988). أساليب البحث العلمي. الكويت: مكتبة الفلاح.
- علي عسكر، حسن جامع، فاروق الفرا، وليد هوانه (1992). مقدمة في البحث العلمي، الكويت: مكتبة الفلاح.
- عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات (1989). مناهج البحث العلمي: أسس وأساليب. عمان: مكتبة المنار.
- غازي عناية (1986). إعداد البحث العلمي: ليسانس - ماجستير - دكتوراه.

الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- فاروق إسماعيل (1987). المدخل إلى الأنثروبولوجيا: النظرية والمنهج. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- فتحية محمد إبراهيم، وسلوى عبد الحميد الخطيب (1995). مدخل إلى دراسة الأنثروبولوجيا النفسية. الرياض: دار المريخ.
- فتحية محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواي (1988). مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان: الأنثروبولوجيا. الرياض: دار المريخ.
- كامل محمد المغربي (2002). أساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. عمان: الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع.
- كمال المنوفي (1984). مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة. الكويت.
- كوكب كامل خير (د.ت). منهج البحث العلمي. القاهرة: مكتبة عين شمس.
- لويس كوهين ولورانس مانيون (1990). مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية. ترجمة وليم تاو ضروس عبيد وكوثر حسين كوجك. القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع.
- محمد الصاوي محمد مبارك (1992). البحث العلمي: أسسه وطريقة كتابته. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- محمد الغريب عبد الكريم (1994). البحث العلمي. التصميم والمنهج والإجراءات. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- محمد سليمان الحداد، ومحمود النجار (د.ت). الأنثروبولوجيا: مقدمة في علم الإنسان. الكويت: المطبعة الدولية.
- محمد شفيق (1993). البحث العلمي: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- محمد عبده محجوب (1988). مقدمة في الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي.

الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
– محمد على محمد (1983). البحث الاجتماعي. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
– محمد عوض عبد السلام (1987). الإحصاء في العلوم الاجتماعية المفهومات والمبادئ الأساسية. الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة.
– محمد محمد الهادي (1995). أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
– محمد مصطفى زيدان (1990). الاختبارات والمقاييس النفسية. جدة: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
– معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: إنجليزي– فرنسي – عربي (1986). إعداد: أحمد زكى بدوى. بيروت: مكتبة لبنان.
– وزارة التربية (1982) المدخل إلى الإحصاء والاحتمال (المرحلة الثانوية). الكويت: وزارة التربية .
– يعقوب يوسف الكندري (2001). الصحة الجسمية وعلاقتها ببعض المتغيرات الاجتماعية الثقافية عند المسنين في المجتمع الكويتي: مجلة بحوث كلية الآداب 470: 3–,26
– يعقوب يوسف الكندري (2002) العادات الاجتماعية لدورة الحياة اليومية– مرحلة الوفاة. دراسة غير منشورة. الدوحة: مركز التراث الشعبي، مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
– يعقوب يوسف الكندري (2005). الاستبانة: تصميمها، وطرق المعالجة الإحصائية في العلوم الاجتماعية والسلوكية. بيروت: دار الأحباب.
– يوسف العنيزي، سمير يونس، عبد الرحيم سلامة، سعد الرشيدي (1999). مناهج البحث التربوي بين النظرية والتطبيق. الكويت: مكتبة الفلاح.
– يوسف مصطفى القاضي (1984). مناهج البحث وكتابتها. الرياض: دار المريخ.

الملخص

لعل أحد أبرز الأهداف الرئيسة من هذا الكتاب هو أن يكون مادة مناسبة وسهلة وبسيطة لطلبة الجامعة في مرحلة البكالوريوس فيما يتعلق بطرق ومناهج البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية، هذا بالإضافة إلى أنه يشكل اللبنة الرئيسة لطلبة الدراسات العليا لفهم المناهج والأدوات البحثية المستخدمة في هذا المجال. لقد ركز الكتاب الذي يعتبر في واقع الأمر من الكتب الجامعية على طرق البحث بشقيها الكمي والكيفي، والمستخدمة في فروع المعرفة المرتبطة بمجال البحث الاجتماعي. وقد احتوى الكتاب على العديد من الأدوات والأساليب البحثية التي تخدم مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية. وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء رئيسة حددت بالأبواب، شملت سبعة عشر فصلاً، ناقشت مواضيع بحثية متعددة، انطلق الجزء الأول التمهيدي بالبحث العلمي ومفاهيمه وأنواعه ببداية الإعداد له، فاحتوى على سبعة فصول خاصة بوحدة المنهج العلمي وأهدافه، والبحوث الكمية وتصنيفها، والبحوث الكيفية وتصنيفها، ومشكلة البحث، وفروض البحث وتساؤلاته، وإعداد خطة البحث، والعينة وطرق اختيارها. وشمل الجزء الثاني الأدوات البحثية المتعددة الكمية والكيفية، والتي شملت أيضا سبعة فصول جاءت على التتابع في الآتي: الاستبانة، والمقابلة، والاختبارات والمقاييس، والملاحظة والملاحظة بالمشاركة، والإخباريون، وفصل خاص عن وسائل أخرى لجمع البيانات، ثم الصدق والثبات لأدوات جمع البيانات. ثم جاء الجزء الثالث الخاص بتحليل البيانات وطرق كتابة البحث العلمي، وشمل ثلاثة فصول خاصة بتحليل البيانات الكمية والكيفية، وكتابة تقرير البحث، وكتابة مراجع البحث. وقد اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على عدد من المصادر المتعددة في مجال البحث الاجتماعي، مستعيناً بخبرته المتواضعة التي استمدها من بعض أبحاثه أمثلة جاءت ضمن أجزاء الكتاب.

Abstract

Quantitative and Qualitative Research Method in Social and Behavioral Sciences

By:

Yagoub Yousif Al-Kandari, Ph.D.

One of the major aims of this book is to be a simple and suitable tool for a bachelor students in the area of research method in social and behavioral sciences. It is also the base of higher education students to understand methodology and research tools which are used in this field. As a text book, it concentrates on both qualitative and quantitative research methods which are used in the social research. The book divided to three major parts (seventeen chapters). Part one includes seven chapters concentrating on introductory level of the research method. It includes the following chapters: the research method unit, the classification of qualitative research, the classification of quantitative research, research problem, research hypothesis and questions, research strategy, and sampling. The second part was about the research tools. This part divided to seven chapters which are: questionnaire, interview, measurements and scales, simple observation and participant observation, informants, other research method tools, and reliability and validity of qualitative and quantitative methods. The last parts was about data analysis and writing the research. It divided to three parts: analysis the quantitative and qualitative data, writing research report, and references. Examples from the other research methodology references and from the author own researches have been used in this book.

الفهرس

AUTHORSHIP, TRANSLATION & PUBLICATION COMMITTE

Publishes Refereed Academic Books - By The Academic Publication Council - University of Kuwa

Academic Publication Council





ISBN:

Depository

20 ... Series | 1